موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
www.coptology.org

الْقِرَاءَةُ الْمَسِيحِيَّةُ الأُرْثُوذُكْسِيَّةُ لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ

دكتور جورج حبيب بباوي

القراءة المسيحية الأرثوذكسية

للعهد القديم

دكتـــور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٥

اســـم الكتـــاب : القراءة المسيحية الأرثوذكسية للعهد القديم
إعـــــــداد : د. جورج حبيب بباوي
المطبعـــــــة : جذور للترجمة والنشر والتوزيع
١٤ ش محمود حافظ ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
رقم الايداع بدار الكتب : ٢٠٢٤/٣٢٥٢٥م
الترقيـم الدولـــي : 978-977-5086-86-6

جدول المحتويات

تقديم **١٣**

القسم الأول

مدخل إلى القراءة المسيحية الأرثوذكسية للعهد القديم **١٧**

الفصل الأول

كيف نقرأ الكتاب المقدس، وكيف ندرسه في حياتنا المسيحية الأرثوذكسية؟

١- **١٩**

الآريوسية، مثالٌ على انعدام النظرة الكلية ٢٠

أمثلة على النظرة الكلية، أو مجال الأسفار ٢١

المسيح بداءة خليقة الله ٢١

الجدل حول العشاء الرباني ٢٨

المبادئ التي تحكم القراءة الصحيحة للكتاب المقدس ٣١

الفصل الثاني

كيف نقرأ الكتاب المقدس، وكيف ندرسه في حياتنا المسيحية الأرثوذكسية؟

٢- **٣٥**

الكتاب المقدس في التسليم الكنسي الأرثوذكسي ٣٥

لماذا نرفض التفسير اللغوي؟ ٣٥

الفرق بين الشرح والتفسير ٣٨

المحاور الثلاثة التي قام عليها الكتاب المقدس ٤٣

الفصل الثالث

كيف يجب أن نقرأ الكتاب المقدس بعهديه؟ ٤٧
علاقة العهد القديم بما يحدث يوم الأحد ٤٨
الفهم الصحيح للعدل الإلهي ٥٢
تقييم شرح حركة الإصلاح للعدل الإلهي ٥٦
التبرير في العهد الجديد ٥٦
لماذا نرفض إخضاع الكتاب المقدس لقواعد التفسير البشري؟ ٥٩

الفصل الرابع

كيف نقرأ الكتاب المقدس بروح النعمة لا بروح الشريعة؟ ٦٥
ما هو المقصود بـ"النعمة"؟ ٦٥
كيف يعمل الناموس في الإنسان؟ ٦٨
القراءة حسب النعمة والقراءة حسب الشريعة ٦٨
لماذا تركنا التفسير حسب النعمة؟ ٧٠
مميزات الأناجيل المقدسة كشهادة ٧١
الجواب الثالث! ٧٣
موقف المحبة والشريعة من التناقض ٧٤

الفصل الخامس

كيف يقرأ الإنسان المسيحي العهد القديم؟ ٧٧
ماذا يقول العهد الجديد عن العهد القديم؟ ٧٧
مقارنة العهدين على أساس خادم البيت وباني البيت ٧٨
الكهنوت كعنصر مقارنة بين العهدين ٧٨
الهيكل كعنصر مقارنة بين العهدين ٨٠
الدم كعنصر مقارنة بين العهدين ٨١
المجد كعنصر مقارنة بين العهدين ٨٣

العهد القديم في الكتابات العربية ٨٤
الانتقال من الطفولة إلى النضج ٨٥
مصيـر نبوات العهد القديـم الخاصة بشـعب إسـرائيل ٨٩
ما المقصود بتعبير "يوم الرب" في نبوات العهد القديم؟ ٩١

الفصل السادس

ما هو الفرق بين العهد القديم والعهد الجديد؟ ٩٥
العهد بين الله والشعب هو أساس العهد القديم ٩٥
جوهر العهد بين الله والشعب ٩٦
الرب يسوع الإله المتجسد هو أساس العهد الجديد ٩٧
انتفاء العلاقة بين ذبائح العهد القديم وذبيحة الرب يسوع المسيح ٩٨
كهنوت الرب يسوع ليس بحسب وصية جسدية ١٠٠
الممارسات الجسدية، هل تؤهلنا للنعمة؟ ١٠١
الأساسات التي تقوم عليها حياتنا في المسيح ١٠٣

الفصل السابع

ما هو الفرق بين عمل الروح القدس في العهد القديم والعهد الجديد؟ ١٠٩
عمل الروح القدس هو الأساس الإلهي للعهدين ١٠٩
عمل الروح القدس في العهد القديم ١١٠
عمل الروح القدس في العهد الجديد ١١١
نعمة استدعاء الروح القدس ١١٤

القسم الثاني

القراءة المسـيحية الأرثوذكسية للعهد القديم ١١٩

الفصل الثامن

مقدمة عامة عن أسفار العهد القديم، ومحاولة لاسترجاع التسليم الكنسي الأرثوذكسي الأصيل ١٢١

أسماء الأسفار ١٢١

العلاقة بين العهد والشريعة ١٢٢

درجات النبوة في العهد القديم ١٢٥

لماذا كان اليهود يقرأون العهد القديم في المجامع؟ ١٢٦

كيف تفسِّر القيامة الكتاب المقدس؟ (الخليقة الأولى نموذجًا) ١٣٠

التفسير حسب الحرف والتفسير حسب الروح ١٣٥

الفصل التاسع

العهد القديم في كتابات آباء الكنيسة الجامعة ١٣٩

ثوابت قراءة آباء الكنيسة الجامعة للعهد القديم ١٣٩

أثر التجسد على قراءة العهد القديم ١٣٩

الأناجيلُ شهادةٌ، لا مجردَ نصوصٍ ١٤١

ما المقصود بقراءة العهد القديم قراءة تيبولوجية؟ ١٤٦

"إله العهد القديم" في الأدب النقدي ١٤٩

مرجعية الكتاب المقدس في المفهوم الأرثوذكسي ١٥١

العلاقة بين القراءة والمعرفة والاختبار وقراءة الكتاب المقدس ١٥٣

ما هو المقصود بما جئت لأنقض الناموس والأنبياء بل لأكمِّل؟ ١٥٥

الفصل العاشر

كيف قرأ الآباء في القرون الأولى العهد القديم؟ ١٥٩

العهدان ليسا متساويين ١٥٩

ما الذي دعا الكنيسة المسيحية لأنْ تُبقي على العهد القديم؟ ١٦٠

يهود الشتات والتأويل الرمزي للعهد القديم ١٦٠

آباء الكنيسة والتأويل الرمزي للعهد القديم ١٦٢

وظيفة الرمز أو العلامة في الليتورجية() ١٦٤

علاقة التدبير بفهم الكتاب المقدس ١٦٦

مستويات قراءة العهد الجديد ١٧٠

الخلاصة ١٧٦

الفصل الحادي عشر

ما هي نظرة آباء الكنيسة الجامعة للعهد القديم؟ ١٧٩

ما الذي تحرر منه المؤمنون في العهد الجديد؟ ١٧٩

ما الذي يلتزم به المؤمنون من العهد القديم في العهد الجديد؟ ١٨٥

لماذا لا تقرأ الكنيسة القبطية العهد القديم في القداسات؟ ١٨٦

القراءة الخاصة بحروب العهد القديم ١٨٧

تعبير "شعب الله المختار" بين اللاهوت والسياسة ١٨٨

القراءة الخاصة بكهنوت العهد القديم ١٩٠

ما هو المقصود بتعبير "ضمير الخطايا"؟ ١٩٢

الفصل الثاني عشر

الكهنوت في العهد القديم ١٩٩

كهنوت العهد القديم قبل السبي وبعده ١٩٩

الرب يسوع المسيح الكاهن والنبي ٢٠١

كهنوت الرب وخلاص الأمم ٢٠٢

الفصل الثالث عشر

التاريخ والشريعة والنبوات في العهد القديم **٢١٧**

أولًا: التاريـخ ٢١٧

الشــريعة ٢٢١

التعليــم النبــوي ٢٢٣

الفصل الرابع عشر

الفرق بين العهديــن **٢٢٧**

زمــان التجديــد ٢٢٨

الفــروق الجوهرية بيــن العهديــن ٢٣٣

الفصل الخامس عشر

الأسماء الإلهية في العهد القديم، وعلاقتها بالعهد الجديد **٢٤١**

الاســم تعبير عــن علاقــة شــخصية ٢٤١

اسم الله "إل" ٢٤٢

لماذا لا تظهر أسماء الله في العهد القديم وفي العهد الجديد؟ ٢٤٤

الرب يســوع أخذ الاسم الذي فوق كل اسم ٢٤٦

ماذا يقصد الرب يســوع بتعبير "أنا قد أتيت باسم أبي"؟ ٢٥٠

الروح القدس المنبثق من الآب في الابن يُكمِّل معرفتنا بالثالوث ٢٥١

الروح القــدس يُعلَــن بواســطة الكنيســة ٢٥٣

اســم الــرب يســوع فــي الإبصاليــات ٢٥٥

الفصل السادس عشر

الخطية في العهــد القديــم **٢٥٧**

الخطية، هل هي انفصالٌ عن اللــه؟ ٢٥٧

المفردات اليونانية المســتخدمة للتعبير عن ”الانفصــال“ ٢٥٩
تناقض الاتحاد الأقنومي مع فكرة الانفصال ٢٥٩
المفردات اليونانية المستخدمة للتعبير عن ”الخطية“ ٢٦٠
المفردات اليونانية المســتخدمة للتعبير عن ”المغفرة“ ٢٦٢
الخطية، هل هي عصيــان؟ ٢٦٥
عــلاج الخطيــة ٢٦٦

الفصل السابع عشر

الهيــكل والذبائــح فــي العهــد القديــم ٢٦٩
ما هي دلالة تقديم الدم في العهد القديم؟ ٢٧٢
انتقال الخطيــة من الخاطئ إلى الذبيحة، هل هو ممكــن؟ ٢٧٤
مــاذا يعني وضــع اليــد علــى الذبيحــة؟ ٢٧٧
علاقة الطقــوس بـ”ضميــر الخطيــة“ ٢٧٨
التقديس والتطهير بيــن العهد القديم والجديــد ٢٨٠
الرسالة إلى العبرانيين بكونها مصدر التعليم المسيحي عن الذبائح ٢٨٢
حاشــية: اليهودية القبطيــة ٢٨٩

الفصل الثامن عشر

اللاهــوت والتاريــخ فــي العهــد القديــم ٢٩٣
الفرق بين الوحــي والتنزيــل ٢٩٣
مســتويات الوحي الإلهي ٢٩٤
خطورة اعتبار الكتاب المقدس بمثابة تنزيل ٢٩٥
تفســير النصوص خارج السياق، أو الأســاس التاريخي لها ٣٠٣
”العقوبة“، كلمة تتعارض مع طبيعة اللــه ٣٠٧

المسيح يسوع هو نقطة البدء لقراءة سليمة للعهد القديم ٣٠٩

الفصل التاسع عشر

الأعياد في العهد القديم ٣١٥

عيد الفصح ٣١٥

العناصر المشتركة في الاحتفال بالأعياد في اليهودية ٣١٦

عيد الفطير ٣١٧

عيد المظال / التجلي ٣١٩

عيد الخمسين "البنطقستي" ٣٢١

عيد الكفارة العظيم ٣٢٣

عيد الأبواق ٣٢٦

الإفخارستيا هي جوهر أعيادنا المسيحية ٣٢٧

الفصل العشرون

العنف الدموي في العهد القديم ٣٣٥

القسم الثالث

دراسات حول العهد القديم ٣٣٩

الفصل الواحد والعشرون

الرد على نقد العهد القديم ٣٤١

ما فشلت فيه النظرية الافتراضية ٣٤٢

التوراة البابلية ٣٤٤

التوراة البابلية – خرافة ثقافة التخلف ٣٤٦

الفصل الثاني والعشرون

الأسـفار القانونيـة التي حذفها مارتن لوثـر ويوحنـا كالفـن **٣٤٩**

الفصل الثالث والعشرون

حتى لا نسـقط تحت سلطان شريعة موسـى **٣٥٧**

الفصل الرابع والعشرون

علاقة الشريعة بالتدبير، بحث خاص لقطع دابر لفظ "أُكمِّل - يُكمِّل"

"ما جئت لأنقـض، بل لأُكمِّل" (مـت ٥: ١٧) **٣٦١**

كلمـة **τέλος** مـا قبـل الإنجيـل ٣٦١

فـي السـبعينية ٣٦١

في العهد الجديد حسـب الأصل اليونانـي ٣٦٢

مـا هـو المقصـود بكلمـة "نهايـة"؟ ٣٦٢

ما هو المعنى الدقيق لاستخدام الفعل "يُكمِّل" ٣٦٣

συτελεώ - يكمِّـل ٣٦٤

τέλειος - الـكل ٣٦٤

ما معنـى "يكمِّـل" الشـريعة؟ ٣٦٥

المـلء والامتـلاء مـن الـروح القـدس ٣٦٨

النقلة الكونية في التعليم الرسولي في رسالة رومية (٣ - ٤ - ٥) ٣٦٩

إبراهيم قبـل شـريعة موسـى (رو ص ٤) ٣٧٠

الاعتـراض الـذي يجـب أن نقـرأه بدقـة ٣٧٠

جئـت لكـي أُكمِّـل ٣٧١

الفصل الخامس والعشرون

يســوع هــو العهــد الجديــد الأبــدي **٣٧٣**

التعليم الرســولي عن العهد الجديد، أي يسوع ٣٧٣

يســوع رب الحيــاة، وشــريعة موســى ٣٧٤

البرهان القاســي على ريــاء بطــرس ٣٧٥

† † †

تقديم

في الفترة من ٢٠١١ وحتى ٢٠١٨ كتب الدكتور جورج بباوي مجموعةً من الدراسات حول العهد القديم، نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، إمَّا استجابةً لطلب بعض الأخوة، أو لاستشعاره أن بعض النصوص تحتاج إلى إيضاح فضًّا للاشتباك القائم بخصوصها بين العهدين. وفي الفترة من ٢٠١٤ وحتى ٢٠٢٤ نشر الموقع مجموعةً من المحاضرات التي ألقاها الدكتور جورج عن القراءة المسيحية عن العهد القديم، نظرًا لاشتعال وسائل التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت بالنقاش حول بعض المسائل التي تتعلق بالعهد القديم، أو بالكتاب المقدس في مجمله، وكيفية قراءته قراءة مسيحية لا يشوِّشها ما تسرب إليها من تفاسير لا تراعي الفروق ما بين العهدين.

ونظرًا لأن حدة النقاش حول مسائل العهد القديم ومدى علاقته بحياتنا المسيحية في العهد الجديد ما تلبث أن تهدأ إلَّا لتثور مرةً أخرى، الأمر الذي يكشف عن أن هناك من الأمور ما لم يُحسم بعد، وأن هناك خلافات لم يُقطع دابرها، لذا رأينا -نحن أسرة موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية- أن نجمع هذه الدراسات وتلك المحاضرات بين دفتي هذا الكتاب لتقديم قراءة متميزة للعهد القديم، تتناول جُل الموضوعات التي تثور بشأنه، ونعني بالقراءة المتميزة أنها ليست مجرد قراءة مسيحية، كتلك القراءة الغالبة في مختلف الكنائس المسيحية، بل أنها قراءة مسيحية أرثوذكسية على وجه التحديد، وهي القراءة التي تضع الأمور في نصابها الصحيح وترسم الحدود بين العهدين بوضوح، فلا تسمح لقراءة الشيع البروتستانتية الشائعة للعهد القديم بأن تجور على خصوصية العهد الجديد، ولا بأن ينطفئ مصباح العهد الجديد بفعل أنواء التفاسير التي تَفرِض العهد القديم على العهد الجديد، فتشرح النور

بواسطة الظل، في غفلةٍ عن أن النور هو الذي يصنع الظل ويشرحه، وبالتالي فالقراءة المسيحية الأرثوذكسية للعهد القديم كما أوضحها الدكتور جورج في أكثر من موضع في هذا الكتاب هي تلك القراءة التي تبدأ بالمسيح بكونه النور الحقيقي رجوعًا إلى الوراء فينكشف العهد القديم على حقيقته بكونه ظِلًّا للأمور العتيدة والتي تحققت في شخص الكلمة المتجسد ربنا يسوع المسيح له المجد.

وفي ضوء ما تقدم يجيء هذا الكتاب ليسُدَّ حاجةً وفراغًا في موضوعه في المكتبة العربية والقبطية بوصفه لا يُقدِّم مجرد قراءة مسيحية للعهد القديم، وإلَّا كان تكرارًا، بل على وجه التحديد يقدم قراءةً متميزةً، هي القراءة المسيحية الأرثوذكسية التي تستند إلى مصادر التعليم الأرثوذكسي؛ وهي نص الكتاب المقدس، سواء ما ورد في العهد القديم، أو في التسليم الرسولي في العهد الجديد، وتعليم الآباء الرسل، وشرح آباء الكنيسة الجامعة، ونصوص الصلوات الليتورجية. وعلى ذلك، فهي قراءة تختلف جذريًّا مع تلك القراءة التي أفرزها مجتمع الإقطاع في العصر الوسيط الأوربي، والسائدة في أوساط الشيع البروتستانتية، والتي تسربت إلى كنيستنا القبطية في غيبة من الوعي في ظروف تاريخية كان الاستعمار الأجنبي عنوانها، لذا ليس غريبًا أن نلحظ في هذه القراءة غياب تعبيرات مثل "البديل العقابي"، أو "العقوبة"، أو "الغضب الإلهي" أو "العِوَض"، إلى آخر هذه التعبيرات التي تمثل عصب القراءة السائدة لدى الشيع البروتستانتية، وهذا الغياب ليس تغييبًا تعسفيًّا، بل هو غيابٌ يفرضه واقع الشرح الأرثوذكسي، الذي يأبى أن تتصالح مثل هذه التعبيرات مع أي جانب من جوانبه، دون أن يكون هناك عقبةً في الفهم أو خلطًا في المفاهيم، خصوصًا وقد تبين لنا أن التفسير الآتي من العصر الوسيط الأوربي إن هو إلَّا تفسيرٌ خياليٌّ لا يمت لواقع نصوص الكتاب المقدس بصلة، وإنما هو بمثابة إسقاط للأنظمة القانونية والاجتماعية القائمة في عصر

الإقطاع على نصوص الكتاب، والذي توهَّم أساطينه أنها تستجيب إليها.

ونظرًا لأن انعدام الإفراز والتمييز بين الحدود الفاصلة بين العهدين يصيب الحياة الروحية بالارتباك، لذا لم يهمل الدكتور جورج الجانب التطبيقي مكتفيًّا بإبراز الأخطاء في الجانب التعليمي، بل حرص أيضًا على أن يبرز الآثار السلبية التي تراكمها هذه الأخطاء في الحياة الروحية، وبذلك تُعد هذه المحاضرات -إلى جانب أنها تعالج عيوب التعليم السائد وآثارها- منهجًا روحيًّا أرثوذكسيًّا لا غنى عنه، فحيث يضع الأمور في نصابها الصحيح، يُدهش الواحد منا من كم الانسجام الذي يشمل كافة جوانب الشرح الأرثوذكسي، فتنساب الحياة الروحية رقراقةً بعد أن أُزيلت من مسارها ممارساتٍ أقرب إلى اليهودية منها إلى الحياة التي تبدأ بالمسيح وتجد غايتها في المسيح.

إلى جوار تركيز موضوعات هذا الكتاب على قراءة العهد القديم قراءة مسيحية أرثوذكسية، فهو يُعد مدخلًا لدراسة أو قراءة الكتاب المقدس بعهديه، وتقدم بعض المحاضرات دليلًا منهجيًّا آمنًا لقراءة الكتاب بطريقة أرثوذكسية.

بقيَ أن نشير إلى أننا قمنا بتفريغ هذه المحاضرات وأعدنا صياغتها لتتناسب مع صدروها مكتوبةً، علمًا بأننا احتفظنا بأجزاء/ فقرات كاملة باللغة العامية كلما وجدنا ضرورةً لذلك، محافظةً منا على عفوية الحديث وانطلاقته، خصوصًا وأن عاميتنا المصرية لغةٌ مفهومة ولها قواعدها وليس هناك ما يعيبها. وقد وضعنا الكثير من العناوين الجانبية لتسهيل الإلمام بكافة عناصر الموضوع، كما أبرزنا بعض العبارات التي رأينا أنها على قدرٍ من الأهمية بغرض التركيز على الأفكار الهامة.

في النهاية نشير إلى ما قرره الدكتور جورج من أننا في حاجة إلى جرعة قوية في دراسة العهد القديم -تغطيها موضوعات هذا الكتاب- لكي نستطيع استعادة الحكمة الروحية التي دُوِّنت في هذه الأسفار، ونحن نذكر هذا، لأن

الذي أضعف فهمنا للعهد الجديد نفسه هو ضعف دراستنا وفهمنا للعهد القديم، ولذلك وضَعَت موضوعات هذا الكتاب نُصب عينيها دراسة العهد القديم دراسةً جيدةً تتناول كل ما هو خاص بالعهد القديم، على أمل أننا بعد أن فتحنا ملفات العهد القديم المشتبكة مع العهد الجديد، نكون قد استطعنا أن نحفر أساسًا كتابيًّا إلهيًّا آبائيًّا لكل ما هو موجود لدينا في العهد الجديد. ويكفي أن نشير إلى أن الخليقة في العهد القديم أصبحت الخليقة الجديدة. وأن الكهنوت اللاوي، أصبح كهنوت ملكي صادق. وأن الأعياد أصبحت حياة الرب يسوع من الميلاد للصعود والعنصرة. وأن الشريعة أصبحت مكتوبة في القلب بسُكنى الروح القدس. وأن الهيكل أصبح هو الإنسان، وأن هيكل الكنيسة مبنيٌّ بهذا النظام لكي يؤكد أن الإنسان هو هيكل الله.

بقيَ أن نستودع صفحات هذا الكتاب في يدي الثالوث القدوس إلهنا الصالح، ليأتي بالثمار المطلوبة بشفاعة معدن الطهر والنقاوة، سيدتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، وكل امتلاء كنيسة الله المقدسة.

والمجد للآب والابن والروح القدس في كنيسته من الآن وإلى دهر الدهور آمين.

أسرة موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية

تذكار استشهاد القديس العظيم مار مينا العجايبي

١٥ هاتور ١٧٤٠ - ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤

القسم الأول

مدخل إلى
القراءة المسيحية الأرثوذكسية
للعهد القديم

الفصل الأول

كيف نقرأ الكتاب المقدس،
وكيف ندرسه في حياتنا المسيحية الأرثوذكسية؟ -١[١]

للقديس إيرينيئوس -حوالي عام ١٩٠- تقريبًا عبارة جيدة جدًا يقول فيها إن الآباء الرسل كتبوا الأناجيل عندما بدأت الناس تضل، وابتدأ التعليم المسلَّم يدخل عليه التحريف والزيادات والحذف والاقتباسات من المصادر الأخرى.

ونحن وإن كنا نعيش في عصر ثورة المعلومات الذي أصبح فيه العالم يملك كل تراث الأجيال السابقة تحت يده، حيث لا شيء مختبئ، إلَّا أننا نعاني -كما عانى القدماء- أمرين ظهرا على سطح هذه الثورة؛ **الأول** هو انعدام التخصص، بحيث يظن من يعرف شيئًا أنه يعرف كل شيء. **والثاني** هو تفكك الفكر الثقافي الإنساني، بحيث لا يتناول الباحث في موضوع معين ما يتصل بهذا الموضوع من كافة جوانبه، وهذا التفكك Disintegration يحدث نتيجة تجاهل الباحث الذي يتخصص في نقطة واحدة علاقة هذه النقطة بالموضوع الكلي.

ولذلك نجد أن أول ما حافظ عليه الآباء في حربهم العنيفة مع مدارس الهرطقات كلها هو ما نسميه بالنظرة الكلية، أو بتعبير القديس أثناسيوس "المجال الإلهي للأسفار"، لماذا؟ لأنه لا يصح لأحدٍ أن يأخذ نصًّا أيًّا كان ويبني على هذا النص فكرة، ومن هذه الفكرة يستنبط نظامًا عقليًّا، أو أن يقوم

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في ٣١ يناير ٢٠٢٤.

بتصنيف مجموعة من النصوص، ومن هذا التصنيف يستخرج منه نظامًا عقليًّا، وهذا النظام يكون مرتبطًا أساسًا بطريقة تفكيره، وهو ما يمكن أن نسميه المرجعية الثقافية للمفكر، أي كيف يفكر.

الآريوسية، مثالٌ على انعدام النظرة الكلية

هذا هو منهج كل الهراطقة. لا شك أن آريوس كان شخصًا مثقفًا ثقافةً عالية، تدل على ذلك الشذارت التي تبقَّت من الآريوسية في الثاليا أو في غيرها، أو حتى عند الآريوسيين الذين أتوا من بعده، حيث تشعر بمجرد القراءة، بالأسلوب اليوناني الراقي الدال على أنهم كانوا مثقفين جدًا. ولكن كان أهم ما يميِّز طريقة التفكير هو نقطة البدء. الاختيار هو نقطة البداية. والاختيار هو الفعل اليوناني "هيريو - αίρέω" الذي اشتُقَّت منه كلمة "هيرسيس - αίρεσις"، أو هرطقة. وهي تعني أنك تختار فكرة معينة وفي ذات الوقت يقودك هذا الاختيار إلى رفض فكرة أو أفكار أخرى. ولذلك، عندما نذكر "المجال الإلهي للأسفار"، فنحن نعني أنه مجال متكامل لا يوجد فيه التفكيك والتجزيئ والاختيار الشخصي المبني على القبول والرفض.

في الهرطقة الآريوسية نجد أن آريوس قد اختار ناسوت أو إنسانية المسيح لكي يرفض به أُلوهيته وحياته الواحدة مع الآب. ولذلك، عندما صك الآباء في نيقية تعبير "هوموأوسيوس - όμοούσιος"، الواحد مع الآب في الجوهر، أو الذي من جوهر الآب، كان هذا هو الحل الوحيد في هذا الوقت، وكان من الضروري اختيار هذه الكلمة بالتحديد لكي يظل في الوعي الكنسي أن الابن له ذات حياة الآب، وأنه من جوهر الأُلوهة الذي هو جوهر الثالوث.

إذن، يختار آريوس ناسوت المسيح أو إنسانية المسيح باعتبارها حقيقة ثابتة، بينما يرفض أُلوهية المسيح، **وغاب عنه أن أُلوهية المسيح -في مجال**

الأسفار- هي السبب في الكلام عن إنسانية المسيح. وبالتالي، فإن الخروج من هذا المجال الكلي كان هو سبب التشويش في الرؤية الآريوسية أو عند شهود يهوه.

أيُّ حديثٍ عن إنسانية المسيح يجد مصدره الصحيح في أُلوهية الرب وليس العكس. بمعني أن **المسيح لم يكن إنسانًا تألَّه، ولكنه إلهٌ تجسَّد**، ولما تجسَّد ظهرت إنسانيته بشكلٍ مختلف عن جميع البشر، في طريقة الميلاد والصلب والقيامة والتعليم .. إلخ، لأن **أساس الكلام عن إنسانية المسيح هو أُلوهيته**، ولكن آريوس اعتقد خطأً أن الكلام عن إنسانية المسيح يقضي على أُلوهية الرب. وما ذلك إلَّا لأنه قرأ الكتاب المقدس بالشكل الذي كانت الكنيسة تحاول أن تتجنبه منذ القرن الرابع، وهو الدراسة النصوصية textual studies أي **القراءة بغرض تكوين نظرية من مجموعة نصوص. وهو المنهج الآريوسي والمنهج البروتستانتي أيضًا**، وهو المنهج السائد عندنا في الوعظ في الكنيسة للأسف.

أمثلة على النظرة الكلية، أو مجال الأسفار

ولتوضيح ما نقصد إليه نأخذ بعض الأمثلة الواقعية التي تبين ما هو المقصود بالكلام عن المجال الإلهي للأسفار، وهو تعبير كما سبق وقلنا من عند أثناسيوس في الرد على الآريوسيين.

المسيح بداءة خليقة الله

إذا نظرنا إلى وصف القديس بولس الرب بأنه "بداءة خليقة الله"، وهو الوصف الوارد في رسالته إلى كولوسي، نجد أن فهم الآريوسيين لهذا الوصف باعتبار أن الرب هو إلهٌ مخلوق، وأنه بداءة خليقة الله بهذا المعنى، يتجاهل وينسى أن هناك خليقتين، الخلقة الأولى والخلقة الجديدة. فنحن نعلم أن

الخلقة الأولى بدأت بآدم وأن الخالق هو الله، بل هو الله الكلمة أيضًا، وليس الله بالمعنى اليهودي فقط، بل وأيضًا بالمعنى الخاص بالثالوث، أي الله الآب والابن الخالق اللوغوس. أما الخلقة الثانية أو الجديدة فهي تلك التي بدأت بالمسيح، وبالرغم من أن الخلقة الأولى القديمة موجودة، إلَّا أن الخلقة الثانية موجودة في المسيح، بكونه بداية خليقة الله أو البكر.

وهنا يجب أن نلتفت إلى أن الآريوسيين وشهود يهوه -نتيجة تنحيتهم للنظرة الكلية- تجاهلوا أو نسوا أن البكر ليس فقط هو المولود الأول كما يقولون، وهو صحيح، بل هو أيضًا الوارث لكل شيء لأبيه، وهو الأمر الظاهر في الرسالة إلى العبرانيين وفي أسفار العهد القديم أيضًا، وهو ما يفسر استمرار بركة إبراهيم بميلاد اسحق وميلاد يعقوب لأن إعطاء البكر البركة يجعله يرث كل ما للأب، وهذا هو ما يقوله الرب يسوع المسيح بشكل علني: "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ" (مت ٢٨: ١٨). وفي العبرانيين يقول معلمنا القديس بولس: "فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ" (عب ١: ٢). هذا هو معنى البكر. **فالنظرة الكلية وهي نظرة المجال الإلهي للأسفار لا تسمح بأن تهمل جانبًا من الحقيقة، بل تأخذها في كليتها.**

وهنا يجب أن ننتبه بكل جوارحنا إلى ما يُعدُّ المفصل الأول والأخير بين الأرثوذكسية والمناهج البروتستانتية كلها، وهو أن الشخص أو الأقنوم أو الإيمان أو الاستعلان قد سبق التدوين، وأن النص هو شهادة، وأن الشهادة تعود إلى الإيمان، أي إلى العلاقة المعلَنة بالأقانيم، ولذلك **يعبِّر النص عن الشهادة ولكنه ليس هو العلاقة نفسها ولا هو الذي يؤسِّسها.** وهو ما يعني أن النصوص أو الآيات التي تتحدث عن أي موضوع لا تؤسس العلاقة، ولكي يكون كلامنا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض نأخذ مثلًا من رو ٨: ٢٩ - ٣١: "لأَنَّ

الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا. فَمَاذَا نَقُولُ لِهذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟". نلاحظ هنا أن الكلام كله عما هو مستعلَن في الابن، فهناك معرفة وتعيين وتبرير وتمجيد سابق على خلق هؤلاء. ولكن الأخوة الإنجيليين -خصوصًا الذين يتبعون منهم مذهب كالفن- نتيجة اتباعهم المنهج النصوصي، بنوا على هذه المعرفة التي يتحدث عنها النص ما عُرِف لديهم بـ "عقيدة الاختيار predestination"، في حين أن **التعيين هنا ليس لأشخاص بعينهم، وإنما هو للطبيعة الإنسانية بشكلٍ عام**، بما يعني أنه لم يعيِّن بطرس أو يوحنا ويعقوب أو غيرهم، وإنما عيَّن البشر ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين أخوةٍ كثيرين. طبعًا، من الطبيعي عندما يكون هناك تعيين واختيار للطبيعة الإنسانية لتكون مشابهة لصورة الابن، فحتمًا سيكون ذلك عن طريق أشخاص، ولكن الكلام هنا ليس عن أشخاص وإنما عن الطبيعة الإنسانية عامةً.

وهنا يثور السؤال عما إذا كان هذا النص هو الذي يؤسِّس المعرفة والتبرير والمجد الذي يشير إليهم؟ في الحقيقة النص يشير إلى العلاقة، بحيث يُكتَشَف التبرير والمجد في العلاقة، والعلاقة تعود إلى الإيمان وإلى الأقنوم، لماذا؟ لأن **كلمة "المجد"** -وهنا الخدعة اللغوية التي لا ينتبه إليها الكثيرون- هي احدى الكلمات العبرانية والآرامية بل واليونانية أيضًا التي **تعبِّر عن الطبيعة الإلهية**، عن الأُلوهة، فعندما نتكلم عن تمجيد الطبيعة الإلهية نستخدم كلمة "المجد". وهو ما يظهر عندنا فيما يُسمى بالذكصولوجية، أي التمجيد الذي يقال في الكنيسة: المجد للآب والابن والروح القدس، وهو ما يعني أننا نعترف بأنهم آلهة وأقانيم في جوهر واحد.

والمجد الذي ذكره الرب في يو ١٧: ٢٢ "وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ **الْمَجْدَ** الَّذِي أَعْطَيْتَنِي" هو التبني، **أي مجد الابن**، ولذلك عندما يقول شخصٌ ما إن هذا المجد هو مجدٌ مخلوق، يكون آريوسيًّا لا محالة لأنه لا وجود لمجدٍ مخلوق، إنما المجد هو للخالق، وتلك هي القاعدة اللاهوتية التي تكشف لنا عن أن هناك علاقة تُمجِّد الإنسان وتجعله ابن الله.

كنا في اجتماع منذ أسبوعين، فقلت للأخوة من ضمن ما أذكره لأبونا فليمون المقاري أنه قال لي: "عندما تصلي قل يا رب يسوع ارحمني أنا أخوك"، فلم يقبلوا هذا الكلام، وقالوا كيف وأنت خاطئ تكون أخًا للمسيح؟ فقلت لهم: صحيح أنا خاطي، ولكن مجد العمل الإلهي هو محبة الخطاة وليس العكس. ولم يكن هذا الرفض إلَّا استجابةً للبنية التحتية للثقافة الإسلامية، والتي انعكست في بعض اتجاهات الثقافة القبطية والتي تقول بأن المجد الإلهي لا علاقة له بالإنسان الخاطئ، كما لو كان الله ضعيفًا يتأثر بمعاملته للإنسان الخاطئ.

إذن، الإيمان والعلاقة يسبقان كل النصوص، وعلى أساس فهمنا للعلاقة والاستعلان الجديد نفهم النصوص. والمثال على ذلك: على أي أساس قال الرسول بولس "أنتم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم"؟ وهذا الكلام موجود أيضًا في خطاب اسطفانوس في أصحاح ٧ في أعمال الرسل، فعلى أي أساس بنى اسطفانوس هذا الكلام؟ على أساس أن التجسد هو سُكنى الكلمة في جسد إنساني. وهو ما قاله الرسول يوحنا: "الكلمة صار جسدًا وسكن فينا"، وفي النص القبطي اليوناني "نصب خيمة جسده في وسط خيامنا نحن". وما جعلنا نحن هياكل الله أنه "قَالَ لَهُمْ: "انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ" ... وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ" (يو ٢: ١٩ - ٢٢)، وهو ما لم يفهمه التلاميذ إلَّا بعد القيامة.

وخلاصة هذا الكلام أن **التجسد ألغى العبادة في الهياكل الحجرية**، وهو ما فهمه اليهود، ولذلك كان اعتراضهم على اسطفانوس مؤسَّسًا على أن كلامه يعني أنه يهدم العبادة اليهودية. **وما حدث في التجسد يحدث للإنسان**، كيف؟ بأن يسكن الله في الطبيعة الإنسانية لأنه "فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ" (كو ٢: ٩ - ١٠)، **أي تمتلئوا من نفس الحلول الذي حدث في المسيح**.

هنا، المجال الإلهي للأسفار يعني أن "البِكر بين أخوة كثيرين" لا يجعل هؤلاء الأخوّة في نفس مستوى الابن الوحيد، ولذلك عندما تقول الكنيسة عن المسيح أنه الابن الوحيد، إنما هي تؤكد على أن المسيح متقدِّم ومتمايز عنّا، لأنه هو الرأس ونحن الأعضاء بتعبير الرسول بولس. هو البداءة فعلًا، وإنما الكلام الموجود عند الرسول بولس في كولوسي "وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ (هذا التقدم لا يُفهَم على أنه يسبقنا، ولكن يعني أن المسيح إلهنا يحفظ كيانه الإلهي لأجلنا) لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ (هذه سهلة على البروتستانت)، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ (كيف صالح من في السموات؟)" (كو ١: ١٨ - ٢٠).

نلاحظ هنا الرسول لم يشرح كيف أن التجسد والصلب والقيامة ثبَّت القوات السمائية في الخدمة في السماء لأنهم أدركوا تواضع الله، وهو ما يدل على أن ما حدث قبل الخليقة، وهذا هو التسليم الكنسي، أي الانقضاض على المجد الإلهي برئاسة رئيسهم، لن يحدث مرةً أخرى، لأن القوات الملائكية استعادت مكانها وثُبِّتَت فيه وأُعطيت الروح القدس لكي تثبُت في القداسة، وهو ما قاله القديس باسيليوس الكبير في كتابه عن الروح القدس.

طبعًا حدث تثبيت للقوات السماوية، والصلح مع البشر كان ضروريًا، ولذلك نقول للأخوة الإنجيليين الذين يقولون عن الإفخارستيا إنها جسد حقيقي ودم حقيقي، هل تؤمن بالفعل بأن هذا الجسد الحقيقي والدم الحقيقي يوحدك بأنطونيوس ومكاريوس وميخائيل وغبريال والشاروبيم والسيرافيم؟ لو قلت نعم لأصبحت أرثوذكسيًا. عندما نحتفل بالعشاء الرباني في السر الكنسي، فنحن ومعنا الملائكة أيضًا وذلك بحسب ما ورد في صلاة القسمة: "اللهم والد النور ... معطي المتوكلين عليه من كل قلوبهم الأشياء التي تشتهي الملائكة أن تراها، الذي أصعدنا من العمق إلى النور، الذي أعطانا الحياة من الموت، الذي أنعم علينا بالعتق من العبودية، الذي جعل ظلمة الضلال التي فينا تضيء من قبل إتيان ابنك الوحيد بالجسد"، وهو ما يوضح عِظم المجد الذي حصل عليه الإنسان في المسيح يسوع.

إذن، فالعلاقة تشرح النص، ولذلك، فإن أكبر خدعة في التاريخ الكنسي هي استخدام النصوص لهدم العلاقة، وهذا الأمر بدأ بآريوس ووصل إلى مداه في القرن العشرين والواحد والعشرين لدى من يقولون إن الكتاب المقدس به خرافات وأساطير[١]. ففي حوارٍ مع أحد هؤلاء ذكر قصة برج بابل كمثال مستنكرًا أن يبلبل الله الألسنة، فقلت له: في التراث العبراني، في التفاسير اليهودية على العهد القديم مثل المدراش رابا، وهو تفسير العهد القديم لعلماء الشريعة اليهودية، وهو شرح للعهد القديم كله، علماء اليهود قالوا إن الله لم يبلبل الألسنة، لكن ما حدث هو أن البشر كانوا يتكلمون لغةً واحدة، ولكن اللغة انقسمت أولًا عند البشر بين السادة والعبيد. عملية بناء البرج تعني أن هناك سادة وهناك عبيد، فالكلمات واحدة، ولكن التعامل بين السادة والعبيد غيَّر الطريقة التي يتكلمون بها. ويمكن أن نضرب مثالًا لذلك بعبارة "صباح

---

(١) من الجدير بالذكر أن كلمة أسطورة ليست هي الخرافة، وإنما هي كتاب الإنسان الذي يستعين به للتعامل مع المجتمع ومع نفسه ومع الله.

الخير“ في اللغة العربية، وهي تحية جميلة، ولكن عندما تقال بطريقة معينة، فقد تعني ”يا ريتني ما شوفتك“. إذن الطريقة التي تُقال بها العبارة تختلف عما لو كنت تقرأها. بل وحتى القراءة بطريقة معينة تجعل معنى الكلمات تختلف. فعلماء العهد القديم ينكرون مسألة بلبلة الألسنة على أساس أن الإنسان أصبح عاجزًا عن أن يتكلم مع أخيه. وهناك قصة يهودية معاصرة جميلة جدًا توضح أن صوت المتكلم يغيِّر المعني. فقد حدث أن شخصًا روسيًّا يُدعى تروتسكي هرب من الاتحاد السوفيتي إلى المكسيك، وقبل أن يرسل ستالين قائد الثورة البلشفية من يقتله في المكسيك، أرسل تروتسكي تلغراف تهنئة لستالين بمناسبة احتفالات الثورة البلشفية كتب فيه: ”أنا غلطان وأنت على صواب“، والتوقيع: تروتسكي. فأخذ ستالين التلغراف وقرأه في اجتماع الحزب الشيوعي بين التصفيق والتهليل، ولكن أحد الحاضرين طلب من ستالين أن يقرأ التلغراف بطريقة تروتسكي، فحول العبارة إلى صيغة السؤال، وكأن تروتسكي كتب العبارة هكذا: هل أنا غلطان وأنت على صواب؟ فتغيَّر المعنى.

ولذلك يقول أحد علماء اليهود ويُدعى هوسرل، وقد توفى منذ حوالي ٥٠ سنة: عندما تقرأ كلام أشعياء عن غضب الله على اسرائيل، عليك أن تتبين ما إذا كان المتكلم يصرخ، أم يبكي، أم يئن، أو يترحَّم. ولذلك لا يصح أن تقرأ سطرًا أو سطرين وتصنع منهما قصة، لكن يجب أن تقرأ بالكامل، وبالتالي يمكنك أن تكتشف الصوت الذي يغيِّر المعنى، وهو أمر معروف في كل لغات العالم. فعندما تطرح نصًّا في غيبة المتكلم يمكنك أن تفترض معنى معيَّنًا.

نحن هنا نختلف مع المعمدانيين بسبب قولهم بأن الإنسان عندما يخطئ ينفصل عن الله، فنقول لهم إنه ليس ممكنًا أن تنفصل الخليقة عن الله؛ لا الخاطئ، ولا الإنسان، ولا الكون، ولا الشيطان يمكن أن ينفصل عن الله، لأنه

لو استطاع أحد هؤلاء أن ينفصل عن الله، فإن معنى ذلك أنه يمتلك حياةً ذاتيةً قابلة للاستمرار بعيدًا عن الله، وبالتالي يكون خالدًا كالله، فيردون على ذلك بنصٍّ مقتطع من أشعياء[1]: "بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ" (إش ٥٩: ٢)، في حين أنهم لو استمروا في القراءة لوجدوا أن النهاية ليست هكذا على الإطلاق، لأن بعد هذا الكلام يقول: "فَرَأَى الرَّبُّ وَسَاءَ فِي عَيْنَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَدْلٌ. فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ، وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ، وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ. فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ، وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ. حَسَبَ الأَعْمَالِ هكَذَا يُجَازِي مُبْغِضِيهِ سَخَطًا، وَأَعْدَاءَهُ عِقَابًا. جَزَاءً يُجَازِي الْجَزَائِرَ. فَيَخَافُونَ مِنَ الْمَغْرِبِ اسْمَ الرَّبِّ، وَمِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَجْدَهُ. عِنْدَمَا يَأْتِي الْعَدُوُّ كَنَهْرٍ فَنَفْخَةُ الرَّبِّ تَدْفَعُهُ. "وَيَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ وَإِلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فِي يَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ. أَمَّا أَنَا فَهذَا عَهْدِي مَعَهُمْ، قَالَ الرَّبُّ: رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ، وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِ نَسْلِكَ، قَالَ الرَّبُّ، مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ" (أش ٥٩: ١٥ - ٢١). الأمر الذي يتضح معه أن الفكرة المبنية على نصٍّ مقتطع فكرة مشوهة وغير دقيقة.

الجدل حول العشاء الرباني

منذ أن نادى مارتن لوثر بمبدأ الكتاب وحده - Sola scriptura أصبحت المعركة معركة نصوصية، سببها الأصيل هو ضياع العلاقة وخلق علاقة بديلة يحاول من يخلقها أن يُثبتها بنص، والمثَل على ذلك هو الجدل الذي ثار عن العشاء الرباني منذ القرن السادس عشر: لا يمكن على الإطلاق أن يكون المسيحُ رمزًا للمسيح. هذه قاعدة لاهوتية لا تقبل الدحض، لأن المسيح هو الحق وهو

(١) بالمناسبة، هذا هو النص الوحيد في العهدين الذي ترد فيه كلمة انفصال.

النور، وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك رمزٌ للنور. والمسيح هو الحق، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك كلام استعاري عن الحق. فيردون بالقول إن المسيح قال: أنا هو الكرمة، فهل كان المسيح كرمةً؟ كيف يكون المسيح جالسًا معهم في العلية ويعطيهم جسده؟ طبعًا هم يعتقدون أن كلمة "جسده" هنا في القرن الـ ١٦ تعني الجلد واللحم والعضم وغيره، لا أبدًا. **الجسد في الفكر العبراني هو الحياة التي يعبِّر عنها الجسد**، ما يعني أنه لا توجد ازدواجية بين الحياة والجسد، لأن الجسد هو الحياة، والحياة هي الجسد. فالمسيح يعطيك حياة. والدليل على ذلك أن الرب عندما قال للتلاميذ عند شفاء المرأة نازفة الدم، إن قوةً خرجت مني، فإن هذا القول لا يسمح بالتساؤل عن مصدر هذه القوة، وما إذا كانت من اللاهوت أم من الناسوت، فهذا هو منهج التقسيم والفصل، فلم تخرج هذه القوة من اللاهوت أو من الناسوت، وإنما من أقنوم الكلمة المتجسد.

وهنا يمكننا أن نلاحظ أن هذا التقسيم وهذا التفكيك كان هو السبب المباشر في تغييب الرؤية الحقيقية لسر الإفخارستيا. كيف لشخصٍ أن يمسك جسده ويعطيه للتلاميذ ويقول لهم خذوا كلوا هذا هو جسدي؟ طبعًا هذا الاعتراض هو ثمرة الفكر الأوربي في القرن الـ ١٦، لكن إذا رجعنا إلى وليمة الفصح لدى اليهود، ستجد أنهم وهم يحتفلون بالفصح بعد الخروج بمئات السنين، ولغاية اليوم، مازالوا يقولون: هذا هو الخبز الذي أكله آبائنا في البرية، على الرغم من أنهم يهود ربما يسكنون في أمريكا وليس في أورشليم.

حسب الفكر الأوربي يقولون إن هذا شيء رمزي، وهو ما يعني أن هناك فكرة في عقلك، وأنت تقوم بعمل معين لكي تستعيد الذكرى. في حين أن الفكر العبراني في العهد القديم لا وجود فيه لرموز على الإطلاق، وإن تصادف أن وجِدَ رمزٌ ما فهو من تراث مسيحي متخلف، وبالتالي فما تصنعه كيهودي،

هو نفس العمل الذي صنعه آدم، وهو نفس العمل الذي صنعه إبراهيم، وهو نفس العمل الذي صنعه الذين خرجوا من أرض مصر، لأن الجنس البشري في الفكر العبراني واحد "وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ" (أع ١٧: ٢٦)، وبالتالي لا وجود لهذه النزعة الفردية الموجودة عند الفكر الغربي.

ولذلك يمكننا أن نفهم سر الإفخارستيا أو العشاء الرباني على أساس قول الرب يسوع: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يو ١٢: ٢٤)، وهو ما يعني أن الموت هنا هو شرط الإثمار، وهو لا يريد أن يكون وحده، ولذلك يقول: "مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ"، لماذا؟ لأنه جاء "لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" (يو ١١: ٥٢)، لماذا؟ لأن الاجتماع الإنساني الذي جمع الأمة أو الشعب القديم جرى تمزيقه، ولا يمكن أن يجتمع مرة أخرى على أساس عرقي، بل على أساس جديد، أي في الرب، فأنا أكون موجودًا و"حَيْثُ تَكُونُ الْجُثَّةُ هُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ" (لو ١٧: ٣٧)، لماذا؟ لأنهم يأكلونه في الإفخارستيا، متضامنين معًا في العمل، وفي الانتماء، وفي الوحدة، وهذه الوحدة تُعطى في المعمودية، ولكن لأنهم فصلوا المعمودية عن العشاء الرباني، رفضوا عبارة "جسد حقيقي"، وقَبِلوا عبارة "جسد مجازي أو استعاري"، أو رمزي، فضاعت منهم كلمة "جسد حقيقي" وغرقت في جدل منذ القرن الـ ١١ أي قبل ظهور البروتستانت، وهكذا يسيرون في خط فلسفي مدمر للسر، لأنهم استعانوا بأفكار ومصطلحات ومُثل وقيم من خارج الاعلان الإلهي وفرضوها على الإعلان الإلهي. وهو أمرٌ لن ينتهِ في وقت قريب لأن العقل الإنساني منقسم تقوده الأنظمة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي يحيا فيها الإنسان ٢٤ ساعة في اليوم.

سبق أن كتبنا مقالًا نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية قلنا فيه **إن الكتاب المقدس ليس كتابًا واحدًا، وأن العهد الجديد هو المسيح وليس كتابًا**[1]، في الكنيسة لدينا الإنجيل، ولدينا البولس، ولدينا الكاثوليكون، ولدينا الإبركسيس، لكن ليس لدينا كتاب اسمه "العهد الجديد"، **لكن لأن جمعية الكتاب المقدس جمعية إنجيلية بروتستانتية فقد عنوَنَت الكتاب باسم كتاب العهد الجديد، فتحول العهد الجديد الذي هو شخص الرب يسوع إلى كتاب!!!**

المبادئ التي تحكم القراءة الصحيحة للكتاب المقدس

أريد أن أختم هذا الكلام بلفت نظركم إلى أن هناك أربعة مبادئ أساسية يجب أن نحرص عليها أشد الحرص؛

الأول هو أن شخص الرب يسوع أو الإيمان يسبق النص.

والثاني هو أن العلاقة تشرح النص.

والثالث هو أن النص يؤكد العلاقة، لكن النص هو الإطار، بمعنى أن النص هو برواز الصورة، وليس هو الصورة، وهذا هو المبدأ **الرابع**.

ولتوضيح هذا الأمر نستعير التشبيه الجميل الذي صاغه القديس إيرينيئوس في حوالي ١٩٠م عن فنان قام بعمل صورة جميلة من الفسيفساء للملك، ووضع فيها الكثير من الذهب والأحجار الكريمة. ولكن شخصًا آخر قام بفك الصورة وأعاد ترتيب القطع، وحوَّل نفس صورة الملك الجميلة إلى صورة كلب أو ثعلب (ضد الهرطقات ١: ٣ و ٨). وبالتالي يكون السؤال المطروح هنا هو كيفية التمييز بين الصورة الحقيقية والصورة المزيفة. هنا يضع إيرينيئوس

(١) راجع مقالنا بعنوان "حتى لا نسقط تحت سلطان شريعة موسى" منشور بتاريخ ١٨ اكتوبر ٢٠١٤. وتجده منشورًا ضمن فصول هذا الكتاب. [المحرر]

ثلاثة مبادئ للتمييز[1]:

أولا: أن تكون قد رأيت الإمبراطور وتعرف شكله، فعندما ترى الأيقونة المزيفة فسوف تقطع بأن هذه الأيقونة ليست حقيقية، والرؤية هنا هي المعرفة الشخصية المبنية على المشاهدة، ولكن إذا كان المسيح له المجد لا يُرى بالعين، فهناك مكونات لأيقونة المسيح هي الاستعلان الإلهي الذي يكشف لي هذه الأيقونة، وهي التواضع الإلهي، ومحبة البشر، وأنه واحد مع الآب في الجوهر، وهذه هي الأحجار الثمينة التي كانت موجودة في الأيقونة الحقيقة وأعيد تركيبها في الأيقونة المزيَّفة.

والمبدأ الثاني هم شهود العيان الآخرين الذين رأوا الإمبراطور، وذلك تأسيسًا على أن هناك قاعدة إلهية في الكتاب المقدس تقول: "على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة"، وهو ما يجعل الكنيسة في أسبوع الآلام تقرأ الأناجيل الأربعة، أي الشهود الأربعة على آلام المسيح، ولذلك أيضًا بعد عيد القيامة تقرأ الكنيسة في باكر وعلى مدار السنة إنجيل القيامة لأن القيامة هي شهادة للرب يسوع.

---

(١) يلاحِظ إيرينيوس أن كثرة الاقتباسات من الكتاب المقدس ليست برهانًا على صحة إيمان المؤلف، فالنصوص مرتبة حسب أهواء الهراطقة، والسبب هو هدف الهراطقة، فهم مشغولون بإثبات أن الصورة ليست مَلِكًا وإنما هي صورة كلب أو ثعلب، بينما المؤمنون مهتمون بالكلام عن الملك وضرورة صورته للتعرف عليه هو شخصيًا. وبالتالي التمييز بين الصورة الحقيقية والصورة المزيفة هو بعينه الفرق بين الإيمان والهرطقة، فهو فرقٌ في الهدف، وفي النموذج. أما الهدف فهو الخلاص، وأما النموذج، فهو وسيلة البلوغ إلى الهدف. فاستعمال صورة الملك، أي الهدف، ليس مثل استعمال صورة كلب أو ثعلب. وهنا نرى بكل وضوح أن النموذج والهدف هما في الواقع موضوعٌ واحد. فالعلاقة بين الإيمان أو العقيدة والخلاص هي مثل علاقة الروح بالجسد، لكن كيف يمكن أن نتعرف على النموذج والهدف؟ الرد هو: صلوات الكنيسة، لا سيما الصلوات الطقسية، فالهدف الواضح للإيمان، هو شركة الإنسان في الله عن طريق تجسد ابن الله، وسكنى الروح القدس، وبدون ذلك لا يمكن أن نتعرف على الله. الليتورجية إذن تجمع النموذج والهدف في وحدة واحدة. وهذا يعني أن أي تغيير في النموذج يعني تغييرًا مباشرًا في الهدف، وأن أي تغيير في العقيدة معناه تغييرٌ في الخلاص، وهو بدوره يقتضي تغييرًا في ممارسة الليتورجية، ليس فقط في الصلوات نفسها، بل فيما تقود إليه هذه الصلوات. راجع المزيد، الروح القدس للقديس باسيليوس أيقف قيصرية، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، جذور للنشر، القاهرة ٢٠١٤، ص ٣٩ – ٤٤.[المحرر]

أمَّا المبدأ الثالث فهو أن الأيقونة الحقيقية لم تكن مجرد أيقونة جميلة صنعها الفنان من أجل عظمة الفنان، ولكن لكي تكون أنت أيضًا كالأيقونة، عندما تنتقل ملامح الأيقونة إلى ملامحك أنت الشخصية وتُجدّدك جسدًا وروحًا.

ولذلك، ما يُنقل من المسيح للإنسان هو لُب الإنجيل، وما يُعطى للإنسانية هو الذي يفسر لنا النصوص. والمثال على ذلك عطية الماء الحي للسامرية، وعطية اليوم تكون معي في الفردوس للص، "اِذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي" (مت ٢٨: ١٠)، وقد اختار الجليل، أي المدن العشرة التي تحوي الكثير من الأمم لأن بشارة القيامة هي لجميع الأمم.

الفصل الثاني

كيف نقرأ الكتاب المقدس، وكيف ندرسه في حياتنا المسيحية الأرثوذكسية؟ -٢[١]

الكتاب المقدس في التسليم الكنسي الأرثوذكسي

أريد أن أدخل في صميم الموضوع بشكل مباشر حتى يتكون لدينا الوعي الأرثوذكسي الصحيح، دون الدخول في الطرق الفرعية التي أولها التفسير اللغوي، وهو المطب الذي وقع فيه كثير من الأخوة، وهو التفسير الذي يعتمد مثلًا على حروف الجر، أو على أداة التعريف التي تغيب عن اسم "الروح القدس" في بعض نصوص الإنجيل، الأمر الذي دعاهم إلى القول بأن المواضع التي تخلو فيها الكلمة من أداة التعريف، ينصرف فيها المعنى إلى المواهب لا إلى الأقنوم.

لماذا نرفض التفسير اللغوي؟

لماذا نرفض التفسير اللغوي؟ **السبب الأول،** لأن الإعلان الإلهي في المسيحية ليس إعلانًا نصيًّا textual بل هو إعلان أُقنومي، أي أن شخص الرب يسوع له المجد هو الإله المتجسد الذي يشهد له النص. ولذلك، فحتى إذا جاءت كلمة الروح القدس بدون أداة التعريف، فمن المحتوى نفسه ومن بشارة الخلاص ذاتها، لا يكون الكلام عن روح قدس، بل على الروح القدس[٢].

---

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بعنوان: كيف نقرأ الكتاب المقدس؟ وكيف ندرسه في حياتنا المسيحية الأرثوذكسية -٢ في ٨ فبراير ٢٠٢٤.

(٢) راجع في ذلك بالتفصيل د. جورج حبيب بباوي، أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال، دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس، جذور للنشر، القاهرة، ٢٠١٤. [المحرر]

السبب الثاني، أن التفسير اللغوي هو تفسير نصي، في حين أن أقنوم الكلمة المتجسد هو الحقيقة وأن النص يشهد لهذه الحقيقة، فالنص شاهدٌ وليس مؤسِّسًا، والفرق كبير بين مَن يشهد على شيء وبين مَن يؤسِّس شيئًا، أو يعطي شيئًا. فالشاهد على شروق الشمس في ساعة معينة، لا يعني أن شهادته هي التي تُشرِق الشمس، وهكذا.

إذن، فالشهادة أو الخبر لا يؤسِّسان الواقعة/الحدث event ولذلك يجب أن يكون لدينا وعي بأن ما يشهد به بولس أو يوحنا أو بطرس ليس هو الذي أسَّس وأعطى الواقعة، لكن الواقعة حدثت وهناك مَن يشهد عليها، وبالتالي نستعين بهذه الشهادة على أن تُفهم من خلال الحدث أو الواقعة التي حدثت.

والمثال على ذلك ما يقوله البعض من أن العنوان الذي كُتِب على الصليب، كتب بثلاث لغات؛ اللاتينية والعبرانية واليونانية، لكن عندما تقرأ العنوان، تجد أنه ورد في الأناجيل الأربعة بأربع طرق مختلفة، وذلك لأنه شهادة، وكل واحد من الشهود يدون الشهادة التي يعرفها، ولو اتفق هؤلاء الشهود على نصٍّ واحد، عندئذٍ يكونون كاذبين لا محالة، لذلك يفحص القاضي في شهادة متى ومرقس ولوقا ويوحنا ويجد أن هناك كلمات متطابقة في هذا العنوان موجودة لدى الأربعة، وهي يسوع الناصري ملك اليهود، أما الباقي فهو الكلامُ الذي كتبه كل شاهد كما رآه وعاينه، بلغته. ونقول بلغته، لأننا لا نعرف التنزيل في كما الإسلام. لدينا شاهد عيان يكتب واقعة رآها وعاينها وكتبها حسب خبرته الخاصة. لأن الوحي لدينا غير الوحي في الإسلام، بل وحتى في العهد القديم، هناك فرقٌ في اللغة بين لغة أشعياء الراقية جدًا على أساس أنه عاش في القصور وبين لغة عاموس جاني الجميز. كما أن لغة المزامير التي كتبها داود لا تجد فيها الجمال اللغوي الذي كتب به آساف بعض المزامير. فالله لا يحرم الإنسان من الخبرة الشخصية، بل يبقيه في خبرته الشخصية لأن ما يُقدَّم في الشهادة هو العطية التي تعطى.

والسبب الثالث هو أن الشهادة هي شهادة عن عطية، والعطية ليست شيئًا غائبًا يحضر بمجرد الشهادة، وإنما هناك عطية سابقة على الشهادة. فالشهادة هي عن شيء موجود، وليس غائبًا. والشاهد يشهد بعطية إلهية مثل عطية الروح القدس، أو كما يشهد لميلاد الرب من الروح القدس والعذراء، وهو نفس الميلاد الذي يُعطى لنا في المعمودية، مع فارق وهو أن مياه المعمودية حلَّت محل العذراء مريم. كما أن الصلب هو حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها، ولكنه ليس حقيقة تاريخية في الماضي وإنما في الحاضر، لأن هناك بذل وهناك عطية، ولذلك نأخذ من العطية الإلهية أي ذبيحة المسيح في العلية في الإفخارستيا، ولذلك ليس لدينا البُعد الزمني الذي يفصل بين الحدث وبين الشاهد وبين العطاء. الذي قسَّم هذا وأبعدهم عن بعضهم؛ الحدث والشاهد والعطية هم الإنجيليون في القرن السادس عشر، في محاولتهم -مارتن لوثر وكالفن- لتكسير الحلقة الحديدية في العصر الوسيط، ونجحوا، لماذا؟

سر نجاح الحركة الإنجيلية يظهر في أنها نادت بحرية الفرد في الفهم، وعندما يكون كلُّ شخصٍ حرًّا في أن يفهم بمفرده، ينعدم الخضوع والالتزام الجماعي بقضية معينة. وبالتالي يفسر كل شخص المعمودية -مثلًا- فهمًا خاصًا يختلف عن فهم شخصٍ آخر، عندئذٍ ينعدم الالتزام بالرأي أو العقيدة التي تجمع الجماعة في وحدة واحد. ولذلك انقسمت حركة الإصلاح في البداية إلى أربع حركات، وستظل تنقسم إلى ما لا نهاية، لماذا؟ لأنها أعطت الحرية للفرد في أن ينطلق في أي تفسير يراه صحيحًا، وهو ما يفسر كم الكتب المسيحية التي تصدر يوميًّا عن دور النشر الأمريكية.

أحد الوعاظ الأمريكان أصدر كتابًا عن الإيمان -وهنا يجب أن نلتفت إلى أن الخداع الوعظي الذي يُقال للناس أصبح بمثابة ترويج سلعة، فهي عملية تضليل على أعلى مستوى إعلامي يمكن أن تتصوره- يقول فيه إن الإيمان هو

قوة، وعندما تؤمن بشيء عندئذٍ يكون لديك قوة شخصية تغلب بها وتصنع المعجزات. فسألت إحدى الأخوات -وكانت متحمسة لهذا الواعظ- عن رأيها في هذا الكلام وعما إذا كان صحيحًا، فأجابت بالإيجاب. فقلت لها: على الإطلاق، هذا الكلام ليس صحيحًا وكاتبه مهرج؛ لأن الإيمان ليس قوة، وإذا كانت هناك قوة، فهي قوة الروح القدس، لكن إيماني لا يعطيني قوة على الإطلاق، وإلَّا يكون المثل القديم "آمن بالحجر فتبرأ"، صحيحًا. ولذلك يُعد **القول بأن هناك قوة في الإيمان تستطيع أن تنقل الإنسان من حالة إلى حالة، هو عملية خداع. لكن إن كان هناك تغييرٌ في كيان الإنسان، فهذا لا يرجع إلى قوة الإيمان، وإنما إلى عمل الله.** ولذلك، فهذا الرجل مهرج، كأنه يعطي لك كوبًا به ماء، ويقول لك إن الكوب هو المياه. وكان عليه أن يقول إن الإيمان يقود إلى قوة الله، لا إن الإيمان هو القوة. إن ما يقوله هذا الرجل هو تخريفٌ لا يصح أن يُقال. والدليل على ذلك أن القداس الإلهي يخلو من فقرة واحدة تتكلم عن قوة الإيمان، بل الكنيسة في كل صلواتها تطلب الرحمة والشركة مع المسيح، وتطلب قوة الروح القدس. وأهم ما يجب أن نلتفت إليه بكل قوة هو أن الله يعمل فيَّ رغم ضعفي، بل بالذات في حالات الضعف، يكثر عمل النعمة، وهو ما يصرح به الأب الكاهن في القداس القبطي "حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا"، وهو ما يتنافى مع أن هناك قوة ذاتية تجعل الشخص يصنع المستحيل. وهذه هي النقطة الثانية التي تُدخلني في موضوع شرح الكتاب في التسليم الكنسي الأرثوذكسي.

الفرق بين الشرح والتفسير

أنا قلت لكم في المرة السابقة أن هناك فرقًا بين الشرح والتفسير. كثيرًا ما نظن خطأً أن ما يقدمه لنا الآباء هو تفسير. الآباء يقدمون تفسيرًا عندما يكون هناك صراعٌ مع الهراطقة، ولكنهم لا يتوقفون عند هذا الحد، بل ينتقلون

من التفسير إلى الشرح. والمثل على ذلك عبارة "أبي أعظم مني"، وهو النص الذي ترتكز عليها إحدى الدوائر الأساسية للهرطقة الآريوسية. هنا يقدم الآباء أولًا تفسيرًا في مواجهة التفسير السائد عند الآريوسيين، ومن ثمَّ ينتقلون إلى الشرح، بتقديمهم العلاقة بين الله والإنسان.

والمثَل على ذلك نأخذه من عند القديس باسيليوس الكبير، حيث يقول إن كلمة "أعظم" في أي لغة هي أفعل التفضيل، أي أنها تُستخدم في المقارنة بين شيئين، ولكن المقارنة في أي لغة يجب أن تكون بين الأشياء التي تنتمي إلى ذات الطبيعة، أي أن تقارن بين حصان وحصان، بين إنسان وإنسان، بين حديد وحديد، لكن لا يمكنك أن تقارن بين الفضة والخشب مثلًا، وهذه القاعدة موجودة في منطق أرسطو.

وكما لجأ آريوس إلى الفلسفة اليونانية، لجأ إليها الآباء ليتمكنوا من دحض حجج الهراطقة. وبناءً على ذلك قال ق. باسيليوس عندما يقارن الابن نفسه بالآب قائلًا "أبي أعظم مني"، فذلك يعني أن الاثنين ينتميان إلى طبيعة واحدة، وإلَّا تستحيل المقارنة. ما قاله ق. باسيليوس هنا هو من قبيل التفسير، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد، لأنه لو توقف عند هذا الحد يكون قد دخل المدرسة اليهودية، ولكنه قال إن عبارة "أبي أعظم مني" لها معنى آخر في التدبير، وطالما ذكر التدبير يكون قد دخل في إطار الشرح. وعلى هذا **فعبارة "أبي أعظم مني" تعني أن الابن أخذ طبيعة إنسانية جعلته في إخلاء الذات، فصار الآب أعظم منه، وتعني أن الآب لم يولد من العذراء، ولم يُصلب على الصليب، ولم يُدفن في القبر ولم يمت، ولم يذق الموت بالجسد، من هذه الناحية يكون الآب أعظم**. إذن، فالمقارنة تبين إخلاء الابن لذاته وجمال التواضع الإلهي في تدبير الخلاص. وبالتالي لم يعُد هذا الكلام تفسيرًا وإنما شرح.

نأخذ مثالًا آخر على النص المشهور عند الآريوسيين، وهو نص أمثال ٨: ٢٢ "الرب قناني أول طريقه". السبعينية قالت بدلًا من قناني "خلقني أول طريقه"، قناني تعني امتلكني. هنا يجب أن نلجأ أولًا إلى التفسير لكي نزيل الالتباس حول الكلمة. أثناسيوس اعتمد الترجمة السبعينية كما هي وكتب الرد على الآريوسيين في المقالة الثانية والثالثة. لكن بعد أن فسَّر الكلمة، انطلق إلى الشرح، ولذلك يقول ق. أثناسيوس إن هناك خليقتين؛ الأولى في آدم، والخليقة الجديدة التي أول طريقها هو الرب يسوع. نعم المسيح هو أول الخليقة، لأن سفر الرؤيا يقول عنه هو بداءة خليقة الله، لأنه البكر المتقدم في كل شيء، ولذلك يجب أن يكون هو الأول، وهنا الكلام عن الخلقة الجديدة، أي عن أن المسيح هو الأول، لأن الجسد الإنساني والإنسان كان محملًا بالموت، ولذلك أخذ المسيح له المجد الطبيعة القابلة للموت ونزع عنها الموت فصارت خلقة جديدة لم تُخلق من العدم وإنما في المسيح، عندئذٍ يكون معنى النص خاصًّا بالتجديد الذي حدث للخلقة القديمة في المسيح يسوع.

إذن، التفسير هو لإزالة الالتباس والغموض الذي صنعه الهراطقة، وهناك أيضًا الشرح، ومع الشرح يأتي الاختبار المعاش في الليتورجية، ولذلك كان القديس أثناسيوس دائما ما يقول في رده على الآريوسيين إذا لم يكن الابن من ذات طبيعة الآب، فالمعمودية تفقد أهميتها وينعدم التبني وليس من عمل إلهي يرفع الإنسان من العبودية إلى الحياة الأبدية، لأن الابن لو كان مخلوقًا فالمخلوق لا يستطيع أن يعطي الحياة الأبدية، وهذا ليس تفسيرًا وإنما شرحٌ لأنه عودة إلى التدبير، للإيكونوميا، للخلاص، كما قال إذا لم يكن الابن هو الإله الحقيقي لاحتاج إلى الخلاص، مثله مثل أي مخلوق آخر.

إذن، الكلام عن لاهوت المسيح هو كلامٌ في حقيقته عن خلاص الإنسان. أُلوهية الرب تساوي خلاص الإنسان، وهي نقطة لا يمكن أن نتنازل أو نتغاضى عنها.

هذا المنهج ينطبق على أي نص من الكتاب المقدس، هو أولًا يلجأ للتفسير ليزيل به الالتباس الموجود بسبب هجوم الهراطقة، ومن ثمَّ يدخل في التدبير ويشرح سبب التمسك بهذا الشرح بالذات، لأن الخطأ في الشرح يُفقدك ما يقدِّمه الشرح من نعمة وعلاقة وشركة أبدية مع الثالوث. ولذلك يقول أثناسيوس إذا كان الابن مخلوقًا فلا وجود للثالوث، وإذا لم يكن هناك وجودٌ للثالوث لانعدم التبني، ولو انعدم التبني تنعدم بالتبعية الحياة الأبدية وينعدم الملكوت. هذا هو الشرح، لماذا؟ لأنه يُدخلك في أعماق التدبير، **ولذلك يرجع ضعف التفسير في الكتابات المعاصرة إلى الاكتفاء بشرح العبارة أو الكلمة أو النص أو الآية والوقوف عند هذا الحد.**

في سيمينار في جامعة شيكاغو وقف أحد أعمدة الفكر الإنجيلي في أمريكا ليتكلم عن المسيح كوسيط، فما كان منه إلَّا أن تكلم بشكل تكنيكي (فني) جيد جدًا عن كلمة "الوسيط" في النصوص، تكلم عن عدد المرات التي وردت فيها كلمة الوسيط، وما هو معنى الكلمة في العبراني والآرامي ...إلخ لكنه لم يشرح الأهمية الخلاصية للوسيط، فلم يقل مثلًا ما هو عمل هذا الوسيط، ما هي فائدته، ما هي أهميته، ما أهمية وجود الوسيط في الثالوث، ما دوره في رجوع الخليقة لله الآب واستقرارها في أحضان الله الآب بواسطة الابن، وأن الوسيط لا يمكن فصله عن الروح القدس، وهو الكلام الموجود عند الآباء باسيليوس وأثناسيوس وكيرلس. ولأنني كنت مدعوًّا كزائر في هذا السيمينار، لذلك ففي فقرة الأسئلة سألت المحاضر فقلت له -بطريقة المثَل- حضرتك قلت لنا إن هذه مياه، وإن المياه مكوَّنة من هيدروجين وأكسجين، وهذا جيد، لكنك لم تقل لنا ما هي استعمالات المياه، هل في الشرب، في الغسيل، في الطبخ، أو غيرها من الاستعمالات، فما هي استعمالات الوسيط؟ فلم يُحر جوابًا.

عندما تقول لي هذه مياه، وهي مركبة من هيدروجين وأكسجين، جيد جدًا، لكن ماذا أصنع بها؟ وهنا يجب أن يكون واضحًا أننا لا نتكلم عن موضوع عملي practical بل عن غياب الكلام عن النعمة الإلهية، وهو أمر خطير، لأن الوسيط هو النعمة!!

في الشرح نحن نتكلم عن الشهادة، عن العطية، نتكلم عما يُعطى للإنسان، فإذا لم تعطني شيئًا في يدي، فما الذي أخرج به من الموضوع؟ يفقد الكلام أهميته. لأن المسيح لم يأتِ ليقول لنا بعض الأفكار، وأن الآب عظيم، وكفى. هذا في حد ذاته أمرٌ جيد، إذن، ما الذي يترتب على ذلك؟

كنا في سيمينار في جامعة انديانا، وكان عن فيلبي ٢: ٦ - ٨ وكان يجلس بجانبي قس إنجليكاني، ولأن السيمينار مفتوح للكلام بعكس المحاضرة، فقلت للأخ المسئول عن السيمينار ما معنى أن "يعترف كل لسان بيسوع المسيح رب لمجد الله الآب"؟ ما هو سبب هذه الصياغة؟ فقال لي إن ذلك الأمر مرتبط بالاعتراف بالمسيح وتمجيد الله الآب. هذا الرد هو ما يمكن أن نسميه بالتكنولوجيا الخاصة بالعهد الجديد، أي التعامل الفني (التقني) مع النص، فقلت له ألا ترتبط هذه العبارة بعلاقةٍ مع ما جاء بيوحنا ١٧ والكلام عن "المجد الذي أعطيتني"؟ فقال لي لا، فيلبي شيء ويوحنا شيء آخر. فقلت له: أنا أعرف أن فيلبي رسالة ويوحنا إنجيل، ولكن كلمة "المجد" هي كلمة خاصة بالله، وليس لدى الله مجدان، مجدٌ خاصٌّ به ومحتفِظ به، ومجدٌ آخر، وإذا كان الأمر هكذا، فلماذا أُمجد الله الآب لأن يسوع المسيح رب؟ وقلت له إن النص كما شرحه القديس أثناسيوس في المقالة الثالثة في الرد على الآريوسيين هو أن تمجيد الله الآب هو بسبب عطية البنوة، لأن عطية البنوة تُعطى بواسطة الرب وليس بواسطة عبد أو مخلوق. عندئذٍ قال لي القس الإنجليكاني إن هذا الكلام كان في قلبي، فقلت له إن هناك فارقًا كبيرًا جدًا بين العبادة

في اليهودية والعبادة في المسيحية، ففي المسيحية عندما نمجِّد الله، فإننا نمجده لأن هناك عطية أُعطيت لنا من الله الآب، وهي عطية الروح القدس، والروح القدس يكشف لنا مجد الآب ويعلن لنا أُلوهية الابن فنمجد الله، وهنا تتجلى عظمة التنازل الإلهي لكي يعطيني معرفة الآب والابن ويعطيني عطيةً لكي أفهم الثالوث، ويجعلني اشترك في بنوة الابن أيضًا. هذا شيء غير معقول، هذا هو التمجيد على نعمة الله.

المحاور الثلاثة التي قام عليها الكتاب المقدس

بالطبع، يمكننا أن نتكلم عن المزيد من أمثلة من هذا النوع، لأننا في العصر الحديث نحن في احتياج شديد جدًا للعودة إلى المحاور الثلاثة التي قام عليها الكتاب المقدس؛

المحور الأول: الإعلان.

والمحور الثاني: الشهادة.

والمحور الثالث: العطية أو الحقيقة، أو ما يُعطى.

فإذا أخذت الاعلان وأخذت الشهادة، دون أن تكمل الطريق إلى العطية، فأنت حتما تتبع المنهج البروتستانتي. وإذا أخذت العطية وتعلقت بها جدًا دون أن تعود إلى الجانب الإلهي، عندئذٍ يتحول المسيح لديك إلى فكرة[١]. فعندما تقول إن جسد المسيح ودمه هو ذكرى، معنى ذلك أن هذا أمر حدث منذ ٢٠١٤ سنة، أو حتى يمكن أن نكتفي بـ ١٤ سنة فقط، وبالتالي تقتصر العلاقة به على مجرد التذكر. وهنا يجب أن ننتبه إلى مفارقة غريبة جدًا، وهي أنه لو كان لك صديق عزيز جدًا وغاب عنك، فعندما تراه فإنك تتذكره، كما

(١) راجع "الوجه القبيح لفكر القرن السادس عشر الأوربي، عصر الإصلاح البروتستانتي" مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٤. [المحرر]

تتذكر الأحداث التي اشتركتما فيها وغير ذلك. لأن هناك ذاكرة أو ذكرى من المحبة، وهناك ذكرى من العقل الميت الذي يعيش في التاريخ القديم، والذي أحداث التاريخ بالنسبة له انتهت، شيء حدث وانتهى.

هنا، الجسد والدم في المائدة الإلهية أو على المذبح، هو ذكرى، طبعًا ذكرى، والرب نفسه قال: "اصنعوه لذكري"، ولكن يجب أن ننتبه إلى أن الرب قال: لذكري أنا، فما الذي يجب أن أتذكره؟ تلك مسألةٌ يدخل فيه جانب المحبة الشخصية، إلى أي حد تحب الرب؟ هذا أمر يصعب تفسيره فلسفيًا، لكن عندما تحلله طبقًا للنظرة الأبدية باعتبار أنه قال إن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، وإن من يأكل جسدي أنا أقيمه في اليوم الأخير، فإن ذلك يعني أنه عمل أبدي وليس شيئًا خاصًّا بالتاريخ القديم، هذا شيء أبدي، فعندما يقول الرب: وأنا أقيمه في اليوم الأخير، فإن ذلك يعني: أنا آكل جسدك ودمك لكي أقوم معك. **إذن، فهذه هي المحبة الإلهية الأبدية غير العادية التي تجعلني أضع الذكرى في الشخص، وليس في التاريخ القديم، وأن الشخص أتى لكي يعلن لي المحبة الإلهية الفائقة التي تعلو على الإدراك.**

فإذا كانت لديك محبة حقيقية، تصبح الذكرى أمرًا آخر غير ما يُقال عن أنها تذكار لحدث تاريخي طواه الزمن. حتى الصلب، القبر، القيامة، الجلوس عن يمين الله في الأعالي، هذه كلها ذكريات، وهو ما يقوله بولس الرسول: "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ" (كو ٣: ١). فهنا، المسيح عن يمين الآب يعني أن هذا عمل أبدي، فنحن نبتدئ هنا لكي نكمِّل في الأبدية. ولذلك لا أملُّ من القول بأن أكثر ما يضايقني هو أن أُدخِل المسيح متحف التاريخ وأُغلق عليه الباب، وأقول له مكانك هنا، وكل ما عليَّ هو أن أقوم برحلة عقلية توصلني إليك. هنا تصبح العظة هي أهم عناصر الخدمة، لأن العظة تنقل الإنسان للتاريخ، ويصبح

الواعظ مُهمًّا أكثر من العشاء الرباني، لأنه يفتح لك باب الأحاسيس والعواطف التي تربطك بالتاريخ القديم، وبذلك تكون قد خرجت خارج التدبير الإلهي كليةً. **وهكذا تتزيف المسيحية، حيث تختفي العلاقة الكيانية وتُستبدل بالتراتيل التي تقوم بعمل مساج للعواطف، دون التراتيل التي تثبِّت الالتزام وتقوي المحبة وتؤلِّه العزم**[1].

إذن، نحن أمام مفترق طرق، المسيحية المصرية كلها على مفترق طرق، لأنها دخلت نفقًا مظلمًا حيث اكتفت بالسياحة العقلية في العظات والتراتيل، وهذا أحد فقط معالم النفق، ولكن تبدو الملامح في الحَجْرِ على المسيح في متاحف التاريخ، وفي اعتبار أن التفسير النصي هو القاعدة الأولى والأخيرة في الإيمان، وفي اعتبار أن الكتاب المقدس يسبق المسيح نفسه.

(١) التألُّه بالعزم هو تعبير موجود عند الآباء، ودخل في ليتورجية اخوتنا الروم، ولم يدخل لدينا لأسباب تاريخية، الآباء المتألهين بالعزم، هنا العزم ليس عملًا إراديا منفردًا، لكنه عمل إرادي بقوة الروح القدس.

الفصل الثالث

كيف يجب أن نقرأ الكتاب المقدس بعهديه؟[١]

ذكرتُ في مرات سابقة، وأكرر الكلام حتى يرسخ في الذاكرة، أننا من حوالي ٢٠٠ سنة تقريبًا لم يكن لدينا كتابٌ يُسمى بالكتاب المقدس، هذا لا يعني أنه لم يكن موجودًا، **ولكن حسب القراءات الكنسية وحسب التسليم الكنسي في الكنيسة الشرقية لا وجود لكتاب اسمه العهد القديم وآخر اسمه العهد الجديد.** العهد القديم يسمى في العبرانية تناخ؛ أي التوراة - النبيين، أي الأنبياء - الكتب - الحكمة، وبالتالي لا وجود لكتاب اسمه العهد القديم.

التوراة أخذت اسمًا ثانيًا في زمن الرب يسوع، هو الشريعة أو الناموس، وهو ما ورد على لسان الرب في حواره مع الشاب الغني، وما صرح به بولس في غلاطية ص ٤ عندما قدم الرسول بولس نموذجين من التوراة للذين يريدون أن يعودوا للشريعة أو للناموس، كان لإبراهيم زوجتان احداهما كانت عاقرًا، وهي سارة، والأخرى كانت ولودًا وهي هاجر، ولكنه عَكَسَ الوضع، فقال إن هاجر هي رمز للشعب اليهودي ولأورشليم لأنها مستعبدة مع بنيها. طبعًا كانت أورشليم ماتزال موجودةً، ولم يكن الهيكل قد هُدم بعد. وقال إن كل هؤلاء اليهود هم أولاد هاجر لأنهم مولودين لإبراهيم حسب الجسد. الإصحاح الرابع في غلاطية يتطلب القراءة الهادئة لأنه صعب على من ليس لديه خلفية تاريخية. وهنا يثورُ سؤالٌ مُلحٌّ جدًا على ضمير كل إنسان، والكلام من عند الرسول، لأن موضوع الشريعة هذا يشغل الرسائل إلى رومية وغلاطية

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في ٢٧ مايو ٢٠٢٠.

وكولوسي والعبرانيين. بعنف شديد يتكلم الرسول بولس أحيانًا كإنسان عاش تحت ظلال الشريعة، ويتكلم بما يمكن أن نسميه في اللغة المعاصرة بوصفه يهودي متنصر: يقول: "لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ (أي السماء). لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ (لأن السماء لم تلد إنسانًا). اِهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ (أي المكروهة، أي سارة في العهد القديم، أصبح لها أولادٌ أكثر من أولاد هاجر). وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ (لماذا اسحاق؟ لأن اسحاق لم يولد حسب الجسد، وهو مفتاحٌ مهم جدًا عند الرسول بولس)" (غل ٤: ٢٥ - ٢٨). أما نحن فقد وُلدنا بموعد الروح القدس.

علاقة العهد القديم بما يحدث يوم الأحد

إذن، التوراة - النبيين - الكتب - الحكمة. التوراة، أي الشريعة. النبيين، أو الأنبياء هم الذين يتكلمون عن الوعد بالعهد الآتي الذي لن تلعب فيه الولادة الجسدانية أي دور، بل يتكلمون أيضًا على نهاية العهد الأول مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل وحتى على زوال الهيكل، ولذلك النبوات التي تُقرأ في آخر السنة الليتورجية عندنا في الكنيسة قبل بداية السنة الطقسية عن نهاية العالم وعن نهاية هيكل أورشليم لها ما يقابلها في العهد القديم عند أرميا وعند حزقيال. أمَّا الأسفار التاريخية فلا تُقرأ في الكنيسة عندنا ألَّا في بعض فصول منها لتعليم الموعوظين، ولكن أسفار الحكمة تعد جزءًا ضروريًا جدًا في تعليم الموعوظين، ولكنها لا تُقرأ في القداسات.

هنا أريد أن يكون لدينا وعي بأن العهد القديم، أو التناخ حسب التسليم العبراني لا علاقة له بما يحدث يوم الأحد، لأن ما يحدث يوم الأحد هو قلب

وجوهر الكنيسة، لأنه استعلان الرب يسوع المسيح، والرب يسوع المسيح بالروح القدس يقدم جسده ودمه، هذا هو قلب الكنيسة، وقلب الكنيسة ليس مشغولًا بالأحداث الماضية، الماضي يعني ما مضى، والمسيحية لم تؤسسها الأحداث الماضية، ولذلك عندما يقول لي أحد الأخوة إن هذه الأحداث كانت رمزًا، أقول لهم إذن اشرح لي -على سبيل المثال- كيف كانت ذبائح العهد القديم رمزًا لموت المسيح على الصليب؟ الجزء الوحيد الذي يمكن أن يكون رمزًا للصليب هو تقديم اسحق، وهو ما يُقال في خميس العهد، وموجود عند الآباء. كما أن تقدمة إبراهيم من الخبز والخمر لملكي صادق، هي إشارة للإفخارستيا، غير ذلك لا يوجد، لا يوم كفارة ولا ذبيحة خطية ولا ذبيحة الإثم. كل هذه الأمور انتهت، وعندما نقول انتهت، ليس لأنني الذي قلت ذلك، أبدًا، ولكن هذا ما قاله الرسول بولس في العبرانيين. لذلك، أقول إن من أهم الكتب التي يجب أن تُدرس بعناية هي عظات ذهبي الفم على العبرانيين، فضلًا عن ضرورة قراءة الرسالة نفسها بتؤدة.

عب ٧: ١١ "لَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ (الكمال الذي يقصده الرسول بولس هنا هو العلاقة الأبدية بين الإنسان والله) إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ الشريعة عَلَيْهِ (في الترجمة العربية يبدو أننا استبدلنا كلمة الشريعة بكلمة الناموس، وهي كلمة يونانية، لتجنب المشاكل مع اخوتنا المسلمين) مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ؟ وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ (أي لو كان بالكهنوت اللاوي كمال والشعب أخذ الناموس (الشريعة) عليه، وهنا نلاحظ أن الكهنوت والشريعة لا يمكن فصلهما في العهد القديم). لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ (لأن كاهنًا سوف يجيء على طقس ملكي صادق)، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا (أي أن الشريعة تتغير، لأنها هي التي تحدد خدمة الكاهن، وتأمره باتباع خطوات وطقوس محددة نقرأ عنها في اللاويين والتثنية) لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هذَا كَانَ شَرِيكًا فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ

أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ (أي أن المسيح جاء من سبط يهوذا ولم يأتِ من سبط لاوي) وَذلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحًا أَيْضًا إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ (أو شريعة) وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ: "كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ". فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا (وهو ما يعني أن كل الأمور القديمة أصبح لا وجود لها لأنها ضعيفة ولم تعد تأتي بنتيجة، وماذا كانت هي النتيجة المرجوة؟ كمال الشركة في الحياة الإلهية)، إِذِ النَّامُوسُ (الشريعة) لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ (هذا هو الكمال) ... عَلَى قَدْرِ ذلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ (لماذا؟ لأنه قام من بين الأموات، والمسيح لا يموت ويبقى كائنًا إلى الأبد، وخادمًا في الأقداس الحقيقية والمسكن الحقيقي)" (عب ٧: ١١ - ٢٢).

وفي الإصحاح ٨: ١٣ في العبرانيين بعد أن يذكر نبوة أرميا النبي عن نهاية العهد الأول مع بيت إسرائيل في الأعداد من ٨ - ١٢، يقول: "فَإِذْ قَالَ "جَدِيدًا" عَتَّقَ الأَوَّلَ (أي جعل الأول قديمًا)، وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ (أي أصابه العجز)، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الاضْمِحْلاَلِ (ولكن ما يحدث لدينا هو العكس، فمازلنا -مع الأسف- نتمسك به بكل قوة، لأننا أسلمنا أو تهودنا دون أن ندري، لأن هذا الكلام كان سببًا لمعارك مع المسلمين أو اليهود من الإكليروس داخل الكنيسة القبطية، فقد كنت دائم الكلام عن العبرانيين وعن غلاطية ورومية، ولكني كنت أجد أن الأخوة من الطرف الثاني في الحوار من الرهبان والأساقفة، وأقول أخوة لأن بعضهم كانوا من تلاميذي، غير قادرين أو بالمعنى الدقيق لا يريدون أن يفهموا، لماذا؟ لأنهم يخافون أن يتركوا الشريعة لأن الشريعة تؤكد السلطان الكهنوتي المزعوم الذي أعطاه الأساقفة لأنفسهم، ولأن الشريعة تنفي الخدمة وتنفي البذل، وتُبقي الإنسان تحت حكم الشريعة؛ افعل هذا ولا تفعل ذاك،

هذا حلال وذاك حرام، هذا صح وذاك خطأ).

نعود إلى العهد الجديد. **ليس هناك ما يسمى العهد الجديد، وإنما لدينا الإيفانجيليون، أي الإنجيل**، والأبوسطولوس، أي الرسول، والإبركسيس، والكاثوليكون، وسفر الرؤيا لا يُقرأ إلَّا في ليلة أبوغالمسيس، وللحقيقة وللتاريخ، التاريخ تاريخ، ولكن التاريخ ليس دفترًا مليئًا بكل شيء، التاريخ يعطينا معلومات يسجلها الناس في زمان الاحتياج، وقد بحثت عن الأبوغالمسيس في الترتيب الطقسي القديم، فلم أجده، لكن، عمومًا لا يُقرأ سفر الرؤيا في أي قطمارس أرثوذكسي، لا عند الروم ولا عند الأرمن ولا عند السريان ولا عند الأقباط، كما أن القطمارس السنوي لا يتضمن سفر الرؤيا، لماذا؟ لأنه سفر نبوي، **وعندما نجتمع في الكنيسة يوم الأحد لتوزيع جسد الرب لا نقرأ أسفارًا نبويةً، وإنما أسفارًا تعليمية تدعِّم اتحادنا بالمسيح.**

أنا أعلم أن هناك كتبًا صدرت تتناول قواعد تفسير الكتاب المقدس، والتفسير الرمزي والتفسير الحرفي، غير أنني أريد أن أُلفت النظر إلى أن الترتيب الليتورجي في الكنيسة يكشف لنا حقيقة ليتورجية هامة؛ وهي أننا نبدأ القراءة برسائل بولس، لأن بولس الرسول شارح للإنجيل، بولس يصل بك إلى الإنجيل، فإذا أخذنا كلام بولس وفصلناه عن تعليم الرب في الأناجيل الأربعة، يصبح التعليم ناقصًا، ذلك لأن الإنجيل هو الذي يضبط كل ما يقال في البولس والكاثوليكون والإبركسيس، حتى في السنكسار، وهي قراءة أُضيفت بسبب الاستشهاد ولتشجيع الإيمان وتُعد تكملةً للإبركسيس، فالإنجيل هو القاعدة الأساسية للتعليم[1]. وبالرغم من ذلك فنحن لم ننتبه إلى الترتيب الكنسي في الكتب المعاصرة.

---

(١) وقع الغربيون في مشكلة ما أسموه بلاهوت بولس، مع أننا لم نسمع عن لاهوت بولس إلَّا بعد القرن السادس عشر.

الفهم الصحيح للعدل الإلهي

لدينا مشكلة لغوية أصلًا في معنى كلمة "عدل"، وهي أن كلمة "عدل" هي ذاتها كلمة "بر" في العبراني، وهي نفسها كلمة "حق"، وقد عُدت إلى الترجمة القبطية للمزامير في العهد القديم القبطي، ووجدت أن كلمة "بر"، وكلمة "حق" هي كلمة "ⲘⲈⲐⲘⲎⲒ - ميثمي"، وهي الكلمة التي ترد في مرد الشعب في القداس: "فاي بي خين اوه ميثمي - هذا هو بالحقيقة آمين"، فكلمة "ميثمي" هي "عدل". غير أن هذه المشكلة لا تُحل بإجراء بحث لغوي يُثبت أن العدل هو البر وهو الحق، هذا سهل، الأبحاث اللغوية ضرورية لكي نضبط كلامنا، **ولكن أرجوكم يا أخوة انتبهوا إلى أنه ليست هناك أبحاث لغوية أيًّا كانت دقتها تستطيع أن تضبط عمل الله، لأن عمل الله لا يمكن ضبطه وحصره بالكلام.**

من العبارات التي أُعجبت بها جدًا عند غريغوريوس بالاماس أنه يقول: "هناك نوعان من الحكمة؛ حكمة دنيوية في الفلسفة والطب والهندسة والعلوم .. إلخ وتوجد حكمة إلهية، وقال إننا نخلط ما بين الحكمة الإلهية والحكمة الدنيوية، بأننا نطبِّق بعض عناصر الحكمة الدنيوية على الحكمة الإلهية، في حين أن **الحكمة الإلهية هي إشراق الروح القدس في قلب الإنسان، لا تأتي بقراءة الكتب ولا بدراسة الفلسفة ولا علاقة لها بالعلوم على الإطلاق**"، وهذا يصل بي إلى النقطة الحساسة في الموضوع، ألا وهي أن العدل في أي قوانين إنسانية من أيام حمورابي ملك بابل إلى الدساتير الحديثة والقوانين .. إلخ ليس هو العدل الإلهي، **وبالتالي فإن استعارة منطق العدل في التشريعات اليونانية والرومانية والإنجليزية والفرنسية وتطبيقه على العدل الإلهي ليس من العدل في شيء**، لأن القانون بحسب منطق العدل يعاقب المجرم بحسب نوع الجريمة، فعندما تقف أمام القاضي فسوف يحكم

عليك إما بغرامة أو بالسجن، وفي حالة القتل تعاقب بالإعدام أو بالسجن مدى الحياة، حسب ظروف كل جريمة على حدة، **وهنا يجب أن ننتبه جيدًا إلى أن التشريعات لا تعرف الغفران**، وهنا نتعجب من استعارة اخوتنا الإنجيليين في القرن ١٨، ١٩، ٢٠، وقبلها حركة الاصلاح في القرن الـ ١٦ لمفهوم العدل القانوني في عصر الإقطاع الأوربي، ليشرحوا به معنى العدل الإلهي. وهكذا قالوا شرحًا للفداء إنك أخطأت ضد الله، وصدر عليك حكم، ولكن شخصًا آخر يأخذ الحكم بدلًا منك. وهنا يجب أن ننتبه وبشدة إلى أنه إذا نُفِّذ الحكم في شخصٍ آخر بدلًا مني، يكون الأمر قد خرج عن كل ما نعرفه عن العدل في جميع الشرائع والقوانين الإنسانية إلى مدى الدهر. ولكنهم، ونظرًا لتناقض ما قالوا به مع الشرائع والقوانين، ولتبرير هذه البدلية لجأوا إلى ما جاء في العهد القديم من ضرورة أن يُقدم الخاطئ ذبيحةً عن خطيته، وأن الذبيحة تموت نيابةً عنه، ومن هنا وصلوا إلى ما أسموه بالموت النيابي للمسيح.

هذا الكلام لا وجود له في الكتاب المقدس على الإطلاق، لماذا؟ ومجرد النفي لا يكفي، **ولكن إذا قرأت المزامير قراءة جيدة فسوف تجد أن العدل أو البر في العهد القديم هو عدلٌ يحكم بالغفران، وهو ما يختلف عن أي شريعة من الشرائع**. وكلام الكتاب المقدس واضح جدًا، فكلمة "بر" تعني في رسائل بولس الرسول في فيلبي ٣: ٦ - ٨ "مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ (أي غير مطالب بشيء) لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا (أي ما كان لي برًا حسب الناموس)، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً (فهل كان بولس أمام العدل الإلهي بلا لوم؟ أبدًا، لكنه وجد أن بر المسيح أعظم من بر الناموس، ونال عظمة بر المسيح، ليس لأن المسيح نال هذا الحكم بالنيابة عن الانسان وإنما لأن بولس في رومية ٤: ٥ يقول: "وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا"، وهنا كلمة "بر" ممكن تُترجم "عدل" كما في الترجمات العربية القديمة في القرن ٨، ٩، ١٠، لكن دعونا نسير مع

الترجمة البيروتية لكي لا يتشوش أحد. لماذا يُحسب إيمانك برًا؟ فقط لأنك آمنت، وليس من أجل ما عمله يسوع (أي أنه نال الحكم عنك)، لا أبدًا، هذا الكلام غير موجود إلَّا في لاهوت حركة الإصلاح، ولذلك يقول الرسول بولس في فيلبي ١: ١١ عندما يتكلم على "ثمر البر»: "مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ (هل انتبه أحد إلى هذه العبارة؟) الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ". **"ثمر البر" تعبيرٌ لا يمكن تحديده بالشريعة، لأنه ليس حكمًا، ولكن ثمرًا نتج عن قبول الله للخطاة بسبب الصلاح والجود.**

ولكن قد يقول قائل إن التبرير حصل لأن هناك حكمًا صدر من الآب بالتبرير بسبب موت الابن على الصليب. فنقول له إن معلمنا الرسول بولس يقول في كورنثوس الأولى ٦: ١١ "لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا"، بما يعني أن هناك تبريرًا بالروح القدس، فهل صُلبَ الروح القدس أيضًا ودفع الثمن؟ هذا لا يصح أبدًا. التبرير هو حكم براءة للإنسان بسبب صلاح الله، فقط، لماذا؟ لأن المسيح رفع حكم الموت بالمحبة والصلاح، فقط ليس هناك ما هو أكثر من هذا.

ففي ١ كور ١: ٣٠ يقول الرسول بولس إننا نحن المسيحيون صرنا برًا في المسيح، "بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً"، ما يعني أنك أصبحت برًا، ليس لأن هناك شيء رُفع عنك، وإنما لأن هناك شيء أُضيف إليك، وهو الخلقة الجديدة التي لم تكن تستحقها، وهو ما شرحه لنا معلمنا القديس بولس بالتفصيل في ٢ كورنثوس ٥: ١٧ – ٢١ "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا. وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ

عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ". ولذلك أنا أتعجب من أن تعريف النعمة عند اخوتنا الإنجيليين هو أنها منحة إلهية وعفو إلهي وإنعام إلهي لمن لا يستحق، على أساس إن هناك ثمنًا دُفع، وليس على أساس جود الله وصلاحه. فالله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه، ولم يقف عند هذا الحد، بل غير حاسبٍ لهم خطاياهم، ليس لأن الابن أرضى الآب وتحمل الغضب الإلهي، وليس لأن المسيح دفع ثمنًا، أبدًا، وإنما لأنه عندما جاء لمصالحتنا غضَّ النظر عن كل الخطايا بسبب الصلاح والمحبة، وواضعًا فينا كلمة المصالحة، وهو ما يعني أن الرسول يقول بعكس ما يقوله لاهوت حركة الإصلاح، وهو ما يؤكده التعبير الذي استخدمه الرسول "غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ"، فما هو المقصود بهذا التعبير؟ أن الله لم يحسب الخطايا، ولم يحدد ثمنها ولا قيمتها. ولكنهم في سبيل تأكيد شرحهم يقولون إن الرسول بولس يقول إن سبب ذلك: "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ". فهل صار المسيح خطية؟ هل يعني هذا أن المسيح القدوس الكامل أصبح خطية؟ هل هذا معقول؟ هل يعقل أن "الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (١ كورنثوس ١: ٣٠) يصير خطيةً؟ طبعًا لا يمكن أن يكون المسيح خطيةً، وإنما "صار خطيةً" تعنى أنه "صار ذبيحة خطية"، هكذا قرأ الآباء هذا النص، منذ العلامة أوريجينوس حتى القديس كيرلس الكبير[١] وقد سبق أن ناقشت هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء[٢].

(١) راجع هذا الشرح تفصيلًا في رسالة القديس كيرلس الكبير رقم ٤١ إلى أكاكيوس اسقف اسكيثبوليس عن التيس المرسل إلى البرية. رسائل القديس كيرلس السكندري، مؤسسة القديس أنطونيوس للدراسات الآبائية بالقاهرة، سلسلة نصوص آبائية رقم ٢٢١ ص ١٥٩ وما بعدها [المحرر]

(٢) راجع د. جورج حبيب بباوي، موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء، جذور للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص ٦٦٩ وما بعدها [المحرر].

تقييم شرح حركة الإصلاح للعدل الإلهي

أعود لأقول **إن شرح حركة الإصلاح هو شرحٌ -أقل ما يُوصَف به- أنه شرحٌ يضر بالإيمان المسيحي**، كيف ذلك؟ يضره لأنه يُبقى الغضب في الوعي الإنساني، ويؤكد على أن الله لا يعطي مجانًا، ولا يُصالح إلى أن يأتي آخر يدفع له الثمن. الحقيقة هي أن هذا الشرح يُعدُّ تجديفًا على الصلاح الإلهي دون أن ندري، لأنه يعني أن شيئًا لدى الله ليس من دون ثمن، خصوصًا وإن كان الثمن هو الابن الوحيد ودمه الكريم على عود الصليب!

فدم المسيح الموجود في الكأس الذي نتناوله في الإفخارستيا لا يمكن أن يكون ثمنًا، لأن المسيح يسوع رب المجد بنفسه قال: "خذوا اشربوا هذا هو دمي"، فهو لم يكن يسخر منا، بل يؤكِّد: خذوا حياتي. ولو كان هذا الدم قد دُفع للآب لَما كان صنع العشاء الرباني على الإطلاق، ولا كنا استلمنا هذا العشاء في علية صهيون.

التبرير في العهد الجديد

نحن لدينا مشكلة كبيرة، وهي أننا في مصر نعيش في عصور ما قبل العصر الوسيط، ولذلك لن نغير التعبيرات التي اعتدنا عليها. وكما قلنا سابقًا إن كلمة "عدل" أو "حق" ليست كلمة عبرانية بل كلمة عربية، الكلمة العبرانية هي كلمة "صَ دَ قَ ه" ومنها جاءت كلمة الصدق، وعندما تقرأ العهد القديم قراءة جيدة، تجد في المزمور ٧: ٨ "اقض لي يا رب كحقي ومثل كمالي الذي فيَّ اقض لي يا رب لأني سلكت بكمالي" أي أحكم لي بالصدق لأني تمسكت بالعهد، صحيح أنني كسرت بعض الوصايا لكنني تمسكت بالعهد. وفي أشعياء ١٧ عن الرب يسوع يقول: "يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض". كيف تحكم بالعدل للمساكين، هل بأن تضرب

الأغنياء؟ لا، أبدًا، ولكن بأن تعطي المسكين حقه بأن تقيمه من المزبلة، ومن سجن الخطية وتحرره. ولذلك في سفر التثنية تقول الشريعة: "لا تعوج حكم الغريب واليتيم، ولا تسترهن ثوب الأرملة" (تث ٢٤: ١٧وأيضًا يقول أشعياء عن الرب يسوع: "وَعَبْدِي الْبَارُّ (العادل – البار - الصادق) بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا (أي يرفعها من عليهم)" (أش ٥٣: ١١)، ولذلك، السؤال هنا ما معنى أن المعرفة تبرر؟ وكيف؟ بأنك أنت كسجين وكأسير سوف تتحرر إن آمنت بالمخلص الذي جاء لكي يحرر الخطاة. كذلك يصف أرميا في العهد القديم المسيح بأنه "فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِنًا، وَهذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا" (أرميا ٢٣: ٦)، أي أن الرب هو العدل خاصتنا، هذا يختلف تمامًا عن الكلام الموجود في القوانين.

وإذا جئنا إلى الأناجيل الأربعة، نجد أن الرب يسوع يقول لليهود: "وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا" (مت ١١: ١٩، لو ٧: ٣٥). وهو ما يعني أن الحكمة عادلة جدًا في سلوكها ناحية البشر، ولم تُصدر حكم قضاء، إنما ظهرت بأنها في منتهى العدل والبر. وقد علَّق القديس لوقا على سؤال الناموسي للرب عمَن هو قريبي بأنه "أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ" (لو ١٠: ٢٩)، أي أنه تظاهر بالعدل والسلوك الفاضل. كذلك يقول الرب يسوع للفريسيين: "أَنْتُمُ الَّذِينَ تُبَرِّرُونَ أَنْفُسَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ!" (لو ١٦: ١٥)، أي أنكم تريدون أن تُظهروا أنفسكم أنكم صالحون وعادلون وتسيرون باستقامة قدام الناس. كذلك يقول الرب للفريسيين: "لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" (مت ١٢: ٣٧). وفي مثل الفريسي والعشار تبرَّر العشار دون الفريسي، لأنه اعترف بخطيئته: اللهم ارحمني أنا الخاطئ، فأخذ الرحمة، أما الآخر فلم يأخذ شيئًا.

كذلك يقول الرب يسوع في إنجيل لوقا: "وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ وَالنَّامُوسِيُّونَ فَرَفَضُوا مَشُورَةَ اللهِ مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ" (لو ٧: ٣٠)، ما هي مشورة الله وكيف

رفضوها؟ لم يقبلوا صلاح الله. وعندما يقول الرب: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ ..." (مت ٥: ٣ - ٤)، فالأمر هنا ليس أمر شريعة تحكم بقانون، المسألة هنا مسألة عدل يُعطي للخاطئ حقه في الملكوت، لماذا؟ لأنه آمن بصلاح الله ورحمته. وهو ما يعني أن الموازين قُلبت، وأن الإنجيل لا يمكن تدجينه لصالح النظام الاجتماعي والسياسي. **غير أن العديد من القيادات السياسية عندما أدركوا استحالة تدجين الإنجيل، أدخلوا الفكر السياسي في الإنجيل، واستعانوا بالأنظمة الاجتماعية والقانونية لشرح الإنجيل فنشأت ما تُسمى بنظريات الفداء.**

لكننا نقول مع الرسول: المسيح مات لكي يبرر الإنسان "بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رو ٣: ١٨)، والإنسان يتبرر بدون أعمال الناموس أو الشريعة أي التطهيرات والذبائح ... إلخ. فكيف يتبرر الإنسان، أي أن يُعطى حكمَ براءةٍ ولا يدان أمام الله؟ في رومية ٣: ٢١ وهو النص الذي لم يستطع فقهاء العهد الجديد من الإنجيليين أن يقدموا عنه كلامًا مقنعًا، يقول الرسول: "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ (الشريعة)، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ،" (رو ٣: ٢١). ولعلنا نلتفت إلى أن هذا الكلام كتبه شخص يهودي أصلًا ويعرف الشريعة معرفة جيدة، **فعدل الله أو بر الله ظهر بدون الشريعة، لأنه لا وجود لشريعة تحكم بموت البريء بالنيابة عن الخاطئ.** هذا الكلام غير موجود في الكتاب المقدس، ويمكننا أن نؤكد صحة هذا الكلام بمَثَلٍ في التاريخ، فأول مرة ذُكرت فيه كلمة "التبرير، والبر" هي في سفر التكوين، وسفر التكوين عند الرسول بولس في رومية يعتبر محورًا أساسيًّا لشرح الإنجيل. يقول الرسول بولس: "فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا"، إيمانه احتُسِب له برًا، فبماذا آمن؟ آمن بوعد الله. إذن، فلم يكن إبراهيم هنا يُحاكَم بكونه خاطئًا، ولا طُلبت منه توبةٌ وأعمالٌ، ولكنه آمن أن الله سوف يجعل نسله كمثل نجوم السماء والرمل الذي على شاطئ البحر، آمن فحُسِب له إيمانه صدقًا، أي أنه آمن إيمانًا بأن

شيئًا حقيقيًّا سوف يحدث، وبالتالي يرفض الرسول بولس أن يضع ابراهيم كمَثَلٍ للتبرير بالأعمال، لأنه لم يفعل شيئًا، بل قدَّم إبراهيم كمَثَلٍ للتبرير بالإيمان، لكي يدخل الإنجيل في ضمائر اليهود **بأن الرب يسوع المسيح جاء بالجود والصلاح الإلهي الذي لا يمكن تصوُّره ولا إخضاعه للعقل الإنساني، لأنه شيء يفوق العقل، فلا أنا ولا أنت نستطيع أن نقدِّم فكرًا موازيًا لما جاء في الإنجيل، خصوصًا التجسد**، فأن يتجسد الله ويصبح إنسانًا ويأخذ كل ما هو للإنسان من جسدٍ ونفسٍ وحياة إنسانية، هذا موضوع لا يمكن تحليله فلسفيًا، ولذلك يقول الرسول يوحنا: "وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (١يو ٤: ٨)، ففي فلسفة المحبة، التجسد ليس فقط ممكنًا، بل التجسد هو الإعلان الإلهي عن المحبة. لا تجسُّدَ في الشريعة. الشريعةُ لا تسمح بأن يحل شخصٌ محل آخر لكي يرفع عنه الحكم. هذا الكلام غير موجود لا في العهد القديم، ولا في الشرائع الموسوية ولا غير الموسوية. أنت أخطأت تُعاقَب، والعقوبة تعني أنه لا غفران. ولكن عندما مات المسيح يسوع رب المجد على الصليب، أبطل حكم الموت، ولذلك في القداس الباسيلي نصلي: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي لابنك الوحيد"، وليس بدَفع الثمن. وعندما نتكلم عن التبني، وعطية الروح القدس وميراث الملكوت، هل نتكلم عن حكم من الشريعة؟ أبدًا.

لماذا نرفض إخضاع الكتاب المقدس لقواعد التفسير البشري؟

إذن، لماذا نرفض أن نُخضع الكتاب المقدس لقواعد التفسير البشري، أو لاستخدام العقل والأفكار المسبقة لتحديد ما هو في الكتاب؟ أقول لك إن هناك أربع قضايا كبرى لا يمكن أن نتنازل عنها؛

الأولى هي أننا إذا أخضعنا عمل الله للفكر الإنساني فقد أنشأنا وثنيةً جديدةً، جعلنا الله إنسانًا، حتى وإن كان في وضعٍ أسمي وأعظم مني ومنك،

ولذلك عندما نتكلم عن العدل، فإننا نتكلم عن عدل أرضي، وعندما نتكلم حتى عن الغضب، نتكلم عن غضب إنساني[1]، فالقضية الأولى إذن هي أن الله لا يمكن أن يصبح مثلنا، وإلَّا نكون إزاء وثنية جديدة.

القضية **الثانية** أن في كل كلامنا عن الله يبدو وكأننا نسينا الكلام عن الثالوث. أنا أعلم أنه ليس لدينا كتب لاهوتية جيدة عن الثالوث، كما أعلم أن الثالوث فُسِّرَ خطأً، لكن في صلوات القداس نتكلم عن الثالوث المساوي، أي الذي لديه حياة واحدة وغير قابل للانفصال، ولذلك يجب أن نفكر بهدوء في كيف أن الله الآب يقوم بعمله من أجل خلاص الإنسان، فينفصل الابن عن الآب، يضربه ويعذِّبه ويسكب غضبه عليه، معتقدين أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للخلاص، كيف؟! كيف نفهم ذلك؟ كيف لي -كمسيحي- أن أسمح لضميري ولقلبي أن يسير في هذا الطريق؟ هنا الثالوث انقسم إلى واحدٍ صالحٍ رحيم بالجنس البشري، وهو الابن، والآخر غاضب مشتغل بالغضب وينتقم من الابن، وبعد أن يأخذ حقه من ابنه يغفر الخطايا!! الأمر الذي دعى مطران دمياط لأن يقول عن الغفران إنه غفران مدفوع الثمن. ولكن إن كان الغفران غفرانًا مدفوع الثمن، عندئذٍ لا يكون غفرانًا، الغفران المدفوع فيه ثمن ليس غفرانًا. فعندما تدفع أو يدفع أحدٌ عنك الغرامة، فلا حديث عن غفران، وفضلًا عن ذلك، فقد قسَّمت الثالوث.

القضية **الثالثة:** في إحدى المرات قال لي أبونا مينا المتوحد: يا ابني يا حبيب ابوك، **مفتاح الأسفار هو الفهم الصحيح للتجسد،** فهمت؟ وفي مرة كنتُ أتحدث معه عن العدل الإلهي، فأشار إلى ميمر لأسحق السرياني يقول فيه لا تقُل إن الله عادل، بل قل إنه رحيم، أين كان عدل الله عندما أعطى ذات الأجرة للذين أتوا في الساعة الحادية عشر، وذات الأجرة للذين حضروا

---

(١) راجع بحثًا عن "الغضب" في كتاب موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء، جذور للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص ١١٩ - ١٧١ [المحرر].

في الساعة الثالثة؟ وأين كان عدل الله لما قَبِل الابن الضال؟ وقال لي عبارة كانت دائمًا على لسانه: "الرحمة تفتخر على الحكم"، وقد أضاف لها شيوخ البراموس "في يوم الدينونة"، لأنه حتى في المزمور يقول: إذا حكمت يا رب فمن يقف أمامك، إذا دخلنا في العدل بالمعني الإنساني القانوني، فلن ينجو منّا أحد. لكن لما قال لي إن مفتاح الأسفار هو الفهم الصحيح للتجسد، فهذا التجسد أنا ما زلت أحاول فهمه، بالرغم من أنني قرأت تجسد الكلمة مرات لا حصر لها، وقرأت عند القديس كيرلس وعند الآباء، لكن ما زلت لم أفهم الكثير، ولأنه كان قد قال لي **إن فهم التجسد رحلة عمر**، فهناك أمور بدأتُ أشعر في السنوات التي مرت أنها بدأت تظهر بشكلٍ أوضح أكثر مما كانت في الأيام التي كنت فيها في الإكليريكية، مثل ماذا؟ إذا كانت هناك طبيعة إنسانية متحدة بأقنوم الابن الوحيد، وأصبحت متحدة بجوهر الثالوث، بما يعني أنها موجودة في المجد الإلهي مع الآب والروح لأنها في الابن، هل هذا يتفق مع أن الله يسكب غضبه على الإنسانية؟ طبعًا لا، لماذا؟ لأنه يوجد وسيط، يوجد إنسان يمثل جميع البشر في الحياة الإلهية للثالوث، وإذا كان الأمر على هذا النحو، فهل يليق بعد هذا أن نقول إن الله يغضب عليك أنت ويعاقبك؟ قالها لي مرة: يا ابني هو فيه حد بيكره جسده؟ لأ، أنت جسد المسيح، فمن يغضب على جسده يصبح إنسانًا غير سوي أو غير طبيعي "لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ" (أف ٥: ٣٠). والرسول بولس اعتبر أن علاقة الرب يسوع بالكنيسة كعلاقة الزواج وقال إن "هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ" (أف ٥: ٣٢). وهو ما يعني أن سر الزيجة عندنا في الكنيسة كاتحاد المسيح بالكنيسة، ولذلك صلوات الزيجة عندنا تحتاج إلى إصلاح ليتورجي كبير جدًا.

التجسد يعني أنني أقف أمام الله الآب بالابن، ولست أعزلا، لأن الشفيع والرأس موجود في الجوهر الإلهي يمثلني وينوب عني، فأي شيء يحدث لي

يحدث له هو أيضًا، أليس هو مَن قال لشاول في الطريق إلى دمشق: "لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ" (أع ٢٦: ١٤)؟ في الزيجة، عندما يقع حادثٌ لابنك أو زوجتك تجد نفسك متألمًا رغم أن الحادث لم يُصِبك شخصيًا، ولكن بسبب الحياة المشتركة وبسبب المحبة وما نتشاركه، فهل بعد ذلك يمكن تصور أن الله الآب يغضب عليك؟ يجب أن ننتبه وبشده إلى أن الله يحبني كما يحب ابنه الوحيد، والحَكَم بيني وبينكم هو كلام الرب يسوع نفسه لأنه في يو ١٧: ٢٦ يقول "لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ". وإذا كان "المسيح فيَّ رجاء المجد"، كما يقول الرسول بولس، وأخطأت خطيةً أيًّا كانت -ولا يجب اعتبار كلامي هنا بمثابة تصريح بارتكاب الخطايا لأن الذي بلا خطية وحده هو الرب يسوع- هل من المتصوَّر أن يقول لي الآب أنت أخطأت ولذلك أنت فقدت علاقتك بي؟ لا يستطيع، ليس عن عجز، ولكن عن محبة. كان دائما ابونا مينا يقول لي: يا ابني ربنا ما يقدرش يعمل كده، وإنما عن محبة لأنه غُلبَ من تحننه كما نقول في التسبحة. وفي سفر النشيد يقول "حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي" (نش ٦: ٥). إذن، فعدم القدرة ليس لأن الله يعجز، بل لأنه توجد قوة إلهية تعمل بالمحبة وتختار الحرية التي في المحبة، الأمر الذي يعجز العقل الإنساني عن تبريره فلسفيًا.

الرسول يوحنا يقول كلامًا يتناقض مع كل ما نعرفه عن العدل: "إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا (المسيح) إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يو ١: ٨ - ٩). **وهنا السؤال يطرح نفسه: أمين وعادل حتى يغفر، أم أمين وعادل حتى يُعاقِب؟** عندما تقف أمام القاضي ويكون القاضي أمين وعادل في الشريعة فلا حديثَ عن غفران، ولكن **الصليب لا يعمل بالشريعة، ولا بأي شريعة**. الصليب عند الرسول بولس ضد الشريعة على خط مستقيم، ولكي لا تتهمني بالهرطقة أقرأ لك غلاطية الاصحاح ٢: ١٦ – ٢١ وهو ما يؤكد أن الصليب ضد الشريعة: "إِذْ

نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا. فَإِنْ كُنَّا وَنَحْنُ طَالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ فِي الْمَسِيح (أي نأخذ حكم البراءة في المسيح)، نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا خُطَاةً (لأن الناموس يقول لك أنت خاطئ، والمسيح يقول لك أنت لست خاطئًا، أي أن هناك حكمين أحدهما يناقض الآخر لا يمكن مصالحتهما)، أَفَالْمَسِيحُ خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ؟ حَاشَا! فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضًا هذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ (ماذا هدمت يا بولس؟ هدمت استخدام الشريعة كوسيط إلى الله)، فَإِنِّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّيًا. لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا للهِ (لقد حسبت نفسي حسب الشريعة ميتًا ومن جهة الشريعة محكومٌ عليَّ بالموت، ولكني أنا أحيا لله، لأن المسيح أحياني). مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ (بمعنى أن المسيح جاء فأبطل كل شيء، **ولذلك لا يجب علينا أن نحوِّل الكتاب المقدس إلى مفاهيم أو تحديدات، فنُفسِد الكتاب المقدس ويتحول الخبر السار إلى مجرد نظريات عقلية عقيمة**). فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي. لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ بِلاَ سَبَبٍ!".

تتبقى النقطة **الرابعة** والأخيرة، وهي أننا إذا أخضعنا عمل الله للفكر الإنساني، فإننا نخسر كل ما هو جديد في المسيح، ما الجديد؟ التبني – الملكوت – الميراث - نوال عطية الروح القدس، فالرب يسوع يتحنن علينا ويعطينا وعيًا لكي نفهم الكتاب المقدس فهمًا جيدًا. والمطلوب أنني عندما أقرأ الرسول بولس يجب أن أقرأه على الليتورجية، فأرجو من محبتكم التدقيق فيما تسمعون وتقرأون، وأن تبتعدوا عن النظريات العقلية.

الفصل الرابع

كيف نقرأ الكتاب المقدس بروح النعمة لا بروح الشريعة؟[١]

ما هو المقصود بـ "النعمة"؟

طبعًا نقصد بالشريعة "الناموس"، وهي كلمة يونانية لا علاقة لها باللغة العربية. ولكن ما هي النعمة؟ لا فهمَ صحيحٌ لهذه الكلمة في اللغة العربية، لأنه بإرجاعها إلى أصل الكلمة في اللغة العربية، أنعم يُنعم نعمةً، يتبين أن المعنى الكامن خلف الفعل هو أن شخصًا كبيرًا ينظر إلى شخص حقير ويتعطف عليه ويعطي له إحسان، نقود أو غيرها. النعمة "خاريس - χάρις" في اليوناني والقبطي. ولدينا كلمة جيدة في العبراني هي كلمة "خنَّ"، وهي قريبة من الكلمة العربية "حنَّ" من الحنان. والرسول بولس يقول: "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ" (٢ كو ٨: ٩)، وهو نصٌّ من ألذ ما كتب رسول المسيح، لماذا؟ لأن لدينا هنا عبارة "نعمة ربنا يسوع المسيح"، وهي العبارة المستخدمة في البركة الرسولية في القداس الإلهي: "محبة الله الآب ونعمة ربنا يسوع المسيح".

في الثقافة الإنسانية بشكلٍ عام وفي الثقافة الإسلامية بشكلٍ خاص، لدينا مشكلة، ألا وهي أننا نحاول تخفيف كل شيء شخصي أو أقنومي بأن نضع

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ١٤ أغسطس ٢٠٢٠

له تحديدًا عقيديًّا عقليًّا بحيث يصبح فكرةً في عقل الإنسان. لهذا قلنا إن النعمة تعني أن الله يتعطف على الإنسان ويرحمه ويغفر له ويجدده ويقبله عنده في الملكوت. **هذا التعريف ينطبق عليه القول بأن أنصاف الحقائق ليست حقائق**، هذا الكلام فيه شيء من الحق، ولذلك لا ينتمي إلى الحقائق، **لأن النعمة في العهد الجديد هي أقنوم أو شخص الرب يسوع نفسه، ونحن نقول "نعمة ربنا يسوع المسيح"، لأن صيغة المضاف والمضاف إليه تؤكد لنا حقيقةً مهمةً، وهي أنها لا وجودَ لها إلَّا في المسيح، ولم يكن لها وجودٌ قبل المسيح، وهي تبقى طالما أن المسيح رب المجد الحي قائم إلى الأبد، ما يعني أن النعمة أبدية لأنها تأخذ بُعدها الأبدي من شخص العاطي.**

ولكن، ربما يكون لدينا شيء من الخجل أو الخوف أو التردد في أن نقول إن العاطي والعطية ليسا موضوعين مختلفين، أي أن أحدهما ليس مختلفًا عن الآخر، في حين أن لدينا تصريحًا خطيرًا جدًا من فم الرب يسوع نفسه: "أنا هو القيامة والحياة"، و"مَن يأكلني يحيا بي"، وبالتالي نحن لسنا في احتياج إلى ما هو أكثر من ذلك لتأكيد أن **العاطي والعطية هما واحد.** لكننا كبشرٍ، عندما نتكلم عن شيء -وهذه هي طريقة الخطاب الإنساني- نقع في الازدواجية. فعندما أعطي لك مثلًا ألف دولار، فهي غيري أنا، وبالتالي هنا ازدواجية بين العاطي والعطية، هنا توجد ازدواجية في العطاء على المستوى الإنساني، ولكن على المستوى الإلهي لا وجود لمثل هذه الازدواجية. العاطي والعطية هما واحد. ولكن عندما نلجأ إلى الحس الإنساني العادي القديم، وهو ما نسميه في اللاهوت الأرثوذكسي الحس الآدمي القديم، الحس الخاضع للموت mortal ونطبِّقه على أعمال الله، عندئذٍ نقع في أخطاء كثيرة. وكل إنسان يتكلم عن التقسيمات، وما إذا كانت نعمةٌ ما حدثت بالصعود أم بالتجسد أم بالقيامة في بيت لحم أم في العلية أم في القبر أم في الجلجثة.. إلخ فالسؤال هنا هل نتكلم عن أحداثٍ متفرقة، أم نتكلم عن شخص واحد هو الرب يسوع

المسيح الذي يجمع كل هذه الأحداث في شخصه؟

هناك عبارة جيدة جدًا لمكسيموس المعترف يقول فيها: إن الله في التاريخ، أي أن الله يعمل في التاريخ، ولكن التاريخ ليس في الله، لماذا؟ لأن الله لا تاريخ له، أي ليس له أول ولا آخر ولا بداية ولا نهاية. أمَّا نحن فلنا تاريخ، وفي التاريخ يعمل الله، لكن لا يوجد في الله تاريخ. وعندما نعتقد أن هناك ازدواجية بين العاطي والعطية، فإننا نخلق مشكلةً تظهر -على سبيل المثال- في عدم الوعي بمفاعيل سر الإفخارستيا، من حيث أنه شركة جسد المسيح وشركة دم المسيح، وبالتالي الاشتراك في جسد المسيح ودمه، فالتناول تجديد للشركة ومعالجة ما نال هذه الشركة من ضعف، وهنا التجديد يعود إلى القوة الكائنة في شخص أو أقنوم الابن المتجسد. هذه الازدواجية تجعلني أعتقد أنني بالتناول أصبحت على ما يرام، في حين أن كل شيء يبدأ بعد التناول، ولا ينتهي، فالازدواجية هي ازدواجية الفكر الإنساني الخاضع للزمان، **لكن عمل الله لا يخضع لترتيب الزمان.**

يا أخوة يجب أن ننتبه وبشدة إلى أنه ليس في المسيح أول ولا آخر، الميلاد في بيت لحم عندما ينتهي بالصعود، فلا يعني ذلك أن الصعود هو نهاية الرحلة، بل بالعكس لأن الصعود أكمل الميلاد في بيت لحم لأنه نقل الطبيعة الإنسانية المولودة في بيت لحم إلى الجانب الإلهي السماوي عن يمين الآب. **هذه مسيرة، والمسيرة حركة، وفي هذه الحركة الشخص هو الذي يربط البداية والنهاية معًا، وبالتالي لا فصل بينهما. إذن، إذا كان هذا هو الوعي بالنعمة، أي أنني على علاقة بالشخص، فكيف أقرأ الكتاب المقدس على أساس أنني على علاقة مع شخص وليس مع نص، وبالضرورة لستُ على علاقة مع الشريعة؟**

كيف يعمل الناموس في الإنسان؟

في البداية يجب أن نشرح عمل الناموس أو الشريعة في الإنسان. أولًا يجب أن نعرف أن الشريعة أو الناموس تخلو من النعمة تمامًا، وإن كان فيها وعد بالبركة: في الوصية الخاصة بإكرام الأب والأم هناك وعد بطول الأيام على الأرض التي يعطيها إياك الرب الإله، لأنك إذا عصيت أباك أو أمك قد يحكم عليك الشيوخ بالإعدام بالرجم، وهو حكم الشريعة. ولو زنيت تُرجم أيضًا، فالشريعة تخلو من النعمة، لكن أخطر ما في الشريعة ليس هو غياب النعمة، وإنما هو أنها تجعلك دائم التفكير في نفسك، لأن الشريعة تضع عليك أحمالًا كل حمل فيها يفوق طاقة الإنسان، الأولى هي التفكير الدائم في النفس من حيث القدرة على تطبيق أحكام الشريعة بالدقة المطلوبة، وما إذا كنت قد أنجزت هذا الأمر أم لم تنجزه. والحِمل الثاني يترتب على دوام التفكير في النفس، **لأن الإنسان طالما هو دائم التفكير في ذاته، فحتما سوف يبتعد عن الله.** أما الحِمل الثالث أن نفسك أصبحت هي الوسيط بينك وبين الله، وبالتالي رضاء الله عنك مرجعيته هو نفسك، كما أن **الشريعة تجعل الإنسان لا الله هو محور التدين، لكن النعمة ليست هكذا.**

القراءة حسب النعمة والقراءة حسب الشريعة

وإذا كانت الشريعة تعيدني إلى نفسي، فكيف نقرأ الكتاب المقدس بالشريعة، وكيف نقرأه بالنعمة؟ عندما نقرأ الكتاب المقدس بالعقلية الموسوية، فسوف تجد أنه لديك أربعة أناجيل، وبالتالي -على سبيل المثال- ستجد لديك أربع شهادات عن قيامة الرب في الأناجيل الأربعة، كل شهادة انفردت بجانب يكاد يكون غير مذكور في الأناجيل الأخرى، فعلى سبيل المثال تجد أن قصة ظهور الرب لتلميذي عمواس موجودة في إنجيل لوقا، ويذكر لوقا اسم أحدهما، كليوباس والآخر هو لوقا ولكنه سكت عن ذكر اسمه، وهذا

هو التقليد الكنسي، لأنه قدَّم وصفًا كاملًا لا يقدمه إلَّا إنسانٌ كان موجودًا بالتأكيد أثناء المحادثة هو لوقا، لأن القصة وردت عند لوقا ولها إشارة وردت في مرقس ولم تذكر في متى ولا في يوحنا. أمام هذا الواقع الإنجيلي يقول الموسويون إنك تفتقد إلى تقرير متناسق لظهورات الرب في الأناجيل الأربعة، لكن عندك أربعة تقارير مختلفين تمامًا. لكن في الحقيقة هذا أمر لا يعيب التقارير الأربعة، لأن الشهادة -طبقًا للشريعة اليهودية- ليست شهادة شخص سمع عن آخر، بل هي شهادة من شاهد بعينيه ولمس بيده وسمع بأذنه، وهو ما نجده في العدد الأول في الرسالة الأولى لمعلمنا القديس يوحنا الإنجيلي: "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ" (١ يو ١: ١). إذن، لدينا أربعة شهود كل منهم يتكلم عن شهادته الخاصة، لأن التعليم حسب النعمة هو تعليم شخصي واستعلان شخصي، ما يعني أن الكلام موجَّه لك أنت بالتحديد، لذلك يقول القديس بولس أنه لم يظهر لكل شعب إسرائيل، بل "ظَهَرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ" (أع ١٣: ٣١) كما يقول القديس بطرس في الأعمال "هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أع ١٠: ٤٠ - ٤١). ولما يهوذا انتحر، اختاروا شخصًا كان من بين الشهود: "فَيَنْبَغِي أَنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ مُنْذُ مَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنَّا، يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِدًا مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ" (أع ١: ٢١ - ٢٢). وهذه الشهادة تختلف عن أي شهادة أخرى لأن هذه الشهادة قد تكلف هذا الشاهد حياته، لأنها شهادة تقتضي من الشاهد أن يترك اليهودية ويتبع بالمسيح، وبالتالي علينا أن نفهم ونشعر بماذا يعنى أن يكتب متى إنجيلًا وأيضًا مرقس ويوحنا، هؤلاء تركوا القديم وتبعوا الجديد. وها هو بولس الرسول

يقول عبارة مثيرة جدًا: "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً (زبالة) لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ وَأُوجَدَ فِيهِ" (في ٣: ٨ - ٩).

وهنا نأتي إلى مربط الفرس، أي إلى النقطة الحساسة في الموضوع، وهي أن العلاقة الشخصية هي علاقة نعمة، والنص لا يؤسِّس ولا يحدد هذه العلاقة. العلاقة الشخصية هي علاقة اختبار، والاختبار هو الذي يشرح معاني الكلمات. إذا كان الأمر هكذا، فلماذا وصلنا في الكنيسة إلى هذه الدرجة من الأصولية الناموسية الموسوية، وتركنا التفسير حسب النعمة؟

لماذا تركنا التفسير حسب النعمة؟

هناك أربعة أسباب أساسية؛

الأول هو أن الدين له وظيفة اجتماعية، والحياة الاجتماعية علاقات، والعلاقات تحكمها الشرائع والقوانين، فإذا دخل الدين في هذه المنظومة بكونه له وظيفة اجتماعية ينتقل من النعمة إلى الشريعة.

والسبب **الثاني**، أننا في خلال ٤٠ سنة يحكمنا سلطان كهنوتي مزيَّف، ونقول مزيَّف لأن السلطان لا يمكن أن يُمارس إلَّا في إطار الشريعة، أو القانون، لا بالنعمة، ذلك لأن السلطان مبني على الأوامر، يُحرِّم ويُحلل ... إلخ، وعلى ذلك فالقول بالسلطان الكهنوتي هو رجوع إلى موسى دون أن ندري، والأغرب من ذلك أننا أسميناه سلطان المسيح في حين أن المسيح يسوع رب المجد لم يستخدم سلطانه حتى في انتهار السامرية ولا حتى في مواجهة بطرس الذي أنكره.

والسبب **الثالث** أننا في الوظيفة الاجتماعية للدين نقلنا الدين من العلاقة الشخصية بالمسيح إلى الممارسات الخارجية، كالكلام عن الصوم والامتناع عن

العلاقات الزوجية دون الحصول على حِل من الأب الكاهن ... إلخ.

والسبب **الرابع** هو أن كل أمراض المجتمع، تحت تأثير الثقافة المصرية تدخل الكنيسة، وذلك كالنظر إلى الصلاة بكونها سلوك اجتماعي لضبط الحياة، في حين أن الصلاة هي علاقة شركة، فإذا فقدنا هذه الخصوصية تضيع الشركة، وبالتالي تضيع أبوة الله، وتفقد الوعي بأنك في الصلاة تعود لأصلك، أي الآب السماوي، لأن أصلي وأصلك وكياني وكيانك هو الآب السماوي ولذلك نحن نصلي إلى الآب السماوي.

مميزات الأناجيل المقدسة كشهادة

نعود إلى الشهود الأربعة، ما هي مميزات الشهادة حسب الكتاب المقدس؟ الشهادة لها أربع مميزات؛

الميزة **الأولى** هي أن الشاهد سمع ورأى وعاش، ولذلك يتكلم.

الميزة **الثانية** هي أنه يتكلم بكلامه هو شخصيًا، أي أنه لم يكتب إملاءً عن أحد، ولذلك تجد اختلافات في الكلمات بين متى ومرقس ولوقا ويوحنا، لأنهم لم يكتبوا إملاءً عن أحد، وأيضًا لأن الكلام شخصي فالكلمات شخصية، فلو اتفق ثلاثةٌ من الشهود على الصيغة يكونوا كاذبين، لكن الصياغة هي صياغة شخصية لم يأخذها أحدهم عن آخر "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ" (١ يو ١: ١)، كما يقول: "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يو ٢٠: ٣٠ - ٣١)، إذن، الشهادة فيها الجانب الشخصي.

الميزة **الثالثة** هي أنك أنت يا مَن تسمع الشهادات، أيًّا كان عددها، لا تسعى إلى علاقة عن طريق الكلمة، لأن الكلام الخاص بالشريعة عندما يوجَّه

لك أنت خاصةً، يفقد شخصانيته، ويتعين عليك أن تخضع له، وهو ما يتضح من الميزة الرابعة للشهادة لأنك تقدم للإنسان شهادات متنوعة لكي تساهم في تكوين الحرية الشخصية في الاختيار والفهم، فنحن في المسيحية ليس لدينا فهم محدد بنص، بل فهم محدد بالشركة، ولذلك رومية غير كورنثوس غير غلاطية غير العبرانيين.

الميزة **الرابعة**، هي أنك تقدم تنوعًا في الشهادة حتى لا أُصبح أسيرًا لنص فأسقط في التفسير النصي للشريعة، وإنما لكي أُصبح الابن الحر الذي يختار النعمة الحرة التي وُهِبَت لنا بالمسيح. لذلك في البصخة بالذات، نجد أن كل القراءات من الأناجيل الأربعة لأن آلام المسيح له المجد لا يمكن أن يعبِّر عنها إنجيلي واحد. قرأت الكثير جدًا عن موت المسيح على الصليب، وكلما أقرأ أشعر بأن هناك أمورًا لم أكن قد عرفتها أو فهمتها بعد، لأننا هنا نتكلم عن شيء عميق جدًا؛ كيف خاف المسيح في البستان؟ طبعًا خاف، وهذا كلام أثناسيوس في الرد على الآريوسيين فقرة ٥٣، واللاهوت لا يخاف فيجمع بين عدم الخوف والخوف، لماذا؟ لكي يُبيد الخوف من الطبيعة الإنسانية، أي أنه يسمح لنفسه بأن يخاف لكي يُبيد الخوف من الطبيعة الإنسانية لكي يعطي الإنسان أن يواجه الموت بشجاعة.

إذن، لا يجب أن أُفسِّر الإنجيل حسب الشريعة، فعلى سبيل المثال، الذين يتعثرون في لاهوت المسيح بناءً على تجارب الرب في البرية على أساس أن الله أقوى من الشيطان، وأن الشيطان لا يجرب الله، يتجاهلون أن المجرَّب هو الإله المتجسد، وبالتالي ضاع التجسد منهم، ولما ضاع التجسد نسوا النعمة وأمسكوا بالشريعة التي تقول إن الله أقوى وأن الشيطان حقير .. إلخ وهذا هو الفخ الذي سقط فيه أناس من أذكى العقول في التاريخ الكنسي، لأن في تجربة المسيح في البرية لم يجربه الشيطان لكي يسقطه في الشر، بل

لأنه كان يريد أن يعرف مَن هو هذا الإنسان، كما أن في تجربة المسيح في البرية أمور في غاية الحساسية، الشيطان محتار في المسيح وغير قادر على فهمة، ولذلك يقول له إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجارة أن تصير خبزًا، فإذا استجاب له المسيح، فلا يكون الخطأ هنا في إطاعة الشيطان فقط، بل وفي اعتداء الله على شريعة الخليقة التي صنعها بكون الخبز هو قمح زُرع وأجريت عليه عمليات التصنيع التي تجعل منه في النهاية خبزًا صالحًا للأكل، وبذلك يكون قد اختزل عرق وتعب الناس في لحظة وبكلمة، أي أن ينسى تعب الإنسانية في أكل الخبز، لأنه قيل لآدم بعرق جبينك تأكل خبزك، ولذلك رفَضَ الرب إجابة الشيطان إلى ما طلب. يجب أن ننتبه إلى أن الشيطان إنما يجرب المسيح لأن المسيح هو الإله المتجسد، لأن الشيطان وهو يعتدي على خليقة الله فهو يجرب الله في أعز ما يملك.

الجواب الثالث!

لدينا في الآداب المسيحية القديمة ما يسمى بالجواب الثالث على سؤالٍ ما، الإجابة عادةً ما تكون بالنفي أو بالإيجاب، غير أن هناك ردًّا ثالثًا، والمثال على ذلك رد المسيح على سؤال الفريسيين للرب عن جواز إعطاء الجزية لقيصر من عدمه. المفترض أن الإجابة على هذ السؤال هي إما بالإيجاب أو بالرفض، ولكن الرب يرد على سؤالهم بسؤال: لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالوا له لقيصر، فقال لهم أعطوا ما لقيصر وما لله لله، هنا أعطى الرب الرد الثالث. وهو منهج يجب أن نطبقه مع من يهاجموننا. الرد الثالث هذا كان جزءًا من الثقافة القبطية التي ضاعت. عندما سأل الفريسيون الرب: بأي سلطان تفعل هذا؟ فقال لهم معمودية يوحنا كانت من الناس أم من الله؟ فأوقعهم في حيرة.

في العهد الجديد كثيرٌ من المواضع التي نجد فيها الرد الثالث، قد لا

نلتفت إليها. ولذلك يجب أن ننتبه إلى أن الشهادة فيها التنوع، وفيها الحرية وأن الشهادة تعطي لك فرصة للتفكير، وأن **أهم ما في الشهادة أنها لا تربطك بنص أو بكلمة وإنما تعيدك إلى العلاقة الشخصية، والعلاقة الشخصية تختبر فيها استعدادك للمحبة. والمحبة بحسب ذهبي الفم هي دم، ولما غُرست في الأرض، فقد أثمرت دمًا، ولما كانت في العلية أعطت الدم، فإذا رفضتَ أن تكون المحبة دمًا، فالأناجيل الأربعة تتسبب لك في مشكلة:** ماذا تحب، ولماذا تحب، وكيف تحب؟ ماذا تحب، أَنصًّا؟ إذن، فأنت إمَّا مسلمًا أو يهوديًا. لماذا تحب؟ هل لأنك تريد أن تكون نقيًّا ومقبولًا من الله؟ إذن، فقد تركت المسيح خارج حياتك. كيف تحب؟ هل بأن تكون إنسانًا طاهرًا وجيدًا ولا تحتاج إل النعمة؟ هنا تتحول الأناجيل الأربعة إلى شريعة، وبالتالي يتعثر الإنسان في الفهم.

ماذا تحب؟ الذي مات عني، ولماذا تحب؟ لأنه أعطاني الحياة، وكيف تحب؟ لأنه يصبح حياتي. أنا أريدك أنت.

موقف المحبة والشريعة من التناقض

هناك نقطة أخيرة تتطلب التفكير الجِّدي والعميق، يجب أن ننتبه إليها بكل شدة: المحبة تقبل التناقض ولا ترفضه، أمَّا الشريعة فلا تقبل التناقض، لماذا؟ المحبة تقبل التناقض لأن المحبة فيها نمو، ولأن المحبة كلما تنمو يكبر الإنسان وتزداد معرفته، **وعندما ينمو الإنسان يسمح له الله بالمتناقضات لأن النمو هو طريق الحكمة والفهم،** ولذلك فإن تناقض الإنسان مع نفسه هو تأكيدٌ على الحرية.

هناك مَثَلٌ في التلمود يقول: إن الله يناقض نفسه، والإنسان أيضًا يناقض نفسه، لكن الحمار لا يناقض نفسه لأنه حمار. بمعنى أن الله يمكن أن يرجع

عن رأيه، وأيضًا يمكن للإنسان أن يرجع عن رأيه نتيجة النمو. أما نظرة الشريعة فلا تفهم أن تتنازل عن رأي أو حكم لأن الوضع تغيَّر. والمثال على ذلك أن الله أرسل يونان إلى نينوى لتحذيرهم، فيونان علم أن الله لن يفعل ذلك لأنه يرى الرحمة والمحبة الإلهية بشكل فائق، فرفض أن ينفِّذ المهمة أولًا ولكنه عاد ونفَّذها مضطرًا، بحسب الرواية الموجودة في سفر يونان. فهنا الرحمة الإلهية تتفوق على كل شيء. ولذلك، في الجمعة الكبيرة وفي الجنازات نقول أمانة اللص، ليس لأنها لحن حزايني، ولكن لأنك تطلب من الذي ذكر اللص اليمين أن يذكر هذا المتنيح، **لأن الإيمان المطلق بالرحمة لا يقف عند نص**، وأعمال الإنسان وفهمه وحكمته أيًّا كانت ليست إلَّا ذرةً لا تقارن بالحكمة الإلهية. المحبة تقبل التناقض لأنها تنمو، ولأنها تتنازل، ولأن المحبة ليست سريعة العقاب بل سريعة الغفران، يشهد على ذلك ختام التسبحة: "مراحمك يا إلهي ...".

الفصل الخامس

كيف يقرأ الإنسان المسيحي العهد القديم؟[١]

أود في البداية أن أقول للأخوة والأخوات إننا عندما نتناول موضوعًا بالبحث، فلأن البحث هو إرشادٌ من الله، ورغبةٌ في أن نعرف أكثر، لذلك فأنني لم أدَّع يومًا أنني معصوم، بل أقبل النقد وأقبل تصحيح ما يمكن أن يصدر عني من عبارات قد تحتاج إلى تصحيح، فهذا أمر طبيعي يجب أن يقبله أي إنسان عاقل.

ماذا يقول العهد الجديد عن العهد القديم؟

موضوع هذا اللقاء هو كيف يقرأ الإنسان المسيحي العهد القديم؟ والعهد القديم بالنسبة لنا ليس مشكلة، طالما أننا نفهم أولًا الفرق بين العهدين. ولذلك، لكي نبدأ بدايةً حسنةً وصحيحةً يجب أن نسمع ماذا يقول العهد الجديد عن العهد القديم. ما يعني أنني ليس لي رأيٌ خاص، وليس لأي إنسان رأي في هذا الموضوع إلَّا ما ورد في أسفار العهد الجديد نفسها. ماذا يقول العهد الجديد؟ أفضل أسفار العهد الجديد في هذا الموضوع هو الرسالة إلى العبرانيين التي كُتِبَت في زمن كانت فيه حركة التهود في داخل الكنيسة المسيحية قد صارت خطرًا على الإنجيل.

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في ٢٣ مارس ٢٠١٨.

مقارنة العهدين على أساس خادم البيت وباني البيت

ماذا يقول القديس بولس كاتب هذه الرسالة الذي لم يضع اسمه عليها لأنه كان مطارَدًا من اليهود. مثلًا في الأصحاح الثالث من ١ – ٦، وأرجو أن تنتبهوا أيها الأخوة من طريقة العرض، ومن المفردات، ومن الفكرة الرئيسة التي يقدمها الرسول: "مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالَ كَوْنِهِ أَمِينًا لِلَّذِي أَقَامَهُ، كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ. فَإِنَّ هذَا قَدْ حُسِبَ أَهْلاً لِمَجْدٍ أَكْثَرَ مِنْ مُوسَى (نقطة البداية أنه يوجد مجد أكثر من مجد موسى) بِمِقْدَارِ (بقياس) مَا لِبَانِي الْبَيْتِ مِنْ كَرَامَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الْبَيْتِ (أي أن ابن البيت له كرامة أكثر من البيت). لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ. وَمُوسَى كَانَ أَمِينًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ (موسى يخدم البيت). وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ".

هنا تضع المقارنة القارئ أمام مجد المسيح كابنٍ على البيت الذي يبنيه الله (لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ)، فهناك بيتٌ اللهُ يبنيه، ويوجد أيضًا مجد المسيح، ومجد موسى. إذن هناك تمييزٌ بين العهدين، لكن هذا التمييز لا يقف عند مجرد المقارنة بين خادم البيت وبين باني البيت.

الكهنوت كعنصر مقارنة بين العهدين

ثم يقول في الإصحاح السابع: ٢٢ عن كهنوت الرب يسوع، وهذه نقطة مهمة يجب أن ننتبه إليها: "أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، عَلَى قَدْرِ ذلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ"، أي أنه يوجد عهد، ولكنه أفضل من العهد الأول.

ثم يقول في الإصحاح الثامن: ٦ "وَلكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ". إذن، هناك عهدٌ أعظم وليس فقط أفضل، وهو هنا يؤكد على العهد الذي يوجد فيه خدمة كهنوتية أعظم من الخدمة الأولى.

ولذلك في الأصحاح التاسع: ١٥ يقول أيضًا -وهذا هو النص الذي أُخذ منه تعبير "العهد الجديد»- "وَلأَجْلِ هذَا (أي بسبب موت الرب يسوع المسيح على الصليب) هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ، إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ". هنا يؤكد الرسول على العهد الأعظم، والعهد الجديد، والعهد الأفضل.

ولذلك في الأصحاح السابع، وهو محور مهم جدًا في الرسالة إلى العبرانيين، يبدأ القديس بولس في المقارنة بين الكهنوت اللاوي وكهنوت الرب يسوع. وأرجو أن ننتبه جيدًا: "لَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ (لأن العلاقة بين الإنسان والله كانت علاقة تقوم على الظلال) -إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ (الشريعة) النَّامُوسَ عَلَيْهِ- مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ؟ وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ. لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا"، أي أن تغيير الكهنوت يستدعي تغيير الناموس، لماذا؟ **لأن تغيير الكهنوت يُحتِّم تغيير الذبائح، وتغيير الذبائح يغيِّر موضوع الخطية، ويغيِّر العلاقة بين الإنسان والله.** ولذلك يُكمل كلامه قائلًا: "لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هذَا (أي عن المسيح) كَانَ شَرِيكًا فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ. فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ (أي أن الكهنوت اللاوي جاء في أسفار موسى)، وَذلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحًا أَيْضًا إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ، قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ (أي وصايا الذبائح والتطهيرات والأعياد الخاصة

بالشريعة)، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ (لأن كل رؤساء الكهنة في العهد القديم كانوا يموتون ويأخذ آخرون مكانهم، أمَّا المسيح فقد مات وقام حيًّا، وبالموت والقيامة ثبَّت كهنوته الأبدي، فحدث فرقٌ كبير، وبالموت والقيامة حدث تغييرٌ كبير جدًا في تطبيق الشريعة) فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ (أي كل الوصايا القديمة) مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ". هنا يوجد كلام شديد جدًا على الأذن، يُوجِب عليك **وأنت تقرأ العهد القديم أن تكون واعيًا ومتفهمًا أن الوصية الأولى انتهت، وأن الشريعة المرتبطة بالكهنوت والمذبح والهيكل والتطهيرات، وكل هذه الأشياء قد انتهت، لأنه حَّل محلها ما هو أعظم وما هو أبدي.**

الهيكل كعنصر مقارنة بين العهدين

نأتي إلى عنصر آخر مهم جدًا في العهد القديم، وهو الهيكل. هذا الهيكل قال عنه الرب يسوع المسيح في إنجيل يوحنا: "انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ ... وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ" (يو ٢: ١٩ - ٢١). لكن في الإصحاح الثامن من العبرانيين: ١ - ٧: يقول الرسول بولس: "وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلاَمِ فَهُوَ: أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ (أي أنه يوجد أقداس وهيكل، ولكن ليس الهيكل المبني بالحجارة، ولا الهيكل الذي صنعه الإنسان، ولكنه الأقداس الحقيقية). لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ يُقَامُ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ. فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِهذَا أَيْضًا شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ ... وَلكِنَّهُ (أي الرب يسوع المسيح) الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، (أي أن الهيكل لم يعد هو البيت المبني بالحجارة، وإنما أصبح هو البيت السماوي، أو المنزل السماوي الذي أشار إليه الرب في إنجيل

يوحنا بقوله: إليه نأتي وعنده نصنع منزلًا) قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ. فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ".

الدم كعنصر مقارنة بين العهدين

في الإصحاح التاسع يقول القديس بولس إن العهد القديم كانت تُقدَّم فيه "قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ، لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ (أي أن دم هذه الذبائح لم يكن يمكنه أن يخلِّص الإنسان لأنه كان دم حيوان، وكان external أي شيء خارجي)، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ (أي أن كل هذه الأشياء كانت مؤقتة). وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ (المستقبَلة)، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ (أي السماء) وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا" (عب ٩: ٩ - ١١). وهنا توجد نقطة لا نتكلم عنها كثيرًا، لأنها غائبة من الكتابات العربية، وهي المصالحة بين السماء والأرض، وأن الرب يسوع المسيح له المجد صنع مصالحةً سماويةً بين السماء والأرض، وهي ما يذكره الرسول في كولوسي ١: ٢٠، حيث يقول: "وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ". وهنا يثور السؤال: لماذا تحتاج السماوات إلى مصالحة؟ لأن المصالحة هنا بالتحديد هي تجديد الخليقة السماوية، لذلك نجد في كتابات الآباء مثل كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس، أو كتاب ديديموس الضرير عن الروح القدس، أو كتاب رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس لسرابيون، **أن القوات السماوية نالت ثباتًا في المحبة الإلهية نتيجة التجسد والصلب والقيامة، حيث أدركت هذه الخلائق -من عمل الله مع الإنسان- شيئًا لم تكن تعرفه عن طبيعة الله، أي أنها استفادت من هذا**

الاستعلان فبقيت في الخدمة الإلهية.

ولذلك يا أخوة، يجب أن يكون لدينا الوعي الكامل بأن هناك نقلةً كبيرةً حدثت عن طريق المؤسِّس المسيح له المجد بالعهد الأعظم، بالمسكن الأعظم، بالشريعة الأعظم، بالكهنوت الأعظم، بالذبيحة الأعظم.

ثم يتعرض الرسول في عب ١٠: ١ للناموس أو الشريعة، فيقول: "لأَنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ لاَ نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ، لاَ يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ، (فلماذا يعجز الناموس عن أن يكمل الذين يتقدمون؟ لأن دم الحيوان الذي يقدَّم ليس فيه قوة حياة، ولذلك لا يمكن لهذا الدم أن يحرِّر الطبيعة المستعبَدة من الخطية، المطلوب دم فيه قوة حياة، وليس من دم فيه قوة حياة إلَّا دم ابن الله. لذلك في عدد ٤ من ذات الأصحاح يتكلم عن الذبائح فيقول: "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا"، (لماذا؟ لأنه دم حيواني لا يؤسِّس علاقة شركة بين الإنسان وبين الله)، ولذلك عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ (عن المسيح) يَقُولُ: "ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ (أي مازال المسيح هو الذي يتكلم): هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ". إِذْ يَقُولُ آنِفًا: "إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا". الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ. ثُمَّ قَالَ: "هنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ". يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ (أي أن كل النظام القديم نُزع لكي يُثبِّت الثاني). فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً". هنا يجب أن يكون لدينا وعي بأن هناك تغييرًا كبيرًا قد حدث، وأن هذا التغيير ليس تغييرًا مؤقتًا، بل هو تغيير أبدي يقول عنه: "يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ"، فهذا شيء مهم جدًا **لأنه عندما يتكلم عن العهد في الإصحاح الثامن، فهو**

يتكلم عن فكرة محورية لأن العهد هنا يعني المسيح نفسه، يقول: "فَإِذْ قَالَ "جَدِيدًا" عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الاضْمِحْلاَلِ"، لذلك "يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ".

إذن نحن هنا أمام حقيقة أزلية لا يمكن أن نتنازل عنها، **وهي أننا أمام استعلان إلهي جديد، وأننا أمام عهد جديد**، والعهد الجديد يتطلب منّا الإفراز والتمييز الذي يجب أن نفهم من خلاله العهد القديم.

المجد كعنصر مقارنة بين العهدين

ولأنه كان من المهم أن يكون هناك شخصٌ يهودي متنصر ينير فكر الكنيسة عن العهد القديم، لذلك يقول القديس بولس كلامًا أقوى من هذا بكثير في الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٣: ٤ - ١٨ - "وَلكِنْ لَنَا ثِقَةٌ مِثْلُ هذِهِ بِالْمَسِيحِ لَدَى اللهِ. لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ (أي أن الثقة التي لديَّ هي من الله)، الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ (هنا عاد مرة أخرى إلى فكرة العهد الجديد). لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي. (ما سيأتي شديد جدًا على آذان الذين لا يفهمون الفرق بين العهدين) ثُمَّ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الْمَوْتِ، الْمَنْقُوشَةُ بِأَحْرُفٍ فِي حِجَارَةٍ، قَدْ حَصَلَتْ فِي مَجْدٍ، حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِ مُوسَى (لأن موسى عندما رأى الله لم يستطع بنو إسرائيل النظر إلى وجهه، لأن وجهه كان منيرًا، فكان يضع برقعًا على وجهه) لِسَبَبِ مَجْدِ وَجْهِهِ الزَّائِلِ (أي الذي لن يدوم لأن موسى مات)، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ بِالأَوْلَى خِدْمَةُ الرُّوحِ فِي مَجْدٍ؟ (أي أننا لا يمكن أن نقارن بينهما) لأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ مَجْدًا (لأن الناموس يحكم على الإنسان بالخطية)، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا تَزِيدُ خِدْمَةُ الْبِرِّ فِي مَجْدٍ! فَإِنَّ الْمُمَجَّدَ (يسوع) أَيْضًا لَمْ يُمَجَّدْ مِنْ هذَا الْقَبِيلِ (أي لم يضع برقعًا على وجهه كموسى) لِسَبَبِ الْمَجْدِ الْفَائِقِ (لماذا؟) لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الزَّائِلُ فِي

مَجْد، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا يَكُونُ الدَّائِمُ (المسيح) فِي مَجْدٍ! (أي أن هناك مجدًا دائمًا مشرقًا مُعلنًا بالروح القدس) فَإِذْ لَنَا رَجَاءٌ مِثْلُ هذَا نَسْتَعْمِلُ مُجَاهَرَةً كَثِيرَةً (لأنه كان يدخل إلى المجامع ليتكلم عن المسيح). وَلَيْسَ كَمَا كَانَ مُوسَى يَضَعُ بُرْقُعًا عَلَى وَجْهِهِ لِكَيْ لاَ يَنْظُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى نِهَايَةِ الزَّائِلِ (أي أننا لا نتكلم أو نقرأ العهد القديم كما هو مكتوب، لا أبدًا). بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ (في زمن كتابة الرسالة) ذلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ. لكِنْ حَتَّى الْيَوْمِ، حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى، الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ. وَلكِنْ عِنْدَمَا يَرْجعُ إِلَى الرَّبِّ (أي عندما تُنزع الغشاوة عنه) يُرْفَعُ الْبُرْقُعُ. وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ (وليس الحرف)، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ. وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ (أي أننا نرى مجد المسيح ونتغير إلى هذه الصورة من مجدٍ إلى مجد)، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ".

هذا الكلام يحتاج إلى قراءة دقيقة متأنية، إلى جوار غلاطية وكولوسي ورومية، لأننا نجد أنفسنا في مواجهة مع بعض المشاكل في الكتابات العربية المسيحية.

العهد القديم في الكتابات العربية

تثير الكتابات العربية الكثير من الأسئلة الخاصة ببعض الأحداث التي وقعت في تاريخ العهد القديم، وأحيانًا توجَّه إليَّ بعض هذه الأسئلة عن سدوم وعمورة والطوفان والحروب وسقوط أريحا وأحداث القتل الموجودة في العهد القديم، وماذا عن تحقيق النبوات الخاصة بشعب إسرائيل؟ وأجيب بأنه ليس لي رأيٌّ خاص، رأيي هو ما قاله القديس بولس: "لَمَّا كُنْتُ طِفْلًا كَطِفْل كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْل كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْل كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ" (١كو ١٣: ١١).

الانتقال من الطفولة إلى النضج

هذه الأسئلة تجد الإجابة عليها إذا أدركنا أن هناك فرقًا بين العهدين، وأن العهد القديم يمثل عهد الطفولة. أقول للأخوة المتزوجين بالذات، أي الآباء والأمهات إذا كان لديك ابن عنده أربع أو خمس سنوات، فسوف تكلمه بطريقة تختلف عما لو كان لديك ابن في الجامعة. السؤال هنا: هل كان الله يحارب مع بني اسرائيل؟ نعم طبعًا، لماذا؟ لأننا أصبحنا نفهم الحروب في العصر الحديث بالشكل المدني، أما في المدنية القديمة أو في الحضارات القديمة كانت جميع الحروب حروبًا دينية، لم يكن هناك فصلٌ بين الدين والدولة، ذلك الفصل الذي ظهر في الفكر السياسي الأوربي ابتداءً من القرن ١٤، ١٥ إلى أن تبلور في الدولة الحديثة في القرن ١٨، ١٩. فقد كان الإمبراطور ومعه تماثيل الآلهة يتقدم الجيش، فكان الله يحارب كإله لإسرائيل، وكان رمز وجود الله هو تابوت العهد، كما يحدثنا عن ذلك سفر القضاة. فيما بعد انحصر دور تابوت العهد بعدما وُضِع في الخيمة، وبعد أن أصبح هناك ملكٌ في إسرائيل، ومن وقتها لم يَعُد الله يحارب كل الحروب، بل بالعكس هناك حروبٌ كثيرة خسر فيها اسرائيل القديم معارك عسكرية مهولة، وضُرب ضربات عسكرية كبيرة جدًا من قِبل مصر وفارس وبابل. فتاريخ الحروب ليس هو التاريخ الذي نستمتع بقراءته لأنه غريب جدًا على طبيعتنا كمسيحيين نشأنا في ظل الدولة الحديثة، الدولة المدنية. فالدولة الدينية، أي حكم الله، كانت هي النمط السائد في الحضارات القديمة بمسمى الدولة الثيوقراطية.

لكن في العهد الجديد، وفي النقلة التي حدثت في العهد الجديد لم تعد هناك حروب دينية، لماذا؟ ليس لأن الملكوت أصبح ملكوتًا روحيًّا فقط، ولكن لأن هناك ثلاث نقلات كانت الأساس الذي بُنيت عليه العلاقة الجديدة بين الله والإنسان؛

أولًا: أصبحت المصالحة لجميع البشر، واختفى التصنيف القديم القائم على الفرق بين إسرائيل والشعوب، فقد أصبح الكل أولاد الله. وهنا يجب أن ننتبه إلى أن أولاد الله ليسوا هم نسل إبراهيم المولودين حسب الجسد، ولكنهم المولودين من فوق من الماء والروح، الذين أخذوا الولادة الجديدة ليست من التناسل البيولوجي الطبيعي، وهنا أصبح الانتماء إلى شعب الله ليس انتماءً عرقيًا Ethnic، وإنما انتماءً إلهيًا، وهذا هو معنى ملكوت الله، وهو ما يعني أن هناك نقلةً كبيرةً من الأصل البيولوجي إلى الأصل الإلهي، أي أصبح الإنسان ابن الله، لأن "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (يو ١: ١٢).

إذن، فقد أصبح الانتماء العرقي انتماءً إنسانيًّا، وانتقل الانتماء الإنساني إلى الولادة الجديدة التي تأتي من الله مباشرةً.

النقلة الثانية كانت في إبطال التطهير بالشريعة وبالاغتسالات. وقد بدت إرهاصات هذه النقلة فيما قاله الرب يسوع المسيح له المجد من أمثلة كثيرة هاجم فيها اليهودية، وإن كان هجومًا هادئًا مقنعًا يؤدي إلى فهم رسالة العهد الجديد، كمَثَل السامري الصالح. فنحن نصف السامري بأنه صالح، وإنما عند اليهود السامري ليس صالحًا، بل نجسًا، لأنه لا يحفظ الناموس، ولا يصلي في أورشليم، بل يسجد في جبل جرزيم، وهو ما قالته المرأة السامرية للرب يسوع، وهنا يجب أن ننتبه إلى رد الرب يسوع عليها: "صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ"، وهو ردٌّ يُثير الاستغراب باعتبار أن أورشليم يقع فيها الهيكل الذي يُستعلَن فيه الله، والذي ظهر فيه الله لاشعياء، وكان محور العبادة! لا، ولا حتى في اورشليم، فنزع عن العهد القديم كل ما يمكن أن ينتمي إلى ما نسميه في الفكر السياسي المعاصر بالصهيونية. فقد أجهز الرب على الفكر الصهيوني، لأنه أجهز على أورشليم

بالمفهوم اليهودي، وبالتالي يمكن الحفاظ على أورشليم كمكان تاريخي، وليس كمكان له معنى ديني، فهذا أمرٌ انتهى، لأنه "ليس في هذا الجبل ولا في أورشليم ينبغي أن يُسجد لله، (لماذا؟) لأن الله طالب الساجدين له بالروح والحق" (يو ٤: ٢٣ - ٢٤).

ولذلك يُعد إنجيل يوحنا في نظر اليهود المعاصرين من أخطر الوثائق في تاريخ المسيحية، لأن إنجيل يوحنا يحمل -من وجهة نظرهم- كل العداء للسامية، ولذلك يكيلون الشتائم إلى يوحنا من بعد بولس. يوحنا يتكلم عن نوعين من اليهود. هناك يهودٌ رفضوا المسيح، وهناك يهودٌ قبلوا المسيح، فهو يبين الفرق بين الاثنين، ولكن هناك نقطة جوهرية جدًا؛ هي أن الانتماء العرقي انتهي، والانتماء الجغرافي أيضًا انتهي بعد رفض أورشليم، لماذا؟ لأن الذبائح انتهت والأعياد انتهت، بل وحتى السبت أيضًا انتهى كما ورد في النص المشهور في كولوسي ٢: ١٦ "لا يحكم عليكم أحد من جهة عيد أو هلال أو سبت". المكان الجغرافي الذي وعد به الله لإبراهيم انتهى، لأن الرب يسوع يقول للتلاميذ: "فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي" (لو ٢٤: ٤٩)، "وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (أع ١: ٨)، وهو ما يعني أن الحدود انفتحت لعمل الروح القدس في كل العالم "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مر ١٦: ١٥). إذن، فقد انتهى الحد الجغرافي مثله مثل الحد العرقي الذي كان موجودا في اليهودية.

أما **النقلة الثالثة**، وهي نقلة مهمة جدًا، فبعد أن كان الروح القدس ينطق على فم الأنبياء، أصبح الروح القدس موجودًا في قلب كل إنسان. وبهذه المناسبة يجب أن نلاحظ أن تعليمنا عن الروح القدس هو تعليم ضعيف وشحيح، وعندما نجد بعض التطرف عند الخمسينيين في مقابل ذلك نغلق باب التعليم عن الروح القدس، وذلك بعكس صلواتنا الليتورجية. في كل

صلواتنا في القداسات وفي الليتورجية لا توجد صلاة كنسية في كل الكنائس الأرثوذكسية بدون استدعاء الروح القدس لأنه بدون استدعاء الروح القدس لا يمكن أن يتم أي سر من الأسرار الكنسية، لماذا؟ لأنه هو مصدر الحياة، ففي خاتمة قانون الإيمان: "نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي الناطق في الأنبياء". الرب المحيي يعطي حياةً للكنيسة ويعطي لي ولك نفس الحياة التي أعطاها للمسيح. عندما قلنا هذا الكلام قامت الدنيا ولم تقعد، كيف يعطيك الروح القدس نفس الحياة التي أعطاها للمسيح؟ يا سيدي لست أنا مَن قلتُ هذا الكلام، وإنما الذي قال هذا الكلام هو المسيح نفسه، ومن قال ذات الكلام وأكَّده، وإن كان بمفردات مختلفة القديس بولس عندما قال ذلك في رومية ٨: ٩ انتبه إلى الربط بين قيامة المسيح من بين الأموات وبين قيامتنا نحن، اسمع كلام الرسول، لأننا أحيانًا نتيجة عدم اهتمامنا بالكتاب المقدس نفقد العلاقة بين الإيمان الرسولي المدون في الأناجيل الأربعة وبين إيماننا المسيحي: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ (لأن الذي يوصلك للمسيح هو الروح القدس) وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ ... وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ (الرب المحيي)". قوة الحياة التي في يسوع المسيح تُعطى لنا، لأجل ذلك "لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: "يَا أَبَا الآبُ" اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ (نرث الله ليس بمعنى أن الله سيموت، بل نرث الملكوت الأبدي مع المسيح، بمعنى أنني أخذت هذا المجد الإلهي)، وهو الكلام الثقيل جدًا على آذان لم تعتاد سماع كلام النعمة في هذا الجيل، وهو الكلام الموجود في إنجيل يو ١٧.

مصير نبوات العهد القديم الخاصة بشعب إسرائيل

ما الذي يمكن أن يترتب على انتفاء الأصل العرقي، وانفتاح الحدود الجغرافية، والولادة الجديدة، والعهد الجديد، والوسيط الجديد؟

هناك اتجاهان في كتابات الآباء؛ الأول -يمكن أن يكون صعبًا لكن يجب أن يُقال- يرى أن جميع النبوات في العهد القديم قد خُتمت وتمت بتجسد الله الكلمة. والاتجاه الثاني يرى أنه من الممكن أن تتم نبوة من النبوات مرتين، كيف؟ قالوا إن النبوة ممكن أن ترد في موقعين مختلفين، وبالتالي تتحقق مرتين. طبعًا أنا أرفض هذا التفسير، وإنما أنا أقوله دون أن أكون على قناعة به، بل أقوله لأنه موجود في التفسيرات القديمة والجديدة. طبعًا أنا قرأت هذا الكلام في كتب كثيرة كتبها أساتذة العهد القديم في العصر الحديث والوسيط وأواخر عصر الآباء، ولكني أرى أنه لا يمكن أن يكون هذا الكلام صحيحًا وأن هناك نبوةً تتم مرتين، لماذا؟ لأسباب كثيرة، ولكن يوجد سبب مهم جدًا عندي، **ألا وهو أن تدبير الله لم يعد يتم بالمرة عن طريق تحريك أحداث سياسية معينة**. فالله كان يحمي بني إسرائيل حتى مجيء المسيح، ولكن بعد مجيء المسيح انتهى دور إسرائيل في الخلاص، ولذلك **كل الكلام عن إسرائيل الحديث الذي ظهر في ١٩٤٨ هو كلام سياسي، ولا علاقة له بالعهد القديم**. فعندما تأتي بنصوص من هوشع ومن حزقيال .. إلخ، أقول لك إن كل هذا الكلام على رأسي من فوق، لكن الله اليوم يتعامل مع الجنس البشري قاطبةً، وليس مع شعبٍ دون آخر، لماذا؟ لأن لدينا حقيقة في الإيمان الرسولي لا يجب أن ننساها، ألا وهي أن المسيح يسوع رب المجد هو طبعًا من نسل إبراهيم، بحسب ما هو موجود عندنا في سلسلة الأنساب في إنجيل متى ولوقا على اختلاف تسلسلهما، لوقا يعود بنسب المسيح إلى آدم، ومتى

يعود بنسب المسيح إلى إبراهيم، طبعًا هذا على ميلاد الرب يسوع المسيح بالجسد، **ولكن فيما بعد حدث شيءٌ مهم جدًا، وهو أن هذا الجسد الذي أُخذ من العذراء القديسة مريم بالروح القدس الذي هو حسب الانتماء العرقي من إبراهيم ومن داوود، ويهودي، عندما صُلب على الصليب مات، ولما قام، قام بكونه آدم الجديد**، وهذا الكلام ليس من عندياتي ولكنه من عند ق. بولس الذي يقول في أفسس ٢: ١١: "لِذلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلًا فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلاَ إِلهٍ فِي الْعَالَمِ. وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ (لأن اليهود كانوا قد بنوا حائطًا يمنع دخول الأُمم هيكل سليمان، وكان مكتوبًا على هذا الحائط أن مَن يعبره يُقتل لأنه نجس، فالمسيح نقض هذا الحائط -السياج المتوسط-) أَيِ الْعَدَاوَةَ. (جاعلًا الاثنين واحدًا، فكيف حدث ذلك؟) مُبْطِلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ (أي أنه أبطل دور الشريعة، وقد أضاف الرسول في ذات السطر:)، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِه (أي أنه في كيانه الإلهي المتجسد يخلق إنسانًا جديدًا) إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا (لا هو يهودي ولا هو أُممي، بل آدم الجديد، لأن آدم الأول لم يكن يهوديًّا ولا أمميًّا)، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ (**إذن فهناك إنسانٌ جديدٌ كُوِّن نتيجة القيامة، لأن الإنسان الأول صُلب ومات، لكن عندما قام، انتهى الأصل العرقي بالموت، ويبدأ الأصل الروحي بالقيامة**، وهذا معناه أن كل ما كان يتصل بالأصل العرقي انتهى. العهد انتهى، والهيكل انتهى، والذبائح انتهت.

وهنا يجب أن نلتفت بانتباه إلى الكلام الوارد في كورنثوس الأولى ١٥: ٤٥ - ٤٩

عن آدم الجديد: "صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً (أي كائن حي)، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا، لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلًا بَلِ الْحَيَوَانِيُّ (أي البشري)، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ. الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ (أي حدث تغيير في الطبيعة الإنسانية بسبب القيامة) ... وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ (أي أننا هنا أمام الإنسان الجديد آدم الأخير، روحًا محييًا)". ولذلك أنا أقول إنني لا أستطيع أن أقبل الرأي القائل بأن النبوة تتحقق مرتين، لسبب بسيط، وهو أننا أمام آدم الجديد الذي خلق جنسًا جديدًا، الذي خلق انتماءً بالروح القدس، الذي نقل العبادة إلى الروح والحق، الذي ألغى الحدود الجغرافية. ولذلك، القصص التي نقرأها في العهد القديم لن تحدث في العهد الجديد، لن تحدث، سدوم وعمورة والطوفان، كل هذه أمور خاصة بعهد الطفولة وقد انتهت بلا رجعة. لم يعد للشريعة الدور العقابي الذي كانت تقوم به في العهد القديم؛ لأن الإنسان كان طفلًا، إنما أصبح الإنسان الآن في عهد النعمة، العهد الأفضل، العهد الأعظم، ولذلك هو يعرف المجد الذي له في يسوع المسيح، وعندما يعرف هذا، فإنه يتمتع بحرية أولاد الله، وسوف يجلس مع المسيح على كرسي مجده كما يقول الرب يسوع في سفر الرؤيا ٣: ٢١ "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" فهذه هي النهاية الجميلة المجيدة الأبدية التي للإنسان في يسوع المسيح.

ما المقصود بتعبير "يوم الرب" في نبوات العهد القديم؟

في قراءات أسبوع البصخة، والتي نطلق عليها في الكنيسة مُسمى النبوات، وهي كثيفة جدًا، ستجد أن يوم الرب له ثلاث معاني: ١- يوم رفض المسيح ودينونة إسرائيل. ٢- ويوم صلب المسيح على الصليب. ٣- ويوم قيامة المسيح.

وهذا الكلام موجود عند ق. كيرلس الأورشليمي وعند ق. كيرلس الكبير وعند ذهبي الفم. "يوم الرب" هو اليوم الذي يُستعلَن فيه المسيح كفادي ومخلص لبني إسرائيل، ورُفض من البعض وقُبل من البعض. "يوم الرب" هو الاستعلان الموجود في القراءات الخاصة بأسبوع الآلام الموجودة في جميع الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية أيضًا. أنا شخصيًا أميل إلى هذا الاتجاه، لأن "يوم الرب" هو أيضًا يأتي بمعنى يوم الدينونة، أي اليوم الذي سيأتي فيه الرب ليدين المسكونة بالعدل. "يوم الرب" هو يوم المسيح، لأن "الرب" هو اللقب الرسمي للمسيح يسوع في العهد الجديد بالذات.

وأنا هنا لديَّ استدراك، لا أريد أن تذكر العهد القديم كمفسر للعهد الجديد، إنما العكس، العهد الجديد هو الذي يفسِّر العهد القديم، لأن الرسول يقول عن الناموس إنه له ظل الخيرات المستقبلة أو العتيدة، **فالظل لا يشرح وجود النور، بل النور هو الذي يشرح وجود الظل، فالمسيح هو النور الذي يشرح وجود الظل، ولذلك يجب أن نبتدئ بالنور الذي هو المسيح لكي نفهم الظلال**، لكن عندما أُطبِّق الظلال على النور ومن خلال الظلال أشرح النور، أجد أن هذا اتجاه عكسي لما جاء في العهد الجديد، لأنني كمسيحي -أولًا وأخيرًا- أنا ملتزم بالإعلان الإلهي: "اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ" (عب ١: ١ - ٢)، فالكلام القديم الذي قيل بأنواعٍ وطرقٍ شتى يجب أن يُفهم في ضوء "كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ". لذلك أنا مُلزم بهذا الاتجاه، وهو الاتجاه الذي أسير عليه، فإذا كان لك رأي آخر، فأنت حر، لكن دعني أقول لك أنك وأنت تتمتع بهذه الحرية في المسيح، إن اعتقدت أن مازالت هناك نبوات سوف تُطبَّق على الكنيسة، أو على الأيام المستقبلة، فسوف تخسر أمرين؛ **الأول** هو أن ما هو مستقبلي في العهد الجديد هو نمو كل إنسان مسيحي لكي يكون صورة الله

في يسوع المسيح، **والثاني** هو أنك ستخسر الوعي بعمل الروح القدس في الكنيسة، وتجد نفسك في النهاية متعلقًا بالنبوات. أنا لي بهذا الشأن موقف متحفظ، وأقول إن الزمان كفيل أن يبيِّن مَن على صواب ومَن هو على خطأ.

لنحفظ العهد والوسيط والخدمة والمسكن، ونتطلع إلى أن نتذوق مواعيد الله العظمي بالرب يسوع المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الفصل السادس

ما هو الفرق بين العهد القديم والعهد الجديد؟[١]

الفروق الأساسية التي يجب أن ننتبه إليها بين العهد القديم والعهد الجديد عندما نقرأ الكتاب المقدس هي فروق في غاية الأهمية. وعندما أقول ذلك، فأنا لا أقصد إثارة الفكر أو المبالغة، ولكن أقصد بشكلٍ خاص الانتباه إلى الأساس المسيحي الذي يجب أن نعود إليه؛ لأن أي خطأ في الممارسة، هو خطأٌ في التدبير. أيُّ خطأٍ في الممارسة يطوِّح بنا بعيدًا عن الهدف الذي جاء من أجله الرب يسوع، وبالتالي فهو خطأٌ في التعليم يؤدي بنا إلى الابتعاد عن الهدف المطلوب، أي الحياة الجديدة التي جاء بها الرب يسوع المسيح له المجد، وهو هدف أبدي، وليس مؤقتًا.

العهد بين الله والشعب هو أساس العهد القديم

العهد القديم كان قائمًا على المواعيد التي قيلت لأب الآباء إبراهيم؛ الوعد بالبركة، وإكثار النسل، وامتلاك الأرض. ثم أُضيف إلى هذا المواعيد الشريعة الموسوية، والكهنوت والذبائح. الكهنوت والذبائح في شريعة موسى كان المقصود منهما أن يعطيا مكانًا لتحقيق المواعيد الإلهية بالبركة وامتلاك الأرض، ولكن حدث أن جاءت المملكة مع الشريعة، وأنا هنا لا أُلخِّص العهد القديم، وإنما أريد فقط أن أضع المحطات الأساسية التي تبيِّن لنا أن هناك ارتباطًا كاملًا ووحدةً كاملةً بين المواعيد التي قيلت لإبراهيم، مع ملاحظة أن

(١) محاضرة منشورة على موقع coptology.com بتاريخ ٧ أغسطس ٢٠١٤. راجع أيضًا الفصل الرابع عشر بعنوان "الفرق بين العهدين" [المحرر]

هذه المواعيد كانت عن الأمم، ولم تكن عن بني إسرائيل. وأن الوعد بالبركة كان عن الجنس البشري ولم يكن عن بني إسرائيل. وأن امتلاك الأرض كان من أجل تحقيق المواعيد، وليس من أجل قيام المملكة. لكن الله في محبته قال لصموئيل النبي إنهم لا يريدون أن أملك عليهم، فدعهم يُقيمون مملكةً، وأقاموا المملكة بالفعل، ولكن هذه المملكة اندثرت وانتهت. قامت مرتين ابتداءً من داود وانتهت. وعادت مرة أخرى مع حكم المكابيين الذي انتهى باحتلال الرومان لأرض فلسطين. هاتان هما المملكتان، لكن هاتين المملكتين لم يكوِّنا أية إضافة لا للمواعيد ولا للبركة ولا للأرض. فعندما قامت المملكة، كان هناك ملوكٌ أردياء وأشرار أدخلوا العبادة الوثنية، فأقام الله الأنبياء، أي أن وجود الأنبياء أصلًا كان من أجل قيادة الشعب قيادة روحية من أجل تحقيق مُلك الله، لكن الله استُبعد كملك، وأصبح هناك ملكٌ، فلما دخل المُلك الأرضي، أصبح النبي يُقام من الله لكي يُعيد حفظ الشريعة وحفظ الناموس، وقد بنى سليمان الهيكل، وإن كان قد هُدم مرتين وأُعيد بناؤه.

عرضنا هنا للجانب التاريخي.

جوهر العهد بين الله والشعب

أمَّا ترتيب العهد القديم في جوهره اللاهوتي، شعبًا ووصايا وعبادةً وكهنوتًا وذبائح، كل هذه العناصر تقوم على مبدأ واحد: احفظ العهد تنال البركة، تنقض العهد تحدث لك مصائب؛ الجراد والأمم يغيرون عليكم وعلى أرضكم. ونحن نعلم أن السبي حدث مرتين لأنه قد حدث كسرٌ للعهد.

إذن، فالعهد الأول قابل للكسر، ومن يكسره هم البشر وليس الله. وعندما يكسر البشر العهد، ينفِّذ الله الاتفاقية التي يقول عنها أشعياء النبي: "إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ" (إش ١:١٩ - ٢٠)، أي سيف الأمم، والغرباء يتسلطون عليكم، فالعهد قابل

للكسر، وهو بمثابة معاهدة بين طرفين. يمكنني أن أعطيكم مثلًا من التاريخ السياسي الحديث، معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، فالطرفان ملزمان بأمور معينة، فإذا أمكن لطرف أن يلغي المعاهدة، عندئذٍ تسقط المعاهدة ونعود إلى الوضع الذي كان موجودًا قبل معاهدة السلام، وهو العودة إلى الحرب. هذا تشبيه قريب جدًا من الواقع التاريخي واللاهوتي للعهد القديم.

الرب يسوع الإله المتجسد هو أساس العهد الجديد

في العهد الجديد، وهذه هي النقلة الأساسية التي يجب أن ننتبه إليها، العهد الجديد لم يأتِ نتيجةَ أيِّ عملٍ إنساني، لم يكن هناك إبراهيم ولا بركة ولا أرض، ولكن جاء ابن الله وأخذ جسدًا من القديسة مريم والدة الإله، **فأصبح العهد الجديد قائمًا على شخص يسوع المسيح رب المجد الإله المتجسد، وهو بنفسه يمثل طرفي العهد بكونه الوسيط بين الله والناس.** ولذلك لم يعد هناك شعب بالمفهوم القديم، لكن حلَّت الكنيسة جسد المسيح محل الشعب. وهنا يجب أن ننتبه إلى الفرق بين الشعب بالانتماء العرقي لبني إسرائيل، وبين جسد المسيح الكنيسة، أي الانتماء العضوي لحياة جديدة، ولتكوين حياة جديدة فيما نسميه بالكنيسة. وكما لم يعُد هناك شعب بالمفهوم القديم، كذلك أيضًا ليس هناك كهنوت يخدم حسب الشريعة، وهذه هي النقطة الخطيرة التي سوف نتناولها باستفاضة في هذه المحاضرة؛ الكاهن في العهد القديم ملزم بخدمة معينة وطقوس معينة لا يمكن أن يضيف إليها أو يغيِّر فيها. أما الطقوس المسيحية الأرثوذكسية فمختلفة؛ الطقس القبطي شيء والأرمني شيء والسرياني شيء والروم شيء والأحباش الذين هم أصلًا من أولادنا، مختلفين عنا تمامًا. وخدمة الكهنوت في العهد القديم هي خدمة حسب الشريعة، أما خدمة الكهنوت في العهد الجديد فهي خدمة حسب يسوع المسيح. ففي العهد الجديد، الكاهن المقام من الله، ليس من سبط

لاوي كما في العهد القديم، وهذا هو الموضوع الذي استغرق في كتابته القديس بولس عدة أصحاحات من الرسالة إلى العبرانيين، ابتداءً من ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ أي أن لدينا عدة أصحاحات خاصة بكهنوت المسيح والذبائح.

انتفاء العلاقة بين ذبائح العهد القديم وذبيحة الرب يسوع المسيح

في أصحاح ١٠ يقول الرسول بولس إن ذبائح العهد القديم كلها لا علاقة لها بذبيحة الرب يسوع المسيح، وهذا ليس استنتاجًا من عندياتي، لأنني كمسيحي أرثوذكسي -والأرثوذكسية تؤخذ من شهادة التاريخ الكنسي بصحة الإيمان الذي أؤمن به ومن الحياة المسيحية التي نحياها- لا أستند إلى رأيٍ خاص، بل إلى التسليم الرسولي. فماذا يقول القديس بولس في عبرانيين ١٠ عن هذا الموضوع؟ يقول إن "النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ (الآتية، أي أن الناموس أو الشريعة هو ظِل، بمعنى أنك عندما تضع يدك أمام مصدر النور، فإنك ترى ظل يدك على الحائط، وهذا الظل ليس هو يدك) لاَ نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ (الكلام التالي مهم جدًا) لاَ يَقْدِرُ أَبَدًا (أنا راجعت هذه الترجمة على الأصل اليوناني والقبطي ووجدت أنها دقيقة جدًا) بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ (لا يستطيع أن يكمِّل، أي لا يستطيع أن يصل بالعلاقة الإنسانية الإلهية إلى كمالها، لأن الذبائح تُعاد في كل سنة، فكون أنها تُعاد معناه أنها ضعيفة) وَإِلاَّ، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ (في كل مرة أنت تقدمها فأنت تؤكد ضعفها) مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، (أي الكهنة) وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لاَ يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا (أي أن الكاهن يتطهر عند تقديم الذبيحة نتيجة إحساسه بالخطية، فكونه يتطهر في كل مرة يقدم فيها الذبيحة يعني أن إحساسه الداخلي بأنه خاطئ يؤرِّقُه، وهو يتطهر لأنه يريد ألَّا يشعر في داخله بأنه خاطئ. غير أنه عندما يقدم الذبيحة لا يمكنه أن يقدمها دون أن يتطهر، لأن إحساسه بأنه خاطي يدعوه للتطهر، فيمكنه أن يقدم).

لكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا (**إذن، عملية تقديمه للذبيحة ذاتها هي التي تُعيد إليه إحساسه بأنه خاطئ، وبالتالي تُعيد إليه إحساسه بضرورة التطهر، وهكذا يدخل في دائرة مفرغة، أي أنه في كل مرة يقدم فيها الذبيحة، فإنه يذكر خطاياه، وتطهُّره لا يعني إلَّا أنه مازال خاطئًا**). لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا (لماذا لا يرفع دم الثيران والتيوس خطايا؟ لأنه يفتقد إلى قوة الحياة، وهذه هي النقطة التي سقطت من التفاسير حتى عند الأخوة البلاميس، وغابت أيضًا عن أبونا متى المسكين أيضًا، وإن كان ذلك لا يُقلل من ابداعه في شرحه الرسالة إلى العبرانيين، **ذلك أن رفع الخطية يعني أن يُرفع معها الموت أيضًا، لأن الخطية دخلت العالم ودخل معها الموت، ولذلك عندما تُرفع الخطية، يُرفع معها الموت أيضًا. فإذا كان الأمر هكذا، فكيف إذن يمكن لدم حيواني أن يعطي حياةً لإنسان يُقدِّم ذبيحةً حيوانية؟** طبعًا لا يمكن، لأن الإنسان يحتاج إلى شيء يرفع عنه الخطية ويرفع مع الخطية الموت، وهذا هو ما يقوله الرسول بولس في كولوسي: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا" (كو٢: ١٣). "لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ (أي عند مجيء الرب يسوع متجسدًا) يَقُولُ "ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. (والكلام هنا على لسان الرب يسوع، وهو ما يجب أن ننتبه إليه، **وبالتالي إذا كان الرب يسوع بنفسه يقول: ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، فكيف أتجاسر أنا الإنسان الذي يحتاج لنعمة المسيح أن أُضيف ممارسات جسدانية لم يقل بها، بل بالعكس قال ما هو عكسه؟**): بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. (وهذه هي ذبائح العهد القديم كلها) ثُمَّ قُلْتُ (أي المسيح له المجد): هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ" (لماذا؟ لأن فعل المشيئة، وليس ما يقوم الإنسان بعمله من ممارسات، هو الذي سوف يرفع عصيان الإنسان). إِذْ يَقُولُ آنِفًا: "إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا". الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ

(أي أن كل العهد القديم، كل هذا الكلام انتهى، لأن الله لا هو يُسَر بها ولا هو يريدها). ثُمَّ قَالَ: "هنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ". يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ" (عب ١٠: ١ - ٩). وهو "يَنْزِعُ الأَوَّلَ"، لأنه ظِلٌّ، وقد قلنا سابقًا إن الظِّل لا يشرح النور، أي أن ظِل يدك على الحائط ليس هو سبب وجود يدك، ولكن يدك والنور هما سبب وجود الظِّل، أي أن الحقيقة هي سبب وجود الظِّل، ولذلك فإن الاستمرار في الكلام عن الظِّل (أي الممارسات) والتمسك به وكأنه حقيقة هو نوعٌ من الخلل في الرؤية وفي الإيمان. **ولأن الظل لا يشرح النور، فليس هناك ذبيحة من ذبائح العهد القديم لها علاقة بذبيحة المسيح على الإطلاق. الذبيحة الوحيدة التي فيها رمز بسيط لذبيحة المسيح هي ذبيحة الفصح، لأنها كانت عبورٌ من الموت إلى الحياة، ورفع الموت، أمَّا دم التيوس والثيران فلا يرفع الخطية، ولذلك جاء العهد الجديد بهذا التغيير الخطير.**

كهنوت الرب يسوع ليس بحسب وصية جسدية

وفي الإصحاح ٧ من الرسالة إلى العبرانيين يقول معلمنا الرسول بولس: "فَلَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ - إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ النَّامُوسَ عَلَيْهِ (أي أن شريعة تقديم الذبائح، مع الشريعة التي أُعطيت لموسى هي التي دخلت في خدمة الكهنوت) - مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ؟ وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ. لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا. (عندما يتغير الكهنوت تتغير الشريعة أيضًا، ماذا يعني ذلك؟ الكاهن في العهد القديم ملزم بطقس يجب أن يتممه، لذا عندما تأتي بكاهن من خارج هذا الطقس ومن خارج الطقوس الموسوية، ويدخل في خدمة جديدة، فإن هذا يعني أن الناموس القديم كله أصبح غير قادر على أن يتلاءم أو يتناغم مع الخدمة الجديدة) لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هذَا كَانَ شَرِيكًا فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ. فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ

مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ ... قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ" (عب ٧: ١١ - ١٦). أي أن كهنوت الرب يسوع ليس بحسب وصية جسدية؛ أي وصايا الاغتسال والتطهير ورش الدم وذبح الخراف بطريقة معينة طبقًا للاويين والتثنية... إلخ، وذلك لأنه لا يقدم شيئًا آخر غير حياته، وهنا المفصل بين العهدين، أي "لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ"، (وهي القوة الجبارة في العهد الجديد التي أزالت الموت واللعنة، وزرعتنا في الحياة الإلهية)، فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا(١)، إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا ... وَأُولئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ من أَجلِ مَنْعِهِمْ بِالْمَوْتِ عَنِ الْبَقَاءِ" (عب ٧: ١١ - ٢٣).

وفي عب ٨ يقول الرسول بولس: "أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ (أي أنه ما زال يخدم كرئيس كهنة) الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ (لأن خيمة الاجتماع عملها البشر، لكن المسكن الحقيقي نصبه الرب، ألا وهو التجسد الإلهي، فالمسيح إلهنا أدخل حياةً جديدةً).

الممارسات الجسدية، هل تؤهِّلنا للنعمة؟

هنا يجب أن نتعرض لما يثور في التطبيق العملي في التدبير، أي السلوكيات، وهذه تحتاج منا إلى مراجعة شاملة. لذا سوف نضع العقيدة

(١) هذه العبارة قالها لي أبونا مينا المتوحد بهذا النص عندما قلت له إنني لم استحم ولذلك لن أستطيع أن أصلي معك القداس، فقال لي: هل الاستحمام يطهر الإنسان؟ هل أنت مسلم أو يهودي؟ هل التطهير الذي أخذته في المعمودية كان بالمياه؟ أليس بالروح القدس؟ ألم نقُل توًّا في صلاة الساعة الثالثة: "وطهرنا من كل دنس أيها الصالح"؟ فقلت له: أنا باتكلم على قدر فهمي، فقال لي: فهمك غير مسيحي، ولكنه لم يطردني، بل أحضر التونية ورشمها وقال لي ألبس أخدم، لأننا يا ابني داخلين نبع التقديس لكي نتطهر طهارة أبدية، وليست طهارة جسدانية تزول.

بغض النظر عما يقوله الأشخاص، لأن هناك أمورًا لا يمكن أن نتراجع عنها أو نقلل من أهميتها لمجرد أن شخصًا ما -أيًّا كان هذا الشخص- قال بغير ذلك. ما هو المقصود بالتطبيق العملي؟ أشير هنا إلى بعض الممارسات التي يصر عليها البعض في الحياة الكنسية، بحيث يبدو وكأنه يعيد وضع وصية جسدية في العهد الجديد، كضرورة الصوم قبل التناول، أو ربط الاعتراف بالتناول .. إلخ. وهنا يثور التساؤل: **هل الصوم يؤهِّل الإنسان لقبول النعمة؟ أبدًا، الصوم يحفظ النعمة، ولكنه ليس مصدرًا للنعمة.**

إذا كانت الطقوس مصدرًا للتطهير في العهد القديم، فإن ما نتحدث عنه من ممارسات كنسية ليست مصدرًا للنعمة في العهد الجديد. **فنحن لا نصوم لكي نؤهَّل للتناول، وإنما نصوم تفضيلًا للطعام السماوي على الطعام الأرضي فقط، وهو موضوع يدخل في إطار المحبة والاستحسان،** فهناك من يصوم يوم أو اثنين أو ثلاثة أو أسبوع، وهناك من ليس قادرًا على الصوم، والرب يسوع قال: متى صمت، أي صم على قدر ما تستطيع. فإذا حدث أن منع الأب الكاهن أحد المتناولين عن التناول من شركة جسد الرب ودمه لأنه لم يصم، فيكون كمن وضع وصية جسدانية خاصة بالطعام، يقول عنها الرسول بولس "الأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ وَالْجَوْفُ لِلأَطْعِمَةِ، وَاللهُ سَيُبِيدُ هذَا وَتِلْكَ" (١ كو ٦: ١٣). كذلك قد يقول الأب الكاهن إن مَن لم يعترف لا يتناول، في حين أنه لا علاقة بين الاعتراف والتناول، إنما يتوجب عليك الاعتراف إن كنت مثقلًا بخطيةٍ ما وتريد إرشادًا روحيًا، لأن مَن يحل الخطية ليس الأب الكاهن، بل الحِل من الرباطات هو عمل الروح القدس وعمل الرب يسوع المسيح[١].

ولذلك، وبناءً على ما تقدم، فإن إلزام الإنسان بأداء ممارسات معينة يُظن

---

(١) راجع د. جورج حبيب بباوي، غفران الخطايا حسب تسليم صلواتنا الكنسية القبطية الأرثوذكسية، مقال منشور على موقع coptology.com بتاريخ ٢٦ أغسطس ٢٠١٣، وصدر عن دار جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٥ [المحرر]

أنها تؤهِّله للتناول، أو ليبقى في الشركة مع المسيح، مع أنه ليس من المفروض عليه أن يأتي عملًا ما، فإن ذلك وكل ما قيل عن التطهيرات الجسدية والمرأة الطامث والأصوام والتوبة والاعتراف، كل ما قيل من أوله إلى آخره، كله يعود بنا إلى التهود، وهو تهوُّدٌ ليس مصدره اليهودية، إنما مصدره الشريعة الإسلامية لأننا نقلد المسلمين أحيانًا كثيرة.

قال لي أحدهم إن الأب الكاهن يقول إن الصلاة عندنا في الأرثوذكسية لا تجوز دون الشفاعة، (وهنا ألفت النظر إلى طريقة استخدام المفردات "تجوز أو لا تجوز" هي بالضبط مثل حلال أو حرام في الإسلام، ولكن الكلمات مختلفة)، فقلت له: **إن الصلاة في الأرثوذكسية هي نداء قلبك كابنٍ لله بعطية التبني.** أما الشفاعة فهي مسألة اختيارية: إذا كنت تحتاج إلى أن يصلي معك القديسون والملائكة، فاطلب المعونة الإلهية من الله، واطلب من الملائكة ومن السيدة العذراء ومار جرجس أن يصلوا معك، لأنهم في شركة مع الثالوث، وأنا وأنت في شركة معهم، وفي كل مرة نرجع للشركة في الثالوث لا نكون بمفردنا، وإنما في معية أمنا القديسة مريم، ومار جرجس، ومع الملاك ميخائيل. وإنكار الشفاعة معناه أنني إنسان فرداني منفصل عن الكنيسة. ولذلك عندما نكون في معية الملائكة والقديسين، فنحن هنا في عمق الارثوذكسية وفي جوهرها. اليوم كنت أُطالع العظة ٢٠ على كورنثوس الثانية للقديس يوحنا ذهبي الفم، فوجدته يقول: إن **المذبح في الكنيسة هو أنت وأنا، لأن المذبح هو جسد المسيح، وأنا وأنت جسد المسيح، هذا هو المذبح الحي الناطق السماوي، أي المؤمنين كلهم، والذي جعلك مذبحًا هو جسد المسيح الذي أخذته في الإفخارستيا.**

الأساسات التي تقوم عليها حياتنا في المسيح

المشكلة الحقيقة التي يجب أن نحترس منها هي أن نقع في تعليم خاص

بحركة التهود، فنظن أن هناك ممارسة تُؤهِّلنا لنعمةٍ ما، أو أن ننظر إلى المذبح أو إلى أيٍّ من أدوات الخدمة على أنها أقدس منا، وهو أمرٌ ضد الإيمان ويبعدنا عن الوحدانية التي تجمعنا بالمسيح له المجد وبالمذبح وبالأيقونات وبكل ما هو مُعطى من الثالوث القدوس. هذه الوحدانية لست أنا مصدرها، وإنما مصدرها تجسد الرب يسوع. ولذلك، ولكي لا يكون كلامنا عامًا ولا يستند إلى أساسات ثابتة، نذكر أربع نقاط فيما نحن نتكلم عنه باسم الاتحاد الأقنومي:

١- **اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح لا يسمح بانفصال المؤمن عن الرب يسوع**، ففي رومية ٨: ٣٥ يقول الرسول بولس: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟"، وفي التطبيق العملي لا يسمح الاتحاد الأقنومي بوجود وسيط أو وسيلة تكون سببًا لهذا الاتحاد، لماذا؟ لأنه أصلًا موجود في المسيح، ولأنك متَّحد بالرب يسوع المسيح إلى الأبد. قد يقول لك فكرك غير ذلك، وشعورك قد يقول لك غير ذلك، وخطيئتك قد تقول لك غير ذلك، وقد يقول لك الأب الكاهن غير ذلك، نعم هذه الأمور تطفو على السطح الإنساني، ولكنها ضد الإيمان طبعًا، ودليلنا على ذلك أن الابن الضال عندما عاد إلى البيت وقال لأبيه اجعلني أحد أجرائك، لم يوجِّه له أبوه أي لوم، بل ألبسه الحلة الأولى ووضع خاتمًا في يده وحذاءً في رجليه، وذبح العجل المسمن وصنع وليمةً، وبالتالي لم يفقد الابن هنا محبة الآب، بالرغم مما بداخله من إحساس بأنه خاطي ولا يستحق أن يكون ابنًا.

إذن، فقد تقول خطيئتنا شيئًا، يقول الإيمان شيئًا آخر عكسه تمامًا، وهنا علينا أن نتمسك بالإيمان وبمحبة المسيح. ولذلك، الاتحاد الأقنومي في التطبيق العملي لا يسمح لي بأن أستسلم إلى كل ما يُدخِل إلى قلبي اليأس أو الخوف أو التردد، ويجعلني أشعر بأنني بعيد عن المسيح، لأنه لا أحدَ بعيدٌ عن المسيح.

٢- **الاتحاد الأقنومي يعني أن النعمة أقوى من الخطية**، ومصدر هذا هو القيامة من بين الأموات في يسوع المسيح. **لأن الموت أُبيد واللعنة أُبيدت والدينونة رُفعت، وبالتالي لا شيءَ يمنعني من الاتحاد بالمسيح.** قد يقول لي فكري وخيالي كلامًا غير هذا، نعم طبعًا، وقد تكون لديَّ خطية قديمة أنا مُستَعبد لها تقول لي غير هذا، لكن **الاتحاد الأقنومي يؤكد لي أن نعمة الله أقوى من الخطية**، وأنني فقط أحتاج إلى أن أعود إلى ينبوع النعمة الرب يسوع.

٣- **ولأن الاتحاد الأقنومي هو اتحاد أبدي**، لذلك فإن الخوف من الموت الذي يسميه الأب صفرونيوس بالداء الخفي[1]، والذي لا يمكن لإنسان أن يتخلص منه لأنه موجودٌ في قلب الإنسان يعكر عليه صفو حياته، هذا الخوف من الموت يُحارَب بالإيمان، يُحارَب بالذي قام، أي بقوة القيامة التي أخذناها في يسوع المسيح.

٤- **يجب أن ننتبه إلى نعمة التبني** التي لم نعد نتكلم عنها، ويسود لدينا التعليم بأن التبني علاقة شرفية، بحجة أن الله في العهد القديم كان أبًا لإسرائيل، وهذا صحيح طبقًا لسفر أشعياء، ولكن القائلين بالعلاقة الشرفية هذه ينسون أن الله كان أبًا لبني اسرائيل لأنه خلقهم. **أما في العهد الجديد، فليس الله أبًا لبني اسرائيل، ولكن لكل الجنس البشري، وليس لأنه خلقهم، بل لأنه أدخلنا في علاقة بنوة في يسوع المسيح**، ولأن يسوع ابن حقيقي للآب، فبنوة الابن للآب ليست بنوةً شرفيَّةً، ولكنها بنوة حسب الجوهر لأن الابن مولود من الآب قبل كل الدهور. ولذلك عندما نأخذ نعمة التبني، فنحن نأخذ تبنّيًا حقيقيًّا وليس علاقةً شرفيه، بل علاقة كيانية. ولذلك يحبنا الله الآب كما يحب ابنه، ونحن عند الآب السماوي مساوين للمسيح، والدليل على

---

(١) راجع الأب صفرونيوس، الخوف، أنواعه وعلاجه في الحياة الروحية، جذور للنشر، القاهرة، طبعات متعددة [المحرر]

ذلك، والذي يوضح الفرق بين العهدين هو كلام الرب يسوع في يوحنا ١٧ حيث يقول الرب يسوع المسيح: "وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو ١٧: ٢٦). أي أن الحب الذي تُحبني به أيها الآب هو ذاته يكون فيهم، "الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ"، **وعندما يكون المسيح فيَّ فالآب يُحبني مثلما يحب الابن**، فهل يمكن أن تكون هذه العلاقة هي علاقة شرفية؟ لا أبدًا. ولكن الاتحاد الأقنومي أعطانا نعمة البنوة التي لا نريد أن نتكلم عنها، لأنه إذا آمن كلٌّ منا بالفعل بأن الكنيسة هي جسد المسيح، لتصرَّفنا مع بعضنا البعض بشكلٍ آخر. ولو آمنا بالفعل بأن الكنيسة هي أبناء الله، لتعامَل بعضنا البعض باحترام فائق لأن المسيح فيَّ وفيك، ولكن إذا أُخفي التعليم الصحيح عمدًا، فسوف ينمو القهر والاستبداد والاستخدام المزيف للسلطة، طبعًا.

لكن ماذا يقول الإيمان؟ الإيمان يقول لا أجعلك كأحد الأجراء، ولكن سأعطيك الثوب، وأضع في يدك الخاتم، وأُعيدك إلى رتبتك وأجعلك ملكًا، تجلس عن يميني في العظمة "وأجلسنا معه في السماويات" كما يقول الرسول بولس. **قال لي أبونا مينا: عندما ترشم الصليب وتنقل يدك من الشمال إلى اليمين، عندئذٍ تكون واقفًا عن يمين الآب، كما نقول في التسبحة السنوية: عند مجيئك لتدين العالم احسبنا مع خرافك الذين عن اليمين، لأننا عندما نضع أيدينا على الناحية اليمين، فذلك لأننا أصبحنا عن يمين الآب منذ أن أخذنا المعمودية.**

إذن، قد تقول حياتك اليومية لك شيئًا، والإيمان يقول لك شيئًا آخر، ولكن عليك أن تصدق ما يقوله لك الإيمان، لا ما تقوله لك حياتك اليومية، لأنه لا حياد بين الأمرين وإلَّا فالخراب آتٍ لا محالة. لماذا؟ يجيبنا عن هذا السؤال داود في مواجهته لجليات، فلو كان داود قد نظر إلى سلاح جليات من رمح

ودرع، لكان مات قبل أن يضع حجرًا في المقلاع، ولكنه قال له أنت تأتي بسيفٍ ورمح وأنا آتيك باسم رب الجنود، وهذا هو الإيمان. داود لم يحارب جليات كعسكري، بل حاربه كراعي غنم، لو كان حاربه كعسكري لكان داود قد صار أشلاء، وإنما كراعي غنم بحث عن أضعف نقطة في تسليح جليات وضربه في رأسه، فنفذ الحجر إلى رأسه فمات وقطع رأسه.

إذن، فلنحذر أيها الأخوة من التعليم المزيَّف لأن ما يُدخِل اليأس في قلوبنا ليس هو الإيمان، بل التعليم المزيَّف الذي يبتغي أن يقلع الإيمان من جذوره. ولذلك يجب أن ننتبه إلى أن التعليم المزيَّف يجعلني أولًا أظن أن هناك فريضة جسدانية تؤهلني لأن أكون ابن الله.

ويجعلني **ثانيًا**: أظنُّ أن هناك مصدرًا للنعمة غير المسيح، ولذلك قد نظن خطأً أن الطقوس هي مصدر النعمة في حين أن **الطقس أصلًا يُعلن ويثبِّت النعمة، لكنه ليس هو النعمة، النعمة هي المسيح.**

ويجعلني **ثالثًا**: أظنُّ وهمًا وخطأً وخيالًا وسوءَ ظن أن الذي في قلبي هو معيار الحقيقة، **ولكن معيار الحقيقة هو ما جاء به المسيح.**

ويجعلني **رابعًا:** أن أظن أنني بعيدٌ عن الله، وكلنا نعاني من هذا، لكن الإيمان يقول لي غير ذلك، الإيمان يقول لي إن الرب نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وتأنس من القديسة العذراء وصُلب عنا، وهذه هي حركة المحبة الإلهية التي جاءت بعكس ما هو معروف عند كل إنسان، "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد".

المسيح يرحمنا ويرحمكم ويتعطف علينا ويعطي لنا معونة ونعمة **لكي نسلك بالإيمان لا بالمشاعر حتى لو كانت صحيحةً**. لينتهر الرب كل فكر وكل تعليم خاطئ ويمنحنا الثبات الحي الأبدي فيه له المجد الدائم من الآن وإلى الأبد آمين.

الفصل السابع

ما هو الفرق بين عمل الروح القدس في العهد القديم والعهد الجديد؟[1]

عمل الروح القدس هو الأساس الإلهي للعهدين

هذا السؤال يُلزمنا بأن نبحث في الأساس الإلهي للعهدين، لأننا عندما نتكلم عن عمل الروح القدس، فنحن في حقيقة الأمر نستعرض معًا الأساس الإلهي للعهدين. العهد الجديد هو العهد الأفضل والأعظم والخدمة الأفضل والعهد الأبدي، وذلك بنصٍّ صريحٍ للمعلم العظيم ق. بولس رسول رب المجد يسوع المسيح، وهو النص الذي يجب أن يستقر في وعينا، إذ يقول في آخر الرسالة إلى العبرانيين، وهي الرسالة التي يرفض البعض أن يدرسونها في عمق، لأن اكتشاف أعماق العبرانيين وغلاطية ورومية يُعيدنا إلى الإيمان الرسولي بأصوله التي تتحدى التعليم الشعبي المعاصر. يقول الرسول: "وَإِلهُ السَّلاَمِ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ، رَبَّنَا يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ، لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَل صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ، عَامِلًا فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ." (عب ١٣: ٢٠ - ٢١). فالعهد الأبدي استلزم أن ننال الروح القدس في سُكنى أبدية. ولذلك يقول رب المجد يسوع المسيح إلهنا ومخلصنا الصالح في إنجيل القديس يوحنا في الأصحاح ١٤: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٧ فبراير ٢٠١٨.

الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ (وكلمة "تعرفونه" هنا هي كلمة تتحدى التعليم عن الحلول المواهبي الذي اخترعه الآباء الأساقفة عندنا) لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ" (يو ١٤: ١٦ - ١٧).

عمل الروح القدس في العهد القديم

في العهد القديم كان الروح يعمل جزئيًّا في الملوك والأنبياء، ويعمل أيضًا في الخليقة، ففي سفر الأمثال: يتكلم عن روح الحكمة أو الروح القدس أو روح الرب فيقول: "أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ، وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ... بِي تَمْلِكُ الْمُلُوكُ، وَتَقْضِي الْعُظَمَاءُ عَدْلًا. بِي تَتَرَأَّسُ الرُّؤَسَاءُ وَالشُّرَفَاءُ، كُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ (أي يضع التشريع لإنصاف المظلوم) أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي، وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي" (أم ٨: ١٢ - ١٧). فالعهد القديم إذن يؤكد على أن روح الرب يملأ المسكونة وأن روح الرب يحرك الإنسان ويعطيه المعرفة. وإذا كان "الإنسان كائن عاقل"، وهو تعبير يوناني فلسفي قديم، لكن بلغة الأسفار المقدسة "الإنسان كائن يتعقل ويفهم وينال حكمة إلهية من الله"، فكل الناس الذين عاشوا تحت العهد القديم أخذوا حكمة إلهية، ولذلك **فالعمل الكوني للروح هو في كل الحضارات والثقافات والتشريعات وفي الموسيقى وفي الفن وفي الأعمال الإنسانية التي يعملها الإنسان كالطب والصيدلة والعلوم، هذه يعملها الروح القدس، وهذا هو تعليم مدرسة الإسكندرية العظمى عند أكليمنضس السكندري.** في سفر الخروج ٣١ يقول: أُنْظُرْ. قَدْ دَعَوْتُ بَصَلْئِيلَ بْنَ أُورِي بْنَ حُورَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بِاسْمِهِ، وَمَلأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ، لاخْتِرَاعِ مُخْتَرَعَاتٍ لِيَعْمَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، وَنَقْشِ حِجَارَةٍ لِلتَّرْصِيعِ، وَنِجَارَةِ الْخَشَبِ، لِيَعْمَلَ فِي كُلِّ صَنْعَةٍ. وَهَا أَنَا قَدْ جَعَلْتُ مَعَهُ أُهُولِيآبَ بْنَ أَخِيسَامَاكَ مِنْ سِبْطِ دَانَ. وَفِي قَلْبِ كُلِّ حَكِيمِ الْقَلْبِ

جَعَلْتُ حِكْمَةً، لِيَصْنَعُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكَ" (خر ٣١: ٢ - ٦)، وهو ما يعني أن البشر ينالون هذه النعمة من الحكمة الإلهية للصناعة والفن والموسيقى الصيدلة والعلوم، ولذلك إذا نظرنا إلى الثقافات أو الحضارات القديمة، فهذه من عمل روح الحكمة، روح الرب الذي يقود الإنسانية إلى الخير وإلى التقدم وإلى استيعاب التجديد وإلى ترك ما هو شرير والتمسك بما هو خير، وهو ما يأتي عن طريق الفن والثقافة والفلسفة والعلوم وعن طريق القوانين والتشريعات التي تحفظ المجتمع من الانحدار ومن انتشار الشرور. ويسمى هذا عند الآباء العمل الكوني لروح الرب أو الروح القدس. طبعًا هذا لم ينتهِ في العهد الجديد، لماذا؟ **لأن ما يُعطى للخليقة هو بلا ندامة وبلا رجوع، فالله لا يتنازل عن عطية أُعطيت للإنسان، حتى ولو كان الإنسان لا يستحقها، بل تظل موجودة تتحدى ظلم وخطيئة الإنسان لكي تعيده إلى الطريق الصحيح.**

عمل الروح القدس في العهد الجديد

في العهد الجديد حدث تغيُّرٌ كبيرٌ جدًا في العلاقة بين الله والإنسان. فلأول مرة في تاريخ الإنسانية يوجد على الأرض إنسان اسمه يسوع، هذا الإنسان بلا خطية وقدوس وبار وهو ليس مجرد إنسان، إنما هو ابن الله المتجسد الذي حُسِب بكرًا بين أخوةٍ كثيرين. هذا الإنسان لم يكن ثمرة زواج، وإنما حُبِل به ووُلد بواسطة روح الرب أو الروح القدس، ولما وُجد بين البشر، أدخل الطبيعة الإنسانية التي اتحد بها في بطن العذراء مريم والتي صارت طبيعته الإنسانية متحدة بأقنومه الإلهي، أدخلها في شركة مع الآب ومع الروح القدس، لأن الروح كوَّنها ومسحها فصارت هذه الطبيعة تمثل الإنسانية كلها، **وأصبح الإنسان موجودًا في جوهر الثالوث القدوس بسبب تجسد ابن الله**، فانفتحت العلاقة الإنسانية على مستوى إلهي أعظم بكثير جدًا عن العهد القديم.

فالخدمة الكونية للروح القدس موجودة، ولكن هناك خدمةً من نوعٍ آخر

تستمد أساسها الإلهي من الكاهن والذبيحة يسوع المسيح، لماذا؟ لأن **المسيح رب المجد أزال كل الموانع والعوائق التي تمنع الشركة بين الله والإنسان، فقد أباد الموت، وأباد حكم الدينونة، ورفع اللعنة، وأعطى الحياة الأبدية والغفران، وأعطى لنا ميراث الملكوت، فأصبح الإنسان يقف في حضرة الثالوث القدوس بريئًا جديدًا مدعوًّا لكي يكون ابن الله، فأُعطي للإنسان التبني.**

طبعًا في العهد القديم الله يقول على فم أشعياء إنه أبٌ لإسرائيل، وأن يعقوب ابنه، لكن هذا التبني كان بمعنى أن الله الخالق يعتبر أن كل إنسان ابنه، لكن في العهد الجديد اكتسب التبني كل ما هو جديد، ألا وهو أن الابن المخلوق، أي الإنسان الذي يعتبر ابنًا لله لأن الله هو الذي خلقه وأن الله أبٌ له لأنه يرعاه كأب، أصبح مدعوًّا في المسيح إلى شركة بنوة الابن، ولذلك يقول الرسول إنه أرسل روح ابنه إلى قلوبكم، وبالروح أصبح الإنسان يصرخ أبًّا أيها الآب (غل ٤: ٦)، **فعندما يحل الروح القدس في قلب الإنسان، تصبح البنوة التي هي أصلًا بنوة الإنسان كمخلوق، تصبح بنوةً أزليةً أبديةً، لا تسقط، وإنما تنال قوة وفاعلية أكبر لأنها تدخل في شركة الابن مع الآب.** فالابن له المجد أدخلنا في هذه الشركة بحسب الكلام الإلهي الذي قيل في إنجيل يوحنا ١٧، وهو الكلام عن الله والإنسان الذي يخلو منه العهد القديم تمامًا. **ففي العهد القديم لم يحدث أن وقف شخصٌ في حضرة الآب وقال: "أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ" (يو ١٧: ٦). لم يحدث في العهد القديم أن قال أحدٌ للآب: لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا" (يو ١٧: ٢١). العهد القديم يخلو تمامًا من مثل هذا الكلام، ولم يكن ممكنًا أن يوجد هذا الكلام في العهد القديم، لأن الأساس الإلهي الذي يمكِّن الإنسان من أن يقول مع المسيح له المجد: "وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ" (يو ١٧: ٢٢)، وهو أساسٌ يختلف تمامًا عن العهد القديم،**

والفرق واضحٌ جدًا من حديث الإنجيل عن هيرودس الملك الذي عندما قال له الشعب: "هذَا صَوْتُ إِلهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ للهِ، فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ" (أع ١٢: ٢٢ – ٢٣)، أي أنه تعاظَمَ وسقط في خطية الشيطان، لكن هنا الرب يسوع يقول: "وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي (أمَّا الجديد) وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو ١٧: ٢٢ - ٢٣).

هنا الآب يُحبنا كما يُحب ابنه، وهو أمر فوق طاقة الإنسان، وليس في إمكانية الإرادة الإنسانية أن نحب المسيح كما يُحبنا المسيح. لذلك يقول الرسول بولس في رومية ٥ وهو من أحب النصوص إلى قلبي أعود إليه عندما أكون ضعيفًا خائر العزم: "بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ، عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً (تنقية) وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي، لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو ٥: ٣ - ٥)، أنا أقف عند هذا النص، وأقول إن انسكاب محبة الله في قلبي بالروح هو الذي يعطي لي رجاءً، لأنه دون أن آخذ هذه المحبة من الروح مباشرةً فلن تكون لديَّ طاقة ولا قوة ولا إرادة لكي أحب الله كما يحبني الله.

إذن، فالكلام عن المحبة الإلهية كلامٌ شحيح جدًا في العهد القديم، لماذا؟ لأن مستوى المحبة الإلهية في العهد الجديد والذي تلخصه عبارة الرب: "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني وأنت أحببتهم كما أحببتني"، لا يحتمله الأساس الذي يحمل العلاقة بين الله والبشر في العهد القديم. العهد القديم بكل ما فيه من جمال ومن تشريعات ومن خدمة وظهورات إلهية لا يشكِّل نقطةً أمام العهد الجديد بما فيه من إعلانات إلهية ومن شركة، شركة مباشرة في أُلوهية الله، أي شركاء الطبيعة الإلهية أو شركاء في الطبيعة الإلهية، الأمر الذي عندما أكَّدنا عليه في التعليم قامت الدنيا ولم تقعد بعد، لماذا؟ لأن كوني شريكًا

للطبيعة الإلهية، يوجب أن أُعامَل بطريقة تتناسب مع كوني ابن الله، ولأن الرسول بولس يقول: "الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ" (كو ١: ٢٧). و"لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ،" (أف ٣: ١٧). و"أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (١ كو ٣: ١٦)، ذلك لأن الله كان يسكن في الهيكل في العهد القديم، ولم يسكن في البشر، وإن كان يحلُّ في الأنبياء والملوك فقط، لكي يملك الملك ويحكم بقوة الروح القدس، أما في العهد الجديد فكلنا ملوك وأنبياء، وكلنا نملك مع المسيح.

نعمة استدعاء الروح القدس

ولعلنا نلاحظ شيئًا عجيبًا جدًا، لا يتناسب مع حالة التخاذل والضعف التي وصلنا إليها، ألا وهو أن الكنيسة الأرثوذكسية؛ القبطية واليونانية والسريانية والأرمنية والهندية، وكل الكنائس الأرثوذكسية، تقول لكل علماني ولكل إنسان أنت تستطيع أن تستدعي الروح القدس متى شئت، وذلك من خلال صلاة ليست خاصة بالآباء الكهنة فقط، ولكنها صلاة الكنيسة ككل، وهي صلاة الساعة الثالثة: "أيها الملك السمائي المعزي ..."، **فنحن نستطيع أن نصلي للروح القدس** دون أن ننتظر أن يستدعي أب كاهن الروح القدس بالنيابة عنا، بل أن نتكلم مع الله، **ونقول لله تعال وطهرني وحالَّني وقدسني وأنرني.** وليس فقط ذلك، لكن هناك شيئًا آخر مهمًا يجب أن نذكره، **امنحني حياتك، وهي الكلمة التي تعني "تقديس"، فكلمة تقديس هي حياة الروح، لأن اسمه الروح القدس، وأنا آخذ التقديس إذن، فقد أصبحت شريكًا للروح في قداسته**، وهذا ليس تعليم أبونا متى المسكين، أبونا متى المسكين على راسي من فوق، وإنما الرسول يقول في العبرانيين ١٢: "اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ" (عب ١٢: ١٤). القداسة التي بدونها لن يرى أحدٌ الرب، أي إن لم نتقدس بالروح فلن نرى الله. وقبل ذلك يتكلم

الرسول عن التأديب الإلهي فيقول إن الله يؤدبنا: "لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ" (عب ١٢: ١٠)، بواسطة روحه القدوس، فلو لم أشترك في قداسة الروح، فلن أرى الله، ما هو معنى هذا الكلام؟

قال البعض إن كلمة "قدوس" معناها الذي بلا خطية، وهو كلام غير صحيح، بل ومن أفدح الأخطاء التي قيلت شرقًا وغربًا، وعندما نقول إن هذا الكلام خطأٌ، فنقول ذلك بناءً على مرجعيات. كلمة "قدوس" كما هي في العبراني قدش قدس، لا تعني بلا خطية، لأنه يقول في العهد القديم: "كل بكر فاتح رحم، أي المولود الأول يدعى قدوس، فهل يعني أنه بلا خطية؟ لا، بل يعني "مكرسًا لله"، كما أن أهم مكان في خيمة الاجتماع يسمى "قدس الأقداس"، فهل يعني هذا أنه بلا خطية؟ لا، وإنما هو مكان حلول الله. فكلمة "قدوس" تعني ما هو فريد، ما هو خاص وليس له مثيل، هذا هو معنى قدوس. هل يمكن أن نتصور أن القوات السماوية عندما يسبحون الله في أشعياء ٦: "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤت"، يقولون لله الذي بلا خطية، الذي بلا خطية، الذي بلا خطية؟ هل هكذا يكون تقديس الله وتمجيده؟ لا طبعًا، بل المعنى أنك أنت لا مثيل لك، والفريد الذي ليس له ما يماثله، ولذلك في العهد القديم يقول لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، أي لا تصنع تمثالًا أو وثنًا لله لأن الله قدوس، لأن الله ليس له مثيل، لا يُقلَّد في التماثيل، لأن التماثيل هي من صنع البشر.

إذن، فنحن نشترك في قداسة الله لكي تُرد إلينا الصفات الذاتية الخاصة التي فقدناها بالخطية، ما هو فريد فينا قد شوِّه بالخطية، تحوَّلنا من أشخاص إلى أشياء وفقدنا ما هو خاص بنا كبشر، فقدنا إنسانيتنا، وهو ما نسميه بالموت أو الفساد. "القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب"، **القداسة لا علاقة لها بالخطية، بل لها علاقة باسترداد الصورة الإلهية التي أُعطيت لنا، وعندما**

نسترد هذه الصورة، نصبح قديسين. ولذلك فإن قصر القداسة على القديسين، أي على الذين اعترفت الكنيسة بقداستهم؛ العذراء والملائكة ومار جرجس ... إلخ، هو ضد ما نقوله في قانون الإيمان. صحيح أن هؤلاء هم قديسين، ونحن نرجو صلواتهم فعلًا، ولكننا معهم في نفس القداسة لأننا في قانون الإيمان نقول: "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية"، فهل انقسمت الكنيسة الواحدة، فتقدَّس جزءٌ منها والباقي لم يتقدس؟ الكنيسة كلها مقدسة، والدليل على ذلك من عند الرسول بولس في أفسس: "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أف ٥: ٢٥ - ٢٦).

إن ما يزعجني بشدة هو هذا الوعي الشديد بالخطية، والذي لا يقابله نفس الوعي الشديد بالنعمة الإلهية. فإذا كان هناك شخصٌ لديه احساس بالخطية، فهذا شيء جيد، ولكن الدواء موجود: لكي يقدسها، أي يجعلها كنيسة مقدسة، والمسيح يأتي لكي يقدسنا بجسده المقدس ودمه الكريم. أليس هذا هو الكلام الذي ننطق به في الإفخارستيا؟ ألا أتقدَّس عندما آخذ جسد المسيح ودمه؟ طبعًا لأنني أسترد فيه مكانتي في الثالوث، واسترد فيه وجودي كابن لله، وإن كان هناك دنس أو وسخ أو تردد أو هزيمة أو خطية، فإن كل هذه الضعفات تُرفع من أجل ابن الله الذي يعمل ويسكن فيَّ. هذا لم يكن معطى في العهد القديم. لقد أُعطيت لنا هذه النعمة التي نحن مقيمون فيها، حسب تعبير الرسول بولس لأننا دُعينا إلى ما هو أبدي. أمَّا خدمة الظلال، خدمة العهد القديم، فقد انتهت ونحن الآن في عصر الروح القدس، العصر الذي ننال فيه سُكنى أقنوم الروح القدس فينا، وهو الموضوع المرفوض في التعليم الشعبي، غير عالمين أننا إذا رفضنا سُكنى الله فينا، فماذا تبقى لنا من نعمة إلهية؟

الرب يسوع المسيح والروح القدس النور، ينير ضمائرنا وأفكارنا ويعطينا شهادةً حسنةً صالحةً في جيلٍ لم يعد يحتمل أن يسمع عن سُكنى الله فينا لأنه يريد أن يبتعد عن الله لكي ينال حرية مزيَّفة، ولكننا نريد أن نكون في الله بالابن وفي الروح القدس لكي ننال حرية حقيقية، ليتمجد اسم الرب يسوع مع الآب وبقوة الروح القدس

له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

القسم الثاني

القراءة المسيحية الأرثوذكسية للعهد القديم

الفصل الثامن

مقدمة عامة عن أسفار العهد القديم، ومحاولة لاسترجاع التسليم الكنسي الأرثوذكسي الأصيل[1]

هذه مقدمة عامة عن أسفار العهد القديم، وهي بمثابة محاولة لاسترجاع التقليد أو التسليم الكنسي الأرثوذكسي الأصيل، بعيدًا عن فكر العصر الوسيط، ولذلك أرجو من الأخوة والأخوات أن يسمعوا في صبر.

أسماء الأسفار

قد لا يعلم القارئ العربي أن أسماء الأسفار في الترجمة العربية مأخوذةٌ من نص السبعينية وليس من النص العبراني. والمثال على ذلك سفر التكوين، هو في العبراني "بيراشيت أو بيراثيث"، وهو أول كلمتين في السفر "في البدء"، وبالتالي ليس هناك كلمة "التكوين"، وإنما أُخِذَت كلمة genesis من السبعينية، لأن العلماء اليهود في الترجمة السبعينية أخذوا الموضوع الرئيس في السفر، وجعلوا منه اسم السفر.

سفر الخروج ليس اسمه سفر الخروج، ولكنه يبدأ في العبرية "وإلى شيموث - والآن هذه هي أسماء". سفر اللاويين، اسمه في العبراني "ويا يكرا - الذين دُعُوا". وسفر العدد اسمه في العبراني "دابار - وقال". سفر التثنية اسمه في العبراني "ها دباريم - هذه كلمات". باقي الأسفار تأخذ أسماء

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٢٠.

الأنبياء وهي قريبة من السبعينية تقريبًا، ما عدا سفر الأخبار "دابار حاييم - كلمات الأيام"، فأسموه "أخبار". وسفر القضاة اسمه "شيفوتيم - ويعني حُكَّام أو مخلِّصين". سفر المراثي اسمه في العبراني "إيكاه هاووه، بمعنى آه ياني". أمَّا أسفار الأنبياء، فهي كما هي باللغة العربية، ماعدا صفنايا لأن العبراني ليس فيه حرف الصاد ولكن "تصا"، وبالتالي اسمه في العبراني "تصافانايا".

إذن تأخذ الترجمة العربية من السبعينية أسماء "التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية"، وهي أسفار موسى الخمسة والتي نُطلق عليها التوراة، وقد عدَّها بنو إسرائيل من بعد الرجوع من السبي قلب العهد القديم، لأن بني إسرائيل بعد السبي البابلي اعتقدوا أن كل المصائب التي حاقت بهم قد حدثت لأنهم تركوا الشريعة.

العلاقة بين العهد والشريعة

وهنا يجب أن ننتبه بشدة إلى أن الشريعة والعهد موضوعان لا يمكن فصلهما عن بعضهما، وهذا الأمر واضح جدًا في قلب الرسالة إلى العبرانيين. كاتب العبرانيين في التقليد الكنسي هو بولس، وأنا شخصيًا أعتقد أنه هو بولس، فهو شخصٌ يعرف اليهودية معرفة دقيقة، ولا يمكن إلَّا أن يكون يهوديًّا متعلمًا وعلى درجة عالية جدًا من التعليم، بمعنى أنه عَرِف اليهودية ودَرَس التراث اليوناني الخاص بطريقة تقديم الحُجة، أي الطريقة الفلسفية المعروفة في زمن الرسول بولس، وبالتالي تُشتَّمُ منها رائحة بولس، وإن كان ق. بولس لم يضع اسمه عليها لأنه طُرد وكان معرَّضًا للقتل بواسطة اليهود.

في العبرانيين يتكلم بولس عن ظلال العهد القديم برمته.

أعود إلى النقطة التي تكلمت عنها توًّا، وهي أن ارتباط العهد بالناموس موضوع لا يمكن فصله. وهنا يثور سؤالٌ له مكانه في فكرنا، وهو لماذا لا

يمكن فصلهما؟ في العبرانيين يقول: "فَلَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ -إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ النَّامُوسَ عَلَيْهِ- مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ؟ وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ" (عب ٧: ١١). وهنا نلاحظ أن ق. بولس قد وضعنا أمام مثلثٍ مكوَّنٍ من الكهنوت والشريعة والعهد، لماذا؟ لأن العهد مع إبراهيم وصل إلى مكانه الطبيعي في تاريخ بني إسرائيل عندما نزلت الشريعة على جبل حوريب. الشريعة أصلًا في الفكر اليهودي الأصيل هي الوصايا العشر، هذا هو الناموس أو الشريعة. ما أُضيف إليها يُعد أيضًا جزءًا من الشريعة أو الناموس، وهو الخاص بالذبائح، والفرائض الخاصة بالتطهيرات والقواعد الخاصة بالآداب والسلوك، لماذا؟ لأن هناك شيئًا مهمًا جدًا في العهد القديم، وهو أن الله يريد أن يُبقي هذا الشعب في حياة اجتماعية معينة كي لا يختلط بالشعوب الأخرى، فيُمَيَّز في الأكل، والعبادة والصلاة، والزواج والطلاق، في الموت في الدفن، في المرض في الصحة، في المعاملات اليومية؛ في الزراعة، في التجارة، في كل شيء.

وكان من الطبيعي أن تنشأ حول شريعة موسى أو الشريعة الموسوية أو التوراة، تفسيرات يُطلِق عليها اليهود "الحلقاه"، وهي تعني "حلقة" في اللغة العربية، وهي تفاسير أُزيدت على أصل النص، لأنه مع تغيير النظام الاجتماعي وانفتاح منطقة فلسطين على الحضارة الرومانية نشأت أسئلة جديدة مع تغيير نظام الحياة استوجبت هذه التفاسير أو الزيادات. فعلى سبيل المثال، نحن نعلم أن نظام الزواج في زمن الآباء البطاركة لم يكن يتطلب عقد زواج مكتوب، ولم يكن هناك أيضًا كتاب طلاق، لكن كتاب الطلاق ظهر بعد خضوع منطقة فلسطين للسلطة الرومانية، تطبيقًا للتشريع الروماني الذي ساد منذ الإسكندر الأكبر، ووحَّد الثقافات.

وفي الحقيقة، فإن المسيحية تدين للإسكندر الأكبر بشيئين مهمين،

أولهما أنه أنشأ طرقًا ممتدةً عبر العالم القديم كله، والثاني أنه جعل اللغة اليونانية هي لغة الثقافة، فوحَّد كل الشعوب في لغة واحدة. وإن كنا في العصر الحديث لم نعد نشعر بأهمية اللغة الواحدة التي تجمع عددًا كبيرًا من الدول، فلك أن تتصور أن إيطاليا واليونان وتركيا وقبرص وكريت والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر، كل هذه الدول والتي هي جزءٌ من حوض البحر المتوسط وشمال إفريقيا، كانت تفكر وتكتب باللغة اليونانية، وبالنسبة للقانون كانت اللغة المستخدمة هي اللغة اللاتينية التي هي لغة الحكم الروماني، وبالتالي حدث اتصالٌ للثقافات، وترتب على ذلك أن بدأت هذه الشعوب في فهم بعضها، فأدى ذلك إلى سرعة انتشار الإنجيل. أحيانًا لا ننتبه إلى أن حدثًا سياسيًّا يكون له وقعٌ كبيرٌ جدًا، دون أن نلتفت إلى تأثير هذا الحدث على الحياة الإنسانية بشكلٍ عام. فمثلًا كنت أتداول الحديث مع أستاذ جامعي، تعليقًا على صورةٍ لشخصٍ سوري اعدمته داعش صلبًا، فسألني عن سبب انتشار التدين انتشارًا غير عادي في مصر، فقلت له: لقد حدث شيئان في العالم العربي لم نلتفت إلى ما ترتب عليهما، أولهما أننا لم نهتم بالآثار النفسية للهزائم العسكرية، وثانيهما أننا لم نهتم بانعدام الديمقراطية، فما كان من هذين الشيئين إلَّا أن اتحدا مع بعضهما وخلقا حالةً من اليأس الوطني من النظام المدني، فارتمى الناس في أحضان الدين باعتباره الجانب النظيف السليم الآتي من عند الله، وليس لأن الإنسان الشرقي متدينٌ بطبعه، لا أبدًا، الإنسان الشرقي ليس متدينًا بالطبيعة، وإنما هو يبحث عن الاستقرار، فالاستقرار النفسي جزءٌ من طبيعة المجتمعات الزراعية، فمثلًا تجد أن طريقة حياة الفلاح المصري في القرية لم تتغير من أيام المصريين القدماء، إلَّا قليلًا، لأن الرغبة في الاستقرار رغبةً أساسية، والهجرة للخارج كان أحد أسبابها اليأس.

فالأحداث التاريخية تؤثر على تكوين الفكر الديني، وأنا هنا أُمهِّد لفكرة أساسية في دراسة العهد القديم. فالمؤرخون اليهود أصلًا، والمسيحيون فيما

بعد يقولون إن العهد القديم لم يُجمَع في كتاب إلَّا في زمن المملكة، وأن فضل الجمع وتكوين العهد القديم يرجع إلى عهد الملوك الذي هو عهد الاستقرار، فقد تم بناء الهيكل ولم يعد هناك خيمة اجتماع، وأصبح هناك جيشٌ وملكٌ ويبدأ هذا بصموئيل النبي. وقد أنشأ صموئيل النبي مدرسة الأنبياء بهدف تعليم النبوة. طبعًا، النبوة نعمةٌ من الله، لا ينكر ذلك أحدٌ، وكلنا لدينا الإيمان بأن النبوة من عمل الروح القدس، لكن صموئيل النبي استهدف تكوين وإعداد جيل ينفتح قلبه على روح الرب أو روح ألوهيم لكي يتنبأ.

درجات النبوة في العهد القديم

التنبؤ في العهد القديم كان على ثلاث درجات؛

الدرجة الأولى: هي قراءة المستقبل من الواقع السياسي والاجتماعي والمادي الذي تحياه الأمة أو الشعب، فالنبي يتكلم لأنه يعرف الأحوال التي يمر بها الشعب، وبناءً عليها يقدم لهم النبي قراءةً للمستقبل في ضوء الحاضر. وهذه الدرجة، وإن كانت تبدو بدائيةً وسهلةً وهينة، ولكنها أصبحت في حقيقة الأمر الشغل الشاغل حاليًا لأعظم مراكز الأبحاث العلمية في العالم، حيث يتم التنبؤ مثلًا بأحوال السوق في خلال فترة زمنية معينة قد تطول أو تقصر، فأحد مهام مدرسة الأنبياء أن تقرأ المستقبل في ضوء الواقع.

الدرجة الثانية في مدرسة الأنبياء: هي أن يقف النبي لتوبيخ الشعب على الانحرافات الموجودة في وسط الشعب نتيجة الابتعاد عن الشريعة وعن العهد، وهو يفعل ذلك لأنه نبيٌّ يتكلم بكلمة الله، هكذا قال الرب أنتم تفعلون كذا وكذا، فالنتيجة سوف تكون كذا وكذا. وهنا يكون كلام النبي على أساس تعدِّي العهد والشريعة، وبالتالي تكون نتيجة التصرفات الخاطئة فقدان البركة والحماية من الله، وتسلط الشعوب الغريبة عليكم، وعندما تزرع الأرض

يأتي الأغراب ليأخذوا المحصول، وهكذا.

تحذيرُ الأنبياء بهذا الشكل، يكون مبنيًّا على ما جاء في الشريعة.

أمَّا الدرجة الثالثة، فهي الإخبار بالمستقبل. وهذه الدرجة تعني الكلام المباشر من الروح القدس، وهذه الدرجة لا تُدرَّس في المدرسة، وإنما هي صوت الله الذي يأتي للأنبياء. وكان صموئيل هو أول واحد من الأنبياء خارج سبط لاوي وبعيد عن خدمة الكهنوت. وقد نشأ خط الأنبياء في تواز مع خط الكهنوت، بغرض تصحيح الكهنوت وتصحيح المملكة. فكلما يسقط ملكٌ في أخطاء يقوم واحدٌ من الأنبياء من نفس مدرسة صموئيل، ويتكلم عن خطايا الملك ويوبِّخه. ولدينا مثلٌ خطير جدًا عن رجلٌ له مكانةٌ عظيمةٌ جدًا في العهد القديم وهو إيليا، إيليا يجمع أنبياء البعل ويذبحهم.

هذا ملخص سريع عن مدرسة الأنبياء.

لماذا كان اليهود يقرأون العهد القديم في المجامع؟

هذه الأمور تُكتب لكي تصل بنا إلى نقطة مهمة جدًا في دراسة الكتاب المقدس. نحن نظن أن العهد القديم كُتِبَ لمساعدة الإنسان على التذكُّر، صحيح أن الإنسان المعاصر يعتمد على الذاكرة إلى حدٍّ كبير جدًا، ولذلك أصبح يعتمد على أدوات وآلات تُحيي فيه الذاكرة، مثل الـ GPS الذي يوجِّهك ويُطلِعك على مكانك على الخريطة. ومثل الكتب، فالكتب تُكتب لكي تُقرأ لكي يتذكر الإنسان. هذا هو الوضع الجديد، ونحن نظن أن العهد القديم كُتِب لهذا السبب أيضًا، ولكن عندما نسمع أن الرب يسوع المسيح دخل إلى المجمع في كفر ناحوم ودُفِع إليه سفر أشعياء النبي وقرأ من السفر، فهنا يجب أن ننتبه إلى كلمة الرب التي جاءت في نهاية لو ٤ حيث يقول إن "اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم"، والتركيب اللغوي هنا تركيبٌ كثيفٌ جدًا

لأنه أصلًا تركيب عبراني، وإن كان قد كُتِب باللغة اليونانية، ولكنه عبراني من حيث الأصل.

الإنسان في العهد القديم لا يقرأ لكي يتذكر كالإنسان المعاصر، ولكن لأن الذكرى في العهد القديم مرتبطة بالأعياد، والأعياد هي تذكُّر عمل الله في وسط الشعب، وهو يعرف أن الأعياد لها جانبٌ آخر هو مواعيد الله. لذلك هو يقرأ الأسفار لأنه يعيش متوقِّعًا تحقيق المواعيد في حياته أو حياة أولاده الآتين بعده، ويتم تسليم هذا الإحساس من خلال الصلوات. والمثال الذي يوضح ذلك -بعيدًا عن الصهيونية، لأن اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر- أنه بعد سقوط أورشليم سنة ٧٠ وتشتُّت اليهود في العالم، كانت لديهم تحية استمروا يرددونها في الأعياد لمدة تقرب من ٢٠٠٠ سنة، وهي: الفصح القادم في أورشليم next year in Jerusalem واستمر هذا الوعد حيًّا إلى أن حدثت هزيمة ٦٧ واستولوا على القدس من الجيش الأردني، ومن وقتها يحاولون تهويد القدس واعتبارها العاصمة الأبدية لإسرائيل، وذلك إحياءً للتاريخ القديم. وبغضِّ النظر عما إذا كان هذا الأمر صحيحًا أم خاطئًا، هذا موضوع يُبحث سياسيًا، ولكني أُحدثك هنا عن أنه يوجد إحساسٌ ما يُسلَّم في الأعياد، وفي الصلوات اليومية، وفي توقُّع مجيء المخلص، إمَّا على غرار ما هو مذكور في سفر القضاة، أو في مجيء المسيح.

في المحاضرة السابقة قلت للأخوة إننا نقرأ العهد الجديد، ليس لأننا نتوقع **حدثًا ما** على غرار اليهود في العهد القديم، وإنما لأن **حدثًا** وقع بالفعل، وهو أن الرب جاء بالجسد، وهذا الحدث مازال **يحدُث** لأنه فتح لنا الحياة الإلهية، **وسيحدُث** لأنه يكمُل في يوم القيامة.

وهنا يجب أن أشير إلى شيء غريب جدًا لا أقرأ عنه في كتب التفاسير المعاصرة، وهو أن العهد القديم ليس نصًّا يُقرأ، نحن نظنه نصًّا يُقرأ، لكنه

ليس نصًّا لأنه لم يكن هناك أحدٌ على الإطلاق يقرأ نصوصًا من العهد القديم على سبيل العبادة الشخصية، كما نفعل نحن في العصر الحديث، لأنه لم تكن هناك عبادة شخصية إطلاقًا في العهد القديم. ولكن كانت هناك مقتطفاتٌ تُقرأ -تقريبًا كما يحدث حاليًّا في الكنيسة- فصولٌ من الأنبياء أو من كتب التاريخ مثل صموئيل والملوك وغيرها، كانت تُقرأ في المجامع للتعليم وللصلاة ولاشتراك الشعب كله في استيعاب مواعيد الله والحياة حسب هذه المواعيد. لكن بالنسبة لنا ونتيجة انتشار المطابع في العصر الحديث، وهو ليس خطأً بالمرة، أصبح الكتاب المقدس موجودًا بكل لغات العالم وأصبح امتلاك نسخة من الكتاب المقدس متاحًا بوفرة، فظنَّ بعضُ الناس عندنا أنه يمكنه أن يقرأ الكتاب قراءة فردية، وأنا لا أقول إن القراءة الفردية أو الشخصية خطأٌ، لكني أُلفتُ النظر إلى شيئين؛ **الأول** هو أن القراءة الفردية للعهد القديم لم تكن معروفةً عند اليهود، **والثاني** هو أنه في العصر الحديث اختفت من كل الكنائس قراءة الشعب أو قراءة الجماعة، وذلك بسبب أننا لم نعد نحتفل كما ينبغي، برغم ما لدينا من أعياد، لأن الأعياد أصبحت في معظم الكنائس عبارة عن هيصة. في العهد القديم كان هناك استعدادٌ للعيد، فنحن نقرأ في الكتاب المقدس: "وكان أسبوع الاستعداد"، وهو الأسبوع الذي صُلب فيه الرب، وكان هذا الاستعداد يستمر أسبوعًا يسبق الاحتفال بالعيد، أما بالنسبة لنا حاليًا فليس لدينا إلَّا في الطقس القديم الذي يكاد يكون منسيًا ما يسمى بالبرامون، ثلاث أيام صوم قبل عيد الميلاد، أو الغطاس، أما الاستعداد لعيد القيامة يكاد يكون انتهي لأن أسبوع البصخة التحم بالصوم الكبير، وبالتالي يُعد عيد القيامة هو ختام الصوم الكبير. لكن الاستعداد بالعيد في العهد القديم لم يكن فقط بالصوم، وإنما كان يظهر في تنظيف البيوت، ونزع الخمير من البيوت قبل عيد الفصح، إضافةً إلى الاستعداد القلبي، لماذا؟ **لأنه لم يكن يحتفل بذكرى قديمة، ولكن يحتفل بالرب كمخلص حي حاضر في التاريخ. حتى وإن كان**

هذا التاريخ في الواقع يقول العكس، فقد كانوا مُحتلين من الرومان، ويكادوا يكونوا عبيدًا عند الرومان، ولكنهم بالرغم من ذلك كانوا يحتفلون لأنهم كانوا يعلمون أن هذا الاحتلال سينتهي بمجيء المسيح. ولذلك، فإن مجيء الرب يسوع في اليهودية والكرازة بالبشارة بالملكوت، والكلام الكثير الذي نقرأه في الأناجيل الأربعة كان ممهِّدًا في الحقيقة للصلب، لأن الرب يسوع له المجد قال اتبعوني أعطيكم الملكوت، الملكوت عندي أنا. غير أن اليهودي المتدين لم يكن يقبل هذا الأمر، لأن الملكوت لديه هو أن يأخذ المسيح سيفًا ويطرد الرومان ويحرر اليهودية ويُعيد العبادة ويُخرج الأمم من المدن العشر، منطقة الجليل، هذا هو المسيح حقيقةً، أي أن يكون مثل شمشون ومثل بعض الشخصيات في سفر القضاة.

وفي الدراسات الحديثة عن جماعة الغيورين الذين كان منهم يهوذا الإسخريوطي وسمعان القانوي أو سمعان الغيور، وبطرس، وهم من الفئة التي يمكن أن نسميها بلغة العصر الحديث بالإرهابيين، لأنهم كانوا يمشون في الأسواق متسلحين بسيف قصير، وعندما يجدون جنديًا رومانيًا وحيدًا بعيدًا عن زملائه، يطعنونه، ويهربون بعد أن يُلقوا بالسيف بعيدًا ويختفون بين الشعب فيتعذَّر القبض عليهم، وبذلك كانوا يستفيدون من نظام القانون الروماني الصارم الذي كان يتطلب وجود أداة الجريمة والقبض على الجاني، فإذا تعذَّر القبض على الجاني والحصول على سلاح الجريمة والشهود تُقيَّد الجريمة ضد مجهول. فيهوذا كان اسمه يهوذا الاسخريوطي، ليس نسبةً إلى مكان يُسمى اسخريوط، كما يُشاع، ولكن نسبةً إلى كلمة لاتينية سيكاروس من كلمة سيكاريس - سيكاريا - اسخاريوط، وهي تعني مَن يحمل السيف القصير، الإرهابي، وكان تلميذًا للمسيح، فلما وجد أن المسيح لن يُرجع الملكوت ولن يُرجع الملك الداودي بالسيف، رأى أنه بلا فائدة فباعه، ونقرأ في وسط النصوص أنه لما رأى أنه قد دِين، نَدِمَ، لأن الرب كان بريئًا، وأنه قد سلَّم لهم

دمًا بريئًا، أي أنه رأى أن تصرُّفه لم يكن سليمًا، ولكن منعه كبريائه كمقاتل من الرجوع فشنق نفسه، بخلاف بطرس الذي كان لديه محبة، حتى وإن كانت في حجم بذرة الخردل، فلم يفعل مثلما فعل يهوذا، ولكنه عاش ورجع وأصبح تلميذًا، ومات في روما حسب التسليم الكنسي.

أعود بعد هذا الاستطراد لأقول **إن الذكرى كانت احتفالًا بما هو كائن وبما سيكون. أما الذكرى في العقل المعاصر، القبطي بالذات، تكاد تكون استرجاعًا لماضٍ قديم، وليس ما هو كائن، وهذا هو السبب الثاني في أننا لم نعد نحتفل كما ينبغي، برغم ما لدينا من أعياد.** ما هو كائن الآن، وهنا أشير إلى عبارة صلاة القسمة: "هوذا كائنٌ معنا الآن على هذه المائدة عمانوئيل إلهنا حمل الله"، هنا توجد ذكرى، ولكنها ليست فقط ذكرى لِما حدث، وإنما لِما حدث، ولِما هو حادث، ولِما سوف يحدث. ما يحدث هو أننا نتذوق مواعيد الله في انتظار القيامة بحسب قانون الإيمان "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين".

كان اليهود يقرأون الأسفار على مستويين. يقرأون الشريعة، أي الأسفار الخمسة، وبالذات الأسفار المهمة جدًا عند اليهود؛ الخروج واللاويين والتثنية. وكان سفر التكوين يُقرأ في مناسبات معينة. أنا لا أريد أن أفتح موضوع القطمارس اليهودي، لأنه لا يهمنا الآن، ولأن كل الدراسات التي أجريتها على القراءات في المجمع اليهودي أثبتت أنه لا علاقة للقطمارس اليهودي بالكنيسة، أو بالقطمارسات الأرثوذكسية، إنما العلاقة الوحيدة هي عملية اختيار الفصول، أي اختيار فصل معين للقراءة في يوم عيد معين.

كيف تفسِّر القيامة الكتاب المقدس؟ (الخليقة الأولى نموذجًا)

وانعدام العلاقة بين القطمارس اليهودي وبين القطمارسات الكنسية قائم على أن الكنيسة كانت تجتمع في يوم الأحد، يوم قيامة الرب، وقيامة الرب

هي أساس تفسير كل شيء في الكتاب المقدس في العهد الجديد. طبعًا، يتكلم سفر التكوين عن خلق العالم، لكن **إذا وقفنا عند الخليقة الأولى، فسوف نقف عند الأيام الستة الأولى، في حين أن القيامة تكشف لنا عن أن هناك خليقةً جديدةً حدثت في اليوم الثامن**، أو في اليوم الأول من الأسبوع الذي هو اليوم الثامن، لأن السبت هو اليوم السابع "بعد السبت استرحن"، وفي أول الأسبوع ذهبن إلى القبر ليضعن الطيوب على الجسد، وهناك سمعن خبر القيامة.

في إنجيل مرقس في النص اليوناني: "وقام باكرًا في أحد السبوت"، وهو تعبيرٌ يأتي في صيغة الجمع، يدل على نهاية السبوت، لأن القيامة تمت في نهاية السبوت، وأصبح لدينا خليقةٌ جديدةٌ في اليوم الثامن. ولذلك فإن الجدل الذي لا ينتهي على أيام الخليقة الستة الأولى، هو جدلٌ لا يعني الكنيسة من قريب أو من بعيد، لأن الكنيسة الأولى لم تكن تفكر في أيام الخليقة الأولى على أنها ستة أيام، أو ست دقائق، أو ستة قرون، لأن الحقبة الزمنية لم تكن لها هذه الأهمية، وذلك لأن الخليقة الأولى المذكورة في سفر التكوين تُعدُّ بمثابة أساسٍ مدفونٍ في الأرض. وغنيٌّ عن البيان أنه لا أحد يعيش في الأساس على الإطلاق، إنما يعيش في الدور الأول أو الثاني .. إلخ، لأن الأساس لا يصلح للعيش فيه، لأنه مدفون في الأرض، وطبقًا لسفر التكوين لدينا أساس مدفون في الأرض وهو الخليقة الأولى، لكنني -في العهد الجديد- أعيش في الخليقة الثانية، الخليقة الجديدة.

ولأن القيامة هي التي تفسر لي كل شيء حتى أيام الخليقة الأولى الستة، فبالتالي ليس هناك ضرورة للجدل فيما يخص أيام الخليقة الأولى وطبيعتها، وما إذا كانت مكونة في ستة أيام أو ست دقائق .. إلخ، ولا يعني هذا أن في ذلك مخالفة لما هو موجود في الكتاب المقدس، أو أن هذا ينطوي على عدم

الإيمان بالله كخالق، ذلك أن قانون الإيمان يتكلم عن الله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض، ولكنه يخلو من نصٍّ يقول إن ستة أيام الخليقة الأولى هي جزءٌ جوهري من الإيمان. هي فقط بمثابة أساس البيت الذي لا يعيش فيه أحد، وهو أساسٌ قديم، لأن الأساس الجديد هو يسوع المسيح، الخلق الجديد.

ولأن القيامة هي أساس اجتماع الكنيسة، فنحن نجتمع يوم الأحد لأن يوم الأحد هو يوم القيامة، وحتى إذا اجتمعنا في وسط الأسبوع، فالقيامة هي سبب اجتماعنا أيضًا. فالقيامة هي الحدث الذي فسَّر كل شيء في الكتاب المقدس، والدليل على ذلك هو لقاء الرب مع تلميذي عمواس مبتدئًا من موسى والمزامير يفسر لهما كل الأمور المختصة به في جميع الكتب، وهذا كان أكبر درس للموعوظين عن الرب يسوع. وهكذا يتضح من كلام القديس لوقا أن هذه الكتب إنما هي تخصني أنا في يسوع المسيح. وبالتالي، فأمر الحقبة الزمنية الخاص بالخليقة الأولى لا يؤثر في إيماني، خصوصًا وأن سفر التكوين ٢: ٤ ينص على أن "هذه مبادئ السموات والأرض حين خُلِقت **يوم** عمل الرب الإله السموات والأرض"، مما يُفهم منه أنه عملها في يومٍ وليس في ستة أيام. وبالتالي فالحقبة الزمنية طبقًا لهذا النص لا يعوَّل عليها فيما يخص الإيمان. **وهنا يجب أن ننتبه إلى كيف تفسر القيامة الخليقة؟** في الليتورجية نقول: "هذا هو اليوم الذي صنعه الرب (أي يوم الأحد، يوم القيامة)، فلنفرح ونبتهج فيه"، فإذا كان هذا اليوم هو اليوم الذي صنعه الرب، فما هو حال اليوم الذي يسبقه، أو اليوم الذي يلحقه؟ القيامة تقول: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر آمين"، لأنه حي.

وقد سبق أن قلت لكم -ولكن يبدو أنكم لم تنتبهوا- إن أنا ليس لي بداية أيام ولا نهاية أيام، لأن بداية أيامي هي المسيح، والمسيح ليس يومًا، وإنما

هو أقنوم، كما أنه ليس لي نهاية أيام، لأن المسيح بلا بداية وبلا نهاية، وذلك بحسب المقارنة التي يعقدها ق. بولس في العبرانيين بين المسيح وملكي صادق، وهو ما ينطبق على المؤمنين أيضًا، لأن الذين ولدوا من الله لم يولدوا من دم ومن لحم ولا بمشيئة رجل لكنهم ولدوا من الله، فليس من بداية ولا نهاية لهم لأنهم في المسيح. إذن، فالجانب البيولوجي رُفع ومعه التفسير التاريخي. ولذلك، فإن اليوم هو استعلان الله، الآن "يوم"، وبعد دقيقة "يوم"، وهكذا. ولذلك يقول الرسول بولس في العبرانيين: "اليوم إن سمعتم صوته فلا تُقسُّوا قلوبكم"، فهل يعني هذا أن تقسي قلبك غدًا؟ طبعًا لا. "اليوم إن سمعتم صوته"، فبما أنكم سمعتم صوت الرب اليوم، فلا تقسي قلبك، إذن، فغدًا لن تقسِّي قلبك. وإذا كان ما أثار الجدل فيما يخص الخليقة الأولى هو أن ستة أيام الخليقة الأولى كانت منفصلة، لأنه كان مساء وكان صباح، إلَّا أنه ليس من مساءٍ في القيامة، ولكن هناك صباحٌ لا ينتهي، كما أن الرب يأتي في نصف النهار عندما يأتي للدينونة في اليوم الأخير. طبعًا مع استمرار الدورة الشمسية، ستظل الأيام كما هي الاثنين والثلاثاء والأربعاء .. إلخ لأن هذا جزء من النظام القديم، إنما النظام الجديد الذي يشرح لي النظام القديم، هو القيامة.

اجتماعنا يوم الجمعة، في الجمعة الكبيرة، الجمعة الكبيرة لأنها حقيقةً تاريخيًا تمثل ما كان يُعرف في زمان الآباء الكبار بالأسبوع. لقد كنّا نطبق نظام الأسبوع مثل اليهود، لكن فيما يبدو في القرن الثاني والثالث، والبرهان عندنا من كتاب "التعليم الرسولي لهيبوليتوس" (أبوليدس في الترجمات العربية)، هو أن قلب الأسبوع الخاص بالحياة الروحية المسيحية هو الأربعاء والجمعة والسبت والأحد. طبعًا السبت انتهي، والكنيسة تمنع الصوم الإنقطاعي يوم السبت، بمقولة إن الصوم ممنوع في يوم السبت لأن السبت يوم مقدس لا يجوز فيه الصوم والانقطاع، وهو قولٌ يحمل نصف الحقيقة، وإنما الحقيقة

كاملة هي أن السبت هو اليوم الذي استراح فيه المسيح في القبر، وبالتالي هو يوم راحة للمسيحيين أيضًا، لأن الرب استراح من عمله على الصليب، ولكننا ننسى هذا. ونحن لدينا طقس مهول في الحقيقة وتعليم لم أسمعه خارج كنيسة مار مينا مصر القديمة من أبونا مينا المتوحد، وهو **أننا نحتفل في يوم السبت الكبير ليس فقط بدفن المسيح، وإنما أيضًا بانحلال قوة الجحيم**، فالمسيح ذهب إلى الجحيم وسبى سبيًا وأبطل قوة الجحيم، وهو ما نردده في القداس دون وعي: "نزل إلى الجحيم من قبل الصليب"، وهو ما نحتفل به في يوم السبت، وهو احتفالٌ بالانتصار، لذلك يُطلق عليه في التسمية الشعبية "سبت النور" لأنه أنار على الذين كانوا في سبي الجحيم، وهو المعنى التاريخي القديم.

فالجمعة هي جمعة الصلبوت، والسبت هو سبت الراحة، والأحد هو أحد القيامة، فهذه المراحل الثلاثة هي الأعمدة الثلاثة التي تفسر الكتاب المقدس، ولذلك من الضروري أن تنتهي بالقيامة. وبالتالي فأي حديث عن صلب المسيح، حتى وإن كان صحيحًا ولكن دون أن ينتهي بالقيامة هو كلام غير أرثوذكسي، أيًّا كان قائله. وأي حديث عن الصلب لا ينتهي بالخلقة الجديدة التي استُعلِنت بقيامة آدم الجديد، آدم الثاني هو حديثٌ غير سليم. ذلك أن المبدأ اللاهوتي الذي يشرح أسفار العهد القديم والجديد وكل شيء موجود في الأصحاح ١٥ من كورنثوس الأولى، حيث يبدأ الرسول بالتاريخ قائلًا: "وَلكِنِ **الآنَ**، (أي بعد أن قام الرب يسوع بحوالي ٣٥ سنة) قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ" (١ كو ١٥: ٢٠). ثم يعود إلى التاريخ: "فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ" (١ كو ١٥: ٢١). هكذا يسير التاريخ "لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ."

(١كو ١٥: ٢٢ - ٢٣). ثم يتكلم على التحول العظيم الذي يحدث في التركيب الإنساني بالقيامة من بين الأموات.

نحن نسمع كلامًا كثيرًا جدًا عن الأسفار المقدسة، لا علاقة له باليهودية، وأيضًا لا علاقة له بالأرثوذكسية، وإنما يقع في نطاق ما استقر في العصر الوسيط. لذلك، إذا كنا نريد قراءة الأسفار الإلهية قراءة أرثوذكسية، عندئذٍ يجب علينا أن نقرأها من خلال الانتصار الإلهي. بل وحتى عندما نقرأ التفاسير اليهودية على "براشيت برا الوهيم - في البدء خلق الله السماء والأرض"، ينتهي الكلام عند "وكان روح الله يرف على وجه المياه"، ففي التفاسير اليهودية مثل الزوهار أن "روح الله" أي روح المسيح "يرف على وجه المياه" لأنه سيأتي لكي يكمِّل الخليقة. **كل شيء في حياتنا ناقص، ويكمُل في هذا الدهر وفي الدهر الآتي. يكمُل في الدهر الحالي لأننا في الدهر الحالي نأخذ بذرة الحياة الجديدة، ويكمُل في الدهر الآتي لأننا في الدهر الآتي نتوقع القيامة من بين الأموات.**

التفسير حسب الحرف والتفسير حسب الروح

التاريخ الإنساني محصورٌ بين الموت والحياة، فإمَّا أن يُفسَّر حسب الموت وإما يُفسَّر حسب الحياة. فكيف يُفسَّر حسب الموت؟ بأن يُفسَّر حسب الحرف "الحرف يقتل، لكن الروح يحيي"، لأنه "إِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ." (رو ٨: ١١). أي أن التفسير الحرفي يميتك، يقضي عليك، لكن التفسير الروحي يُحييك.

لنأخذ الذكرى مثالًا صارخًا على ذلك: "هذا اصنعوه لذكري"، أحد الأشخاص من الأخوة الإنجيليين سألني عن الدليل على أن الإفخارستيا ذبيحة، فقلت

له كلام الرب: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك عنكم وعن كثيرين"، فقال لي إن هذه العبارة قيلت عن العشاء السري، فقلت له: في العلية لم يكن المسيح قد ذُبح، فقال لي إن هذه كانت إشارة للذبح، وأن الإفخارستيا رمزٌ لما سيحدث في يوم الجمعة، وهو -بالمناسبة- ذات ما قاله الأنبا شنودة الثالث في كتاب "تأملات في أسبوع الآلام، ٥ كتب"، فقلت له هذا الكلام غير سليم، لأن حضور الرب بالجسد في العلية مع التلاميذ، يمتنع معه أن هناك رمزًا للمسيح على الإطلاق، لماذا؟ لأن المسيح هو الحق، فكيف تضع رمزًا للحق، الرمز هو نوع من الظل، والظل يوجهك للنور، الظل ليس هو النور، الظل يتكون نتيجة النور، الرمز شيء غامض يظهر معناه فيما بعد، فمثلًا عندما تمد يدك للسلام فهذا رمز إلى أنك تسعي للسلام، ولكن عندما تلمس يدك يد الشخص الآخر للسلام، إذن فقد تحقق معنى الرمز، أما عندما تضع يدك وراء ظهرك عندما يمد شخصٌ يده لك، فهذا رمز إلى أنك معه في خصام، لكن حتى في هذا هناك تحقيق للرمز، لكن المسيح الذي هو الحق والنور ليس له أي رموز، وهذه هي الحقيقة الأولى. الحقيقة الثانية عندما قال: "اصنعوا هذا لذكري"، فإن هذا معناه اذكروني أنا، ومتى نذكرك ولماذا؟ لأنه يوجد عهد، وهذا العهد هو بالدم وبالموت، وهنا يجب أن ننتبه إلى الفصل الغريب بين ما حدث يوم الخميس وما حدث يوم الجمعة، لأن المسيح لم يُرغَم على تأسيس العشاء الرباني يوم الخميس ليكمُل يوم الجمعة، لكن لأن مَن يتكلم هنا عن يوم الجمعة، نسيَ يوم الأحد، يوم القيامة، ونسيَ أنه يتكلم عن الشخص الذي يجمع في ذاته كل مراحل وأحداث التدبير، وظن أن يتكلم عن أحداث منفصلة، لذلك فصل بين الخميس والجمعة. وهنا يكون كلام الرب معناه "**اذكروني أنا كما أنا الآن، وكما سأكون، وكما سأكون إلى الأبد، كما أنا الآن، لأن كما أنا الآن هو ما سأكون غدًا، وهو ما سأكون حتى آخر الدهور**".

فالخطأ الكبير هنا هو فهم العشاء الرباني كما انتهى إليه الفكر الإنجيلي،

والذي انتقل -بكل أسف- إلى بعض إكليروس الكنيسة القبطية. لذلك، فنحن نذكر الرب، وعندما نذكره، نذكر كل مراحل التدبير كلها، لأن هذا هو المسيح كله، ولا يمكن أن نحذف شيئًا على حساب شيء آخر، لأن الحذف أو الفصل لا يصلح مع الشخص، أي مع شخص المسيح الواحد. وإنما لأن الإحساس بشخص المسيح ضاع منّا، فلذلك تجد البعض يفصلون بين الخميس والجمعة أو بين مراحل التدبير وبين الإفخارستيا، ويتعاملون معها وكأنها أحداث لا تخص شخص الرب. في حين أنه حتى في العهد القديم، كان الله إلهًا شخصًا، يدخل في حوار مع موسى، وذلك لأن الإله الذي يدخل في عهد يكون إلهًا شخصًا، لأن فكرة الإله الشخص ليست فكرة العهد الجديد ولكنها أصلًا فكرة العهد القديم، "إله إبراهيم واسحق ويعقوب"، وهو ما استخدمه الرب يسوع في الرد على الصدوقيين الذين ينكرون القيامة، فقال لهم .. إن الله ليس إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء" (راجع لو ٢٠: ٣٨)، وكلمة "أحياء" تعني أن الجميع أشخاص، **لأن الكتاب المقدس هو كتاب أشخاص وليس كتاب أحداث Events**. والتفسير الحرفي هو الذي يستبعد الشخص ويتمسك بالأحداث التاريخية المتتابعة.

ولذلك، **فإن مَن يتمسك بالتفسير الحرفي وتتابع الأحداث فسوف يفقد العلاقة الشخصية. ولذلك، نحن لا نعبِّر عن العشاء الرباني، بتسمية العشاء الأخير، لأنه تعبير بروتستانتي خاطئ، وهو يقوم على أساس أن عشاء العلية هو العشاء الأخير، وأن ما يُصنع في الكنيسة هو ذكرى له، وهو تفسير الشيع الإنجيلية، وهو تفسيرٌ غير صحيح، لأن العشاء الأخير هو آخر قداس تصنعه الكنيسة قبل يوم الدينونة الأخير، أما ما تصنعه الكنيسة فهو عشاء الرب، وهو ذات عشاء العلية هو الموجود في الكنيسة اليوم وغدًا وبعد غدًا طالما هناك استمرار للاستعلانات الإلهية إلى أن يأتي المسيح رب المجد للدينونة، وهو فرق كبير يؤدي بنا إلى طريق آخر.**

إن كنوز الأسفار تحتاج منّا إلى وعي لاهوتي يبدأ بالقيامة، وبالخليقة الجديدة، والخليقة الجديدة هذه تستدعي أن نمعن النظر في الفرق بين التفسير التاريخي أو التفسير بحسب الحرف والتفسير بحسب الروح، وأن ندرك أن هناك فرقًا بين التفسير والشرح، ففي الأرثوذكسية ليس لدينا تفسير، بل شرحٌ.

الفصل التاسع

العهد القديم في كتابات آباء الكنيسة الجامعة[1]

ثوابت قراءة آباء الكنيسة الجامعة للعهد القديم

في بداية كلامنا عن العهد القديم في كتابات آباء الكنيسة الجامعة يلزمنا أن نضع في وعينا أن هناك مبادئ ثلاثة حكمت قراءة الآباء للعهد القديم:

- **الأول** هو اتحاد اللاهوت بالناسوت - اتحاد السماء والأرض - اتحاد الزمان والأبدية.

- **والثاني** هو إبادة الموت والدينونة والخطية بالصلب وبالقيامة.

- **والثالث** هو تكوين الخليقة الجديدة، أي الكنيسة الجامعة.

مَن يخرج عن هذه المبادئ يقع في مشاكل روحية وعقيدية وفلسفية لا تنتهي.

أثر التجسد على قراءة العهد القديم

بدايةً يجب أن يكون واضحًا لدينا أن المسيحية ليست ديانة كتاب، وإنما هي ديانة الإله المتجسد، وهنا، ونحن بصدد قراءة الكتاب المقدس نجد أنفسنا أمام واحد من طريقين؛ إمَّا أن نبدأ بالنص لكي نفهم التجسد، فنكون قد انحصرنا في النص، أو أن نبدأ بالتجسد لكي نفهم الكتاب، وهنا سوف ينفتح لنا نص الكتاب على مصراعيه. أن نبدأ بالنص لكي نفهم التجسد، فهذا هو الطريق الذي سلكته كنائس حركة الإصلاح ونتج عنه ما نتج من مشاكل

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في ١٣ مايو ٢٠٢٠.

لاهوتية ونظريات لا علاقة لها بديانة الإله المتجسد. أمَّا إذا بدأت بالتجسد، فسوف تنفتح لك أسرار الكتاب، وهذا هو الطريق الذي سلكه كل آباء الكنيسة الجامعة والقديسين، وهو طريقٌ ذو منهج وأسلوب وفكر وترتيب يُسمى بالتدبير، على خلاف الطريق الأول.

بدايةً، يجب أن يكون لدينا وعي بما هو المقصود بالتجسد. في الحقيقة نحن نتكلم عن التجسد كلامًا دفاعيًا apologetic مؤداه أن التجسد هو اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهو كلامٌ صحيح، ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك، فهو جزء من الحقيقة، ولكنه ليس الحقيقة كلها. **التجسد ليس هو فقط الاتحاد، إنما هو كيف عاش الله حياةً إنسانيةً**، وهذا هو قلب الأناجيل والتسليم الكنسي الذي نسميه التقليد الكنسي. فالتسليم الكنسي أو الأناجيل الأربعة، تعطينا أربع شهادات عن تجسد ابن الله، هي شهادات متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

الذين سلكوا الطريق الأول واجهوا ما أسموه مشكلة عدم اتفاق البشيرين، ولكن الحقيقة هي أنه لا توجد مشكلة، لأننا في الواقع أمام أربعة شهود، وكلٌّ منهم يقدم شهادة مختلفة عن الآخر، وهو أمر يعبِّر عن طبيعة الشهادة، فما يراه شخصٌ في واقعة معينة، يختلف بالضرورة عما يراه شخص آخر شاهد ذات الواقعة، وبالتالي اتفاق الكل على شهادة واحدة، أمرٌ يَصِمَهم جميعهم بالكذب.

وهناك أمرٌ آخر أهم، وهو أن حياة هذا الإله المتجسد في الجسد حياة غير عادية، فهو يسير على المياه، يهدئ العاصفة، يُشبع خمسة آلاف من خمس خبزات، يضع طينًا مخلوطًا بلعابه على عيني المولود أعمى فيخلق له عينين، أي أننا أمام استعلانات غير عادية تمامًا. ولذلك، ففيما يكتب كل شاهد شهادته متفكرًا فيما رأى وسمع، فإنه يكتبُ بإحساسٍ وبوحيٍ مختلف. طبعًا، نحن لا ننكر الوحي، بل نؤكد على أن هناك إلهامًا إلهيًّا، ولكننا نؤكد

من ناحية أخرى أننا لسنا بصدد تنزيل، لأننا أمام شهادة شخصٍ ما على ما رأى وما سمع، وها هو القديس يوحنا يقول: "اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ" (١يو ١: ١ - ٣). و"الكلمة صار جسدًا وسكن بيننا"، أو "وحلَّ فينا". وها هو معلمنا بطرس يقول: "نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أع ١٠: ٤١)، "فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ" (أع ٢: ٣٢). ولأن التنزيل يتنافى مع الشهادة الحية لشاهد معاصر، أوردنا هذه الشهادات، لكي نؤكد على أن **كلمة "الشهادة" هي من أخطر الكلمات اللاهوتية في اللاهوت المسيحي.**

الأناجيلُ شهادةٌ، لا مجردَ نصوصٍ

ما تقدم يُعدُّ تمهيدًا للدخول في موضوع المحاضرة؛ كيف قرأ آباء الكنيسة العهد القديم؟ فقد أردتُ أن أؤكِّد أنه يجب أن يكون لدينا أولًا طريق واضح نسير فيه قبل التكلم عن العهد القديم. نحن لدينا أربع شهادات؛ متى ومرقس ولوقا ويوحنا، إضافة إلى شهادة أخرى لشخصٍ كان يضطهد الكنيسة، وكان يشكِّل خطرًا على المؤمنين، ولكنه اعتنق المسيحية ودخل الكنيسة ورأى المسيح وتحوَّلَ من اليهودية التي تعتمد على الشريعة إلى المسيحية، فكتب أبحاثًا تعبِّر عن تجربته الشخصية، وشهادته للمسيح كالشهادات الأربعة المدونة في الأناجيل، وهي رسائل القديس بولس.

فعندما نقول إن التجسد يجعلك تفهم الكتاب، يجب أن يكون واضحًا في الذهن أن هناك شخصًا يمكن أن يُعبِّر عما يقوله بأربعةِ أشكالٍ أو أكثر، لأنه ليس هو مَن يكتب، وإنما مَن يكتبونه يُوصَفون بأنهم شهودٌ، بمعنى أن كلًّا منهم يكتب من واقع خبرته الشخصية المعاشة، ومن واقع ما رآه وسمعه ولمسه وعاشه. ولإيضاح ما أقول أسوق تشبيهًا من عند مار إفرام السرياني

يقول فيه إن شخصًا قد يُسمعكَ خطبةً طويلةً عن أهمية المياه الساخنة، لكن هذا يختلف عن شخص يستحم بالمياه الساخنة أو يلمسها بيده، الأول يتكلم عن معلومات نظرية، بينما الثاني يتكلم عن اختبار التعامل مع المياه الساخنة.

ومن هنا يجب أن نفهم أن المسيح ليس نصًّا قرآنيًّا، وإنما المسيح خبرةٌ تُعاش، والأناجيل الأربعة هي اختبار من كتبوها، ولذلك فإن من ينحِّي الاختبار وينحصر في النص -وهنا نكون قد وصلنا إلى النقطة الحاسمة في الموضوع- سيجد نفسه أمام مشكلة اختلاف النصوص بين الأناجيل، كاختلاف نصِّ الصلاة الربَّانية بين متى ولوقا، ما الفرق بين النصين؟ الحقيقة ليس هناك من فرق، ولكن يجوز أن يكون نصَّا الصلاة قد قيلا في مرتين مختلفتين، أو يمكن أن ينتمي النصَّان إلى صلاةٍ واحدة هي التي وردت في متى، وقد أعاد ق. لوقا صياغتها بما يتناسب مع الأمم، لأن المسألة هنا ليست مسألةَ نصٍّ يُكتب، وإنما هي مسألة علاقة، وأنا هنا أريد أن تنفتح الأدمغة والقلوب إلى أن هناك فرقًا بين أن يعرفُ شخصٌ شخصًا آخر نتيجة علاقة شخصية، وبين شخصٍ يعرفُ آخر بناءً على المعلومات التي تُذاع عنه. **فمن يعطي لك نصًّا، يختلف عمَن يعطي لك اختبارًا**. وبناءً عليه، فالأناجيل هي اختباراتٌ حيَّةٌ لأُناسٍ عاشوا مع الله.

هذه القاعدة تنطبق أيضًا على سفر التكوين، فإبراهيم أب الآباء هو أول شخص بعد سقوط آدم يُستعلَن له الله. لم يكن يقرأ كتابًا ولم يكن لديه كتابٌ مقدس، ولكن ظهر الله لإبراهيم، ولذلك فإن الحديث الذي دار بين الله وبين إبراهيم عندما كُتِب، إنما كُتِب عن اختبار، وذات الأمر بالنسبة لأسحق، وأيضًا يعقوب وموسى وداود وسليمان، والأنبياء أيضًا، كل هذه كانت اختبارات أُناسٍ سمعوا الله واختبروه في ثلاثة أشياء؛ **أولا** في المواعيد، **ثانيًا** في البركة، **ثالثًا**

في ظهورات الله، بما يعني أن الله لا يُكلِّم النبي فقط، ولكن يَظهَر له أيضًا مثلما حدث مع أشعياء.

وعندما يتكلم الله مع الأنبياء، فإنه يتكلم عن أشياء من واقع الحياة الإنسانية، مثلما حدث مع موسى على جبل حوريب، وما ورد في سفر يونان، ومثل نبوة هوشع، وهي طبعًا من أعظم أسفار العهد القديم، لأن الله يتهم فيها إسرائيل بأنها زانية. نبوة هوشع تتلخص في كلمتين، يقول الله إن أُمكم زانية لكني سأعفو عنها وأتزوجها من جديد، وسوف آخذها وأُكلمها كلامًا لطيفًا مثلما حدث في أيام البرية وأدعوها زوجتي وأعطيها البركات. هنا يأخذ الله كلامًا من الواقع الإنساني عن العلاقة الزوجية. ولذلك لا ينفصل العهد عن المواعيد، فهما كتلة واحدة، وهو أمرٌ قد يظن البعضُ معه أن الله عندما يُظهر غضبه على بني إسرائيل، فإن هذا الغضب يخصُّنا نحن أيضًا، وهو أمر غير صحيح، لأن هذا الغضب يعبِّر عن أن هناك شخصًا جُرِح لأن الطرف الثاني في العهد تبيَّن أنه غير أمين وغير شريف وعنيد.

وهناك تعبير عبراني جيد جدًا يصف هذا الشخص بأنه زنى مع الآلهة الغريبة، فالله يغضب، أو يسخط كما يقول المزمور لأن هناك عهدًا كُسِر، وكسرُ العهد هذا هو الذي يظهر في العهد القديم على أنه الخطية الكبرى، لأن الله لم يذكر خطيةً معينة، وإنما كانت أكبر خطية في العهد القديم يعبِّر عنها الله بالغضب وبالرفض هي العبادة الوثنية، لماذا؟ لأنه كان ينظر إلى العهد على أنه علاقة زيجة، وهذا أقرب شيء للوجدان الإنساني. والتعبير عن علاقة العهد بالزيجة لا يقتصر على نبوة هوشع، ولكنه موجود أيضًا في أرميا وعند أشعياء وفي المزامير وغيرها، حيث توصَف هذه الحالة بأنهم زنوا مع البعل.

ولذلك، فإن التعبير النبوي، يجب أن يُفهم من خلال الاختبار ولا يُشرح

كنص، فالعهد القديم والعهد الجديد هما اختبارٌ شخصيٌّ، يُشرح من خلال العلاقة، أي من خلال ثوابت لا تتغير -قياسًا على نص العبرانيين ٦: ١٣ - ١٨: "بأمرين عديمي التغير، ليس النص أحدهما، بل الوعد والقسم"، وإلَّا ستكون قراءتنا قراءة إسلامية في حين أن قراءتنا يجب أن تكون قراءة مسيحية تستند إلى الثوابت الآتية:

١- أنني كمسيحي لست مُلزمًا بالنص، وإنما مُلزمٌ بالوعد،

٢- أنني مُلزمٌ بما أُعلِن،

٣- أنني مُلزمٌ بشخص المسيح.

ولذلك فعندما نقول إن المسيح رب المجد هو الذي يشرح لنا العهد القديم، فمعنى ذلك أننا يجب أن نبدأ بالمسيح، ثمَّ نعود إلى الوراء، لا أن نبدأ من التكوين إلى الرؤيا، وإنما من المسيح رجوعًا للمزامير، أو للتكوين ...إلخ وتأكيدًا على هذا المنهج أنصح القراء بالاطلاع على كتاب الكاردينال جان دانيللو "الكتاب المقدس والليتورجية»[١] وهو أفضل كتاب للقارئ القبطي، كان أساتذتنا في كلية اللاهوت في جامعة كمبردج قد طلبوا منا قراءته. والكتاب يؤكد على أن الآباء عندما تعرَّضوا للعهد القديم -وأرجو أن ننتبه جيدًا إلى ما يلي لأنه كلام حساس ومهم جدًا- قالوا إن العهد القديم يُفهم بما أسموه typology وكلمة typos - تيبوس، أو type - تايب باللغة الإنجليزية تُترجَم علامةً أو رمزًا. المشكلة هنا ليست مشكلة ترجمة، فالمصطلح typology قد يعني التأويل الرمزي أو الشرح الرمزي.

يهمني هنا أن أوجه النظر إلى أن الأحداث القديمة كلها بما فيها الأيام الستة الأولى لخلق العالم تُفهم بشكل رمزي، وليس بمعنى أن اليوم ٢٤ ساعة،

(١) ترجم القمص ميخائيل ميخائيل مليكة الجزء الأول من هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان "الإنجيل والليتورجية" وصدر بالقاهرة ١٩٩٦ [المحرر].

وإنما بما أن العهد الجديد يتكلم عن الخلق الجديد أو الخليقة الجديدة، فإن ذلك يعني أن هذه الأيام الستة الواردة في سفر التكوين هي أساس البيت الذي وُضِعَ في الأرض. ولأن أحدًا لا يقطن في الأساس، وإنما فيما يعلو هذا الأساس من بُناء، فيجب علينا أن ننتبه إلى أن الخلق الجديد (الكنيسة) يَجُبُّ ويشرح الخلق الأول، وهو ما يعني بالنسبة لنا أن كل الصراعات الموجودة على تفسير أيام الخليقة الستة الأولى، وما إذا كانت تُفسَّر تفسيرًا رمزيًا أم حرفيًّا، هي صراعاتٌ نصية فقهية إسلامية بروتستانتية، ليس لها علاقة بالمسيحية، لماذا؟ لأننا عندما نتكلم عن الخلق الأول، فنحن لا نتكلم عن نص، وإنما نتكلم عن شهادة وردت في "قانون الإيمان"، حيث نردد: "بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل خالق السموات والأرض"، دون أن تحدد هذه الشهادة عدد أيام أو سنوات أو ساعات، لأن عدد أيام الخلق ليس هو الموضوع، إنما الموضوع هو الإيمان بالله الخالق، وطالما أن الله هو الخالق، فيمكنه أن يخلق في ست ثوان أو في ست ساعات أو في عشرة أيام، وبالتالي الكلام عن كنه أيام الخلق هو بمثابة إضاعة للوقت والمجهود واصطناع مشكلة من لا شيء. الأمر الجوهري ليس في عدد الأيام، وإنما في فعل الخلق، في أن الله هو الخالق. والدليل على ذلك هو أن سفر التكوين بعد أن تكلم عن الخلق في ستة أيام في الإصحاح الأول، أعاد قصة الخلق في تك ٢: ٤ "هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، **يَوْمَ** عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ"، بما يُفهم منه أنها خُلِقَت في **يومٍ واحد**، وهنا يثور التساؤل الذي تفرضه علينا طريقة الفهم "النصوصية»: هل خُلقت السموات والأرض في ستة أيام أم في يومٍ واحد؟ ما يُجيب عن هذا التساؤل هو أن كلمة "يوم" في سفر التكوين -طبقًا لشرح علماء اليهود- تعني حقبة، أو فترة، حسبناها نحن في العصر الحديث بـ ٢٤ ساعة، أما كاتب سفر التكوين فقد حسبها في الأصحاح الأول بشروق الشمس وغروبها. أمَّا في الأصحاح الثاني من سفر التكوين،

فلم تُحسب هذه الفترة بشروق الشمس وغروبها، بل بكونها فترة واحدة تمت فيها عملية الخلق وانتهت، وهو ما يبيِّن أن أداة القياس عند كاتب سفر التكوين غير أداة القياس التي نستخدمها في العصر الحديث. وهذا هو الشرح اليهودي الذي كان اليهود يرددونه في مجامعهم، لأنهم كانوا يدركون أن قصة الخلق في تك ١ تختلف عنها في تك ٢. وهو ما ورد في مدراش رابا، أي تفسير حكماء إسرائيل. وبالتالي إذا كانت أيام الخليقة في العهد القديم هي الأساس الذي يحمل المبنى، فأنا في العهد الجديد لا أسكن في هذا الأساس، وإنما فيما يعلو هذا الأساس، أي الكنيسة، وهي ما يوصلني إلى الحياة الأبدية، وهي البناء الذي يعلو الكنيسة، هذا مثالٌ على التأويل الرمزي.

ما المقصود بقراءة العهد القديم قراءة تيبولوجية؟

عندما قال الآباء إن العهد القديم يُفهم من خلال دراسة الرموز typology فقد كانوا يقصدون بذلك أن حدثًا ما يقع، وهذا الحدث يجد تفسيره والغاية purpose منه في المستقبل، وذلك كحدث نزول المن الذي أُعطيَ لبني إسرائيل في البرية، حيث يظهر أن المن يجد تفسيره وغايته في المستقبل في الإفخارستيا (يو٦). وأيضًا عبور البحر الأحمر، وهو حدثٌ يجد تفسيره وغايته في المعمودية، طبعًا لا أحدَ يعبر بحرًا في المعمودية، وإنما هي عبورٌ من العبودية إلى الحرية.

كذلك قال الله ليكن نور فكان نور، النور هنا type أو رمز للمعرفة الإلهية التي ستشرق في قلب الإنسان، وهو ما عبَّر عنه الرسول بولس بقوله: "اللهَ الَّذي قَالَ: "أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ"، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ كو ٤: ٦). وهنا يجب أن ننتبه إلى أن كلمة "وجه" هي كلمة "أقنوم – prosopon" وهنا يظهر التأويل الرمزي في أن حدثًا وقع، معناه وغايته يكمُلان في المستقبل.

والمثال على ذلك نأخذه من عند كيرلس الكبير: الرب يسوع المسيح له المجد حوَّل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل، بعد ذلك بثلاثة أيام ترك قانا الجليل، فيقول ق. كيرلس إن الرب في عرس قانا الجليل قدَّس بداية الجنس البشري، أي الزواج، وهو ما يعني أنه انتقل من المعنى التاريخي للمعنى اللاهوتي، فبيَّن لنا أن هناك معنيين؛ المعنى التاريخي وفيه تقرأ النص كما هو، ثم تنتقل إلى المعنى اللاهوتي. كذلك حادث التجلي على جبل تابور في حضور التلاميذ الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا، المعنى في التجلي يظهر في أنه يعطينا مواعيد الحياة الأبدية، وقد حدث التجلي على جبل طابور في عيد المظال عند اليهود، العيد الذي يصنعون فيه مظالًا يسكنون فيها تذكارًا للبرية، لكن المظلة التي ظللتهم على جبل طابور كانت هي مظلة الروح القدس، وهنا أحضر النبيان موسى وإيليا، وظلل المجد الإلهي الجميع حتى أن ملابس الرب يسوع له المجد كانت تضيء بنور أكثر لمعانًا من نور الشمس. أنا رأيت أيقونات للتجلي تصوِّر التلاميذ واقعين على الأرض في حالة ذهول/ نشوة ecstasy من منظر تجلي المسيح، وقد ظهر لنا المعنى الأبدي لهذا الحادث في قول معلمنا القديس بولس في فيلبي ٣: ٢١: "الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ"، مع أن بولس لم يرَ جسد المجد عيانًا، لأنه لم يكن قد حضر حادثة التجلي، إنما رأى جسد المجد في خبرة التلاميذ الذين قالوا إننا رأيناه "وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ" (٢ بط ١: ١٨)، ورآه في صورةٍ أخرى في الطريق إلى دمشق، وذلك حين رأى نورًا، فالواضح أنه رأى شخصًا نورانيًّا قال له "أنا هو يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، صعبٌ عليك أن ترفس مناخس".

هنا، **الخبرةُ هي التي تكوِّن النص، فإذا تجاوزتَ النصَّ إلى الخبرة، تفهم النصَّ فهمًا صحيحًا، أما إذا تمسَّكت بالنص خلوًّا من الخبرة فسوف تتوه في فيافي الحرف، وبالتالي عدم فهم المعنى المقصود خلف النص.** والمثل يوضح

ما أقول، كنتُ في حوارٍ مع مجموعة من الأرثوذكسيين وسألتهم: عند التقدم للتناول من جسد الرب ودمه، لماذا يقول الأب الكاهن للمتناول: هذا هو جسد ربنا يسوع، هذا هو بالحقيقة آمين، ولا يقول له خُذ قطعة من جسد المسيح؟ وقلت لهم إن الكاهن يقول ذلك لأن كل شخص من أشخاص المتناولين يأخذ المسيح كله، كيف؟ ربما لم ينتبه أحدنا إلى أن هذا هو جسد المجد الذي لا يمكن تقسيمه، الموت يأتي بالتقسيم، أما القيامة فتجيء بالاتحاد. وهنا طلب أحدهم أن أُثبت له هذا الكلام من الكتاب المقدس، فقلت له إثبات هذا الأمر لا يجب أن يقتصر على الكتاب المقدس، وإلَّا فسوف أكون عندئذٍ إمَّا إنجيليًّا أو مسلمًا، وأنا لست إنجيليًّا ولست مسلمًا، وسوف أُثبت لك هذا الأمر من الليتورجية ومن كلام المسيح نفسه: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، وها نحن منذ ٢٠٠٠ سنة نتناول جسد المسيح، ولم ينتهِ أو ينفَد، ولن ينفَد، لأنه جسدُ من غلب الموت. هنا، القيامةُ هي التي تشرح الإفخارستيا، بالرغم من أن القيامة ذُكرت في الأناجيل كحدثٍ وقع بعد الإفخارستيا، لأن الإفخارستيا صُنعت يوم الخميس، وهنا يجب أن ننتبه إلى أن **التفسير التاريخي هو تفسيرٌ للنص، أمَّا التفسير اللاهوتي، فهو تفسيرٌ غائي، والغاية فيه هي العلاقة أو الشركة، وهو أمرٌ يصنع فارقًا كبيرًا.**

أقول هذا الكلام حتى نتخلص من الثقافة الإسلامية الإنجيلية التي تُفسد علينا المعنى الذي يجب أن نحصل عليه من النص. ذلك أن **الأرثوذكسي الحقيقي الواقف في الكنيسة يعرف أن القاعدة الأساسية، صخرة كل الدهور هي شخص المسيح الذي لا يُعرَّف بنصٍّ ولا يُشرح بنصٍّ، وإنما باستعلان الروح القدس**، ولأن النص شهادة، والشهادة خبرة، والخبرة تُعاش، وهنا أعود إلى التشبيه الذي أخذناه من عند مار إفرام عن المياه الساخنة، فإذا وصفت لي المياه الساخنة دون أن تضع يدي فيها، فالشرح يفقد كل ما له من فائدة، بالرغم من المعلومات التي حصلت عليها عن المياه الساخنة، لكن لم أتحصل

على خبرةٍ ما بهذه المياه. وفي كل مرة أتعرض فيها لنصين متعارضين، فيجب أن أكون على يقين من أن هذا التعارض أو حتى التناقض في الفكر النبوي، إنما هو تناقضٌ من أجل الغنى، بحيث يمكن أن نفهم موضوعًا ما بطريقتين أو أكثر، لماذا؟ لأن الرسول بولس عندما يتكلم عن علاقته بالعهد القديم يقول: "لَمَّا كُنْتُ طِفْلًا كَطِفْل كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْل كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْل كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ" (١ كو ١٣: ١١).

«إله العهد القديم" في الأدب النقدي

وهنا نتعرض لما يُسمى في أدبيات النقد بـ"إله العهد القديم". يقولون: هل الله المحبة هو إله العهد القديم الذي يقتل ويذبح؟ هنا يجب أن ننتبه إلى أن الله لم يكن يقتل أو يذبح، ولكن العقيدة الدينية -في هذا الوقت- كانت هي قلب وجوهر كل شيء في المجتمع، وكان الله يدافع عن شعبه، وهي ذات الفكرة السائدة لدى كل الشعوب الأخرى. الطامة الكبرى هي قراءة تاريخ إسرائيل القديم بمعزل عن تاريخ الأشوريين والفراعنة والبابليين والفرس، في حين أنه كان أحد الشعوب التي تؤمن بأن الحرب هي من أجل البقاء، وكان محور الحرب هو عبادة يهوه. ولذلك، مَن يقرأ العهد القديم قراءة جيدة يجد أن المرَّات التي كان يتقدم فيها تابوت العهد المعارك العسكرية كان شعب إسرائيل يكسب الحرب، وفي المرات التي لم يتقدمهم تابوت العهد بعد أن أصبح هناك ملكٌ في إسرائيل كانت الهزائم تلحقهم مثلهم مثل الشعوب الأخرى، ولم تدم مملكة إسرائيل إلَّا حوالي ١٥٠ سنة تقريبًا وانتهت، وخضعوا للغرو الفارسي وغيره. وهو تاريخٌ صعبٌ جدًا، ونحن ننظر له باستغراب متسائلين عما يحدث، في حين أن ما كان يحدث كان هو التصرف العادي الذي كان يحدث عند كل الشعوب القديمة في المنطقة كلها من أول العراق شمالًا إلى جنوب وادي النيل في مصر. كان الذي يحكم الأمر هو الصراع

بين البشر، وليست هذه إرادة من الله. ولكن النقطة الخطيرة التي يجب أن نلتفت إليها، هي أن الله يضطر للتدخل لكي يُبقي على شهودٍ، وهو ما نقرأ عنه في عب ١١، وهنا نجد مبدأً لاهوتيًّا مهمًا جدًا، وهو أن الشاهد لا يمكن فصله عن الجماعة التي يعيش فيها، فعندما نقرأ أسماء الأبطال الموجودين في عب ١١ نجد أن كل هؤلاء أصلًا كان لهم وجودٌ في شعب إسرائيل. طبعًا هذا فُهِم بشكلٍ آخر في وسط الكنيسة بناءً على عب ١١. ولكن يجب أن ننتبه إلى أن دولة إسرائيل الحديثة لم تتكون إلَّا سنة ١٩٤٨ بواسطة الإنجليز، وتدعمها القوي العسكرية الكبرى في العالم، وبالتالي لا علاقة لها بإشعياء ولا بحزقيال ولا داود، وليس هناك تابوت عهد وخلافه، وإنما هناك مطامع سياسية. وبالتالي، الأمر في العهد القديم يختلف كليًّا عن العهد الجديد الذي يرتكز على أربعة ثوابت غير قابلة للتغيير:

١- أنه عهدٌ بين الله والإنسانية وليس مع شعب معين.

٢- أنه عهدٌ لا دورَ فيه للأساس البيولوجي، لأننا نولد ولادة جديدة سماوية في العهد الجديد.

٣- أنه عهدٌ لا علاقة له بمكان جغرافي.

فبالرغم من أهمية أورشليم كمكان تاريخي له علاقة بصلب المسيح، وأيضًا بيت لحم، وغيرها، لكننا في الكنيسة الأرثوذكسية نطلق على المكان الذي نصنع فيه القربان اسم "بيت لحم"، والمذبح نسميه "الجلجثة"، والمعمودية نسميها "الأردن"، بما يعني أن **طبوغرافية فلسطين دخلت إلى الليتورجية، فأصبح العهد الجديد مبني على طبوغرافية جديدة ليس لها علاقة بالأماكن التاريخية القديمة**، لماذا؟ لأن الذي جعل من بيت القربان بيتَ لحمٍ هو عطاء الجسد والدم. والذي أسمى المعمودية بالأردن هي معمودية الرب في الأردن، والذي جعل المذبح هو الجلجثة والقبر والقيامة هو موت ودفن وقيامة ربنا

يسوع المسيح، لذلك مكتوب على أبواب الهياكل في الكنائس القديمة: "هذا هو باب الرب والصديقون يدخلون فيه"، أي أنك تدخل إلى قدس الأقداس الذي تجد فيه حضن الآب، وبذلك أصبح الرمز ينطبق على الواقع الليتورجي الذي تحياه وتمارسه الكنيسة في العهد الجديد(١).

٤- أن العهد الجديد هو عهدُ شركة بين الله والإنسانية تُعطى فيه الحياة الإلهية، ولا يمكن تقييد الحياة الإلهية المتجسدة بزمانٍ أو مكانٍ أو تاريخ. ولذلك قلت لكل الأخوة إننا عندما نتناول جسد الرب ودمه، فإننا لا نأخذ قطعةً من جسد المسيح، وإنما نأخذ المسيح كله، لأن جسد المسيح ليس خاضعًا للفساد ولا للانقسام، ولكنه الجسد الممجد، ونحن نأكله ليس لأنه لقمة بركة، وإنما نأكله لكي نحيا إلى الأبد، لأنه جسدُ مَن هو حيٌّ وغلب الموت.

إذن، ففي قراءتنا للعهد القديم والعهد الجديد يجب أن نلتزم بالتعليم الرسولي دون أن نشت بعيدًا عنه، ولذلك يجب علينا أن نرجع للسر، نرجع لاستعلان المسيح بالروح القدس.

مرجعية الكتاب المقدس في المفهوم الأرثوذكسي

يبقى سؤالٌ مهم وضروري؛ لماذا نقتبس كلام الكتاب المقدس في الكلام عن العقيدة؟ هنا يجب أن ننتبه وبشدة **إلى أننا -أرثوذكسيًّا- نقتبس الكتاب المقدس كشهادة للتعليم، وليس كمصدرٍ للتعليم**، فما الفرق بين الاثنين؟ الفرق كبير، فالتعليمُ معروفٌ، ولكن أنت تشهد له عن طريق الشاهد الذي تُقدمه، فعندما تُقدم نصًّا من عند بولس أو من عند أثناسيوس الرسولي أو باسيليوس الكبير، وغيرهم، فهذه كلها شهادات، **لأن التعليم لدينا هو الاختبار**

(١) راجع في ذلك د. جورج حبيب بباوي، الليتورجيا القبطية مدرسة اللاهوت الأرثوذكسي، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٧، ص ٢٤ - ٣٠ [المحرر]

الشخصي المودَع في الممارسة الكنسية، في الليتورجية وفي السرائر mysteries / sacraments وفي التذوّق الشخصي. ففي تقديم شهادتك عن هذا التعليم قد تجد في الكتاب المقدس أو عند أحد الآباء أو في نصٍّ من النصوص الليتورجية ما يؤيد ما تعرفه أو تؤمن به.

على سبيل المثال لو أخذنا قصة إقامة لعازر من الأموات كنص، لوجدنا كثيرًا من التفاصيل التي يمكن أن تعُيق فهمنا الصحيح والحقيقي للقصة بوصفها بشارة مفرحة. وقراءتنا للقصة بكونها بشارة مفرحة يختلف عن قرأتنا لها بعيون محقق جنائي يسأل عن الواقعة وعن الشهود وعن كيف، ولماذا، ومتى ...إلخ. هنا علينا أن نضع الغاية من النص أمام أعيننا بحيث لا نغرق في التفاصيل مما يضيِّع علينا مفهوم النص كشهادة. البشارة أو الخبر المفرح في الإنجيل يوجِّهان النظر إلى ما سيأتي وإلى ما سيُعطى دون الاستغراق في تحليل التفاصيل.

في النهاية، أقول ذلك للأخوة والأخوات لأنني أريد انقاذكم من طريقة الثقافة الإسلامية والبروتستانتية في التعامل مع النص. لا تكن قبطيًّا مسلمًا، بل كن قبطيًّا أرثوذكسيًّا على دين الآباء والبطاركة والشهداء والمعترفين والنُّساك في أننا نعيش خبرة، وهذه الخبرة هي شهادة، وهذه الشهادة هي الخبر السار، وهذا الخبر السار هو استعلان يُعطى بالروح القدس، وهو ما يعيدك إلى الكلام الذي قلته في بداية هذه المحاضرة؛ أن هناك طريقين: **إمَّا أن تقرأ الكتاب لكي تصل إلى المتجسد، وهذا هو الطريق السائد في أغلب كنائسنا جريًا في الطريق الذي سلكته حركة الإصلاح في العصر الوسيط الأوربي، أو أن تبدأ بالمتجسد لكي تفهم الكتاب بطريقة أخرى مختلفة عن الطريقة الإسلامية والإنجيلية، عندئذٍ نشترك في خبرة القديسين للحياة في المسيح.**

العلاقة بين القراءة والمعرفة والاختبار وقراءة الكتاب المقدس

سؤال: ما هي العلاقة بين القراءة والمعرفة والاختبار وقراءة الكتاب المقدس، وهل يسبق الاختبار القراءة، أم أن القراءة جزءٌ من الاختبار؟

هذا السؤال في حقيقة الأمر يتناول أكبر مشكلة في تاريخ الكنيسة، وهي مشكلة التعليم الكنسي. مشكلة التعليم الكنسي تنحصر في أربع قضايا حساسة لا أملك لها حلًّا آنيًّا، حلها سيأخذ وقتًا طويلًا، وربما لن تُحل.

القضية الأولى، هي أننا كنّا نأخذ التعليم من معلم كنسي مختبِر، فكان هذا المعلم يسلِّم تلاميذه اختباره الحي، وهذا الاختبار الحي يساعد هؤلاء التلاميذ على القراءة الصحيحة.

القضية الثانية، هي أن التعليم الكنسي مرتبط بالممارسة، والممارسة هي صلوات الكنيسة في الليتورجية. وبالتالي ينبغي للتعليم الكنسي أن يصل بنا إلى الممارسة، لأن القاعدة الكنسية القديمة الموجودة من أيام القديس إيرينيئوس تقول: نحن نصلي ما نمارسه، ونمارس ما نصليه. **فإذا كان التعليم لا يصل بنا إلى الممارسة، فيكون تعليمًا غير مسيحي**، لماذا؟ **لأن المسيحية بُنيت على ممارسة في الذات الإلهية، وهي المحبة الثالوثية**، ممارسة لهذه المحبة في التجسد، وممارسة لهذه المحبة في إبادة الموت والخطية والدينونة. في بداية المحاضرة أشرت إلى المبادئ الثلاثة التي تحكم قراءتنا الأرثوذكسية للنص، وهي اتحاد السماء والأرض في التجسد - إبادة الدينونة والخطية والموت في الصلب والدفن والقيامة - تكوين الخليقة الجديدة التي هي الكنيسة. هذه هي الممارسة.

القضية الثالثة، أن التعليم الكنسي لدينا يبدأ بدروس محددة في التاريخ، في التاريخ الكنسي كان لدينا دروس للموعوظين موجودة عند القديس كيرلس

الأورشليمي، وأعتقد أنها نُشِرت باللغة العربية[1]، وهي عبارة عن تسليم الإيمان من خلال عظات تنقل الإنسان من بداية الإيمان المسيحي إلى الكمال الذي يتحقق في الصلوات الكنسية، في المعمودية والميرون والإفخارستيا.

القضية الأخيرة هي أنني في التعليم الكنسي أحصل على ما يسندني في الاختبار الكنسي، أي الاختبار والتسليم والرؤية المعاشة مع المعلم الكنسي، أي الحياة النسكية. ولأننا ليس لدينا تعليم عن الحياة النسكية للعلمانيين، لذلك، فالصلاة والمداومة على معايشة المعلم هي طريق الحصول على الخبرة وعلى ما هو أعظم في التدرج في المعرفة، وصولًا إلى النمو الروحي المطلوب، بحيث نحرص على ألَّا يكون هناك تناقض بين الممارسة والتعليم، والمَثَل يوضح ما أقول، فلا يتفق القول بأن الرب يسوع المسيح له المجد دفع دمه ثمنًا لخطية الإنسان، بينما يُعطى هذا الدم في كأس الإفخارستيا. كما لا يتفق القول بأن الآب غَضِب على الابن وسحَقَه على الصليب، ثم تضع رشم الصليب على القربان أو على ملابس الخدمة، أو أن تبدأ الصلاة برشم الصليب، فهنا يوجد تناقض بين الممارسة وبين التعليم، بسبب أن الذي يذيع هذا التعليم لم يأخذ شيئًا من الحياة الكنسية، لأنه افتقد إلى معلم كنسي يعلمه ابتداءً، لذلك قلت إن حل مشكلة التعليم أمرٌ سيأخذ وقتًا، وقد تُحل وقد لا تُحل. رجاؤنا أن الله في محبته غير العادية، لديه الكثير من الوسائل لحل جميع مشاكلنا.

---

(١) راجع، أقدم النصوص المسيحية، سلسلة النصوص الليتورجية -٢، كيرلس الأورشليمي، العظات، تعريب الأب جورج نصور، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط، الكسليك، ١٩٨٢، وكان القمص تادرس يعقوب ملطي قد ترجم هذا الكتاب ونشرته كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج، الطبعة الأولى ١٩٧٠، والثانية ٢٠٠٦ [المحرر]

ما هو المقصود بما جئت لأنقض الناموس والأنبياء بل لأكمِّل؟[١]

قد يظن البعضُ خطأً -اعتمادًا على معنى كلمة "أنقض" في اللغة- أن هذا النص يعني أنني سوف أقول كلامًا ضد الكلام الذي قيل في العهد القديم. المسيح لم يأتِ لكي يفعل ذلك، ولكن هناك قاعدة ذهبية قالها القديس أثناسيوس الرسولي يجب أن ننتبه إليها، ألا وهي أنه يجب أن نقرأ كلمات الرب يسوع من خلال معرفتنا بالمناسبة التي قيل فيها هذا الكلام. والمناسبة التي قيل فيها هذا النص كانت هي العظة على الجبل، ففي العظة على الجبل يقول: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ ... وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ" (مت ٥: ٢١ - ٢٢)، فما قاله الرب في هذه العظة لم يكن نقضًا للكلام الذي قيل للقدماء، **ولكنه وصولٌ بالوصية إلى غايتها، ليس لأن الوصية ناقصة، ولكن لأن الغاية من الوصية تتحقق في المسيح.** ولذلك غير صحيح ما يقال عن العظة على الجبل من أن الرب يسوع رفع سقف الوصايا، لأن الإنسان في العهد القديم لم يستطع أن يطبق الناموس كما يجب، وبالتالي ليس من المنطق رفع السقف. لم يرفع الرب سقف الوصايا، ولكنه أدخل الوصية في قلب الإنسان، وقال للإنسان إن القتل ليس في أن تقتل أخيك فعلًا ولكن القتل في الغضب، وأن مَن يرحم يذوق رحمة الله، ولذلك دعا إلى أن يرحم الإنسان أخيه الإنسان لكي يذوق رحمة الله. وقال لكي تتعلم محبة الله انظر إلى مياه المطر وانظر إلى شروق الشمس على الأبرار والأشرار، لأنه إذا كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا صالحة فكم بالحري أباكم الذي في السموات، أي أنه يقوم بمحاولة لنقل الوعي من الشكل الخارجي للناموس إلى القلب.

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن القراءة الخاطئة للنص تقتصر على الناموس، في حين أن النص جمع بين الناموس والأنبياء، ولذلك تتملكني الدهشة ممن

---

(١) راجع بالتفصيل ما ورد بهذا الكتاب تحت عنوان: "علاقة الشريعة بالتدبير، بحث خاص لقطع دابر لفظ أُكمِّل، يكمِّل، ما جئت لأنقض .. بل لأكمِّل، (مت ٥: ١٧) [المحرر]

يُسقِطون كلمة الأنبياء، وهو يثير التساؤل. في أرميا ٣٠: ٣١ – ٣٣ نص مشهور جدًا يقول: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ (الرب هو الذي يقول)، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ (ما هو هذا العهد؟) ... أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا"، ما يعني أنه لن يكتب الوصايا على لوحين من الحجر، بل على القلب من الداخل، وبذلك انتقلت الوصية من المظهر الخارجي إلى القلب من الداخل، فأصبح مَن يغضب على أخيه باطلًا قاتلَ نفسٍ. طبعًا، انتقال الإنسان من المعنى الحرفي إلى المعنى الروحي أمرٌ صعب يحتاج إلى جهد ووعي. ولتوضيح ذلك أسوق لكم هذه القصة التي كنتُ أحد الشهود عليها. حدث أن تنيح وكيل وزارة مسيحي، وجاء زميل له غير مسيحي ليؤدي واجب العزاء فيه في كنيسة مار مرقس أرض الشركة، وهي الكنيسة التي كان يخدم فيها الرجل العظيم أبونا ميخائيل إبراهيم، وكانت الجنازة تضم عددًا كبيرًا من المسلمين، وكان عظات أبونا ميخائيل بسيطة جدًا وشاملة، ينطبق عليها أسلوب السهل الممتنع، ففي عظته التي ألقاها في الجناز قال: احنا في مسيحيتنا معندناش أن الأعمال الصالحة يُذهِبن الأعمال الشريرة، بعكس الإسلام الذي يقول إن الحسنات يُذهبن السيئات. فبعد الجناز قابله هذا الرجل وقال له: حضرتك يا جناب القمص قلت إن الأعمال الخيرة لا تُذهب الاعمال الشريرة؟ فقال له نعم، فقال له: لماذا؟ فقال له لأنني إذا عملت عمل خيِّر لكي أنال الغفران على عمل شرير، عندئذٍ فأنا لم أفعل الخير من أجل الخير، أنا عملت الخير من أجل غفران عمل شرير، أي فعلته من أجل عمل شرير، وهذا يعني أنني لم أفهم بعد الفرق بين الخير والشر. وإذا عملت الخير من أجل غفران عمل شرير، فالحال هنا أنني منعت الله من أن يكون رحيمًا لأن الرحمة هي أن أُعطي رحمةً لمن لا يستحق الرحمة، لأنك إذا رحمت شخصًا يستحق الرحمة

فلا تكن هناك رحمة، إنما الرحمة تُعطى لمن لا يستحق الرحمة. ثم نظر له وقال له: تحب تعرف أكتر من كده؟ قال له: نعم، فقال له: عندما تفعل خيرًا فأنت تفعل عملًا أرضيًا، كأن تُشبع واحد جعان، أو تكسو شخص عُريان، أو تعطي فلوس لواحد محتاج، وبالتالي بتشيل قدامه عمل شرير، فهل ده يخليني آخد عليه أجر أبدي؟ أبدًا، هل اشتري أمور أبدية سماوية بأمور أرضية؟ دي تبقى تجارة فشلانة. فبعد أن غادر هذا الأخ قلت له: يا ابونا ميخائيل الكلمتين اللي اتقالوا على باب الكنيسة يساووا محاضرة في الإكليريكية، فقال لي: ليه، فقلت له أنا أول مرة آخد بالي من **أن الخير يُعمل من أجل الخير**، فقال لي هوا أنت ماكنتش تعرف دي؟ فقلت له: لا ماكنتش أعرفها بالشكل اللي أنت قلته، يعني لم تكن محددة بالشكل اللي أنت قلته، عندئذٍ قال لي كلمة كُتبت على قلبي، "يا أخ احنا في زمن انشطرت فيه المعرفة، أي أنها تبحترت وأصبح من الضروري من أجل مجد المسيح له المجد أن نتكلم عن أمورٍ محددة بدقة وبحكمة إلهية". عندئذٍ فهمت الكلام الذي كان يحمل لنا تحذيرًا من أن نكتفي بالكلام عن الله بكلمة "الله"، بل يجب أن نقول "الله الآب أبو ربنا يسوع المسيح"، لأن كلمة "الله" كلمة عامة تجدها عند اليهود وعند المسلمين، إنما "الله الآب أبو ربنا يسوع المسيح" هي كلمة خاصة بإنجيل الرب يسوع المسيح.

الفصل العاشر

كيف قرأ الآباء في القرون الأولى العهد القديم؟[١]

العهدان ليسا متساويين

كما ذكرتُ في مرَّاتٍ سابقة أنه لم يكن لدينا كتاب اسمه العهد القديم، وإنما كان لدينا التوراة والأنبياء والكتب، ولذلك كانت التوراة، أي أسفار موسى الخمسة هي أسفار الشريعة، وأسفار الأنبياء هي نبوات عن الرب يسوع له المجد.

وهنا ألفت النظر إلى أننا قد خضعنا في بداية النهضة القبطية دون أن ندري إلى الاتجاه البروتستانتي الذي يقول بأن العهدين متساويان، وهذا الرأي لم يكن معروفًا في الكنيسة الجامعة على الإطلاق، لأن أول من جعل العهد القديم مساويًا للعهد الجديد كان هو يوحنا كالفن. ونحن نعتبر أن العهد القديم هو كتاب الموعوظين، وأن العهد الجديد هو كتاب المؤمنين، ولذلك العهد الجديد وحده هو الذي يُقرأ في الخدمات الكنسية في الليتورجيات، أمَّا النبوات فتُقرأ في الأعياد السيدية والصوم الكبير لأنها من كتب الأنبياء، ولكن، عمومًا، لا تُقرأ من التوراة إلَّا فصول مختارة للكلام عن الفصح.

أرجو أن تفتح هذه العجالة الصغيرة باب الفكر والبحث، لأننا، لكي نتكلم عن هذا الموضوع بالتفصيل نحتاج إلى ساعات كثيرة، ولكن ما يهمنا في الوقت الحالي أن نأخذ فكرة عامة، ومن ثمَّ ندخل في التفاصيل.

---

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في أول أكتوبر ٢٠٢٠.

ما الذي دعا الكنيسة المسيحية لأنْ تُبقي على العهد القديم؟

ما الذي دعا الكنيسة المسيحية أن تُبقي على العهد القديم في الكتاب المقدس؟ أمران؛ **الأول هو النبوات،** في الحقيقة النبوات وليس التاريخ، لأن الأسفار التاريخية لم تحظَ باهتمام كبير عند آباء الكنيسة. الكنيسة الغربية هي التي بدأت في الاهتمام بالأسفار التاريخية التي هي الملوك وصموئيل وأخبار الأيام والقضاة، لكن عمومًا الأسفار التاريخية لم تكن لها أولوية كبيرة في القراءات الكنسية ولا حتى في التعليم المسيحي، كانت تُقرأ لتعليم الموعوظين، ولكن ليس في داخل الخدمات الكنسية، والشاهد على ذلك هو كتاب القطمارس القبطي وقطمارس الروم والسريان والأرمن. والأمر **الثاني** هو أن آباء الكنيسة الكبار لما وجدوا أن العهد القديم لا ينطبق على الحياة المسيحية قرأوه قراءة تيبولوجية، أي قرأوه رمزيًا.

يهود الشتات والتأويل الرمزي للعهد القديم

عندما قرأ يهود الشتات العهد القديم، وهو يُسمى عندهم بـ"الدياسفورة"، وجدوا أنه لا ينطبق على وضع اليهود في الشتات، فلجأوا إلى التفسير أو التأويل الرمزي الذي نسميه التفسير التيبولوجي من الكلمة اليونانية "تيبوس – typos" والتي تعني علامةً أو رمزًا. وكانت هناك جالية كبيرة جدًا من اليهود تعيش في الإسكندرية -وهؤلاء هم الذين ترجموا العهد القديم إلى اليونانية، وهي الترجمة التي سُميَّت بالسبعينية، وهي الترجمة التي لجأ الآباء في اقتباساتهم للعهد القديم منها- ولأن هؤلاء اليهود كانوا يعيشون في الإسكندرية ولن يغادرونها، لذلك اعتبر أحدهم، وهو فيلون السكندري الذي ربما كان معاصرًا للقديس مرقس الرسول، أن رحلة خروج بني إسرائيل من أرض مصر هي بمثابة خروج النفس من العالم لمعاينة أسرار الله. هنا حدث مزجٌ كبيرٌ جدًا بين الفكر اليهودي وبين الأفلاطونية المحدثة - Neo Platonism

التي كان مركزها مصر، لأن أفلوطين -الذي يُعد مؤسس الأفلاطونية المحدثة- كان سكندري الأصل مولودًا في مصر، وكان هو الذي جدد الفكر الفلسفي لأفلاطون، وكان من أكبر المساهمين في الفكر اليوناني القديم.

وهنا نلفت النظر إلى نقطة مهمة جدًا، وهي أن الفكر اليوناني القديم كان يرى أن العالم الحقيقي هو العالم السماوي الروحي الدائم الأبدي، أما العالم الأرضي فهو عالم غير أبدي وخاضع للتغيير ومؤقت، وبالتالي لا وجود لحقيقة أبدية في العالم الأرضي، على أساس أن العالم الأرضي أو الكون - cosmos هو شيء مؤقت زائل. وقد عبَّر أفلاطون قبل أفلوطين عن هذه الرؤية من خلال تشبيه حالة النفس الإنسانية في حالتها الحاضرة، أي حالة عيشها في العالم الحاضر، بأنها أشبه بسجينٍ مقيَّدٍ بسلاسل وُضِع في كهفٍ ووجهه كان موجَّهًا ناحية حائط الكهف، وليس ناحية فتحة الكهف، وبالتالي لم يكن يرى الأشخاص الذين يمرون أمام فتحة الكهف على حقيقتهم، بل يرى ظلالهم المتحركة على الحائط، وهو ما يعني أنه لا يرى الحقيقة كما هي بل ظلالها. وهذا معناه أن العالم المثالي هو العالم الروحي، وأن العالم المادي هو عالم غير مثالي وعالم متغير ولا ينطوي على حقيقة أبدية.

لذلك وجد آباء الكنيسة الكبار أن الأفلاطونية، وأيضًا الأفلاطونية المحدثة، أي أفلاطون وأفلوطين، لا يسايران التعليم المسيحي الذي يرى أن العالم المادي هو محل ملكوت الله، لأنه العالم الذي فيه تجسَّد الابن وأخذ طبيعةً إنسانيةً وسكن في وسطنا، وأعطى كل أمثال الملكوت من هذا الواقع المادي، كمَثَل الزارع، والفريسي والعشار، والسامري الصالح، والابن الضال ... إلخ فكل هذه الأمثال هي عبارة عن عمل الله في الكون. كما أن الفكر الكتابي أو الفكر السامي – Semitic لا يقبل فكرة انفصال السماء عن الأرض، بوصف فكرة الانفصال هي فكرة يونانية الأصل لا تقبلها المسيحية على الإطلاق، كما أنها

لا تقبل أيضًا فكرة ثنائية الجسد والروح، وأن الروح هي الحقيقة الإنسانية، وأن الجسد شيء مادي زائل لا قيمة له، لأن ذلك يتعارض مع استعلان المحبة الإلهية للإنسان في الجسد الإنساني، ولذلك كانت عبارة "الكلمة صار جسدًا" (يو ١: ١٤) تُعدُّ صدمةً للفكر اليوناني القديم.

آباء الكنيسة والتأويل الرمزي للعهد القديم

كذلك وجد آباء الكنيسة عندما قرأوا العهد القديم أنه لا ينطبق على الحياة المسيحية، لأن الحياة المسيحية فاقت كثيرًا ما جاء في العهد القديم، وبهذه المناسبة يجب أن ألفت نظركم إلى أننا نخطئ خطأين كبيرين مزعجين جدًا لضميري ولقلبي؛ **الأول** هو أننا نظن أن الوصايا التي جاءت في التعليم المسيحي للرب يسوع نفسه هي وصايا أعلى وأسمى وأكبر من وصايا العهد القديم، وهو ما دعا بعض الوعاظ إلى القول بأن المسيح رفع سقف الوصايا، وهو كلام غير صحيح، لأن ما ورد من وصايا في متى ٥، ٦، ٧، ٨ ليست وصايا ذات مستوى أعلى مقارنةً بوصايا العهد القديم، وإنما ما حدث هو أن الرب أعاد الوصية إلى الحياة الداخلية، وهو ما لم تلتقطه أعين البعض فأخطأوا القراءة وبالتالي التدقيق في معاني النص. **فالوصية في المسيحية هي وصية خاصة بالملكوت**، والملكوت ليس به عداوة ولا بغضة، ولا طلاق إلَّا في حدود معينة، ولا إبقاء على الفكر العرقي المتطرف، لأن الله يشرق شمسه على الأبرار والأشرار ويقبل أشر الخطاة في الملكوت، وهذا غير الكلام القديم الذي جاء في العهد القديم.

ولأن هذه الوصايا خاصة بالخلقة الجديدة، أي أنها هي طريق تحول كيان الإنسان وتجديده، **فالخطأ الثاني** هو الظن الخاطئ بأن هذا التجديد يترتب على طاعة الوصية، في حين أن الوضع الصحيح هو أن التجديد يسبق طاعة الوصية، لأن التحول في كيان الإنسان بالإيمان بالمسيح هو الذي يجعل وصايا المسيح هي الحياة الجديدة.

وبناءً على ما تقدم، فعندما قرأ الآباء العهد القديم رأوا أن رحلة الخروج في العهد القديم تمثل رحلة الإنسان من أن يكون موعوظًا إلى أن يكون مؤمنًا، أي إنسانًا يعاين أسرار الله. وهنا يبدو أن علماء العهد القديم والتاريخ الكنسي، وأولهم العلامة أوريجينوس قد انتهجوا ذات النهج الخاص بفيلون السكندري. طبعًا هناك تشابهٌ كبيرٌ جدًا، ولكن هناك أيضًا اختلافًا كبيرًا بين النظرتين؛

الاختلاف الأول هو أن فيلون كان يهوديًا لا يؤمن بالتجسد، وإلَّا لأصبح مسيحيًا، وبالتالي فإنه يفتقد إلى الحدث الإلهي أو الاستعلان الإلهي الذي ربط بين السماء والأرض، لأنه كان يحيا في ظلال العهد القديم.

الاختلاف الثاني بين أفلاطون وأوريجينوس، هو أن أوريجينوس مسيحي، وكمسيحي يرى أن هناك حقيقةً في العالم المادي، ولكنها حقيقةٌ فائقةٌ جدًا يعبِّر عنها الرمز، ولو قال فيلون هذا الكلام لكان مسيحيًا، لأن الرموز التي لا تعبِّر عن حقيقة، تنقل الحقيقة من العالم المادي إلى العالم المثالي أو العالم الروحي لدى أفلاطون، الذي هو إنسان الكهف. لكن عند أوريجينوس، كمسيحي وقس يخدم الأسرار الكنسية ويعلِّم الموعوظين، فهو يدرك أن ما يمارسه في الكنيسة هو حقيقة، بل وحقيقة أبدية موجودة في الكون مصدرها المسيح بالروح القدس اللذان يحلان وكائنان في الكنيسة حلولًا أبديًّا[1].

والحقيقة في العهد القديم هي حقيقة مستقبلية تتمثل في مجيء المسيح. أمَّا في العهد الجديد في عهد ربنا يسوع المسيح، فالحقيقة موجودة

(١) على ما أتذكر، وقبل أن أستمع إلى محاضرات عن العلامة أوريجينوس في جامعة كمبردج، لم يكن أحد في الإكليريكية أثناء دراستي فيها كطالب يقول إن حلول الروح القدس في الكنيسة هو حلول أبدي، بل كنّا نظن أن الروح القدس يحل فقط عندما نستدعيه في الخدمات الكنيسة، ولكن حلوله في الكنيسة هو حلول أبدي في كلام الرب يسوع في يو ١٤، ١٥ "يمكث معكم إلى الأبد". ونحن نستدعي الروح لأنه موجود وحال في الكنيسة وليس لأنه غائب. النزول من السماء تعبير استُخدِم لتجسد الرب فقط لأنه تعبير يحتوي على الاتضاع الفائق للابن الكلمة، ونزول الروح القدس مرة واحدة في يوم العنصرة، ولم تُستخدم كلمة نزول وإنما كلمة حلول، لماذا؟ لأن الروح القدس حل على الرب يسوع في معمودية الأردن وكان يحل في العهد القديم قبل تدبير الخلاص.

أبدية، ولكن لأنها أعظم من الفكر ومن القدرة العقلية، فأحيانًا نستخدم بعض الرموز أو العلامات.

وظيفة الرمز أو العلامة في الليتورجية[١]

وهنا لنا وقفة قصيرة عن الرموز في القداسات، كمثال يشرح لنا أن الرموز تعبِّر عن الحقيقة الأبدية الموجودة في الكنيسة. **فعندما كنا نسأل أساتذتنا عن الرموز في القداسات كانوا يقولون لنا إنها من أجل أن تتذكر كذا وكذا. لكن عندما قرأنا شرح الآباء لليتورجية لم نجد كلمة "رمز"، وإنما وجدنا كلمة "علامة"، والعلامات الليتورجية لا لكي تذكِّرني بما حدث، بل لكي تفتح أمامي رؤية ما يحدث.**

إذن، الرموز أو العلامات، أيًّا كان المصطلح المستَخدَم، لا تذكِّرني بما حدث في الماضي كالقبر والقيامة ... إلخ، وإنما تفتح أمامي مجال الرؤية لاستيعاب ما هو حادث، وواقع، وموجود. وبالتالي فإن شرح الخدمات الإلهية بالطريقة التي كانت موجودة لدينا في العصر الوسيط، لا يعبِّر بجلاء ووضوح عن أن هناك حقيقةً أزليةً أبديةً موجودةً في داخل الحياة الكنسية، وأن هذه العلامات أو الرموز -سمِّها ما شئت- كلها إنما وُضِعت لكي تغرس روح التقوى وتُعيد الإنسان لاستيعاب ورؤية ما هو واقع وموجود وليس فقط للتذكر، **بمعنى أننا نتذكر لكي ينفتح الوعي على ما هو حادث وموجود، لا أن نتذكر ما هو غائب عنّا وفقط نتذكره بالطقوس أو الرموز.** وأبسط مثال على ذلك هو الاتجاه للشرق. كان يقال إننا نتجه إلى الشرق في الصلاة لأن المسيح صعد ناحية الشرق، وسيأتي من ناحية الشرق، ونحن نتجه إلى الشرق لكي نتذكر هذا. بكل أسفٍ هذا الكلام غير معروف عند الآباء، وإنما هو شرح العصر الوسيط. نحن نتجه

---

(١) راجع بالتفصيل، د. جورج حبيب بباوي، "منظومة العصر الوسيط في المسيحية المصرية - دعوة للمراجعة" جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٢ [المحرر]

للشرق لأننا في المعمودية جحدنا الشيطان متجهين للغرب، واعترفنا بالإيمان متجهين ناحية الشرق، فعندما نتجه نحو الشرق في الصلاة فكمؤمنين جحدوا الشيطان وآمنوا بالمسيح وارتبط إيمانهم بالمسيح. **فالاتجاه للشرق هنا هو انفتاح الوعي على النعمة التي أُعطيت في المعمودية.**

بالنسبة للعهد القديم، نأخذ حادث الخروج من أرض مصر، ونزول المن والسلوى. في يوحنا ٦ نلاحظ أن هناك خلفيةً تاريخيةً، وهي أن مناسبة الكلام هنا كانت هي عيد الفصح، وأُكمل كلام الرب يسوع المسيح في مجمع كفر ناحوم، وفي عيد الفصح كان اليهود يحتفلون بنزول المن والسلوى بعد الخروج من البحر الأحمر.

هنا يجب أن ننتبه إلى كيفية فهم العلاقة بين العهدين بشكل أرثوذكسي، ففي العهد القديم نزل مَنٌّ وسلوى، بينما في العهد الجديد، المعلم ربُّ الحياة لا يتكلم عن السلوى، ولكن عن المن فقط، ولا يصح القول في تبرير ذلك أن السلوى كانت نوعًا من الطيور يؤكل، وأن الجسد والدم حلَّا محل السلوى، قطعًا هذا التفسير غير صحيح. ولكن لأن حادث نزول المن حدث في البرية، "آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ. "فَقَالُوا لَهُ: "يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ" فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا" (يو ٦: ٣١ - ٣٦). هنا نجد نقلة ١٨٠ درجة عن العهد القديم، "فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ... أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ

الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو ٦: ٣٥ - ٥١).

وهنا يثور سؤالٌ فاصلٌ: هل كان نزول المن إشارةً إلى الإفخارستيا؟ بكل تأكيد لا لم يكن المن إشارةً إلى الإفخارستيا، لأن الرب يسوع يؤكد في يوحنا ٦ من عدد ٣٢ – ٥١ على أن موسى ليس هو من أعطاهم المن، بل الآب، وهنا ينقلهم الرب نقلةً نوعيةً كبرى من الخلفية التاريخية لعيد الفصح إلى الواقع الحي الذي يصنعه الرب نفسه، فيقول لهم إن كنتم تحتفلون في عيد الفصح بنزول المن، فأنا هو المن النازل من السماء، أنا هو خبز الله. وبالتالي فإن كلامه عن أن المن جاء من عند الآب، وهو ما يمكن أن يُعدّ -على استحياء- رمزًا، وهو في الحقيقة ليس رمزًا، لأن تكملة الكلام هو أنه في الحدث القديم أعطاكم الآب المن، لكنكم أكلتموه ومُتم "آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا"، وبالتالي أغلق الموتُ الباب على الرمز، وبالتالي لا يمكن أن يُعدّ المن رمزًا للإفخارستيا، لأن الإفخارستيا هي وليمة الحياة لا وليمة الموت.

ولعلنا نلاحظ أن كلمة "المن" تختلف عن كلمة "الخبز" حتى في اللغة اليونانية أو اللغة العربية. ولأن المن لم يكن خبزًا، ينقلهم الرب هنا من الوعي القديم إلى الوعي الجديد. وبالتالي فإن تطبيق الرمز على الحقيقية كان من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها كتابات قبطية معاصرة سارت على نهج الشيع البروتستانتية في تطبيق العهد القديم على العهد الجديد. أنا لا أعرف كيفية معالجة هذا الأمر.

علاقة التدبير بفهم الكتاب المقدس

عند الآباء يُسمَّى التدبير بالإيكونوميا، أي خطة الخلاص، وهذه الخطة تتضمن أربع حقائق جوهرية. موضوعنا هنا عن علاقة التدبير بفهم الكتاب المقدس. يقول القديس أثناسيوس الرسولي إن هناك نوعين من الخطاب

الديني أو من النصوص أو الآيات، أحدهما يتكلم عما حدث لابن الله كإنسان، والآخر نصوصٌ تؤكد على علاقة الابن بالآب، هذان النوعان يوضحان لنا ما هو التدبير. هذان النوعان من النصوص يجب أن يُقرآ معًا. لأننا لو أخذنا أحدهما مستقلًا عن الآخر، إمَّا أن نسقط في البدعة الآريوسية، أو نسقط في البدعة الخيالية[١]، المشبِّهة – Docetism وبالتالي يجب ألَّا نهمل أحدهما لصالح الآخر، لأن كلاهما يفسِّر الآخر.

في القداس الإلهي يقول الأب الكاهن: "وأكملت التدبير بالجسد. وعند صعودك إلى السموات جسديًّا ملأت الكلَّ بلاهوتك" (صلاة الصلح – القداس الغريغوري)، وهو ما يعني أن الصعود إلى السماء هو كمال التدبير أو الإيكونوميا. فإذن، هناك حركة إلهية يعمل فيها الناسوت لاستعلان اللاهوت تبدأ من بيت لحم إلى يمين الآب، وهي رحلة ليست في الفراغ، وإنما هي في الكلمة المتجسد، وهذا هو الأمر الذي يحتاج منّا إلى عناية في الوعي والفكر، وأثناء هذه الرحلة هناك عددٌ من المواقف، وفي كل موقف تنصلح علاقة الله بالإنسان شيئًا فشيئًا.

يعني أنا لم أسمع ولم أقرأ في مصر على الإطلاق حتى سنة ١٩٨٨ -أي قبل مغادرتي لها- أن **أصل الوجود هو المسيح المتجسد**، وهو ما يعني أننا نأخذ أصلنا من المسيح، بأي معنى؟ في العبرانيين في المقارنة بين ملكي صادق وبين الرب يسوع المسيح، يقول: "بِلاَ أَبٍ، بِلاَ أُمٍّ، بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ" (عب ٧: ٣). طبعًا هذا الكلام على الرب يسوع وعلى ملكي صادق، ولكن بما أننا نأخذ أصلنا من المسيح، فنحن أيضًا يا أخوة بلا أب وبلا أم وبلا بداية أيام وبلا نهاية أيام. في العهد القديم لم نعرف أي معلومات عن ملكي صادق، فلم نعرف هو من أي سبط، ولا أين وُلِد ولا

(١) وهي العقيدة المهمة في الغنوصية، وهي تعني أن جسد المسيح لم يكن جسدًا بشريًا بل كان خيالًا، ولم يكن مادة حقيقية ولكن سماوية، وبالتالي فإن معاناته كانت ظاهرة فقط. [المحرر]

أين مات، وبالتالي فسكوت العهد القديم عن أصل ملكي صادق استدعي من كاتب العبرانيين أن يقول إنه بلا أصل بلا نسب مشبَّهٌ بابن الله، بلا بداية أيام لأنه ظهر فجأة في قصة إبراهيم واختفى.

وعندما نقول إننا نحن بلا أب، فلأن أبوة الأب الجسدي نُقِلت في المعمودية إلى الآب السماوي، وعندما نقول إننا بلا أُم فلأن الأمومة نُقلت إلى الكنيسة، أي إلى جسد المسيح الذي ننضم إليه في جرن المعمودية، وعندما نقول إننا بلا بداية أيام، فلأن وجودنا الجديد لا بداية له، لأن بداية وجودنا هي في المسيح والمسيح ليس يومًا، المسيح شخصٌ. أنا لا أعرف ما إذا كان هذا الكلام جديدًا عليكم، أم أنكم على دراية به، أفيدوني عما إذا كان أحدٌ قد كتب هذا الكلام أم لا.

أنا لا وجود لي خارج المسيح، ولكي أوضِّح ما أقول أضرب لكم مثلًا بي أنا شخصيًّا، فأنا مولود في عام ١٩٣٨، وحتى لو قلت إنني تعمدت في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٧ فإن هذه التواريخ لا تُعد بالنسبة لي بدايةً، لأن البداية ليست في اليوم، البداية هي في المسيح، المسيح ليس يومًا، المسيح شخصٌ، فإذا قرأنا هذا الأمر في إطار التدبير، فسوف ينفتح أمامنا مجالٌ إلهيٌّ عجيبٌ وفائقٌ جدًا: أنا بدايتي المسيح، لذلك يصبح الماضي كله ليس له معنى عندي؛ أين وُلدت، وأين عشت، وماذا تعلمت أو ماذا قرأت؟ كل هذا لا أهمية له عندي. إذن، فبلا بداية أيام وبلا نهاية أيام، حتى بالرغم من أنه عند الوفاة ستكون هناك شهادة وفاة يُحدَّد فيها يوم الوفاة، فهذا أمر لا أهمية له، لأنه ليس لي نهاية أيام، لأن نهاية أيامي هي المسيح.

إذن، فالنقلة من الجانب الزمني إلى الجانب الأبدي التي ينقلني إليها التدبير، تجعلني أقرأ الكتاب المقدس بطريقة مختلفة، كيف؟ فمثلًا "كتاب ميلاد يسوع ابن داوود ابن ابراهيم"، هذا الكلام يصبح لا يختص بالمسيح

فقط، بل هو يخصني أنا أيضًا، وأنا هنا أستعيد المنهج المستيكي للعلامة أوريجينوس[١].

وعلى ذلك، فإذا كانت لدينا نصوص تتكلم عن التجسد، ونصوص أخرى تتكلم عن اللاهوت، فيجب قراءتهم معًا لكي لا نسقط في الهرطقة الآريوسية ولا في بدعة الخيالية، **وبالتالي يجب أن يكون واضحًا في فكري أن هناك قبولًا إلهيًّا للضعف وللخوف وللموت وللجوع وللعطش وللقبر، بما يعنى عدم تقسيم المسيح إلى اثنين،** لأننا رفضنا هذا الكلام بمجرد أن أحسسنا بأن مجمع خلقيدونية اقترب من النسطورية، فرفضنا مجمع خلقيدونية. سواء أكان هذا الموقف صحيحًا أم خاطئًا، هذا موضوع تاريخي ثقافي سياسي لا علاقة له في رأيي باللاهوت. فالأقنوم الإلهي يَقبَل متجسدًا -تدبيريًا- أن يجوع وينام ويعطش ويتألم ويموت ويخاف، لماذا؟ يقول أثناسيوس: لكي يحوِّل كل الضعفات الإنسانية ويشفي الطبيعة الإنسانية المتألمة بالموت وبالخطية. **وهكذا تسير رحلتنا مع المتجسد من بيت لحم إلى الصعود. والصعود هو عبارة عن انفتاح الزمان على الخيرات الأبدية. لقد كان الزمان بمثابة السد الذي يمنع تدفق الخيرات الإلهية، وقد أزال الصعود سدود الزمان، ولذلك نعبِّر عن ذلك في القداس الإلهي بقولنا: "وعند صعودك إلى السموات جسديًا ملأت الكل بلاهوتك"، وهو ما يعني أنه ملأ كل أيام الزمان الإنساني بالحضور الإلهي، وعندما يمتلئ الزمان الإنساني من الحضور الإلهي عندئذٍ فقد جُمِعت السماوات والأرض تحت رأسٍ واحد هو يسوع المسيح.**

---

(١) وأنا في الحقيقة أحببت أوريجينوس جدًا لأنه نتيجة عمق المحبة الإلهية التي كانت لديه، كان لديه فكرٌ كثيفٌ جدًا يفوق الواقع الكنسي الذي كان يعيش فيه، لذلك، كان الذين فهموه قليلين جدًا، وأباء كنيسة كبادوكية عملوا كتابًا اسموه الفيلوكاليا وهو مختارات من كتابات العلامة أوريجينوس، وفي العصر الحديث اقتبس اللاهوتي الألماني فون بالتاسار من كل كتابات العلامة أوريجينوس، مستعينًا بالكلام الموجود عند الآباء باسيليوس والنيسي والنزينزي، وهذا الكتاب يُعد من أعظم الكتب في العصر الحديث، فصفحة واحدة منه تكفيك أسبوعًا، فكرٌ كثيفٌ جدًا - concentrated لأنه فهم التدبير فهمًا جيدًا وفهم نقل الإنسان من المسيرة البيولوجية إلى المسيرة السماوية وهو ما يزال يعيش بعد على الأرض، أي الآن وليس غدًا.

مستويات قراءة العهد الجديد

هذا الأمر يجعلني أقرأ العهد الجديد على ثلاثة مستويات؛ **المستوى الأول** هو مستوى الحدث التاريخي، بحيث يكون هناك إلمام بالمناسبة التي قيل فيها كلام الرب يسوع، لأن المناسبة التي قيل فيها الكلام مرتبطة بالحدث التاريخي، لكن لا يجب أن نتوقف عند الحدث التاريخي، لأن الحدث التاريخي يجب أن يصل إلى ما هو أعلى، ألا وهو الاستعلان الإلهي، وهذا هو **المستوى الثاني**.

فمثلًا في إنجيل يوحنا ص ١٤: ١٣ – ١٤ يقول الرب يسوع "وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ"، وقد فسَّر البعض هذا النص على إطلاقه خلوًّا من مناسبته التاريخية، فقالوا إن هذا النص يسمح بأن تسأل أي شيء، وهو تفسير غير صحيح لأنه يتجاهل المناسبة أو الحدث التاريخي المرتبط بالنص. وخلف هذا النص نجد سؤال التلاميذ للرب أن يريهم الآب، فقال لهم الرب يسوع: "أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي" (يو ١٤: ٩ - ١٤)، فبعد أن قدَّم الصورة الخاصة باستعلان الآب، قال لهم: "وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ"، وبعدها يقول الرب: "إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ. إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" (يو ١٤: ١٥).

هذا النص ليس بمثابة شيكًا على بياض، ولكنه مرتبط بما قيل سابقًا عن أن الرب هو الطريق والحق والحياة، وعن استعلان الآب، أي أنني أعلنت الآب

لكم، **فاطلبوا استعلان الآب في حياتكم.** ولكن إذا قرأ البعض النص خلوًّا من مناسبته التاريخية يتعثرون في النتائج[1]، فقد يصلي البعض بناءً على النص لأجل أن يشفي الرب بعض المرضى، ولكن بدلًا من الشفاء يموتون، أنا اختبرت هذا الأمر كثيرًا من المرات، وقد يُشفى بعض الناس، وهنا يثور التساؤل عن واقعية كلام المسيح، أو قد يظن البعض أن الأمر مرتبط بالإيمان أو ضعفه أو

(١) يقول القديس كيرلس الكبير في شرحه لهذا النص: "ولا يجب على أحد أن يفترض أننا نقول أو نؤمن بأن الذين يؤمنون بالمسيح سينالون قوةً تجعلهم قادرين على خلق السماء أو الشمس أو القمر أو الكواكب اللامعة وخلق الملائكة أو الأرض أو أيٍّ من الأشياء الكائنة عليها؛ لأن المسيح لم يكن يقصد من كلماته عن الأعمال الأعظم أن يكون الخلق من بينها، بل الأعمال المرتبطة بالأشياء التي تقع في دائرة الإنسان فقط، لأن المسيح لم يمنح الإنسان امكانيات تفوق قامته، وهو لم يقصد بكلمة الأعمال، الأشياء التي يشتهيها كلُّ إنسان حسب أهوائه، بل حصر قصده في الأعمال الباهرة فقط التي عملها وهو على الأرض عندما تجسَّد. ولكي نفهم قصد المسيح، علينا أن نحفظ ترتيب الكلمات والأفكار التي أمامنا، ولذلك ينبغي إعادة ما قاله المسيح: وعندما قارن بين الأعمال الباهرة التي عملها هو والأعمال الأعظم التي سنعملها نحن، قال إن الذي يؤمن سيعمل الأعمال التي أعملها أنا، بل وأعظم منها، وفي هذا المجال وحده حدَّد نطاق الأعمال الباهرة التي سيفعلها المؤمنون. والمسيح لم يقصد من هذه الكلمات أنه ضعيفٌ وعاجزٌ عن القيام بالأعمال الأعظم، كما أنها لا تعني أن قدرته محصورة في الأعمال الخارقة التي منحنا عملها، وإنما كان يقصد أنه بعد أن أكمل كل الأشياء الضرورية وحسب التدبير، الوعد بأن نفهم أن رحمته ستجعل قوته غير المحدودة غير محصورة في الفترة التي تجسَّد فيها والتي أقام فيها معجزات، بل أنه سوف يشمل المؤمنين بقوته كل الأيام. "الحق الحق أقول لكم الذي يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي"، وهنا قد يسأل أحدٌ هذا السؤال: سوف يمضي الابن للآب حتى يصبح الذين يؤمنون قادرين على القيام بأعمالٍ أعظم من التي عملها الابن، فما هي العلاقة بين صعود الابن والمعجزات الفائقة التي سيعملها المؤمنون؟ حقًا، إن عبارة المسيح تتضمن موضوعًا خفيًّا علينا أن ندرسه. ولكي ندرس ما قاله علينا أن نتأمله، إذ كأنما يقول لنا يا خدام كلمتي وتلاميذي إن ظللت معكم على الأرض وتحدثت معكم بكوني إنسانًا، فلن أُعلن لكم قوة الأُلوهة إلَّا بشكلٍ خفيٍّ لأنني تكلمت وتصرفت في نطاق وبحسب مقياس اتضاعي؛ أي في حالة العبد، ولكن بعد أن أُكمِل سر التدبير في الجسد وكل ما يتعلق به، لأنني سوف أتألم وأموت وأقوم من بين الأموات، بعد ذلك أعدكم بالقوة التي سوف أمنحها لكم لكي تقوموا بكل الأعمال التي هي أعظم من المعجزات التي عملتها أنا، والوقت قريب لتحقيق كل هذا لأنني ذاهبٌ للآب لكي أجلس عن يمينه وأملك معه بكوني إلهًا من إلهٍ بقوةٍ وسيادةٍ غير مستترة، بل سيادة كاملة، وسوف أُعطي بسلطاني كل ما هو صالح لأصدقائي "كل ما تطلبونه"، ثم يقول "باسمي فذلك أفعله" عندما يتم الوقت وحسب الحاجة. راجع، د. جورج بباوي، شرح إنجيل يوحنا، للقديس كيرلس الإسكندري، الإصحاحات الأول والثاني والرابع عشر، ومن الثامن عشر وحتى الواحد والعشرين، جذور للنشر والترجمة والتوزيع، القاهرة ٢٠٢٤، ص ٢٧٩ وما بعدها [المحرر]

عدمه، **في حين أن عمل الله الآب عن طريق الابن في التدبير ليس له علاقة بإيمان الإنسان، أقصد لا علاقة له بنوعية الإيمان وما إذا ضعيفًا أو قويًا، كل هذا الكلام يقوله الوعاظ عن جهل، فالله عندما يريد أن يعلن عن ذاته، يعلن عن ذاته بغض النظر عن إيماني وإيمانك أيًّا كان ما به من ضعف، لأنه محب الخطاة، ولا تستطيع أن تقول في العهد الجديد إن الخطية تمنع الله عن العمل**، هذا كلام يتناقض مع كل ما في العهد الجديد من تعليم عن النعمة.

ففي هذا المستوى الثاني من مستويات قراءة العهد الجديد، فيما يخص الصلاة هناك عبارة جيدة جدًا تقول **ليست معجزة أن يسمع لك الله ويصنع ما تريد، المعجزة الحقيقية هي أن تسمع أنت كلام الله وتصنع إرادته، أي أن المعجزة تخصك أنت ولا تخص الله**، لأن أي شيء ليس صعبًا لدى الله، بل سهلٌ جدًا، لكن في دائرة التدبير هناك أشياء نطلبها ولا نأخذها، وأنا هنا ألفت نظر الأخوة إلى صلوات الكنيسة: صلوا من أجل سلامة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. اذكر يا رب مرضى شعبك، اشفِهم، بالجمع بدون تحديد، صلاة من أجل الكل، لماذا؟ لأن في دائرة التدبير، إذا أراد الله أن يشفي إنسانًا فسيشفيه، وهو ما ليس له علاقة بإيمان الكنيسة ولا بإيمانك، ولكن له علاقة بالتدبير الإلهي، **بمعنى أن هناك خطةً خاصةً بحياة كل إنسان منا، إذا كان يريد أن يأخذ إنسانًا فسيأخذه، وإذا أراد أن يبقيه فسيبقيه. نحن نطلب الشفاء، ونطلب الخلاص من الضيقات، ولكن الاستجابة من الله، لا علاقة لها بالطلب الذي تقدمه لله، والله هو الذي يقرر.**

ولذلك أرجع لأقول أنه في عدد ١٥ "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ"، وهنا يجب أن نلتفت إلى أن "مَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ" قائمة على أن هناك علاقة محبة، من أجل محبة الله نحن نطلب، وبسبب المحبة نأخذ، الإيمان والرجاء والمحبة، أعظمهن المحبة، يعني على قدر المحبة التي لديك

نطلب، للمرضى والمسافرين واليتيم والغريب والأرملة وصعود مياه النهر، وحتى بهائم الحقل، الزروع والعشب كل هذه الطلبات تقدم أثناء تقديم الذبيحة الإلهية الخاصة بالصلح الأبدي بين الله والإنسان، لأننا بينما نطلب هذا ننتظر استعلانات الله في حياتنا.

فهنا تدبيريًا أنتقل **إلى المستوى الثالث** في قراءة النص، وأستعير ما قاله العلامة أوريجينوس؛ في يو ١٣: ٣٠ يقول عن يهوذا: "فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. وَكَانَ لَيْلًا"، هنا عظمة العلامة أوريجينوس، **الظلمة في إنجيل يوحنا هي الجهل بالله**، لأن "الليل" هي الإشارة الكونية أو الرمز الكوني الذي يؤِّكد وجود ظلمة، ولذلك حتى القبض على الرب في البستان كان ليلًا، ولهذا يقول الرب يسوع: "هذهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ (عن الشياطين والليل)" (لو ٢٢: ٥٣)، **فخروج يهوذا ليلًا يبين لك التحالف الموجود بين ما هو موجود في الواقع المادي المنظور، وما هو موجود في الواقع الروحي على مستوى العالم السماوي، أي قوات الظلمة في العالم الروحي**. ونحن لدينا إيمان راسخ في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية كلها بأن الأحداث السياسية التي تقع لها جذر وقوة سماوية تسندها في الجانبين؛ الخيِّر والشرير، وهذا اعتقاد ثابت بأن هذا جزء من خطة التدبير كيف يقلع الله الشر من العالم.

إذن، فعندما نقرأ العهد الجديد يمكننا أن ننتقل إلى ما هو أعلى، أي إلى المستوى الثالث، وهو مستوى الاتحاد بالله. المسيح رب المجد يقول في إنجيل يوحنا ١٣: ٣٤ "وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا"، هنا نجد نقلة من العهد القديم إلى العهد الجديد. في العهد القديم "حب قريبك كنفسك"، العهد الجديد: "أحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا، بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: (أي أن هناك شيئًا مميِّزًا)، إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ. قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: "يَا

سَيِّدُ، إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟" أَجَابَهُ يَسُوعُ: "حَيْثُ أَذْهَبُ لاَ تَقْدِرُ الآنَ أَنْ تَتْبَعَنِي، وَلكِنَّكَ سَتَتْبَعُنِي أَخِيرًا (أي سوف ترجع لي) قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَتْبَعَكَ الآنَ؟ إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي عَنْكَ! (أنا أموت في سبيلك) أَجَابَهُ يَسُوعُ: "أَتَضَعُ نَفْسَكَ عَنِّي؟ اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ حَتَّى تُنْكِرَنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ" (يو ١٣: ٣٥ - ٣٨).

الجانب الإلهي هنا يبدو في المحبة المميزة الإلهية التي تعلو على محبة الإنسان لقريبه. فنحن نحب مَن يحبنا، "وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ" (لو ٦: ٣٢)، لكن "كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (يو ١٣: ٣٤)، اقبلوا ضعفات بعضكم بعضًا، ولذلك جاء تحذير بطرس في وسط الدواء الخاص بالرجاء: "لاَ تَقْدِرُ الآنَ أَنْ تَتْبَعَنِي، وَلكِنَّكَ سَتَتْبَعُنِي أَخِيرًا"، لذلك يقال إن قرأت الكتاب المقدس وسمعت صوت الدينونة وحده، فهذا هو صوت الشيطان، ولكن إذا سمعت صوت الدينونة ومعه الشفاء، فهذا صوت الله[١]، لماذا؟ لأن الله جاء من أجل شفاء الإنسان وليس من أجل موته. فالرب يسوع المسيح لم يذكر خطيئة واحدة لأي إنسان خاطئ علنًا، لا للمرأة الخاطئة ولا لبطرس، لكنه أمسك بطرس بعد القيامة في آخر إنجيل يوحنا، وكان قد صنع لهم وليمة سمك -والأكل في اليهودية هو علامة صداقة وألفة غير عادية- "فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟" قَالَ لَهُ: "نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ". قَالَ لَهُ: "ارْعَ خِرَافِي". قَالَ لَهُ أَيْضًا ثَانِيَةً: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟" قَالَ لَهُ: "نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ". قَالَ لَهُ: "ارْعَ غَنَمِي" قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟" فَحَزِنَ بُطْرُسُ لأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: "يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي

(١) راجع، "حكمة الآباء المصريين، أوراق مختارة من مخطوط للعالم الراهب سمعان بن كليل"، الرأس الخامس، كيف نميِّز الخُدَّام الساقطين؟، جذور للترجمة والتوزيع والنشر، القاهرة ٢٠٢٥ [المحرر]

أُحِبُّكَ". قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "ارْعَ غَنَمِي" (يو ٢١: ١٥ - ١٧).

وهنا نلفت النظر إلى أن بطرس لم يعترف بخطيئته، ولم يقل له الرب أنا مسامحك، ولكن "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ" (يو ٢١: ١٨). وهنا أدعوكم إلى التفكير فيما يقال عن التوبة والاعتراف. هنا نلاحظ أن الله لا يذكر خطايا الإنسان، لا يذكرها. لأن هذا عمل الشيطان، الشيطان هو المشتكي وهو الذي يحفظ الخطية ويُبقيها عنده، ويشتكي مختاري الله، الذين هم أنا وأنت، أي الخطاة، هو عند الله مختار وعند الشيطان شرير وسيئ ولهذا نقول في القداس "والموت الذي دخل العالم بحسد إبليس"، وهو حسد غير مفهوم على المستوى الإنساني، وإنما يُفهم على المستوى الإلهي، لأن **حسب التقليد الكنسي الصحيح أن الشيطان لم يسقط دفعة واحدة، مما يعني أنه كان لديه فرصة للرجوع ولم يرجع. الله لا يرفض مَن يَعُد إليه. الشيطان يريد من الله أن يقبله على برنامج الشيطان، والله يريد أن يقبل الخليقة والمنكسرين والضعفاء على برنامج الرحمة والمحبة غير المعروفة عند الشيطان**. ونحن لدينا عبارة مهمة جدًا للرب يسوع: "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء"، البرق يسقط على الأرض سقوطًا سريعًا، وهذه السقطات المتتابعة أدت إلى هذا التحجر، وإلى هذه القساوة وإلى الحسد وإلى هذه البغضة، إلى الحرب العنيفة المعلَنة على القديسين، الذين هم أنا وأنت، وليس فقط قديسي الكنيسة.

العلامة أوريجينوس يقول بخصوص كلام سمعان الشيخ للقديسة مريم: "وأنت يجوز في نفسك سيف"، أي أن القديسة العذراء مريم عندما ترى ابنها المولود بالروح القدس مصلوبًا، فسوف يجوز في نفسها سيف، أي سيف الشك، وهو سيفٌ ليس مصدره الشك، وإنما مصدره الحقيقة المرعبة التي

تراها بعينيها. ففي بعض الأحيان ينتابنا الشك نتيجة الخوف أو الرفض، وليس نتيجةً للشك كموقف إيماني. فعلى المستوى الإلهي نرى الأمور بشكل آخر مختلف.

الخلاصة

إذن، عندما أضع في اعتباري التدبير الإلهي، آخذ المعنى من خلال الحدث، وآخذ خطة الخلاص والمعنى الذي ينطبق على حياتي الشخصية.

عندما رجعت إلى الإكليريكية ١٩٧٠ بعد الدراسة في كمبريدج وجدت خلافًا شديدًا حول ما إذا كانت كلمات الصلاة الربانية "خبزنا الذي للغد"، أم "خبزنا كفافنا"، فقلت لهم أنا أريد أن أعرف أولًا هل أنتم مسيحيين أم أخوان مسلمين؟ العبارة وردت بالصيغتين، فعند ق كيرلس الكبير "خبزنا كفافنا" لأنه قال للخدام اطلبوا خبز الكفاف من أجل الخدمة. والعلامة أوريجينوس قال إنها تخص الإفخارستيا، إذن فالطلبة هنا هي خاصة بالاحتياج، أتريد خبز اليوم اطلبه، أتريد خبز الإفخارستيا اطلبه، **خارج الاحتياج ندخل في دائرة الخلاف الفقهي على النص**. ومثال آخر؛ قانون الإيمان ينص على المساوي للآب في الجوهر، أم على الواحد مع الآب في الجوهر، يا أخي ماذا تقصد بالمساوي في الجوهر، وماذا تقصد بالواحد في الجوهر؟ وما هو الهدف أو الغاية؟

أريد أن أختم هذا الكلام بطرح سؤال: هل يوجد شرح رمزي للعهد الجديد؟ هل يمكن أن نفهم الإفخارستيا بشكل رمزي؟ طبعًا لا. ولكن التفكير المعاصر في مصر يُلزمني بأن أتوقف عند ثلاث نقاط؛

الأولى هي أننا لدينا طريقة تفكير أصولي، بحيث تجد شخصًا يقول لك الرب يسوع المسيح قال، ومن ثمَّ يورد بعض النصوص. فمثلا من الواقع المؤلم الذي نعيشه عبارة "لا طلاق إلَّا لعلة الزنا"، هذا ليس نص الكتاب المقدس،

ولكنها عبارة نحتها المتنيح الأنبا شنودة. طيب يا سيدي، هل أنت نسيت أن معلمنا ق. بولس يقول في كورنثوس الأولى ٧: "وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ، فَأُوصِيهِمْ، لاَ أَنَا بَلِ الرَّبُّ، أَنْ لاَ تُفَارِقَ (تطلق) الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا، وَإِنْ فَارَقَتْهُ، فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ، أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا. وَلاَ يَتْرُكِ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا، لاَ الرَّبُّ: إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ، وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ، فَلاَ يَتْرُكْهَا وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ، وَهُوَ يَرْتَضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا، فَلاَ تَتْرُكْهُ. لأَنَّ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ مُقَدَّسٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَةِ مُقَدَّسَةٌ فِي الرَّجُلِ. وَإِلاَّ فَأَوْلاَدُكُمْ نَجِسُونَ، وَأَمَّا الآنَ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ وَلكِنْ إِنْ فَارَقَ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ، فَلْيُفَارِقْ. لَيْسَ الأَخُ أَوِ الأُخْتُ مُسْتَعْبَدًا فِي مِثْلِ هذِهِ الأَحْوَالِ، وَلكِنَّ اللهَ قَدْ دَعَانَا فِي السَّلاَمِ" (١كو٧: ١٠ - ١٥)، وهو ما يعني أن مسيحيًا تزوج بوثنية أو العكس، وحدث أن آمن أحد الطرفين، فقال إن كانا يريدان أن يعيشا معًا، فلا بأس، وإذا لم يرغبا، فلتفارق، أي تُطلَّق، والسؤال هنا: هل هذا طلاق لعلة الزنا؟ هذا طلاق لاختلاف الدين، فليفارق لأن الله دعانا في السلام. ولذلك يجب أن ننظر إلى مسألة خلاص الإنسان، لأني رأيت مآسٍ لا علاج لها إلَّا البتر، شخصٌ مجنون تزوج واحدة، فهنا هل تنقذ حياة المرأة أم تبقيها في عبودية؟ إذن، تنحية التدبير يجعلنا ننسى الغاية التي لأجلها وُضعت الوصية، الوصية وضعت لأجل خلاص الإنسان، الإنسان لم يُخلق لأجل السبت بل العكس، وهذه مسألة تعالج تدبيريًا، لا تستطيع معالجتها إلَّا في إطار التدبير والتدبير هو خلاص الإنسان.

النقطة الثانية هي أننا في الكلام عن الرب يسوع له المجد ليس لدينا رموز للمسيح على الإطلاق. لدينا علامات ليتورجية تبيِّن عمل المسيح فيَّ وفيك مثل رشم الصليب، **رشم الصليب ليس رمزًا، بل حقيقة أبدية، عهد أبدي بينك وبين الرب، فعندما تنقل إصبعك من الشمال إلى اليمين، أنت انتقلت من**

الدينونة إلى الحياة الأبدية، هل هذا رمز؟ لا ليس رمزًا، وإنما يعني أن تعود ترتبط بالحقيقة الأبدية.

لماذا ترفع يديك في الصلاة؟ **يقولون إن رفع اليدين مثل تقديم ذبيحة. أبدًا، رفع اليدين تعني أنني ليس لديَّ ما أُقدمه لك، ولذلك فأنا أقدم لك ذاتي، رفعت يدي كذبيحة مسائية، أي أقدم لك ذاتي ذبيحةً، أي أنني هنا في مجال قبول إرادتك الإلهية أيًّا كان أمري؛ حيًّا، ميتًا، مريضًا، سأموت، سأعيش، هذا موضوع لا يهمني على الإطلاق**، لأنه إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت، لا يهمني.

شوفوا يا أخوة احنا محاصرين المسيح بالشريعة، بالطقوس، بالقانون الكنسي، من منكم لديه كتاب "الشرع الكنسي" يبحث عن مجمع تروللو في القرن السابع في الغرب، هذا المجمع هو الذي منع بقانون كنسي أكل اللحوم في الصوم الكبير، قبل هذا لم يكن هناك قانون كنسي في الشرق يمنع أكل اللحوم في الصوم الكبير، وعندما قلنا هذا الكلام هاجت الدنيا. **في المسيحية يا أخوة غاية الوصية في التدبير هي أن نحب الله، فلا اللحم يجعلك تكره الله ولا منعه يجعلك قديسًا، وليس من طعام يوصلك إلى الله**، "الأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ وَالْجَوْفُ لِلأَطْعِمَةِ، وَاللهُ سَيُبِيدُ هذَا وَتِلْكَ. وَلكِنَّ الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزِّنَا بَلْ لِلرَّبِّ، وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ" (١ كو ٦: ١٣). نحن لا نحيا في الحرية التي لأجلها تجسد ابن الله، لكن لدينا عبودية تلك التي نضع من أجلها سلاسل حديدية عسيرة الكسر.

الفصل الحادي عشر

ما هي نظرة آباء الكنيسة الجامعة للعهد القديم؟[١]

نتناول هنا بالشرح والتحليل موضوعًا مهمًّا جدًا خاصًّا بقراءة الكنيسة المسيحية للعهد القديم. هذا الموضوع لا يمكن أن ينال حقة من البحث أو الدراسة في حلقة أو أكثر، لأنه موضوع متشعب ويحتاج أولًا إلى دراسة متأنية للعهد القديم نفسه؛ للتاريخ والعقائد والممارسات، وما يخص تاريخ وحياة بني إسرائيل. لكن عمومًا أنصح الأخوة المهتمين بالعهد القديم باقتناء كتاب إنجليزي غير موجود مثله باللغة العربية، وربما أقرب كتاب له باللغة العربية هو كتاب "مرشد الطالبين"، وهو كتاب قديم جدًا، لكنه لازال يحتوي على مجموعة من الحقائق التاريخية المهمة. الكتاب الإنجليزي هو "اسرائيل القديم - Ancient Israel;" لمؤلفه: de vaux R. وهو أفضل كتاب كنّا نستخدمه في جامعة كمبريدج، وأوفر كتاب في موضوعه ظهر باللغة الإنجليزية، وطُبِع أيضًا بالفرنسية والألمانية، ويُعد من أعظم الكتب التي يجب أن نقرأها كلنا، وأنا كنت أقوم بتدريسه في إنجلترا.

ما الذي تحرر منه المؤمنون في العهد الجديد؟

يسجِّل سفر أعمال الرسل في الأصحاح ١٥ أعمال انعقاد المجمع الرسولي الأول، الذي تعرَّض بالبحث لقضية مهمة جدًا، وهي أن مجموعة من اليهود -ذُكروا في العدد الأول وما بعده من الأصحاح الـ ١٥- "جَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٢ يونيو ٢٠١٨.

أَنَّهُ "إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا". وفي العدد الثاني: "فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالقسوس إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هذِهِ الْمَسْأَلَةِ". هذا الأصحاح يعرض لما حدث، وبعدما اجتمع الآباء الرسل، وهنا الكلام للقديس بطرس: "فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. (وكان يتكلم عن معمودية كرنيليوس أن الله أعطاهم الروح القدس) ... وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِيًا لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ (وعبارة: "طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ" تحتاج منّا إلى وقفة طويلة، سنعود إليها فيما بعد). "فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ (بمعنى أن شريعة موسى تكتنفها الصعوبة) لكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولئِكَ أَيْضًا". ويستمر الإصحاح ١٥ في سرد وقائع المجمع: "وَبَعْدَمَا سَكَتَا أَجَابَ يَعْقُوبُ قِائِلًا: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، اسْمَعُونِي. سِمْعَانُ قَدْ أَخْبَرَ كَيْفَ افْتَقَدَ اللهُ أَوَّلًا الأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْبًا عَلَى اسْمِهِ. وَهذَا تُوافِقُهُ أَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ ... لِذلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ، بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ، وَالزِّنَا، وَالْمَخْنُوقِ، وَالدَّمِ. لأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَال قَدِيمَةٍ، لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ، إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ حِينَئِذٍ رَأَى الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ مَعَ كُلِّ الْكَنِيسَةِ أَنْ يَخْتَارُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، فَيُرْسِلُوهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا".

واضحٌ هنا أن الثابت في التراث الكنسي في خلال الألف سنة الأولى أن الأمم الراجعين للمسيحية بالإيمان بدخول الكنيسة، والشركة في الأسرار، ليسوا ملزمين بما جاء في العهد القديم مطلقًا.

وهنا توجد حقيقة تحتاج إلى إبراز، وهي أن ما يخص العبادة؛ الذبائح والهيكل، وبالتحديد ذبائح الهيكل، والكهنوت، والأعياد، والطقوس الخاصة بالتطهيرات، هذه كلها التي يسميها الرسول بولس في رومية وغلاطية وكولوسي "أعمال الناموس"، هذه الأعمال لم تعُد مطلوبةً، لأن هناك ما هو أعظم منها بكثير حلَّ محل الأمور القديمة. فمثلًا في يوم الكفارة الذي أُطلق عليه "عيد الغفران" (يوم حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣) كان يجب تقديم ذبيحتين؛ أحداهما تُرسل إلى البرية وتُسمى ذبيحة عزازيل (لا ١٦). أمَّا في العهد الجديد فلا يوجد لدينا يوم كفارة. وإذا كان هناك تعليمٌ عن الكفارة، فهذا التعليم يعبِّر عنه ما حدث في يوم الجمعة الكبيرة. ولكي يكون كلامي واضحًا، ولكي لا يكون هناك أيُّ احتمالٍ لأن يكون هذا الكلام هو رأيي الشخصي، أضع أمامكم الكلام الرسولي، فهو ما يجب أن يقال ويُسمع ويؤخذ به. يقول معلمنا القديس بولس في عب ١٠: ١ - ١٠: "لأَنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ (أي الآتية في المستقبل) لاَ نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ، لاَ يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ (أي أن الذبيحة التي تقدمها كل سنة لن تستطيع أن تكمِّلك، أي لا تستطيع أن توصلك إلى الله) وَإِلاَّ، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لاَ يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا. لكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ (أي الرب يسوع) يَقُولُ: "ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا". بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ (أي أن الله لا يريد الذبائح القديمة). ثُمَّ قُلْتُ: هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ" إِذْ يَقُولُ آنِفًا: "إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا". الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ. ثُمَّ قَالَ: "هنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ". يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ". (أي نزع العهد القديم بأعمال الناموس) فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ

جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً".

الكلام واضح، فإذا قرأت العهد الجديد قراءة جيدة ستجد أنك لست مطالَبًا بالذبائح ولا بشريعة التطهيرات ولا بالخدمة حسب الناموس، ولا بالأعياد، أي أنه لا يوجد لدينا عيد الحصاد، فقد حلَّ محله عيد الخمسين عيد العنصرة، ولا يوجد لدينا عيد المظال، ولا يوجد لدينا عيد الكفارة، كما أُبطل السبت أيضًا.

وهنا يوجد لغزٌ صغيرٌ في العهد الجديد لا يلتفت إليه أحد، واضح في الترجمة القبطية واليونانية، ولكنه غير واضح في ترجمة فانديك. في العهد الجديد القبطي أو اليوناني يقول: "وباكرًا جدًا في أحد السبوت (بالجمع) قام باكرًا من القبر"، وهو ما نسميه سبت السبوت في الليتورجية، السبت الكبير، سبت الراحة الأبدية، وهو ليس اليوم السابع في الأسبوع، ولكنه اليوم الثامن الذي أكمل الله فيه الخليقة، ونحن هنا ننسى الوعد بالراحة المذكور في الرسالة إلى العبرانيين، وهنا نسجِّل أن النص العربي للترجمة البيروتية لهذه الرسالة يحتاج إلى إعادة ضبط. في آخر الأصحاح الثالث والرابع في الرسالة إلى العبرانيين يتكلم عن الراحة: "إِذْ قِيلَ: "الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ "فَمَنْ هُمُ الَّذِينَ إِذْ سَمِعُوا أَسْخَطُوا؟ أَلَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ بِوَاسِطَةِ مُوسَى؟ وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، الَّذِينَ جُثَثُهُمْ سَقَطَتْ فِي الْقَفْرِ؟ فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الإِيمَانِ. وَلِمَنْ أَقْسَمَ: "لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ"، إِلاَّ لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا؟ فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الإِيمَانِ (أي أن هناك وعدًا بالراحة) فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ! لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أُولئِكَ (أي أننا نحن المؤمنين ندخل الراحة)، لكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ الْخَبَرِ أُولئِكَ. إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً بِالإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ نَدْخُلُ الرَّاحَةَ، كَمَا قَالَ: "حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: لَنْ يَدْخُلُوا

رَاحَتِي" مَعَ كَوْنِ الأَعْمَالِ قَدْ أُكْمِلَتْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ عَنِ السَّابعِ هكَذَا: "وَاسْتَرَاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ". وَفِي هذَا أَيْضًا: "لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي". فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْمًا يَدْخُلُونَهَا، وَالَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلًا لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ الْعِصْيَانِ، يُعَيِّنُ أَيْضًا يَوْمًا قَائِلًا فِي دَاوُدَ: "الْيَوْمَ" بَعْدَ زَمَانٍ هذَا مِقْدَارُهُ، كَمَا قِيلَ: "الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ" (أي أن هناك وعدًا بيومٍ للراحة آتٍ). لأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَشُوعُ قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ. إِذًا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ. فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هذهِ عَيْنِهَا". إذن، فما هو "اليوم" الذي تكلم عنه داود؟

مَن يشترك في القداس يفهم أن هذا اليوم هو يوم الأحد، يوم القيامة، يوم الراحة من الدينونة، ولذلك ترتل الكنيسة:

«الليلويا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه. يا ربُّ خلِّصنا يا ربُّ سهِّل سُبلنا مبارك الآتي باسم الرب. هللويا.

Ⲁⲗⲗⲏⲗⲟⲩⲓⲁ. Ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ⲡⲓⲉ̀ϩⲟⲟⲩ ⲉⲧⲁ Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ ⲑⲁⲙⲓⲟϥ ⲙⲁⲣⲉⲛⲑⲉⲗⲏⲗ ⲛ̀ⲧⲉⲛⲟ̀ⲩⲛⲟϥ ⲙ̀ⲙⲟⲛ ⲛ̀ϧⲏⲧϥ ⲱ Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ ⲉⲕⲉ̀ⲛⲁϩⲙⲉⲛ ⲱ Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ ⲉⲕⲉ̀ⲥⲟⲩⲧⲉⲛ ⲛⲉⲛⲙⲱⲓⲧ ϥ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ϫⲉ ⲫⲏⲉ̀ⲑⲉⲛⲏⲟⲩ ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ⲙ̀Ⲡ̀ⲟ̅ⲥ̅ ⲁ̅ⲗ̅."

هذا هو اليوم الذي وُعِدنا به في داود. فبالرغم من أن يشوع أدخلهم أرض كنعان، إلَّا أن هناك راحةً ماتزال هناك آتيةٌ مع يسوع.

معلمنا القديس بولس في كولوسي ص ٢: ١٦ يتكلم عن جزء جوهري في الشريعة: "فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْل أَوْ شُرْبٍ (الأكل والشرب موضوعٌ يتعلق بالطاهر والنجس في الناموس)، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَل أَوْ سَبْتٍ"، لأن الهلال يحدد بدء الشهر العبراني، وبالتالي يستطيع أن يعرف اليهود موعد عيد الفصح، أمَّا نحن فالفصح الخاص بنا هو المسيح، "لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ

ذُبحَ لأَجْلِنَا" (١ كو ٥: ٧). ونلاحظ أن معلمنا بولس في النص المشار إليه وضع السبت مع الأكل والشرب، مع أن الأكل والشرب جاء في التثنية واللاويين مع شريعة النجس والطاهر، لكن السبت جاء في الوصايا العشر، وبالتالي أصبحت الوصية الخاصة بالسبت تُطبَّق على يوم الراحة الذي نُقل من اليوم السابع إلى اليوم الثامن، أي يوم الأحد، اليوم الأول في الأسبوع، أي اليوم الذي أُكملت فيه الخليقة الجديدة.

عندما يقرأ البعض التاريخ في العهد القديم يتحيرون، لأنهم يجدون آلامًا ومصائبَ وخطايا وشرورًا. لذلك يرجع معظم المؤلفين المسلمين الذين يهاجمون الإيمان المسيحي للعهد القديم، ويقولون لو كان هذا الكتاب من عند الله لما احتوى على هذا القدر من خطايا الأنبياء. طبعًا هنا يجب أن ننتبه إلى نقطتين جوهريتين؛

الأولى هي أننا نقول إنه لا يوجد إنسان بلا خطية، وبالتالي يُحسَبُ النبي ضمن هؤلاء الخطَّائين. وهنا يجب أن نلتفت بشدة إلى أن النبوة لا تأتي من قداسة النبي الشخصية، وإنما النبوة تأتي من عمل الروح القدس. القداسة الشخصية وُجدت أم لم توجد لا تُزيد أو تُنقِص من عمل الروح القدس في الإنسان. عكس هذا التعليم اليهودي أو الإسلامي، **لأنك إذا كنتَ تظن أنك بأعمالك تُزيد عمل الروح القدس فيك، فقد وقعت في اليهودية أو في الإسلام دون أن تدري**. الروح يعمل في الأنبياء ليس بسبب قداسة الأنبياء، إبراهيم كَذب، ويعقوب كان مخادعًا ولئيمًا ومكارًا.

والنقطة الثانية، والتي فاتت على النقاد المسلمين الذين يهاجمون الكتاب المقدس، هي أن الله في اليهودية وفي المسيحية هو إله جميع البشر، لا سيما الخطاة منهم. **الخطية في الإسلام هي العصيان الذي يستوجب العقاب، أمَّا الخطية في الكتاب المقدس فهي فقدان الشركة. والعصيان ينتج عن**

فقدان الشركة. الخطية لا تبدأ بالعصيان، ولكنها تبدأ بانكسار الشركة بين الإنسان وبين الله. الإنسان استدار نحو نفسه وصار الإنسانُ صورةً لنفسه وليس صورة الله، ومن هنا يبدأ العصيان.

فيما بعد أخذ الأمر منحىً آخر مع ظهور المملكة الثيوقراطية التي تحكم باسم الله، فأصبحت الخطيةُ خيانةً، أي أنها تطورت من عصيان إلى خيانة، لماذا؟ لأنها أصبحت تُعد ثورةً على مَن يحكم باسم الله، أي الملك الممسوح بالروح القدس بواسطة الكاهن أو النبي لكي يملك عِوضًا عن ملك الله لبني إسرائيل. ويمكنك أن تقرأ بهذا الخصوص حوار الله مع صموئيل النبي (١صم ٨: ٧)، وهذه هي النقطة الخطيرة في الموضوع، إنه ليس من نبيٍّ معصوم، العصمة تأتي من الرسالة، والرسالة من الروح القدس، والشعب يعلم أن الكلام الذي ينطق به النبي ليس كلامه هو، وإنما هو كلام الله. الشعب الذي يخطئ كما يخطئ النبي يعلم أن هذا الكلام ليس كلام النبي ولكنه كلام الله. ولو كان الأنبياء بلا خطية لأصبحوا مثل الله، أي لأصبحوا آلهةً، لأن الوحيد الذي بلا خطية هو الله، وهذا هو تأليه البشر، تأليه الأنبياء، وهو أمرٌ خطير جدًا، ويختلف عن الكلام عن التألُّه في العهد الجديد والذي يتم بواسطة نعمة الشركة في الله، وبالتالي كلام النقاد على عصمة الأنبياء يعني أنهم ألَّهوا هؤلاء الأنبياء بدون الشركة في الله، وهو أمرٌ غريب جدًا يضع كلام هؤلاء النقاد موضعَ النقد.

ما الذي يلتزم به المؤمنون من العهد القديم في العهد الجديد؟

أمَّا آباء الكنيسة فيقولون إننا ملزمون بالشريعة الأخلاقية في العهد القديم، وذلك لأنها هي أساس الشريعة الجديدة في العهد الجديد. فالوصية "لا تقتُل،" جاءت وصية أعظم منها في العهد الجديد لا تمنع الإنسان فقط من القتل، بل تمنعه من الغضب: "لا تغرُب الشمس على غيظكم - لا تقل لأخيك يا

أحمق - كن مراضيًا لخصمك ما دمت معه في الطريق - أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم ...إلخ"، وهو التشريع الجديد في عظة الرب يسوع له المجد في متى أصحاح ٥ وهي تبيِّن أن الشريعة الأخلاقية في العهد القديم موجودة، وهي الأساس الذي أُكمِّلت عليه الشريعة الأخلاقية الجديدة للخليقة الجديدة في يسوع المسيح. غير ذلك ليس هناك شيء ملزم للإنسان في العهد الجديد بما جاء في العهد القديم.

لماذا لا تقرأ الكنيسة القبطية العهد القديم في القداسات؟

وأنا هنا أريد أن أضع نقطة مهمة أمام المستمع القبطي الأرثوذكسي الحقيقي، وسوف أضعها في شكل سؤال وسأجيب عليه، وهو: هل نحن نقرأ العهد القديم في القداس؟ الإجابة طبعًا لا، بخلاف المزامير. وإنما تُقرأ فصولٌ مختارة من العهد القديم في باكر في أيام الصوم الكبير، وُضِعت في القطمارس لأنها المناسبة الليتورجية التي تستعد فيها الكنيسة لإعطاء سر المعمودية للموعوظين، وبالتالي لتعليم الموعوظين. كما تقرأ الكنيسة فصولًا مختارة في أسبوع البصخة عن آلام الرب، وفصولًا مختارة في السبت الكبير، وعندما يحل عيد القيامة تتوقف كل قراءات العهد القديم. **الكنيسة من خلال الليتورجية تقول عن هذا الكتاب إنه تمَّ وكَمُل وعليك أن تبقى في العهد الجديد لكي تتمتع بشركة الرب في الأسرار.** هذا الأمر ليس قاصرًا على الكنيسة القبطية، ولكنه الصوت المستقر في الكنيسة الجامعة كلها.

لا يُقرأ العهد القديم في الليتورجية لأنه بالنظر إلى طبيعة تكوين الليتورجية لا نجد أي علاقة بين الليتورجية وبين فصول العهد القديم التي لا تُقرأ إلَّا لإعداد الموعوظين للمعمودية، وبعد قبول الموعوظ للمعمودية تصبح هذه الفصول بلا معني. يتبعها الفصول الخاصة بالنبوات عن مجيء الرب يسوع وتجسده وآلامه، وهذه تُقرأ في أسبوع الآلام من أجل أن **نعرف**

أن ما يحدث هو إعلان الله في العهد القديم بواسطة الأنبياء عن مجيء الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح، وأن هذا الإعلان تم وكمُل، وأننا نحن الواقفين في الكنيسة نتقبل هذا الإعلان ليس كلاميًا -وهذه هي النقطة الفاصلة بيننا وبين اليهودية، نحن لا نسمع نبوات عن المسيح ونقف عند مجرد السماع- بل نقبل المسيح في التعليم، وفي الاعتراف في قانون الإيمان، وفي الإفخارستيا. ومن المسيح يسوع ربنا قَبِلنا الروح القدس، روح الحق المعزِّي، الذي يقول عنه قانون الإيمان النيقاوي: "الروح القدس الرب المحيي الناطق في الأنبياء"، الذي نأخذه لكي يكشف لنا التعليم النبوي الخاص بالرب.

القراءة الخاصة بحروب العهد القديم[١]

إذن، كيف نقرأ حروب العهد القديم؟ قراءة بسيطة جدًا. أولًا يجب أن نضع في اعتبارنا أننا في العهد الجديد لا نستطيع أن نحارب باسم المسيح، وإنما نحارب تحت علم الوطن لأن هذا واجب وطني مطلوب منك ولأنك تحت سلطان مرتَّب من الله لإقرار العدل والدفاع عن الحق بسلطان السيف كما قال الرسول في رسالة رومية (رو ١٣: ١). فأن ترتدي الملابس العسكرية وتنخرط في الجيش، هو أمرٌ أنت مجبرٌ عليه، وإن كان لدينا في التاريخ الكنسي -لأننا كنيسة لديها تاريخ وتسليم- لدينا أمثلةٌ كثيرةٌ لأُناسٍ رفضوا أن يندرجوا في الخدمة العسكرية، بل وفي قوانين القديس هيبوليتوس / أبوليدس نصٌّ يمنع الموعوظ الذي يتطوَّع للحرب من أن يأخذ سر المعمودية، إلَّا بعد مرور فترة طويلة يكثَّف له فيها التعليم، لأن طالب المعمودية لا يجب أن تكون لديه رغبة في سفك الدم، بعكس ما إذا كانت الخدمة العسكرية إجبارية، فهي ملزمة لكل إنسان مسيحي.

أمَّا حروب العهد القديم التي كان يتقدمها تابوت عهد الله، والتي كان الله

(١) راجع أيضًا الفصل المعنون "التاريخ والشريعة والنبوات في العهد القديم" [المحرر]

يعطي فيها وعدًا بالنصر في الحرب، فتنطوي على جانب لاهوتي لا نتكلم عنه كثيرًا، **وهو أن الله يدخل في حروب مع آلهة الأمم، والضربات العشر التي وُجِّهت لأرض مصر لم تكن في الحقيقة موجَّهة لأرض مصر إطلاقًا، وإنما كانت موجَّهة لآلهة مصر، كل ضربة من الضربات كانت خاصة بالعبادة المصرية الوثنية التي بكل أسف كان الشعب متعلقًا بها. مثل ضربة النيل لأن النيل هو الإله حابي وكان يُعبد،** إلى أن وُجِّهت ضربة موت الأبكار، وهي الضربة التي كانت موجَّهة إلى شعب مصر على اعتبار أن الضربات السابقة لم تأتِ بالنتيجة المرجوة.

حروب العهد القديم إذن كانت حروبًا مدنيةً، ولكن القتال كان يتم باسم الله، حيث يحمل الكهنة تابوت العهد، وينشدون: "قم أيها الرب الإله وليتفرق جميع أعداءك وليهرب من قدام وجهك كل مبغضي اسمك القدوس"، ونحن نردد هذه الصلاة في نهاية أوشية الاجتماعات، لأن العدو هنا هو العدو الروحي. وبالتالي ليس في المسيحية ما يمنع على الإطلاق من قبول الخدمة العسكرية الإجبارية، ولكن التطوع هو الأمر المرفوض، لأن الرغبة في الحرب والقتال لا تتناسب مع إنسان يحمل الصليب، مع إنسان يقول: "العالم صُلِبَ لي وأنا قد صُلِبتُ للعالم".

تعبير "شعب الله المختار" بين اللاهوت والسياسة

عندما ننظر إلى طبيعة تركيب العهد القديم، نجد أن هناك أساسات مهمة جدًا خاصة بالحياة الاجتماعية والدينية في العهد القديم، وذلك مثل "دعوة إسرائيل". وهنا يجب أن نلتفت إلى أننا نخطئ بل ونتساق خلف الدعاية الإعلامية عندما نطلق على الشعب اليهودي تسمية "شعب الله المختار"، وذلك بسبب عدم وجود ثقافة مسيحية جيدة. لأنه لا وجود فعلي لما يُسمى بشعب الله المختار، وإنما هناك لبسٌ في فهم المصطلحات التي تُستخدم في

العهد القديم، **لأن الدعوة هي اختيار، والاختيار غير مبني على التفضيل لأن الله ليس لديه شعبٌ مفضَّلٌ على شعبٍ آخر.** الكلام على شعبٍ مختار هو كلامٌ غير صحيح، ولكننا نردده منساقين وراء الفلكلور الذي يروج له الإعلام. لأن كلمات "يدعو"، و"يختار" في اللغة العبرية بمعنى واحد. **والاختيار هنا ليس لأن هناك شخصًا مُفضَّلًا على آخر، ولكن الاختيار هنا من أجل رسالةٍ وقصدٍ وضعه الله في التاريخ يريد ممَن يحمل هذه الدعوة أن يوصِّل هذا الاختيار إلى آخرين.** لذلك، فنحن نخطئ عندما نقول عن إسرائيل إنه شعب الله المختار، وهو أمرٌ غير صحيح، لأنه ليس مِن تفضيلٍ لأحد على آخر. والدليل على ذلك هو أننا عندما نتكلم عن التفضيل، فإننا ننسى أن عهد الله "covenant - باريث" بالعبراني لم يكن مع بني إسرائيل فقط، فهناك عهد الله مع الخليقة "cosmos covenant"، وهو منصوص عليه في أشعياء وهوشع[1]، ولذلك ترتبط الدعوة والاختيار بالعهد مع الخليقة. وكان أيضًا مع إبراهيم، ونلاحظ في دعوة الله لإبراهيم أن الله لم يقل له في نسلك يتبارك بنو يعقوب، وإنما في نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض، فالدعوة والبركة في إبراهيم موجَّهة للعالم كله. وعندما نرجع إلى كلام الأنبياء نجد أن هذا شعبٌ موصوفٌ بأنه محبوب من الله، محبوب وميراث اقتناء، Loved and possessed في الدراسات الإنجليزية عن العهد القديم، لأن possessed - مقتنى تعني "ميراث"، ولذلك الذي يشترك في القداس يجد أن المصلي يقول: "هذه التي اقتنيتها لك بالدم الكريم الذي لمسيحك". و"شعب اقتناء" في بطرس.

إذن، فنحن أصبحنا المحبوبين، وأيام الخليقة الستة اكتملت في اليوم الثامن.

---

(١) راجع أشعياء ٣٥، ٤٣: ١٨ - ٢٥ وهوشع ٢: ١٥ وما بعده.

القراءة الخاصة بكهنوت العهد القديم[١]

وفيما يخص الكهنوت نجد كلامًا عجيبًا جدًا مؤداه أن الرب يسوع له المجد جاء من سبط يهوذا الذي لم يُلازم أحدٌ منه المذبح، وليس من سبط لاوي، فيقول الرسول في العبرانيين إنه كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق.

وملكي صادق هذا كاهن الله العلي، كلمة "الله العلي" هي "إيل عيلون" الذي هو إله الأمم، وليس يهوه ألوهيم، لأن يهوه ألوهيم هو الاسم العبراني لله الخاص ببني إسرائيل، لكن "إيل عيلون" هو إله كل الشعوب السامية في العالم القديم، وكلمة "إيل" جاءت منها كلمة "إيلوه" ومنها جاءت كلمة "الله"، لأن اللغة العربية والعبرية والآرامية والسريانية يرتبطون معًا بصلة قرابة.

إذن، فقد جاء المسيح لكي يُعيد الكهنوت للأمم. لأن ملكي صادق، ملك ساليم، ملك البر قابل إبراهيم وبارك إبراهيم، وهو أمرٌ تسبب في مشكلة للعلماء اليهود في شرح العهد القديم، إذ كيف لرجلٍ أُممي أن يعطي بركةً لأبي اليهود، إبراهيم؟ وفي هذا الشأن تقرأ لهم تفاسير عجيبة الشكل ليس هذا مجالها، ولكنهم يشعرون بالحرج من أن رجلًا اسمه ملكي صادق يعطي بركةً لإبراهيم. وفي محاولة للتغطية على هذه الحقيقة يقولون إن ملكي صادق هذا هو شيث ابن آدم، وعندما يقولون إنه شيث ابن آدم، يكونون قد وضعوه في الجانب العبراني حتى يهربوا من الأصل الأممي لملكي صادق، فليس هو من نسل حام ولا من نسلٍ ملعون، وإنما أدرجوه في نسل سام، وقد ذكر القديس جيروم هذا الأمر وذكره أيضًا كثيرٌ من المفسرين. غير أن هذا الكلام غير ذي فائدة على أساس أن "في نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض"، فالوعد بالبركة هو لجميع العالم.

---

(١) راجع تفصيلًا الفصل المعنون "الكهنوت في العهد القديم" [المحرر]

ولذلك نجد أن نموذج الإيمان في رومية ص ٣، ٤، وبالذات في ص ٤ هو إبراهيم أب الآباء، وهذه هي النقطة التي وضعها القديس بولس أمام اليهود؛ أن الله عندما دعا إبراهيم لم يكن مدعوًّا لأنه كان يهوديًّا، أو لأنه كان يحفظ الناموس، لأن الناموس نزل على جبل حوريب بعد إبراهيم بـ ٤٣٠ سنة مما يعني أن دعوة الله لإبراهيم كانت دعوة إنسان أُممي، وكلمة "حنيف" الواردة في القرآن هي كلمة سريانية تعني أُممي، أي غير يهودي.

نذكر هذا، لأن الذي أضعف فهمنا للعهد الجديد نفسه هو ضعف دراستنا وفهمنا للعهد القديم، ولذلك يجب أن ندرس العهد القديم دراسة جيدة نتعرض فيها للأعمدة السبعة الواردة في العهد القديم، وهي: فعل الخلق أو الخليقة - اختيار/دعوة بني إسرائيل – الذبائح – الكهنوت – الأعياد - الأرض، والتي أصبحت مشكلة سياسية في العصر الحديث بسبب وجود دولة إسرائيل، وأخيرًا الشريعة أو الناموس. ولو استطعنا أن نفتح كل ملفات العهد القديم عندئذٍ نكون قد استطعنا حفر أساسٍ كتابي إلهي آبائي لكل ما هو موجود لدينا في العهد الجديد.

في العهد الجديد، الخليقة أصبحت الخليقة الجديدة. الكهنوت، أصبح كهنوت ملكي صادق. الأعياد أصبحت حياة الرب يسوع من الميلاد للصعود والعنصرة. الشريعة أصبحت مكتوبة في القلب التي هي سُكنى الروح القدس. الهيكل أصبح هو الإنسان، وهيكل الكنيسة مبني بهذا النظام لكي يؤكد أن الإنسان هو هيكل الله[١]، ولكن الغريب أن هيكل الكنيسة في السلوك القبطي المعاصر أصبح أكثر قداسة من الإنسان باعتبار أنه مدشن بالميرون وتتحول فيه الذبيحة، وينسون أن الإنسان مدهون ومدشن بالميرون أيضًا، وينسون أن الإنسان يتحد بالمسيح في الذبيحة. هذا الفهم يُعد عمليةً سحرية تنطوي

(١) راجع د. جورج حبيب بباوي، الليتورجية القبطية مدرسة اللاهوت الأرثوذكسي، جذور للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٧، ص ٢٤ وما بعدها. [المحرر]

على قدرٍ من الشعوذة ومحاولة للحط من كرامة الإنسان المسيحي. ولذلك كنت أتعجب من رجل عظيم عَبَر في حياتنا كالنسيم في هدوء، وأيقظ في قلوبنا وفي ضمائرنا الوعي الأرثوذكسي المضبوط، وهو قداسة البابا كيرلس السادس. فأذكر أن إحدى السيدات دخلت الهيكل، فصرختُ فيها وقلت لها إنه ممنوع عليها دخول الهيكل، وقال أبونا مينا إن السيدات ممنوعين من دخول الهيكل أثناء صلاة القداس، ولكن الدخول للتنظيف غير ممنوع. وقال لي: "هوَّ فيه قانون بيقول إن الستات ما تنضفش الهيكل"، فقلت له: "لست أعرف"، فقال لي: "طالما أنت لا تعلم، فلا تقل ما لا تعرفه". وقال لي: "هوَّ الرسول بولس موش بيقول كالوارثات معنا نعمة الحياة الأبدية؟ هو الستات دول ربنا غضبان عليهم، هو موش أمي وأمك هي الست العذراء، طيب موش تكرم دول عشان خاطر الست العدراء". وكنتُ أتعجَّب من أن هذا الكلام يُقال على نطاق ضيق، فقلت له لماذا لا تقول هذا الكلام بصورة عامة، فقال لي: "هوَّ أنت عاوزني أعمل ثورة عند الدراويش يعني؟".

عندما نتعرض للدعامات التي أشرنا إليها بالتفصيل ونحفر الأساسات ستجد أن كلامًا كثيرًا في العهد الجديد أصبح أمتن وأقوى وأثبت، وستجد أن هناك أشياء كثيرة لم تكن واضحة أصبحت أوضح بكثير، وسنتأكد أن الاقتناء هو المحبة، والمحبة هي أن يكون ربنا يسوع المسيح لهم ميراثًا، وأنه هو مفتاح العهد القديم.

ما هو المقصود بتعبير "ضمير الخطايا"؟

سؤال: في عب ١٠: ٢ – ٣ يقول عن الذبائح: "وَإِلاَّ، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لاَ يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا لكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا"، فما هو المقصود بضمير الخطايا؟

الطقس اليهودي كان يتضمن شيئًا مرعبًا جدًا -ونحن نفعله أيضًا، ولكن دون علم- وهو أن الخادم يدخل ليتطهر من الخطية، ويأتي كل سنة ليقدم ذبيحة لكي يتذكر خطاياه، **فأصبحت مناسبة التطهير هي مناسبة بعث الخطية من جديد في ضمير مَن يقدِّم الذبيحة**، لذا يجب أن ننتبه إلى ثلاثة أشياء هامة؛

أولا: إن تكرار الذبيحة أصبح يزرع في ضمير المقدِّم أو الخادم ضمير خطايا، **أي الإحساس الكياني بالدنس والسقوط**.

ثانيًا: إن الرسول يقول في عدد ٤ "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا"، فما هو الجانب المضمر هنا؟ **الجانب المضمر هنا هو أن أكثر صلاة تُقال عندنا وفي جميع الكنائس الأرثوذكسية هي "يا رب ارحم"، وذلك لأن المسيح جاء ورفع الدينونة. والمسيح جاء وأباد قوة الخطية. والمسيح جاء لكي تتقدم إلى عرش النعمة ليس لأنك خاطئ، وإنما لأنك دُعيت. وتتقدم إلى عرش النعمة ليس لأنك نجس، وإنما لأنك قُدِّست بالروح القدس. وليس لأنك هالكٌ، وإنما لأنك ابنٌ. وليس لأنك ابن جهنم، وإنما لأنك وريث الملكوت.**

أمَّا ضمير الخطايا فيُعيد الإنسان إلى الأشياء السلبية المنصوص عليها في العهد القديم مثل أنك تتنجس عندما تلمس جثة ميت، ومَن عليه نذر لم يقدمه ... إلخ لأن الحكم هنا على الخطية هو حكم الشريعة الذي ليس فيه غفران، فيضطر أن يقدم الذبيحة لكي ينال التطهير.

ثالثًا: أمَّا في المسيحية، فقد جاء المسيح ورفع كل هذا، وأعطى تطهيرًا أبديًا لكل إنسان. ولذلك، **عندما أعترف بخطيئتي، فلكي أتجدّد وليس لأنني أريد تجنُّب العقوبة. فسبب الاعتراف الأصلي هو التجديد والشفاء وليس الهرب من العقوبة، ولذلك أعترف لكي آخذ هبة الحياة الأبدية في يسوع المسيح، لأن الخطية رُفعت والفرائض التي علينا قد رُفعت من الوسط**

وسُمرت في الصليب (كول ٢: ١٦).

إذن، فقد انتهت كل هذه التركيبة، وإن كان البعض في كنيستنا القبطية في هذا العهد الأغبر الذي نعيش فيه، مازال يُصر على عودتها والتمسك بها، فقد سمعت مطران طنطا أنبا بولا يقول: "عندما تذهب لأب الاعتراف قل له حُط عليَّ قانون، عاقبني يا ابونا»! لماذا يا سيدي؟ منذ متى رَفَعَت العقوبة، أو قتلت جذر الخطية في الإنسان؟ **إنما الذي يُبيد الخطية هو عمل الروح القدس لا العقوبة.**

ولكي أوضِّح المقصود بضمير الخطايا، أسوق تشبيهًا من السلوك الاجتماعي الذي نحياه، وقد سمعته من أبونا مينا المتوحد، ففي مرة ذهبت إليه للاعتراف، فقال لي: "أقول لك قصة تريَّحَك؛ كان فيه واحد عايش في قرية، وقد أطلق عليه الناس اسم "حمار"، تعالى يا حمار روح يا حمار، فمن كُتر ما الناس بتقوله يا حمار صدَّق إنه حمار، وبالتالي أصبح يعايش الحمير يأكل معهم ويلعب معهم. وفي يوم من الأيام نزل أحد الرهبان إلى هذه القرية ووجد هذا الشخص يمارس حياته هكذا، فقال له: يا ابني لماذا تحيا بهذا الشكل؟ فقال له: أصل أنا حمار زيهم، فقال له: ازاي كده، الحمار بيمشي على أربعة وانت بتمشي على اتنين، والحمار بينهق وانت بتتكلم، انت يا ابني موش حمار دا انت انسان، فقال له: الناس هما اللي بيقولوا لي تعالى يا حمار روح يا حمار، فقال له: أنت لست حمارًا أنت إنسان، وانت ما بتاكلش برسيم، أنا شوفتك بتاكل جبنة وعيش. فلما ابتدأ يصدق إنه إنسان بدأ ينظر للبشر اللي حواليه ويتصاحب على البشر، فتغيَّرت حياته".

أعترفُ لكم أنني لم أفهم هذه القصة في وقتها، ولكن في يوم ذهبت للاعتراف، فقلت له: أخطيت حاللني، فقال لي: الله يحالك يا ابني، هوَّ أنت عندك ضمير خطية؟ فقلت له يعني إيه؟ فقال لي: أنا سبق وقلت لك قصة

الشخص اللي صدَّق إنه حمار فعاش مثل الحمير، **يا ابني احنا بنقول أنا أخطيت لأني بعُدت عن النعمة، أنا أخطيت لأن محبتي بردت، أنا أخطيت لأن التزامي بالصليب مابقاش كامل، أنت ما انتاش عبد، انت ابن الله، روح يا ابني ربنا يديلك نعمة عشان تفهم معنى كلامي".**

أعترف لكم أن هذا الكلام لم ينزل قلبي ولم يَبنِ حياتي في يوم أو يومين، لكنه أخذ وقتًا وصراعًا. أنا ابن الله، ولكن فيَّ نقص، وهذا النقص هو من ناحيتي، وليس لأني ناقص نعمة، أبدًا، أنا لست ناقصًا في النعمة، **لأنه لا يوجد إنسان في الكنيسة ناقص في النعمة، فالذي اعتمد وأخذ مسحة الميرون ليس ناقصًا في النعمة. وبالتالي فإن ضمير الخطايا، أي الإحساس بالخطية، لا يرفع الخطية، الذي يرفع الخطايا هو الابن الوحيد.** والرب يسوع المسيح يعطينا وإياكم نعمة إلهية لكي نفهم أن هناك فرقًا بين شخصٍ يطلب الـمَلِك لكي يكون ملكًا، وبين عبدٍ يحيا في العبودية، ومنتهى أمله أن ينفِّذ ما عليه من فرائض العبودية، هذا غير ذاك. **نحن أبناءٌ وملوكٌ، ولذلك يجب علينا أن نرفض أي خلل في حياتنا وأن نطرحه بعيدًا من أجل محبتنا للرب يسوع المسيح، وليس خوفًا من الدينونة. وإنما أخاف من الدينونة لئلا تحرمني الدينونة من المجد الذي أنا مقيم فيه، وليس لأنني عبد، ولا لأنني خاضع للعقاب، أبدًا.**

ولكي نفهم المقصود بضمير الخطايا، بشكل واضح، هناك أربع نقاط مهمة جدًا سوف أُلخصها، وربما تحتاج إلى إيضاح في مناسبة أخرى:

١- إن الرب يسوع المسيح له المجد لم يأتِ لكي يقول لي إنني خاطئ، وإنما أتى لكي يقول لي إنني ميِّت أحتاج إلى الحياة، والفرق بين الاثنين كبير، وهذا هو أحد الفروق الأساسية بين الإسلام والمسيحية، ففي الإسلام الإنسان يحتاج إلى الهداية، أمَّا في المسيحية الإنسان ميت يحتاج إلى الحياة.

٢- ما هو كنه هذه الخطية التي أشعر بها؟ **يجب أولًا أن أعرف أنه ليس هناك خطية ضد الله، لا يوجد ما يسمى بخطية ضد الله، إنما الخطية هي ضد الإنسان، هي في الأساس تقتل الإنسان**، "بخطيئة إنسان واحد دخل الموت إلى العالم" (رو ٥: ١٢)، "وإذ كنتم أمواتًا في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه" (كو ٢: ١٣). بأي معنى تقتل الخطيةُ الإنسان؟ **لأنها تزرع في الإنسان صورة غير حقيقية عن وجوده وعن كيانه وعن حياته وعن فكره وعن إرادته، تجعله يشوِّه نفسه، فيكون صورةً لذاته فيموت، يموت روحيًّا ويتبع هذا الموت الجسداني أو البيولوجي.**

٣- ولذلك، فأنا آتي إلى الله لكي ألتمس الحياة أو ألتمس الشفاء. المريض يحتاج إلى الشفاء، **وبالتالي يصبح التطهير والتقديس والتجديد والغفران، وكل الأفعال التي نتكلم عنها في العهد الجديد وفي الليتورجية أفعالًا خاصةً برد الإنسان إلى حياته الحقيقية في الله، أي الحياة حسب صورة الله**، صورة الله التي أصبحت أوضح كثيرًا جدًا في يسوع المسيح، **أي صورة الإنسان الذي يُنكر ذاته، أي يرفض الصورة التي صنعها الإنسان لنفسه**، وهذا هو إنكار الذات، ويحمل صليبه ويتبع الرب يسوع لكي يصير له تلميذًا، ومعنى ذلك أن الملكوت أصبح هو أساس التفكير فيما يسمى بالسلوك الأخلاقي Ethical / Moral

٤- يجب أن يكون شعوري بالخطية هو الشعور الصحيح بها، وليس الشعور المفروض عليَّ من المجتمع أو من الجماعة البشرية التي أعيش معها؛ أي أنني إنسان سيئ وأنني نجس ... إلخ، ولكن **الشعور الصحيح بالخطية هو إدراك أنه يوجد شيء لديَّ يحتاج إلى شفاء وإلى تجديد وإلى إحياء، وأن المسئول الأول الذي يتولى هذا هو الطبيب الحقيقي الذي لأنفسنا وأجسادنا وأروحنا، الرب يسوع المسيح**، وأن أرجع إلى الله، وفي رجوعي إلى الله يكون الندم هو على ما فقدته من عطية، أو على الخسارة التي تسببت فيها لنفسي، وأن

يكون لديَّ وعيٌ بحقيقة الخراب الذي سببته لنفسي، وليس وعيًّا بالذنب الذي يضعه عليَّ المجتمع لكي يُخيفني ويُرعبني من الدينونة ومن النار التي لا تُطفأ والدود الذي لا يموت، لأن النار التي لا تطفأ والدود الذي لا يموت هي حالة الانحلال والموت والبُطل Futility أي أن هناك شيئًا خُلِق للجمال وللحرية والخلود، ولكنه يتحلل ويتفكك ويُدمَّر من الداخل.

كل ذلك يعني أنه لا يجب أن يكون لديَّ ضمير خطية كاليهود، بمعنى أنني أخطأت ضد الناموس، وبالتالي أُقدِّم ذبيحة وكلما قدَّمتُ ذبيحةً كلما تذكرت النجاسة التي فيَّ. وإنما يجب أن أفهم أنني أعود إلى الله لأنني بعدت عن الشركة، وعندما بعدت عن الشركة أُصِبتُ بأمراض روحية، ولما بعدت عن الشركة أصبحت أجهل الله، ولما بعدت عن الشركة، قلَّ ما لديَّ من محبة، ولما بعدت عن الشركة أصبح وجودي مهددًا بالموت، ولذلك تقول الكنيسة: "**اسمك القدوس الذي نقوله، فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس ولا تدع موت الخطية يقوى علينا نحن عبيدك ولا على كل شعبك**".

كنت أُحدث الشبان في الكنيسة، وسألتهم: لماذا يجب ألا تكذب؟ فقالوا لأن الكذب يُغضب الله، فقلت لهم: لا، ليس هذا هو المبرر الحقيقي، لأن ربنا لا يغضب، ولكن يجب ألا تكذب لأن الكذب يجعلك جبانًا، وبالتالي تفقد الثقة بنفسك، وهذه هي خطورة الكذب. ولماذا لا تسرق؟ لأن السرقة تُعلِّم الإنسان الأنانية، وتتسبب في إصابة الإنسان بأمراض نفسية وعقلية، وتجعله يشك في غيره، وتجعل الإنسان يعجز عن محبة الآخر، وهذه كلها أمراض.

الخطية مرض، والكنيسة مستشفى، الكنيسة ليست معتقلًا، بل مستشفى للشفاء من المرض. أقول هذا الكلام، لأني قابلت أحدهم كان قد قُبِض عليه لأجل تدخين الحشيش وسألته لماذا تدخن الحشيش؟ فقال لي "لأني زهقان من عيشتي، والحياة لا معنى لها"، فلما استقصيت منه عن الأسباب، تبين لي

أنه ليس محبوبًا من أبيه وأمه، وضربه زملاؤه في المدرسة، فاقترحت عليه أن يشترك في النادي ليتعلم الدفاع عن النفس. لقد فَقَدَ الثقةَ بنفسه تماما وفَقَدَ الشعور بأنه مهم حتى عند الله، وأنا أظن أن الافتقاد لهذا الأمر هو أحد أسباب الإدمان على المخدرات.

أُريد أن أوجز كلامي: بأننا مطالبون بألَّا نفهم الخطية بالمعنى الاجتماعي، بل بالمعنى المسيحي. وأن نطلب التطهير والتقديس من الروح القدس ليس إرضاءً للمجتمع، وليس إرضاءً لأي إنسان، وإنما لكي ننمو نموًّا مسيحيًّا حقيقيًّا يجعلنا أطهارًا وأنقياءَ وأحرارًا. فالتوبة هي التي تضع أساس الحرية في الإنسان.

أرجو أن يكون هذا الكلام واضحًا، بالرغم من أنه ربما يكون ضد الكلام السائد في التعليم الكنسي المعاصر، لأنني أسمع بعض العظات لبعض الآباء الكهنة والأساقفة، فتصيبني رُعبة، لأنني أجد أن هذه العظات قد فقدت مسيحيتها، وأصبحت خلطة من الوثنية والإسلام واليهودية، خلطة مؤذية جدًا للضمير ولحياة أي إنسان له علاقة بالمسيح.

الفصل الثاني عشر

الكهنوت في العهد القديم[١]

كهنوت العهد القديم قبل السبي وبعده

في حديثنا عن الكهنوت في العهد القديم، نحتاج إلى التمييز بين فترتين في العهد القديم؛ ما قبل السبي وما بعد السبي، ليس لأن هناك كتابين للعهد القديم، وإنما لأن التدبير والعلاقة بين الشعب والكهنوت تغيَّرت بعد الرجوع من سبي بابل. بمعنى آخر؛ أن اليهودية التي نعرفها في زمن الرب يسوع هي يهودية ما بعد السبي، أما يهودية ما قبل السبي فهي معروفة لنا من خلال الكتب التاريخية، وبالتحديد أسفار القضاة، وصموئيل الثاني وملوك الأول والثاني، والأخبار الأول والثاني، وبعض الفصول في كتب الأنبياء.

أقول هذا، لأنه في فترة ما بعد السبي أصبح مستحيلًا على أي إنسان من خارج سبط لاوي أو من سبط هارون أن يقدِّم ذبيحةً، في حين أن فترة ما قبل السبي شهدت أمثلةً لأُناسٍ ممن ليسوا من سبط لاوي ولا علاقة لهم بهارون، قدموا ذبائح، في سفر القضاة، بالتحديد جدعون، ومنسى أصحاح ٢٦ ومنوح أبو شمشون من سبط دان أصحاح ١٣، وداود ابن يسى من سبط يهوذا لما رقص أمام تابوت العهد في ٢ صم أصحاح ٦، وفي في ٢ صم اصحاح ٢٤، وسليمان الملك في ١ مل أصحاح ٣، بل حتى النبي إيليا قدَّم ذبيحةً على جبل الكرمل في ملوك الأول ١٨. فهذه كلها ذبائح قُدِّمت بواسطة أشخاص ليس لهم علاقة بالكهنوت اللاوي أو الهاروني. وأيضًا من أشهر الأشخاص الذين قاموا

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٩ أغسطس ٢٠١٨.

بخدمة كهنوتية، كان صموئيل النبي من سبط إفرام، وكان قد خدم في الهيكل لما كان الهيكل في شيلوه، وكان يلبس الأفود، أي الزي الخاص بالكهنة عندما كان يخدم مع عالي الكاهن ١ صم ٧ وما بعده. ولذلك كان ملوك إسرائيل في مرحلة ما قبل السبي يقيمون الكهنة الذين يريدونهم، فداود النبي أقام أولاده كهنةً في صم ٨: ١٨، وأصحاح ٢٠: ٢٦.

طبعا كانت هناك أماكن للعبادة في شيلوه وفي دان ناحية بير سبع. وكان كاهن ما قبل السبي مسئولًا عن أن يبين الشريعة الإلهية، ويدخل إلى الخيمة ويتكلم مع الله ويعود ليقول كلام الله للشعب، ما يعني أنه كانت توجد ازدواجية وظيفية في شخصية صموئيل النبي، كمثال، وهي أنه نبي وكاهن. نحن ننسى أن صموئيل قُدِّم للخدمة في شيلوه مع عالي الكاهن، وهذه نقطة تهمنا جدًا كمسيحيين، لأنه إذا كان الملوك قدموا ذبائح، وهناك أشخاص مثل صموئيل كان نبيًا وكاهنًا، فالرب يسوع المسيح عندما أتى جمع معًا الملك والنبي والكاهن في شخصٍ واحد الذي هو شخصه هو كابن الله الحي.

ويجب أن يكون لدينا وعي بأن معرفة الشريعة وشرح الناموس كان جزءًا جوهريًا من العمل الكهنوتي في العهد القديم. أمَّا بعد أن دخل العهد القديم في مرحلة ما بعد السبي، أُعيد تقسيم خدمة الكهنوت على أساس ما ورد في اللاويين والتثنية.

وربما يعود كتاب المشنا إلى ما قبل أو قد يكون مزامنًا لظهور المسيحية، وهو الكتاب الذي حدد خدمات الكهنة بشكلٍ صارم فمُنع تقديم الذبائح خارج أورشليم، وأصبح تقديم الذبيحة خاصًّا بالكهنة الذين تقع عليهم مسئولية الكهنوت من سبط لاوي أو من سبط هارون.

الأفود هي كلمة غريبة جدًا، لأن الأفود والترافيم كلمتين في العبراني، الأفود بالتأكيد كان شيئًا يُلبس، ونعرف من الكتب التاريخية ١صم أصحاح ٢٢: ١١ - ١٩

أن شاول الملك قتل ٨٥ من الكهنة الذين لم يكونوا من سبط لاوي، هؤلاء كانوا يلبسون أفودًا من الكتان، فمن الواضح أن هذا نوع من الملابس، لكن نفهم من سفر القضاة ١٧: ٥ أن ميخا عمل أفود وترافيم ووضعهما في الهيكل بشكل مجسم كتمثال، ونجد هذا الكلام في حزقيال النبي، والنص العربي ليس واضحًا، ٢١: من ٢١ - ٢٦ وزكريا النبي ص ١٠: ٢.

اليوريم والتوميم مع الأفود والترافيم يشكلون مشكلة لدينا لأننا لا نعرف ماذا هم بالضبط، لكننا نعرف أن الأفود هو لباسٌ من الكتان، أما اليوريم والتوميم فحجرين مربعين يتوزع جوانبهما بين الأبيض والأسود، يمسكهما الكاهن في يده عندما يصلي لكي يستطيع أن يتلقى ردًا إلهيًّا من الله على المشكلة المعروضة. لا نعرف كيف كان ذلك يحدث، ربما كان يلقيهما على الأرض، فإذا كان الجانبان الظاهران لونهما أبيض يكون الرد نعم، وإذا كانا أسودين يكون الرد لا. هذا تخمين غير مؤكد، ولكنه هو الكلام الموجود في المصادر اليهودية القديمة.

الرب يسوع المسيح الكاهن والنبي

فيما يخص تأسيس الكهنوت بعد العودة من السبي، يهمنا أن نشير إلى أن الرب يسوع المسيح له المجد عندما جاء في الجسد بدأ يُعيد الكهنوت للعمل النبوي، وهو ما يفسر لنا ما قيل في الأناجيل عن أن المسيح كان يطوف القرى والمدن ليكرز بملكوت الله، فهذا العمل لم يكن في الحقيقة إلَّا عملًا نبويًّا؛ الكرازة النبوية.

وتوجد إشارة غريبة جدًا في الأناجيل عند يوحنا، وهي تُعد لمحةً غريبةً جاءت في وسط الكلام عن الصلب ولكنها على قدر كبير من الأهمية، حيث يقول: "إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ

أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْمًا. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا. وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسُوجًا كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ" (يو ١٩: ٢٣)، وعندما يصف يوحنا القميص بهذا الوصف، فهو كان يشير بالتأكيد إلى أفود، لأن هذا الوصف هو الذي ورد في كتاب الآثار اليهودية للمؤرخ اليهودي يوسيفوس، وهو في الحقيقة ليس قميصًا بالمعنى المتعارف عليه، وإنما كان منسوجًا من الكتان، "فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لاَ نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ" (يو ١٩: ٢٤) بمعنى أنهم لن يقسِّموه لأنه كان عبارة عن قطعة واحدة، فكون المسيح كان يلبس أفودًا ويطوف المدن والقري، فذلك يبيِّن أنه نبيٌّ وكاهنٌ، وهنا حرص القديس يوحنا على الكلام عن القميص بالذات أو عن الأفود في عملية الصلب، لكي يبين أن المسيح هنا يتحول من كاهن إلى ذبيحة لأنه سوف يُصلب "لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: "اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً" (يو ١٩: ٢٤)، والترجمة هنا تحتاج إلى توسعة.

كهنوت الرب وخلاص الأمم

الجانب التاريخي الذي شرحناه في العهد القديم مهم جدًا لأنه يوضح لنا أن الرب يسوع له المجد جاء كاهنًا على طقس ملكي صادق، في عب ٦: ٢٠ إلى الآخر وفي اصحاح ٧ ويجب أن ننتبه إلى أنه يتكلم هنا عن ملكي صادق ملك ساليم كاهن الله العلي، أي إيل عيلون أي إله الكنعانيين، فهذا الملك كان كاهنًا أيضًا، وهو الجانب المذكور في النبوة عن الرب يسوع في مزمور ١١٠: ٤ "أنت هو الكاهن على طقس ملكي صادق". وما نعرفه أن ملكي صادق استقبل إبراهيم وقدم له العشور، فملكي صادق بارك إبراهيم لأنه كاهن الله العلي.

وهذا الوصف يلمِّح إلى شيء مهم جدًا عن يوحنا المعمدان، وأنا أقصد كلمة "**الله العلي**"، وهنا يجب أن أذكر الكلام من النص كما هو موجود في

لوقا ١: ٧٦: "وأنت أيها الصبي **نبيُ العلي** تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتُعد طرقه"، ماذا عن تعبير "**نبي العلي**"؟ الكلام الموجود في رو ٤ بالذات عن أن إبراهيم أب الآباء يُعد المثال للتبرير بالإيمان ومثال دعوة الله للأمم، وبالتالي فتعبير "**نبي العلي" تعني أنك ستصير نبيًا لله الذي اختار الأمم**، لأن العلي هو "إيل عيلون"، وبالتالي هو نبي لله إله الأمم مثل ملكي صادق، مع أن يوحنا النبي ابن زكريا الآتي بحسب شهادة لوقا من الخدمة الكهنوتية، "مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ" (لو ١: ٥)، **وهنا إشارة مضمرة إلى أن الكهنوت سوف يشهد بعمل نبوي لله الذي يدعو الأمم في العودة إلى الله**. فهذه الأمور كلها مركَّزة ومتجسدة في شخص المسيح، وفي المقالة اللاهوتية رقم ٤: فقرة ٢١ عن الابن للقديس غريغوريوس النزينزي وهو يتكلم عن شخص المسيح، فيقول: "إذا رجعنا إلى المبادئ الخاصة بالمعرفة اليقينية الخاصة بالرعاية، المسيح يسوع جمعنا في حقل السماويات. هو يدعى **الحَمَل** لأنه ذُبح، ويدعى الحَمَل لأنه كان بلا عيب، ويدعى **رئيس الكهنة** لأنه قدَّم ذبيحة، ويدعى **ملكي صادق** لأنه من ناحية الكهنوت لم يأخذ كهنوته من الأم، وهو كإنسان بلا أب، ولذلك هو ملكي صادق ملك البر لأنه هو الذي أخذ العشور من البطريرك إبراهيم، وهو الذي يغلب القوات الشريرة»[1].

فهنا، في الكلام عن الكهنوت؛ كهنوت ملكي صادق، المسيح له المجد أخذ هذا الكهنوت من كيانه ومن خدمته، ولم يُعطَ هذا الكهنوت من شخصٍ آخر، الأمر الذي يعني أننا هنا رجعنا تقريبًا إلى يهودية ما قبل السبي، أي إلى

(١) راجع، أقدم النصوص المسيحية، سلسلة النصوص اللاهوتية -٥، غريغوريوس النزينزي، الخطب ٢٧ – ٣١ اللاهوتية، نقلها عن اليونانية إلى العربية الأب يوحنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، بيروت – لبنان، مجلس كنائس الشرق الأوسط، الطبعة الأول ١٩٩٣، ص ١٣٢ – ١٣٣. هذا وقد قام الدكتور جوزيف موريس فلتس بترجمة هذه الخطب ترجمة حديثة صدرت عن مركز بناريون للتراث الآبائي بالقاهرة، سلسلة النصوص المسيحية في العصور الأولى -١٨، الخطب اللاهوتية، القديس غريغوريوس النزينزي، الطبعة الأولى ديسمبر ٢٠٢٢، راجع ص ١٣٦ – ١٣٩ [المحرر]

اليهودية التي كانت لديها الحرية وتسمح للملوك وللأنبياء، بل ولأشخاصٍ من غير سبط هارون بتقديم الذباح كجدعون ومنوح وداود وسليمان.

طبعًا في التقاليد اليهودية يقولون عن ملكي صادق إنه هو سام ابن نوح، وقد قال اليهود هذا الكلام وضمنوه في الترجوميم، أي النص العبراني المنقول إلى اللغة الآرامية، وهي لغة تقريبًا كالعبرانية، ولكنها كانت اللغة الشعبية التي كان الناس يتكلمون بها في زمن المسيح له المجد وما قبله. في الترجوميم وضع الرابيون كلامًا كثيرًا عن ملكي صادق، لأنه عزَّ عليهم أن شخصًا كملكي صادق كاهن الله العلي يبارك إبراهيم أب الآباء وأب اليهود. وعن هؤلاء نقل القديس إفرام السرياني.

ولكننا هنا نريد أن نعود إلى أربع نقاط أساسية خاصة بكهنوت الرب؛

النقطة الأولى هي أن المسيح لم يأخذ كهنوته من إنسان، أو من سبط، أي أنه لم يرث الكهنوت. وحتى يوحنا المعمدان، دُعيَ نبي العلي لكي يخرج من سبط هارون مَن يشهد لله المهتم بالأمم، أي ليشهد لدعوة الأمم. **لذلك، فإن انتشار الإنجيل بين الأمم لم يكن مصادفةً، وإنما كان جزءًا من التدبير الإلهي**. فالكهنوت هنا آتٍ من الكيان، أي من الحقيقة الجوهرية التي يكون عليها الشخص نفسه.

النقطة الثانية هي أن المسيح له المجد عندما يستعيد التعليم النبوي القديم، فإنه يعني إن الله غيرُ راضٍ بالمرة على الذبائح الخاصة بالعهد القديم، بل يرفضها، وهو ما نجده في عب ١٠ ولدى الأنبياء ابتداءً من أشعياء النبي، حيث يقول لهم: "مَنْ طَلَبَ هذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا دُورِي؟ لاَ تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. الْبَخُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي ... فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا" (أش ١: ١٢ – ١٥)، وهو ما يعني أن الله يبحث عن القلب وعن الحياة الإنسانية كذبيحة.

أريد أن أتوقف عند هذه النقطة وأقول إننا **عندما نسمع في رسالة بطرس "أننا كهنوت ملوكي وشعب اقتناء"، فإن ذلك يعني أن الإنسان بسبب موت الرب يسوع له المجد على الصليب أمكنه أن يُقدِّم نفسه ذبيحةً**، وهذا أمرٌ مهمٌ جدًا لنا في العهد الجديد، لأن الرسول بولس يقول -وهو الكلام الذي يجب ألَّا ننساه أبدًا- إننا نقدم أنفسنا ذبائح حية عبادتنا الروحية أو العقلية، فعندما نتكلم عن تقديم أنفسنا كذبيحة حسب كلام الرسول في رو ١٢، "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ" (رو ١٢: ٢ - ٣)، **وهنا يجب أن يستقر في أذهاننا أن تقديم الحيوان كذبيحة لم يأتِ بالنضوج الروحي لإنسان العهد القديم، لأنه رفع عن الإنسان الرغبة في فحص أعماقه الروحية الداخلية وجعله يكتفي بالطقس ويقدم شيئًا من خارج كيانه**، مع أن الإنسان في مز ٨ هو إله الكون "من هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الانسان حتى تفتقده وضعته قليلا عن ألوهيم، (أي الله وتُرجمت وضعته قليلًا عن الملائكة) أخضعت كل شيء تحت قدميه"، **فهنا تقديم الانسان نفسه كذبيحة يجعل الإنسان كاهنًا.** فنحن لنا كلنا الكهنوت العام، وهو الذي يؤخذ منه الكهنوت الخاص في تدبير الكنيسة، **لكننا عندما نتكلم عن كهنوت المؤمنين ننسى أن كهنوت المؤمنين أصلًا هو في تقديم الحياة ذبيحة لله.**

في القداس الأرثوذكسي عن الروم وعند الاقباط، نقول "رحمة السلام وذبيحة التسبيح"، ما هي ذبيحة التسبيح؟ الله يريد العبادة العقلية، العبادة الداخلية، العبادة الروحية[١]، لماذا يريد الله هذه الخدمة؟ كيف تُعد الصلاة

(١) في الحقيقة هي ليست العبادة بل "الخدمة"، لأن كلمة العبادة كلمة غريبة عن العهد الجديد، وهي ليست موجودة في القداسات لا القبطية ولا اليونانية، وإنما وردت في بعض الترجمات العربية التي تأثرت بالمصطلحات القرآنية، لأن الإنسان في العهد الجديد ابن وليس عبدًا.

والتسبيح ذبيحةً؟ ما الذي ينقل الصلاة والتسبيح إلى أن تكون ذبيحة؟ عندما نقرأ سفر التكوين نجد أن الله يتكلم مع الخليقة، قال الله ليكن نور فكان نور، وفي المزمور ١١٠ قال الرب لربي ..، فحسب المستوى الإنساني لفهم الله، يوجد حوار في داخل الثالوث، وقال الله نخلق الإنسان على صورتنا كمثالنا أو كصورتنا وحسب مثالنا، وعلى ذلك الكلام الإنساني، الحوار بين الله والبشر، هو تحقيق الصورة الإلهية في الإنسان، فعندما يسبِّح الإنسان الله، يأخذ معه الخليقة حسب مز ٨ وهذه النقطة تغيب عن وعي عدد كبير من الأرثوذكس، وهي أن القداس الإلهي أو الخدمة مسبوقة بتسبحة عشية، وتسبحة نصف الليل، وتسبحة باكر، ثم الخدمة الإلهية. وعندما تُقرأ الهوسات، أي المزامير والتسابيح، فهي بمثابة دخول الكون كله في شركة مع الله، لأن الإنسان يقدم الكون، **فذبيحة التسبيح هي الحوار الإلهي الإنساني، وكلما صلى الإنسان وقدَّم تسبيحًا لله كلما حقَّق to fulfill عطية الصورة الإلهية التي أخذها من الله عندما خُلق.**

إذن، فنحن كهنة مقامين للتسبيح ومقامين للخدمة، ونحن أيضًا نخدم بتقديم ذبائح روحية، كتقديم الوقت، فأنْ أقتطع زمانًا لكي أخدم، فهذه ذبيحة، وخدمة المحتاجين ذبيحة، والاهتمام بالأسرة ذبيحة. ولذلك، في طقس الزيجة القديم يُلبَس العريس بُرنُس الكهنوت، لأن العريس هو كاهن أسرته، ويوضع تاجٌ على رأس العريس والعروس لأنهما أُعيدا إلى ملك آدم.

وهنا تكون القراءة المسيحية الأرثوذكسية للعهد القديم ضرورية جدًا، لكي نعرف أن لدينا جذورًا في حياتنا الروحية لا يمكن فهمها إلَّا بالعودة إلى قصة الخليقة، والعودة لاختيار بني إسرائيل، والعودة إلى بركة الآباء، والعودة إلى اليهودية كما كانت قبل السبي. أمَّا يهودية ما بعد السبي، فهي اليهودية التي أصبحت فيها الشريعة هي المصدر الأول والأخير، وأصبح حكم التوراة

هو الحكم المطلق الذي يجُبُّ كل ما جاء حتى في الأسفار التاريخية. وإن كان هذا الكلام ليس موجودًا في العهد القديم نصًّا، إلَّا أنه موجود في المشنا والتلمود وفي مدراش رابا، أي في تفسير العهد القديم لعلماء الشريعة من اليهود.

النقطة الثالثة في كهنوت الرب يسوع المسيح، وقد سبق أن قلنا هذا الكلام ونعيده **أنه هو الكاهن والذبيحة والمقدِّم، وهو أيضًا الملك والنبي،** وسوف نؤجِّل الكلام عن الكاهن والذبيحة والمقدِّم لمناسبة أخرى[١]، أما الآن، فإنني أريد أن أتكلم عن الملك والنبي، لأننا لا نتكلم كثيرًا عن المسيح الملك، مع أن كنيستنا تحرص دائمًا على أن تقول: "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح". فالمسيح ملكٌ، وهو ملكٌ لأنه اقتنى الكنيسة، أي أنه يملك الكنيسة. وفي القراءة الكنسية يقول المزمور: "الرب قد ملك على خشبة"، أي أنه ملك مِن على الصليب، وفي الصلاة الربانية "لأن لك الملك والقوة والمجد". و"لك المجد والقوة والبركة والعزة" في تسبحة الآلام هي تعبير عن الاقتناء، شعب اقتناء، "هذه التي اقتنيتها لك بالدم الكريم الذي لمسيحك". هذا هو المُلك، والمُلك بالدم هو مُلكٌ بالحياة لأن الدم يساوي حياة.

أمَّا بالنسبة للنبوة، **فالمسيح نبيٌّ، ولذلك توضع ذبيحة الإفخارستيا في إطار التعليم**، والذي نسميه جوازًا قداس الموعوظين، ويليه قداس المؤمنين. هذا التقسيم ليس ضارًا، لكنه ليس واضحًا تمامًا في الشرح. في القداس لا يمكن أن نتناول ونأخذ الذبيحة إلَّا بالتعليم النبوي، أي بالتعليم. **والتعليم النبوي ليس خاصًّا بما حدث في العلية فقط، ولكنه في ما يحدث أيضًا في**

(١) يمكن مراجعة الفصل المعنون "كيف يقرأ الإنسان المسيحي العهد القديم"ـ حيث تناول الدكتور جورج الكهنوت كعنصر مقارنة بين العهدين. وأيضًا تناول موضوع كهنوت الرب يسوع في الفصل المعنون "ما هو الفرق بين العهد القديم والعهد الجديد"، وأيضًا في الفصل المعنون "ما هي نظرة آباء الكنيسة الجامعة للعهد القديم؟". [المحرر]

الحياة الشخصية، لأن النبي والكاهن في العهد القديم كان مخصَّصًا ومكرَّسًا للأمور اليومية، والأمور الخاصة بما يحدث على مستوى الحياة اليومية في بني إسرائيل.

إذن، فكهنوت المسيح له المجد ليس فقط في تقديم الذبيحة، لكن أيضًا في تقديم ذبيحة التسبيح: "رحمة السلام وذبيحة التسبيح"، وهو المرد الذي ندخل بعده مباشرةً في الخدمة الكهنوتية للرب يسوع التي خُصِّص لها كاهنٌ خاص، ونحن شركاء مع هذا الكاهن في تقديم الذبيحة، لأنه في القداس القبطي يجب أن تتوفر ثلاثة عناصر: الكاهن، والشماس والشعب، وبدون هذه العناصر الثلاثة -وهذا قانون في الكنيسة- لا يكون هناك قداس، فالقداس ليس له صفة خصوصية، ولا وجود لدينا لما يسمى بقداس خاص، **إنما القداس هو ذبيحة المؤمنين وشركة الجماعة، وهذا الأمر كان هو قاعدة تقديم الذبيحة في العهد القديم.** صحيح أن مَن كان يقدم الذبيحة كان يقدم وحده إلى الكاهن، لكن الشعب كان أيضًا موجودًا، وبالتالي فهي ليست خدمة فردية أبدًا في العهد القديم، بل هي ذبيحة المؤمنين. ولأن الرب يسوع في علية صهيون كان مع الجماعة، مع الشعب، مع التلاميذ الاثني عشر.

إذن، كهنوت المؤمنين هنا يجب أن يُفهم فهمًا جيدًا، فهو لا يعني الحصول على كهنوتٍ موازٍ لكهنوت الآباء الكهنة، أبدًا، **لأن وجود الكاهن المشرطن، وجود هذا الكاهن هو العلامة التي تذكِّر كل مسيحي بأنه كاهن أمام الله، وليس العكس،** لماذا؟ لأن هذا الكاهن يقدم ذبيحة الإفخارستيا التي هي ذبيحة الشعب ونحن جميعًا نشترك في هذا التقديم. ولكن أنا أيضًا بحياتي الشخصية، الذبيحة الحية التي تُقدَّم لله، ليست لفداء البشرية ولا للحصول على الغفران، وإنما لأن تقديم الحيوانات لم ينزع عن الطبيعة الإنسانية الانغلاق في داخل الأنانية، لأنك عندما تقدم حيوانًا فأنت تحيِّد مشكلة الخطية لديك،

لا تحل مشكلة الخطية إطلاقًا، ولذلك عندما يقول الرسول بولس: "إن دم ثيران وتيوس لا يطهِّر"، فهذا الكلام على المستوى الواقعي صحيح ١٠٠٪ وعندما يقول إنها فرائض مؤقتة وُضِعَت إلى زمان التجديد أو الإصلاح، فهذا كلام مؤكَّد ١٠٠٪ **لأنني عندما أُقدم ذبيحةً خارجًا عن نفسي، فأكون في حقيقة الأمر قد فصلت نفسي عن المشكلة ووضعتها خارجي، وأصبحت مهتمًا جدًا بالطقس الخارجي، وليس بما في داخلي، وهو عكس ما يحدث في ذبيحة التسبيح.** ولذلك، عند أرميا النبي يقول لهم إن الله سوف يهدم الهيكل وسيخرب أورشليم، وكما حصل لكم في شيلوه سوف يحدث في أورشليم، لأنكم تكتفون بتقديم الذبائح وفي ذات الوقت تقتلون وتزنون وترتكبون جميع الخطايا.

أعود فأقول إن من الأمور المهمة جدًا لنا كمسيحيين في استرداد كهنوت المؤمنين، وهذه هي **النقطة الرابعة**، أننا لنا كهنوتٌ ملوكيٌّ، أي من الملك يسوع المسيح الذي مَلَكَ بحياته ومَلَكَ بتقديم ذاته ذبيحة عن خطايانا ومَلَكَ بالمحبة، وهذا هو الطريق الملوكي للكهنوت الملوكي، وهو ليس المُلك بالمعنى السياسي، لأنه حتى في العهد القديم كان الملك يُمسَح، والشيء العجيب أنه كان يُمسَح بواسطة النبي، لكي يأخذ مسحة إلهية لكي يملك على بني إسرائيل ويحكم حكمًا مؤسَّسًا على روح الحكمة. ونحن نُمسَح بمسحة ملوكية في الميرون لأننا ورثنا بركة أب الآباء إبراهيم وورثنا المُلك، وهو الكلام الذي قاله الرب يسوع بفمه الإلهي: "رثوا المُلك المعد لكم قبل تأسيس العالم"، وهو الذي نأخذ بدايته هنا على الأرض إلى أن يكمل في اليوم الأخير.

أنا قلت في المرة السابقة إنه من الضروري العودة إلى جذور الإيمان المسيحي في العهد القديم لكي نفهم بشكل صحيح ما هو لدينا في العهد الجديد، وأنا أرجو أن هذا الكلام عن الكهنوت يكون واضحًا ومفهومًا، على أن نقوم بالكلام عن الذبائح في مناسبة أخرى إن شاء الرب وعشنا.

سؤال: هل كهنوت العلماني هو كهنوت المسيح، وهل هذا الكهنوت هو كهنوت الآباء الكهنة، أم أن هناك فرقًا بين الاثنين؟

في الكنيسة يوجد كاهن واحد فقط، هو الرب يسوع المسيح، وهو يوزِّع كهنوته على الكنيسة. وأنا أرجو الاطلاع على كتاب الجوهرة النفسية في علوم الكنيسة لزكريا ابن سباع من علماء القرن الثالث عشر، ترجمة النص المحقق الذي نشره الأب منصور مستريح الفرنسيسكاني، لأن هذا هو النص العربي الكامل، أما النص الذي طُبع في زمن البابا كيرلس الخامس فهو نصٌّ مختصر، وحذف منه الناشر مقاطع كثيرة، هو نفسه شعر بأنها سوف تتسبب له في مشاكل فحذفها.

المشكلة التي يتخوف منها البعض هي أن الكاتب (ابن سباع) يقول إن الرب يسوع خدم في جميع رتب الكهنوت، خدم أغنسطسًا لأنه دخل المجمع وقرأ، وخدم كدياكون لأنه طرد الباعة من الهيكل، وخدم كشماس في الخدمة، وخدم ككاهن عندما صنع وليمة العهد الجديد، وخدم كأسقف عندما أقام الآباء الرسل كهنةً، وفي كل ذلك كان المسيح الواحد.

النقطة الجوهرية هنا، وقد كانت مثار حوار بيني وبيني الأنبا شنودة أن المطران جون زيزيولاس مؤلِّف كتاب "الوجود شركة" كان كتب رسالته للدكتوراه عن هذه النقطة بالذات ورفضت جامعة أثينا قسم اللاهوت استلامها، واعتبرتها غير أرثوذكسية، فاضطُّر أن يقاضي كلية اللاهوت في المحكمة، وقد نُشرت هذه الدراسة في وقت كنتُ أنا فيه في بيروت أكتب كتابًا عن الكهنوت بتكليف من قداسة البابا كيرلس السادس، وكنتُ قد وصلت إلى نفس النتيجة التي وصل إليها المطران زيزيولاس[1]، وكان المطران جورج خضر

(١) لم أنشر ما توصلت إليه في هذا البحث بسبب الصدام الذي حدث بيني وبين الأنبا شنودة، ولأنني رأيت أن كتابًا عن الكهنوت في ذلك الوقت أمرٌ سابق لأوانه، وأن الكنيسة تمر بمرحلة يسيطر عليها نوع من الاتجاه الأصولي الذي ينعدم معه مجال البحث والدراسة وحتى الحوار، فتوقفت عن الكتابة، ولم أُكمل الكتاب، وقد أثبتت الأيام صحة هذا الرأي.

هو مَن أخبرني عن رسالة الدكتوراه الخاصة بالمطران زيزيولاس، فسافرتُ إلى اليونان وجلستُ إليه وتحدثتُ معه كثيرًا، ومع رجلٍ عظيمٍ جدًا كان أستاذًا لبعض الأخوة من مركز دراسات الآباء، وهو الأستاذ نيسيوتس، وأيضًا مع الأستاذ أغوريدس ومجموعة من الفطاحل أساتذة لاهوت محترمين جدًا. وقد دار النقاش حول بعض النقاط الأساسية:

النقطة الأولى أننا ننسى أنه لا يوجد وسيطٌ آخر يمكن أن يقوم بعمل الرب يسوع المسيح، وإلَّا نكون في حاجةٍ إلى آخر يتجسد لكي يقربنا إلى الله الآب. ليس من وسيطٍ آخر، لا يوجد سوى وسيطٌ واحدٌ، والوساطة والكهنوت، كهنوت الرب يسوع هما خدمة واحدة، لا يمكن أن تنقسم، وكل ما نفعله في الكنيسة من أسرار وطقوس ... إلخ هو محصور في دائرة وساطة المسيح، ولا توجد خدمة موازية لخدمة المسيح، ولذلك يجب أن نعود إلى هذه النقطة ونتكلم عنها بكل ما نملك في تراثنا الآبائي، وبالذات في رد القديس كيرلس على نسطور.

النقطة الثانية أننا عندما نتكلم عن الوساطة، عن الوسيط الواحد وعن الكاهن الواحد، يجب ألَّا ننسى الموضوع الذي حدث بشأنه جدلٌ طويل وكبير، الكنيسة لها رأسٌ واحد، هو المسيح، رأسٌ واحد منه تنمو أعضاء الجسد، لماذا؟ لأننا في الرأس الواحد يسوع المسيح ربنا، هناك شيء لا يمكن أن يعطيه إنسان، وهو الحياة الأبدية ومغفرة الخطايا وعطية التبني وميراث الملكوت والقيامة من الأموات. هذه العطايا لا يمكن أن تنبع من أو تُعطى أو توزَّع بواسطة آخر غير الرب يسوع المسيح نفسه، لأنها من المسيح وتوزَّع بواسطة المسيح، وأُضيف مع إصرار، أنها تُعطى بواسطة خدمة الآباء الكهنة.

وخدمة الآباء الكهنة هنا يمكن أن تكون أيضًا هي خدمة الذين يخدمون الله ككهنة من غير المرسومين للكهنوت، مثل الدكتور نصحي عبد الشهيد،

ومثل بابا صادق، ومثل مجموعة من العلمانيين الذين كنا نعرفهم، وكانوا من المعلمين الروحيين الممتازين جدًا. أي خدمة حياة، لكن انتبه إلى أن خدمة الحياة هنا تعني أن المسيح يقيم عددًا من الخدام كلٌّ له مسئولية محددة، فهناك الكاهن الذي يُقام لخدمة الأسرار، وهناك الكاهن الذي يُقام لخدمة التعليم، وهناك الكاهن الذي يُقام لخدمة الشموسية واحتياجات الأرامل والأيتام والفقراء، وهناك الكاهن الذي يُقام لخدمة الصلاة، وهناك الكاهن الذي يُقام لخدمة بيته، **كل هؤلاء حاصلين على قوة وخدمة من المسيح، وكلهم لديهم كهنوت المسيح، لكن توزيع الاختصاصات ليس توزيعًا لدرجات للكهنوت، بل توزيعٌ لاختصاصات الكهنوت، ولكنه كهنوت واحد**. ولذلك يمكن لشخص أن يكون متزوجًا وكاهنًا على بيته ويصبح قسًا، ويمكن لآخر أن يكون معلمًا وكاهنًا للتعليم ويصبح أسقفًا في الكنيسة، وفي الحقيقة الأسقف مُقام للتعليم أصلًا وليس لخدمة الأسرار. وهو يظهر في قداس المؤمنين لأنه الأب الروحي للكنيسة، ولكنه أصلًا مُقام من أجل التعليم.

إذن، فكهنوتي هو من المسيح، وإلَّا كيف أُقدم ذاتي ذبيحةً حيةً؟ إذا كانت خدمة التسبيح، أو خدمة الذبح تحدث خارج وساطة المسيح، فليس لها من قيمة، ولا حتى يمكن أن تُقبل، وإنما لأنها أصلًا من المسيح، فهي تُعطى من الله الآب في يسوع المسيح.

ولذلك يقول الرسول بولس في رومية "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ. فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ. فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ

كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ. وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ. اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ. وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ. غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ، فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ، مُشْتَرِكِينَ فِي احْتِيَاجَاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ. بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا. فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ. مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ" (رو ١٢: ١ - ١٨).

من الواضح أن كل هذا الكلام يندرج في إطار الوساطة ورئاسة الرأس الواحد للجسد الواحد. وبالتالي لا يجوز فصل هذه المواهب وتقسيمها إلى ما يخص المسيح وإلى ما لا يخصه، ولكن يجب أن تكون لنا النظرة الكلية الشاملة بحيث نكون على وعي عما نتكلم، فنحن نتكلم عن **ذبيحة**، لأنني عندما أُقدم ذاتي ذبيحة حية لله، فهي تشمل البيت والأسرة والمرتب والكنيسة والأب الكاهن.

إذن، فهل نعمة الكهنوت عند الأب الكاهن هي نفس نعمة الكهنوت التي لي؟ نعم، لأن الكهنوت واحد، وإنما التخصص مختلف[١].

---

(١) أذكر في حديث مع الأنبا شنودة في مكتبه، وكنا نتكلم في هذه النقطة تحديدًا، فقال لي: يعني أنا وأنت، وكنت أيامها دياكون، متساويين؟ هل يتساوى البطريرك مع شماس؟ فقلت له: يا سيدنا

ولأن البعض يفهم كلمة "طغمة" في عبارة "سبع طغمات كنيسة الله" على أنها رتبة، نقول إن هذه الكلمة لا تعني رتبة، وإنما هي كلمة يونانية موجودة عند ديونيسيوس الأريوباغي في كتاب رئاسة الكهنوت، ومعناها "مجموعة" وهي أصلًا مأخوذة من الخدمة السماوية للملائكة[1] لأن الملائكة ليس فيهم من هم أعلى وأدنى، رئاسة الملائكة ليست فيها رئيس بدرجة أعلى وآخر بدرجة أقل، بل كلهم متساوين في الخدمة السماوية، ولكن مختلفين في توزيع الاختصاصات، وهذه هي النقطة الخطيرة التي غابت من فكر العصر الوسيط. كما أن الفرق بين الملاك ميخائيل والملاك الحارس الذي يخدمني، ليس في أن ميخائيل أعلى، لأنه لا درجات في رتب الملائكة، بل كلهم رتبة واحدة والاختلاف قاصر على التخصص. **ولحسم هذا الأمر يجب الرجوع لكتاب الرسامات الذي يوضح أن الكهنوت موهبة تعطى وليست رتبة.**

وينبغي أن نعي أنك **لا تستطيع أن تعطي رتبةً لإنسان بواسطة الصلاة، لأن الصلاة هي لاستدعاء الروح القدس لإعطاء نعمة، لا لإعطاء رتبة.**

وفضلًا عن كتاب الرسامات، فإن صلاة التحليل التي يتلوها الأب الكاهن تقول: "**أنعمت للذين يعملون في الكهنوت**"، إذن، فهذه نعمة، ومن الجدير بالذكر أنك عندما تبحث عن كلمة "سلطان" في صلاة التحليل، لا تجدها في الصلوات القبطية، ولكنها كلمة دخلت إلينا من العصر الوسيط، ولا وجود لها، لا عند الآباء، ولا في كتاب الرسامات. ولذلك أول شيء يجب أن يستقر في

نحن لا نتساوى في الاختصاصات، فلم يعجبه الكلام، لأن الاختصاص بالنسبة له رتبة لا موهبة، وهو يعتبر الرتبة درجة إلى أعلى، في حين أن هناك فرقًا بين ما يعتبر رتبة وبين الموهبة، فما يظنه رتبة هو اختصاص، إنما الموهبة عطية من الله، ولذلك الفرق واضح، ولكنه لم يفهمني واختلفنا لانعدام الأرضية المشتركة للحوار، وأنا أقول هذا الكلام الآن في حضور الرب يسوع ديان الأحياء والأموات، أنني لم أُفوِّت مناسبةً للحوار إلا واستغللتها، ولكن وصل بنا الأمر في النهاية إلى أنه لم يعد هناك حوارٌ أصلًا.

(١) حتى معناها في اللغة العربية "مجموعة". راجع في ذلك قاموس ومعجم المعاني متعدد اللغات والمجالات، على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت). [المحرر]

أذهاننا هو أن الرتبة (أي التخصص) شيء والموهبة شيء آخر، وأن ما ينطبق من هيراركية في نظام الجيوش أو في الأنظمة المدنية هو أمرٌ لا ينطبق على خدمة الثالوث، ولا الكنيسة على الإطلاق، لأن معرفة الله تُعطى بالروح القدس، ونحن نأخذها في المعمودية وفي الميرون وفي الإفخارستيا، وهي معرفة تُعطى للجميع، وفيما بعد يختار الله أُناسًا معينين يوزِّع عليهم مواهبَ معينةً لكي يقوم كلٌّ منهم بعمل معين لخدمة الكنيسة جسد المسيح.

فالتوزيع هنا ليس لرتبةٍ أعلى من رتبة، بل هو توزيعٌ لاختصاص لكي يقوم كل عضو بالخدمة التي يريد منه الرب يسوع المسيح أن يقوم بها، ولذلك ليس هناك رتبة بمعنى درجة. أنت لا تقيم كاهنًا يأخذ وضع اليد لرتبة بمعنى درجة، بل أنت تقيم كاهنًا لكي يُعطى موهبة ونعمة الكهنوت. هذا هو الكلام الموجود في كتاب الرسامات، ولكن لا يوجد رتبة، أي درجة بدليل أنه يقول: "اجعله مستحقًا للشرطونية"، أي لوضع اليد، أي يكون مستحقًا للنعمة. فإذا كانت الصلاة هي لطلب استحقاق النعمة، فكيف تكون النعمة رتبةً أو درجةً؟ لذلك يجب أن نتخلص من تعليم العصر الوسيط الذي خرَّب الكنيسة.

في النهاية أُلخص ما قلناه، ونعود لنثبِّت الكلام عن أن الرتبة هي موهبة وليست تراتبية، وهي موهبة تُعطى للتخصص في خدمة معينة. **وفي توزيع المواهب لا توجد موهبة أعظم من أخرى، لأن الذي يوزِّع المواهب هو الروح القدس.** كما أن الملائكة المحيطين بالخدمة السماوية كلهم واحد، لكن كل فرقة أو مجموعة، أو كل ملاك له تخصص في الخدمة السماوية. وعندما نقول إننا كهنة، يتوجب علينا أن نأخذ حياة القداسة بشكل حقيقي وأن نمارسها، ونعلم أن الكهنوت يعني بذل الذات. **الكهنوت يقربنا من الوساطة، والوساطة هي ذبح الذات، وذبح الذات هو التخلي تمامًا عن الحياة القديمة.**

أرجو أن يكون هذا الكلام واضحًا. وأن يكون ربنا يسوع المسيح معكم

ويباركم ويعطيكم خدمة كهنوتية للأسرة وللكنيسة لمجد اسمه له المجد والكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

الفصل الثالث عشر

التاريخ والشريعة والنبوات في العهد القديم[(١)]

في هذه المحاضرة نولي اهتمامنا لثلاثة موضوعات هامة جدًا في العهد القديم، الموضوع الأول هو تاريخ بني إسرائيل أو تاريخ الشعب القديم، وهو الموجود في الأسفار التاريخية. والموضوع الثاني هو موضوع الشريعة، أي التوراة أو تشريعات موسى، والموضوع الثالث هو النبوات، وهذا موجود في أسفار الأنبياء.

أولًا: التاريخ

النقطة الأولى في تاريخ العهد القديم يا أحبائي هي أنه تاريخ شعب مليء بالصراعات السياسية والعسكرية. ومن الأخطاء الكبيرة أن نتصوَّر أن بني إسرائيل كانوا قوة عسكرية كبيرة، لا أبدًا. وإنما حوصر بنو إسرائيل بين ثلاث قوى عسكرية كبرى في المنطقة، وهي مصر الفرعونية، والقوة الأشورية، ثم فارس وبابل. إذن، فلم يكن بنو إسرائيل بالقوة العسكرية التي قد نتصورها، كما أن العهد القديم مليء بتاريخ هزائم عسكرية كثيرة لإسرائيل. أمَّا الانتصارات العسكرية المحدودة، فكانت في زمن داود النبي والملك، أمَّا غير ذلك، فكانوا في هزائم متواصلة. وانتهت مملكة سليمان بالانقسام بين مملكة الشمال ومملكة الجنوب، أو مملكة يهوذا ومملكة الأسباط، ونشبت الحرب فيما بينهم.

---

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٨

هذا التاريخ دُوِّن كوحي إلهي لكي نتعلم منه الضعف البشري، وعدم الابتعاد عن الله، وتفهُّم السلوك المعوج وطغيان السلطان الملوكي على الجانب الأخلاقي أو الجانب الخاص بالشريعة. وفي الأسفار التاريخية نجد الصراعات بين النبي والملك. إذن، فهناك نبيٌّ يُقيمه الله يصحح حكم الملك، مثل حالة صموئيل وشاول، ومثل حالة آخاب وإيليا ومن بعده أليشع. وهذه الصراعات تمت كتابتها لكي تؤكد لنا حقائق في غاية الأهمية بالنسبة لنا كمسيحيين، ألا وهي أن مَن يحكم بالسلطان أو حتى بالشريعة، مَن يحكم كمَلكٍ لا يمكن أن يحكم حكمًا عادلًا إذا استغنى عن الدور النبوي، فدور النبي كان هو الذي يصحح السياسة والسلوك الملكيان.

والنقطة الثانية هي أن الملوك الممسوحين من الله ليسوا معصومين من الخطأ، بل قد ينجرفون وراء الشرور، بل قد ينجرف الملك وراء الشرور ويقود الشعب إلى عبادة البعل مثل آخاب، وهنا نشير إلى موضوع مهم يحتاج إلى مزيد من البحث، وهو تأثير إيزابيل على الملك، أي سيطرة الزوجة على الملك، وكيف تدخَّل النبي لكي يصحح سلوك الملك آخاب عندما أخطأ وكسر الشريعة وقتل إنسانًا بريئًا، أي نابوت اليزراعيلي. وهنا يجب أن نكون واعين إلى أن الله لم يكن هو الذي أمر هؤلاء الناس بهذا التصرف، ولكنهم تصرفوا بما لهم من حرية الإرادة، وهم الذين يخطئون من أنفسهم، ومن ثمَّ يأتي النبي لكي يعلن لهم إرادة الله، ويكشف لهم أخطائهم، وبالتالي فإن هذه الفصول -في الحقيقة- تكاد تكون عِبَرًا ودروسًا في الحكمة ليست غريبةً عن العصر الحديث. فسيطرة امرأة على حاكم، سواء أكانت زوجة أو عشيقة، أمرٌ شائع في التاريخ البشري، وهو مليء بهذه النماذج. ففي العشرة السنوات الأخيرة تم الإفراج عن كثير من الوثائق عن ألمانيا النازية، وكشفت هذه الوثائق عن وجود امرأة كانت تُعد صديقةً شخصيةً لهتلر، وكان لها دورٌ كبير في الحد من طغيان هتلر، ويقولون عنها إنها كانت هي الوحيدة التي تستطيع أن تتكلم

معه في الوقت الذي كان فيه الجنرالات والضباط الجبابرة في الجيش الأماني يعجزون عن الكلام مع هذا الطاغية المستبد.

إذن، كون أن هذه القصص تاريخيةً وموجودةً في العهد القديم، فذلك لا يعني أن الله يوافق عليها، لا، ولكنها كُتِبت لإنذارنا وتذكيرنا.

النقطة الثالثة في الأسفار التاريخية، هي أنه عندما يقول النبي للملك تقدم للحرب لأن الله سوف يدفع الموآبيين أو الكنعانيين ليدك، فإن هذا لا يعني أن الله يدخل الحرب، إنما يعني هذا -من خلال التاريخ القديم الذي نعرفه من الوثائق خارج الكتاب المقدس- أن هناك صراعًا بين الآلهة، وأن الآلهة تتقدم الجيوش وتحارب مع شعوبها، وبالتالي يتقدم إله إسرائيل لكي يحارب عن بني إسرائيل، ليس حُبًّا في بني إسرائيل وليس لأنهم أفضل من الجنس البشري.

وهنا يجب أن نلتفت إلى أنه لا وجود لتعبير "الشعب المختار" في العهد القديم، وإنما هو تعبير صكته الحركة الصهيونية في العصر الحديث، وقد استعملنا هذا التعبير سيرًا وراء الصحافة العالمية في تصديق هذا التعبير، ولكن الحقيقة هي أنه لا وجود لهذا التعبير على الإطلاق في العهد القديم، فهو تعبير غير معروف. وقد نظن -خطأً- أن اليهودية هي الصهيونية، في حين أن الصهيونية هي آخر مرحلة من مراحل التفكير اليهودي في العصر الحديث. أما اليهودية هي المرحلة الخاصة بالشعب الإسرائيلي في العهد القديم، والتي وصلت إلى شكلها القانوني في التلمود وفي المشنا وفي المدراشيم، أي في شروح الأسفار التي يكتبها الرابيون اليهود، والتي استمرت حتى العصر الوسيط، وفيما بعد بدأت الحركة الصهيونية في القرن العشرين لكي تعيد تفسير اليهودية على أساس سياسي يضع اليهود في وضع معين في الصراعات العالمية السياسية، وهذا موضوع آخر لا علاقة لنا به في الوقت الحاضر، لكن -عمومًا- يجب أن يكون في وعينا أن اليهودي أو اليهودية شيء وأن الصهيونية

شيء آخر، وأن إسرائيل الحديثة أُنشئت ١٩٤٨ بسبب الغباوة العربية، لأن العرب لو كانوا قد قبلوا قرار التقسيم في ١٩٤٨، ١٩٤٩ لكانوا أخذوا دولتين، ولما كانوا ما يزالون اليوم يسعون لوجود دولتين على مساحة أرض أقل من مساحة الأرض التي كانت معروضة من الأمم المتحدة لهم في ١٩٤٨ ولكنهم رفضوا ذلك، وبالتالي خسروا في عدة حروب متتالية دون أن يفهموا كيف يديرون الصراع حتى سياسيًا، وليس واضحًا حتى الآن مستقبل هذا الصراع.

هذا هو التاريخ، التاريخ يُقدَّم كدروس للإنسانية لكي ترى الإنسانية نفسها كما في مرآةٍ، فترى كل العيوب وكل البلايا التي تترسب في الطبيعة الإنسانية على مستوى الملوك وعلى مستوى القيادات، وحتى على مستوى الكهنة، مثل عالي الكاهن، وعلى مستوى الأنبياء الكذبة أيضًا الذين كانوا يعيشون في وسط الشعب. **ولذلك نحن نحتاج إلى جرعة قوية في دراسة العهد القديم لكي نستطيع استعادة الحكمة الروحية التي دُوِّنت في هذه الأسفار.**

لكن، يجب أن نكون على وعي بأن ما كُتِب في التاريخ القديم لا علاقة له بالعهد الجديد، وأن ندرك أن هذا "التاريخ القديم" الذي احتوته الأسفار التاريخية عن قيام مملكة شاول وداود وسليمان وباقي الملوك، هو موضوع قد انتهى في العهد الجديد؛ لأننا في العهد الجديد لنا ملكٌ هو يسوع المسيح، **وعندما نقول إن المسيح ملكنا كلنا، فنحن نؤكد علانيةً أننا لا نؤمن بوجود مَلكٍ يأتي لكي يملك علينا باسم الله في العهد الجديد،** أو أن تقوم حكومات تحكم باسم الله، هذا موضوع لا علاقة له بالمسيحية، وإنما هو موضوع خاص بالتاريخ المدني وبتطور الحضارات والشعوب، فهو ترتيب مدني لا علاقة له بالإيمان المسيحي على الإطلاق، لأنه ليس لدينا في العهد الجديد نظرية خاصة بالحكم، هذا موضوع متروك تمامًا لاختيارات الشعوب. إذن، الملف التاريخي انتهى ولا علاقة لنا به[١].

(١) راجع أيضًا في هذا الكتاب الفصل المعنون "العنف الدموي في العهد القديم".

وأنه عندما يقول الرسول بولس: "نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور"، فهو لا يعني بذلك فترةً تاريخيةً ما، ولكنه يقصد نهاية التدبير الإلهي، وهو ما يعني أنه لا جديد فيما بعد لأننا أُعطينا كل ما يمكن أن نحتاج إليه من معرفة خاصة بحياتنا الحاضرة والمستقبلة، هذا هو المقصود بتعبير "نهاية الدهور". فليس هناك المزيد من الاستعلانات الإلهية التي تنفع الإنسان أكثر مما قيل، أو ما هو أكثر من الإعلانات التي أُعطيت للبشرية في العهدين، وفي التاريخ الكنسي في شخص الرب يسوع المسيح مخلصنا.

الشريعة

أما بالنسبة للشريعة، فمن آباء الكنيسة الجامعة، يقول القديس يوحنا ذهبي الفم إن ما يخصنا في الشريعة هو الوصايا العشر فقط، وذلك بناءً على قرار ثُبِّت في مجمع الآباء الرسل في أعمال ١٥، وثُبِّت في الدسقولية[١]،

(١) راجع، "الدسقولية، تعاليم الرسل" اعداد وتعليق وتقديم د. وليم سليمان قلادة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٩، الفصل ٣٣ بعنوان: "لأجل الاعتراف المستقيم بإيمان الثالوث المقدس الذي بشرنا به رسل الحق"، ص ٣٩٨ وما بعدها: بند ٥٧- هؤلاء نطلب إليكم من [جهتهم] بالرب لكي تبتعدوا من العادات القديمة والرباطات الباطلة والاغتسال والاحتراز من الأطعمة والغسل في كل يوم. "لأن [الأمور الأولى مضت] وقد [تجددت كلها]".

بند ٥٨- لأنا قد عرفنا الله من جهة يسوع المسيح، وكل التدبير الذي كان من الدهر من جهته، لأنه أعطى ناموسًا كاملًا معينًا للناموس الطبيعي – طاهرًا مملوءًا خلاصًا، مقدسًا. هذا الذي جعل فيه اسمه الذاتي الكامل الذي لا يعجز. شيء كامل بعشر كلمات "بغير عيب، يرد النفوس". هذا لما نسيه العبرانيون ذكَّرهم (به) بملاخيا النبي قائلًا: "اذكروا ناموس موسى رجل الله كما أوصاكم بالأوامر وحقوق الرب".

بند ٥٩- هذا مقدس وعدل [كما]كتبنا. فإن المخلص لما أبرأ أبرص واحدًا مرةً، وبعدها تسعة أخر، قال للأول: "اذهب وأر نفسك لرئيس الكهنة وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادةً لهم"، وقال للتسعة: "اذهبوا وأروا نفوسكم للكاهن".

بند ٦٠- ولا (هو) نقض الناموس في شيء من المواضع كما ظن سيمون، بل كمله. لأنه قال: "إن يوطة أو خطة لا تزول من الناموس حتى يكون هذا كله". [قال] (أيضًا): "لأني لم آتِ لأحل الناموس والأنبياء بل لأكملها".

بند ٦١- وموسى واضع الناموس أيضًا ورئيس الكهنة والنبي والملك معًا – وإيليا الغيور في الأنبياء، كانا على الجبل مع الرب لما غير شكله أي تجلى. وهما شهدا بتأنسه وآلامه كأصدقاء وأهل بيت المسيح وليس كأعداء وغرباء. [هذان] ظهر الأمر من جهتهما أن الناموس حسن ومقدس، والأنبياء [أطهار] أيضًا.

وقد أورد ذهبي الفم رأيه هذا في خمس عظات له بعنوان "ضد المسيحيين المتهودين". ويقول كلٌّ من ذهبي الفم والدسقولية، إن الوصايا العشر لا يمكن التفاوض بشأن إلزامها في العهد الجديد، لأنها حقيقة قائمة إلى الأبد. لكن الوصايا العشر -وهذه هي النقلة الخاصة بها في العهد الجديد- لم تُختصَر ولم تُلخَّص، بل نُقِلت من الأساس الخاص بها في العهد القديم إلى أساسٍ آخر، وهو الوصيتين العظميين الخاصتين بمحبة الرب والقريب، فانتقلت من وصية مرتبطة بالعهد القديم، العهد الموسوي، إلى وصية مرتبط بالعهد الجديد، عهد يسوع المسيح، العهد المبني على المحبة وعلى تأسيس الكنيسة المسيحية التي تنادي بالحب الباذل والمخلِّص للخليقة.

فعندما يقول الرسول بولس إن هاتين الوصيتين هما كمال الناموس، والكمال هنا بمعنى "τέλος - تيليوس" أي الغاية، فهنا تكون الشريعة قد انتقلت من حكمٍ نازلٍ على لوحي العهد على جبل حوريب، إلى وصية معطاه للشعب الجديد، والخليقة الجديدة عند نزول الله على الكنيسة في يوم الخمسين، وهو النزول الذي أَكمَلَ نزول الابن المتجسد ربنا يسوع المسيح، والذي أُكمِل أيضًا بالصعود والجلوس عن يمين الآب لكي يسكب الروح القدس على الكنيسة الذي سُكب في عيد العنصرة، العيد الذي هو أصلًا هو عيد نزول الشريعة على جبل موسى، فأصبح الروح القدس هو شريعة العهد الجديد، وبالتالي تكون الوصية الأولى والثانية "أحب الرب إلهك وقريبك كنفسك"، قد نُقِلت من التدوين على لوحي العهد إلى التدوين على قلب الإنسان، وهو

بند ٦٢- فالناموس هو العشر كلمات التي شرعها الله للشعب وهم يسمعون صوته قبل أن يصنعوا العجل الذي يدعى عند المصريين الرأس.

بند ٦٣- فالناموس حق هو، لأجل هذا دعي أيضًا ناموسًا. لأجل [أنه كالطبيعة] (التي) تحكم بالحق. هذا الذي استهزأ به سيمون والذين معه ظنوا أنه لا يحكم عليهم من جهته، بل يهربون من العذاب.

بند ٦٤- هذا الناموس صالح ومقدس وليس فيه ضيقة على أحد .... . راجع ذات النص في الطبعة الثانية الصادرة عن دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٨٩، ص ٧٢٢ – ٧٢٤ [المحرر]

ما يذكره النبي أرميا في أصحاح ٣١: ٣١: "هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا ... يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلاَ يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلًا: اعْرِفِ الرَّبَّ، لأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ" (إر ٣١: ٣١، عب ٨: ٨ - ١١). أي لا يقول شخصٌ لآخر اعرف الله، لأن الله يكون لهم معروفًا، وهذا هو العهد الجديد الذي أُسِّس وثُبِّتَ بختم وعطية الروح القدس في يوم العنصرة.

أما الشريعة الخاصة بالذبائح، فهذه قد انتهت، والشريعة الخاصة بيوم السبت قد انتهت، والشريعة الخاصة بالتطهيرات الجسدية قد انتهت أيضًا، لأن شريعة التطهير الوحيدة في العهد الجديد هي المعمودية التي تطهِّر الإنسان. وهذا يختلف طبعًا عن النظافة بالمعنى الطبي وبمعنى الاغتسال العادي، وهو ما لا يحتاج إلى تعليم، أما إن كنا نستبدل التطهير بالمعنى اللاهوتي الذي يتم في المعمودية بالتطهير بالمياه، إذن فقد نزعت من المعمودية أهم العطايا الإلهية التي أُعطيت للإنسان، لأن الإنسان في العهد الجديد يتطهر بالروح القدس، فإن استبدلت القوة الإلهية التي تُطهِّر الإنسان بعنصرٍ مخلوقٍ وهو الماء بدلًا منه، فاعلم أن الماء لا يستطيع أن يطهِّر النفس الإنسانية من أي دنس، ولا يستطيع أن يعطي الإنسان الحياة.

التعليم النبوي

نصل إلى الملف الثالث، وهو التعليم النبوي. والكلام عن التعليم النبوي ينقسم إلى ثلاث أقسام رئيسة؛

القسم الأول هو النبوات الخاصة بالرب يسوع المسيح، وهي النبوات التي تُقرأ في الكنيسة في الصوم الكبير من أجل تعليم الموعوظين، وفي أسبوع البصخة بشكلٍ خاص؛ وهي النبوات الخاصة بمجيء الرب وبآلامه وقيامته

وصعوده إلى السموات، وينضم إلى هذا ما كُتِب في سفر المزامير عن الرب يسوع المسيح. وفي الحقيقة فإن مَن فتح لنا باب النبوات في العهد القديم هو الرب يسوع نفسه في حديثه مع تلميذي عمواس عندما "ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ ... أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (لو ٢٤: ٢٥ - ٤٥).

والقسم الثاني هو الكلام عن المزامير، وهنا أقول إن رب المجد ذَكَرَ المزامير إلى جوار موسى والأنبياء، لأُشير إلى أن الكنيسة قد وضعت مقطعًا للقراءة من المزامير قبل الإنجيل، ليس لأن المزامير من النبوات[١]، بل لكون هذا المقطع أو الاستيخون هو نوعٌ من صراخ الطبيعة الإنسانية، واستعطاف الرحمة الإلهية والتوبة بحسب الإنجيل وحسب المناسبة الليتورجية، فهو بمثابة استعطاف وتوبة، أو فرح إذا كان هناك عيد سيدي أو عيد من أعياد الشهداء، أو طلب الشفاعة، فالكنيسة تضع هذا المقطع قبل الإنجيل لكي تذكرك بأنك تحتفل بعيد أحد الشهداء، أو واحد من الملائكة، أو عيد من أعياد القديسة مريم لكي تعرفك أنك أنت عندما تسمع الإنجيل، فتطلب أيضًا شفاعة القديسين، وبالتالي تكون بمثابة صرخة من الكنيسة لطلب هذه الشفاعة.

ولكننا نلاحظ أن البعض يتناولون الكلام عن التعليم الخاص بالنبوات، بحذر في عصر الأنبا شنودة، لأن كتابات الأنبياء -يا أحبائي- تتضمن نقدًا

(١) ليس صحيحًا ما شاع من تفسير لصلوات السواعي قبل تقديم الحمل بأن مزامير هذه الصلوات تحتوي على نبوات عن مجيء المسيح، فهذا التفسير هو من قبيل التقوى الشعبية التي لا علاقة لها بالطقس الكنسي، لأن صلوات السواعي لا علاقة لها أصلًا بالقداس الإلهي، لأن هذه الصلوات هي الصلوات اليومية بحسب طقس الرهبنة القبطية وهي النظام الذي وضعه الأنبا باخوميوس أب الشركة، ولكن لا علاقة لها بالقداس الإلهي على الإطلاق. لكن عندما نكون مجتمعين في الكنيسة فإننا نصلي صلاة الساعة التي حلَّ وقتها، ولا نصلي صلوات الأجبية بالطريقة الموجودة حاليًا، وبالتالي إذا أقمت قداسًا بعد الظهر في الساعة التاسعة، فتصلي الساعة التاسعة، وإذا أقمت قداسًا في الساعة الحادية عشر تصلي الساعة الحادية عشر، وهكذا، وأنا أعتقد أن إصلاح هذا الأمر شيء يكاد يكون مستحيلًا، ولكن إثارة هذا الموضوع بمثابة فتح الباب للمناقشة وللمعرفة والعلم.

إلهيًّا للذبائح ولخدمة الهيكل في العهد القديم، وليس الأنبياء فقط هم من تنبأوا عن خراب الهيكل، بل تنبأ عن هذا أيضًا المسيح له المجد: "وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ" (لو ١٩: ٤٤). فها هو أرميا النبي تكلم عن خراب الهيكل: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفْ فِي دَارِ بَيْتِ الرَّبِّ ... وَتَقُولُ لَهُمْ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ... أَجْعَلُ هذَا الْبَيْتَ كَشِيلُوهَ" (أر ٢٦: ٢ - ٦).كما نجد الله يتكلم على لسان أشعياء بشكل خاص: "لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُول وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. حِينَمَا تَأْتُونَ لِتَظْهَرُوا أَمَامِي، مَنْ طَلَبَ هذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا دُورِي؟ لاَ تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. الْبَخُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي. رَأْسُ الشَّهْرِ وَالسَّبْتُ وَنِدَاءُ الْمَحْفَلِ. لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ. رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلًا. مَلِلْتُ حَمْلَهَا. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا" (أش ١: ١١ - ١٥).

إذن، فالنقد النبوي لممارسات العبادة في العهد القديم نقدٌ عنيف جدًا نحتاج أن نعود إليه في العصر الحديث. وفي حقيقة الأمر، أن الرب يسوع المسيح له المجد قد أكمل هذا التعليم النبوي في العظة على الجبل، وبيَّن فساد التعليم الخاص بالشريعة والتعليم الخاص بالذبائح بسبب الاحتيال الذي أُضيف على الشريعة والذي حاربه الأنبياء بعنف. ويحدثنا التقليد الكنسي عن رد فعل الشعب القديم تجاه أشعياء النبي بأن وضعوه في شجرة ونشروه بالمنشار، وأن أرميا النبي تم إلقائه في الجُب. فالتعليم النبوي الذي يتصدى للملك، كما قلنا في بداية الكلام، هو تعليم يجب أن نقرأه ونمارسه.

ويحدثنا تاريخنا القبطي عن أن المتوحدين كانوا يمارسون هذا الدور النبوي، وعلى رأس هؤلاء القديس الأنبا أنطونيوس الذي نزل إلى الإسكندرية في أثناء المحنة الآريوسية لكي يشجع الشهداء، ولكي يقاوم الآريوسية مع

القديس أثناسيوس. فقد وقفت الرهبنة مع القديس أثناسيوس ومع القديس كيرلس، وهذا هو الدور النبوي، ولذلك، فإن انعدام الدور النبوي للرهبنة في العصر الحديث، أضعف الوجود الروحي للرهبنة، أضعفها تمامًا، وهذا شيء سيئ ومزعج، لأنه يوضح للإنسان الذي يحيا في العهد الجديد شُقة البعد بيننا وبين أشعياء وأرميا وإيليا النبي وأليشع، وأنه ليست لدينا الحمية والشجاعة التي كانت موجود عند الأنبياء، ولذلك يجب أن نعود إلى هذا الروح النبوي.

أما **القسم الثالث** في الكلام عن التعليم النبوي، وهو آخر ما نتناوله بالحديث، أن التعليم النبوي يحوي شيئًا مهمًا جدًا يختص بما يُعرَف بلاهوت العهد القديم، وهو الكلام عن الله، وهو موضوع يجب أن نعود إليه في حلقة خاصة، ولكن أكتفي هنا بالقول بأن التعليم النبوي عن الله، عن الإنسان، عن الكون، عن الخليقة، هذا التعليم النبوي في غاية الأهمية لأنه أساس التعليم اللاهوتي في العهد الجديد، سواء كان عن طبيعة الله، أو عن العهد، أو عن الإنسان، أو الخلاص، أو الفداء، أو الذبيحة أو الكنيسة، أو الغفران، هذه كلها موجودة في التعليم النبوي، وموجودة في المزامير، وموجودة في كلام الأنبياء، وهي شريحة مهمة جدًا نحتاج أن نعود إليها ونتكلم عنها بإفاضة. فالتعليم عن الله في العهد القديم، تعليم مهم جدًا لأنه في الحقيقة غير خاضع للتطور الفكري والفلسفي الذي جاء في العصر الوسيط، ويكشف لنا أن الله متحرك يحيا مع الإنسان في آلامه وفي مشاكله، الله في العهد القديم حيٌّ مع الإنسان ويسعى إلى خلاصه، إلى تأديبه بالمعرفة، تأديبه بالحكمة وتأديبه بالضربات أيضًا.

أرجو ألا يكون في هذا الكلام أي صعوبة بالنسبة لكم،

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

الفصل الرابع عشر

الفرق بين العهدين[١]

في كلامنا عن العهد القديم، لا بُد من التركيز على الفرق بين العهدين، لأنني أسمع وأقرأ في مناسباتٍ كثيرة احتجاجًا غريبًا، يُستغَل من بعض الكُتّاب المسلمين ويقدمونه كاعتراض على صحة الإيمان المسيحي، ويستند هذا الاحتجاج على فهمٍ خاطئٍ لما ورد في إنجيل متى ٥: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (مت ٥: ١٧ - ١٨).

وبناءً على ذلك يقولون، إن العهد القديم كان يسمح بتعدد الزوجات، أمَّا العهد الجديد فلا يسمح إلَّا بزوجة واحدة، وبذلك يكون الناموس قد نُقِض. النقض -في اللغة العربية- هو الإلغاء. ونحن لا نقول إن الرب يسوع المسيح له المجد ألغى الناموس، بل أكمل الناموس، فهناك فرق بين ما نُقِض وبين ما أُكمِل. فالمسيح له المجد لم يأتِ ليلغي الناموس، وإنما جاء ليكمِّل الناموس، والتكميل المقصود هنا هو البناء على الأساس الذي بُني عليه الناموس أو الشريعة في العهد القديم. ولكن من الخطر الشديد أن نتصور أن المسيح له المجد قد جاء لكي يثبِّت الشريعة القديمة. فالأمر إذن ليس أمر إلغاء، إنما

---

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠١٨. راجع أيضًا في هذا الكتاب الفصل المعنون "ما هو الفرق بين العهد القديم والعهد الجديد؟" [المحرر]

أمر إكمال[1]. ولذلك يقول الرب يسوع المسيح في حواره مع التلاميذ عن صعوبة دخول الأغنياء إلى ملكوت السموات في إنجيل القديس متى ص ١٩: "فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: "هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟" فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ" (مت ١٩: ٢٧ - ٢٨).

زمان التجديد

وهنا يجب أن ننتبه إلى عبارة "تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ". "التجديد" هنا كلمة مهمة جدًا في العهد الجديد، وحتى تسميه العهد الجديد، هي تسمية مبنية على التمييز الذي ورد عند القديس بولس عن العهد الأول أو القديم، والعهد الجديد في كلامه عن الروح والحرف في كورنثوس الثانية ص ٣: "لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ، الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي. ثُمَّ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الْمَوْتِ، الْمَنْقُوشَةُ بِأَحْرُفٍ فِي حِجَارَةٍ، قَدْ حَصَلَتْ فِي مَجْدٍ، حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِ مُوسَى لِسَبَبِ مَجْدِ وَجْهِهِ الزَّائِلِ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ بِالأَوْلَى خِدْمَةُ الرُّوحِ فِي مَجْدٍ؟ (خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة، أي الوصايا العشر، لأن التوراة لم تُكتب على حجارة، إنما الوصايا العشر التي أُنزلت على جبل حوريب في سفر الخروج ٢٠، يسميها الرسول خدمة الموت، وهذه الخدمة قد أخذت مجدًا، ولكنه مجدٌ زائل، فبالأولى خدمة الروح في مجد، لماذا؟) لأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ مَجْدًا، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا تَزِيدُ خِدْمَةُ الْبِرِّ فِي مَجْدٍ! فَإِنَّ الْمُمَجَّدَ

---

(١) راجع بالتفصيل في هذا الكتاب الفصل المعنون: "علاقة الشريعة بالتدبير، بحث خاص لقطع دابر لفظ "أُكمِّل – يكمِّل" "ما جئت لأنقض، بل لأكمِّل" (مت ٥: ١٧). [المحرر]

أَيْضًا لَمْ يُمَجَّدْ مِنْ هذَا الْقَبِيلِ لِسَبَبِ الْمَجْدِ الْفَائِقِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الزَّائِلُ فِي مَجْدٍ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا يَكُونُ الدَّائِمُ فِي مَجْدٍ! (الزائل هو موسى والباقي الدائم في مجد هو المسيح له المجد، وكان موسى يضع برقعًا على وجهه لأن بني اسرائيل لم يكونوا يستطيعون أن ينظروا إلى مجد وجهه الزائل) ... بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ" (٢ كو ٣: ٥ - ١١).

هنا لا نستطيع أن نعود نضع البرقع الخاص بموسى عند قراءة العهد القديم، وإلّا يظل العهد القديم باقٍ غير منكشف، وبالتالي لم يُبطَل في المسيح. وكلمة "يُبطَل" هنا لا تعني أنه نُقِض، أبدًا، ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا **أن نقطة التحول الجوهرية من العهد القديم إلى العهد الجديد هي أن الناموس كان في العهد القديم هو الوسيط بين الله والإنسان، ولكن في العهد الجديد أصبح الوسيط هو الرب يسوع له المجد**، وبالتالي يجب أن نكون واعين لحقيقة خطيرة جدًا عن أن زمان التجديد يعني أن يدخل الإنسان إلى مجالٍ جديدٍ يختلف تمامًا عن الحياة القديمة، وهو الموضوع الجوهري الذي تشرحه بالتفصيل أخطر وثيقة في العهد الجديد، وهي الرسالة إلى العبرانيين[١].

ويمكننا هنا تقديم ملخص بسيط عن هذه الرسالة، ففي الأصحاح الأول يعقد الرسول بولس مقارنة بين المسيح له المجد وبين الملائكة، ويبيِّن أن المسيح له المجد هو الله يهوه خالق السموات والأرض. وفي الإصحاح الثاني يبدأ بوضع الأساس عن تجسد ابن الله، وفي الثالث يقارن بين الرب يسوع المسيح وبين موسى، ويعتبر أن موسى كان مجرد بانٍ للبيت، لكن "مُوسَى كَانَ أَمِينًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ (أي المسيح)، وَأَمَّا

(١) على القارئ أن يراجع شرح القديس يوحنا ذهبي الفم، وشرح الأب متى المسكين للرسالة إلى العبرانيين.

الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ" (عب ٣: ٥ - ٦). وفي ص ٣، ٤ يعقد الرسول مقارنةً بين الرب يسوع وبين يشوع بن نون، يتعرض فيها بالكلام عن اليوم السابع، وعن السبت، وبعد ذلك يتكلم على العهد.

لكن في ص ٦، ٧ بدأ الرسول يضع الأساس الجديد للتجديد، ما هو هذا الأساس؟ هو كهنوت الرب يسوع المسيح، كهنوت ملكي صادق ملك ساليم كاهن الله العلي، وبعد أن يقص الرسول ما حدث بين إبراهيم وبين ملكي صادق، وكيف قدم له إبراهيم العُشر، يقول في ٧: ١١ "لَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ (وهنا نفهم معنى ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل) -إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ النَّامُوسَ عَلَيْهِ (وهنا ربط بين الكهنوت والشريعة، لأن الكهنوت هو المسئول عن تنفيذ الشريعة)- مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ؟ وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ (أي يتغير الكهنوت ولا بُد من تغيير الكهنوت لأن العلاقة بين الإنسان والله، العلاقة التي كانت موجودة من خلال الشريعة أو الناموس تغيَّرت) لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا (لماذا؟ لأن الكهنوت لم يكن مسئولًا فقط عن تنفيذ الشريعة، بل ولأن الكهنوت كان مرتبطًا ارتباطًا شديدًا بالذبائح، والهيكل الذي يسميه الرسول بالمسكن الأول، فهؤلاء الثلاثة -الكهنوت والذبائح والهيكل- لا يمكن فصلهم، وبالتالي فإن تغيير الكهنوت يتطلب تغيير الناموس، وما يؤكد ذلك) لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هذَا (أي المسيح الذي كان ملكي صادق يرمز له من حيث الأصل) كَانَ شَرِيكًا فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ. فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ. وَذلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحًا أَيْضًا إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ، قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ. لأَنَّهُ يَشْهَدُ (في مز ١١٠) أَنَّكَ: كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ" (عب ٧: ١١ - ١٧).

إذن، فالتجديد يبدأ بالكهنوت، وعندما يبدأ التجديد بكهنوت غير الكهنوت اللاوي، فهذا يعني في حقيقة الأمر أن نظام الذبائح قد انتهى، وأن الكاهن الجديد الذي جاء على طقس ملكي صادق لم يقدم ذبيحة حيوانية. "فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا (عدم نفعها في أنها لا تستطيع أن تقدم الإنسان لله، ولا الله لإنسان) إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا، وَلكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ. (وهنا يتضح معنى الكمال، أي أن يأتي الشيء الجديد الذي يعطي رجاء للإنسان أفضل من العهد القديم به نقترب من الله، وبعد ذلك يؤكد أن المسيح أخذ هذا الكهنوت بقَسَمٍ من الله الآب) وَعَلَى قَدْرِ مَا إِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ قَسَمٍ، لأَنَّ أُولئِكَ بِدُونِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً (أي من الوراثة في الخدمة الموجودة في سبط لاوي)، وَأَمَّا هذَا فَبِقَسَمٍ مِنَ الْقَائِلِ لَهُ: "أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ" (فلأنه أصبح كاهنًا على رتبة أو طقس ملكي صادق، وتغيَّر الكهنوت) قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ. (لماذا؟ لأن) أُولئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ من أَجلِ مَنْعِهِمْ بِالْمَوْتِ عَنِ الْبَقَاءِ (أي إذا مات رئيس الكهنة يقيمون آخر بدلًا منه)، وَأَمَّا هذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ (وهنا يأتي دور القيامة في تأكيد عظمة وقدرة ومجد كهنوت الرب يسوع المسيح، لأنه لا يموت، وكهنوته لن يزول لأنه أباد الموت) فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ" (عب ٧: ١٨ - ٢٥).

وبعد أن تكلم عن تأكيد كهنوت المسيح، يتكلم الرسول أيضًا عن خدمته في الأقداس التي دخلها رئيس الكهنة العظيم فيقول: "جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ. خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ" (عب ٨: ١ - ٢). أي أن المسيح في القدس، في المسكن الحقيقي، وكلمة الحقيقي هنا تعني أن المسكن الذي على الأرض غير باقٍ إلى الأبد،

وهو يفقد أحقيته في البقاء لأنه ينتمي إلى الطبيعة المخلوقة من التراب التي سوف تعود إلى التراب وتنحل وتنتهي. وقد هُدِم هذا المسكن بالفعل سنة ٧٠ على يد تيطس الروماني عندما أعاد فتح أورشليم.

وبعد ذلك يقول الرسول عن الكهنة في العهد القديم إنهم كانوا "يَخْدِمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، (أي المسكن الذي كان موجودًا في أورشليم) وَلكِنَّهُ (أي المسيح) الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ. فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ (بمعنى أن الأول لو كان بدون عيب، **والعيب هنا** ليس عيبًا خُلقيًا moral، وإنما **هو العجز عن تقديم الإنسان إلى الله**) لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِمًا (وهذا كلام الله في أرميا): "هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، (وهذا هو الكمال) يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا... فَإِذْ قَالَ "جَدِيدًا" عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الاضْمِحْلاَلِ" (عب ٨:١-١٣).

وفي أصحاح ٩ تكلم عن في خدمة الذبائح والقرابين وذبيحة الرب يسوع المسيح، وفي أصحاح ١٠ يعقد مقارنة بين موت الرب على الصليب وذبائح العهد القديم، وكيف أن هذا الكهنوت أدخل الإنسان إلى خدمة أفضل. وفي ص ١١ يتكلم عن الإيمان وأبطال الإيمان في العهد القديم، وفي ١٢ يتكلم عن سحابة الشهود، وفي أصحاح ١٣ يختم بنصائح عن الزواج والسيرة المسيحية وعن طاعة المرشدين ... إلخ)، ويلاحظ علماء العهد القديم أن الرسول بولس لم يرغب في أن يضع اسمه على الرسالة ليتجنب سخط اليهود.

الفروق الجوهرية بين العهدين

إذن، فقد أصبح العهد القديم عتيقًا وقد شاخ وصار قريبًا من الاضمحلال، والعيب فيه أنه لا يستطيع أن يقدم الإنسان إلى الله، ولا يستطيع أن يدخل إلى أعماق القلب حيث توجد بذرة الخطية. ولذلك لا يسمح لنا التجديد بأن نضع أساسًا آخر غير المسيح. إذن ما هي الفروق الجوهرية بين العهدين؟

الفرق الأول: يظهر في أن العهد الأول قائم على الشريعة أي القانون أو الناموس، وخادم هذه الشريعة هو موسى، وهذه الشريعة لا تميِّز ضعفات الإنسان، الذي إذا أخطأ يحكم عليه الناموس بغض النظر عن ظروف الإنسان، أما العهد الجديد فليس قائمًا على الشريعة، بل قائم على شخص وأُقنوم الرب يسوع، وعندما نقول ذلك، فنحن نعني أنه قائم على التالي:

أ- حياة لا تزول بالقيامة

ب- وسيط أفضل

ج- مواعيد أعظم

د- علاقة أبدية

هـ- شركة في الحياة الإلهية

فعندما يكون لدينا هذا الأساس، وهو ليس شيئًا خارج الله كالشريعة الموسوية، بل هو الأقنوم الثاني في الثالوث، يمكننا أن نقول إن هذا الأساس هو الله نفسه.

أذكر أنه طُلِب مني إلقاء محاضرة عامة في جامعة نوتجهام، فقال لي العميد أريدك أن تختار موضوعًا يثير الانتباه، فألقيت نظرةً على الموضوعات التي أُلقيت على مدى ١٠ سنوات، فوجدتها جيدة، ولكني لاحظت غياب موضوع الصلاة، فقلت له: "الصلاة في المسيحية"، فتعجب الرجل وقال لي

هل تستطيع أن تتكلم عن الصلاة لمدة ٤٥ دقيقة؟ فقلت له: بل أستطيع أن أتكلم ٤٥ يومًا عن الصلاة، فقال لي: هل هذا الموضوع يصلح لأن يكون موضوع محاضرة عامة لطلبة اللاهوت والأساتذة؟ فقلت له: أنا ألقيت نظرة على جدول المحاضرات، ووجدت أن هذا الموضوع لم يتناوله أحد، وأنا مشغول بهذا الموضوع، فقال لي: إذن أعطني فكرة لكي نجهز إعلانًا عن الموضوع ودعوةً للحضور، فقلت له: **في المسيحية نحن نصلي في الله، بينما تصلي الديانات الأخرى إلى الله.** فرجع الراجل إلى الخلف في كرسيه، وقال لي: أنا أقوم بتدريس لاهوت منذ ١٧ سنة، لأول مرة أسمع أننا في المسيحية نحن نصلي في الله pray in God, not to God، وقال لي: هل أنت متأكد أن هذا هو التعليم المسيحي؟ فقلت له: طبعًا، فنحن نصلي في الابن بالروح القدس، فقال لي: آه، الآن أنا فهمتك. فكتب هو حوالي ٥ أسطر ونشر إعلانًا في الجريدة الداخلية، وعادةً كان الذين يحضرون هذه المحاضرة ما يقرب من ٥٠ - ٦٠ شخصًا، ولكن عندما دخلت القاعة وجدتها مليئة عن آخرها، بل ووضعوا مزيدًا من الكراسي ودائرة تليفزيونية، لأن عنوان المحاضرة كان مثيرًا "في المسيحية، نحن نصلي في الله - In Christianity We pray in God"، وبالتالي جلب العنوان عددًا كبيرًا من الحضور. وعندما بدأت في إلقاء المحاضرة أحببت أن أثير انتباه الحضور، لأن الكلام في الأمور الدينية يكون أحيانًا بمثابة مسكنات للعقل، فقلت متعمدًا إثارة الوعي والضمير: **أنا لا أؤمن بالله، ولا أعرف شيئًا عن الله، ولا أريد الحديث عن الله.** فبدأت الهمهمة في قاعة المحاضرات، لأن هؤلاء الحضور جاءوا ليسمعوا محاضرة عن الصلاة في المسيحية، فإذ بهم يسمعون المحاضر يقول مثل هذا الكلام. وأكملت قائلًا: **ولكنني أؤمن بالله الآب، أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.** وقد قلت ذلك لأنني لا أستطيع أن أتكلم عن الله الكلام العام الموجود في اليهودية والإسلام -بغض النظر عما إذا كان هذا الكلام صحيحًا أم غير صحيح، هذا

موضوع آخر لا يخصني- في الوقت الذي يوجد لديَّ كلامٌ خاصٌّ عن الله الآب أبو ربنا يسوع المسيح.

وهذه هي العبارة التي تفصل ما بين العهدين، **ولذلك أقول لجماعة شهود يهوه، إن اسم يهوه لم يرد في العهد الجديد بالمرة، بل يتكلم عن الآب،** فإذا كنتم شهودًا ليهوه، فماذا فعلتم بالآب؟ الرب يسوع المسيح له المجد لم يتكلم عن يهوه إلَّا في مناسبتين؛ الأولى وهو معلق على الصليب: "إلهي إلهي لماذا تركتني"، والثانية بعد القيامة "أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"، لكنه حتى بعد القيامة، أكد الرب يسوع أبوة الآب للإنسانية. كما أن الرب يسوع المسيح في سفر الأعمال يقول للتلاميذ: "وتكونون شهودًا لي"، وليس ليهوه.

في العهد القديم يجب أن تكون شاهدًا ليهوه، أما في العهد الجديد، فنحن شهودٌ ليسوع المسيح بالآلام والقيامة ولاهوت الرب يسوع المسيح.

نعود إلى النقطة التي كنّا نتكلم فيها، وهي أن العهد الجديد قائم على الشخص، الأقنوم الثاني في الحياة الأبدية، في العلاقة الوثيقة في الجوهر الواحد بينه وبين الآب، ولذلك هو وسيطٌ أفضل، وهو القيامة والحق والحياة والطريق، ولذلك هو مواعيدٌ أفضل، هو الذي يعطي الحياة الأبدية، أي العلاقة الأبدية، وهو الذي أدخلني إلى شركة في الحياة الإلهية: "ليكونوا واحدًا فينا كما أننا نحن واحد".

هذا هو زمان التجديد يا أحبائي، وبالتالي لا يصح أن نرجع بعد زمان التجديد هذا إلى ممارسات جسدية نتوهم أنها مطلوبة في العهد الجديد. فالكارثة الكبرى هنا هي أننا نعود إلى الكلام الذي جاء في اللاويين والتثنية والشريعة الموسوية ... إلخ. يا سيدي العزيز قبل أن تستعير ما جاء في شريعة العهد القديم عن التطهيرات وخلافه، يجب أن تعي أن هناك أمرًا سابقًا على

كل هذا، وهو الإيمان الذي يشرح الأسفار، الإيمان الذي يعلمني أنني ورثت مواعيدَ أفضل ولديَّ وسيطٌ أعظم، ولديَّ كاهنٌ جاء من سبط يهوذا ولم يأتِ من سبط هارون، ولذلك تغيَّرت العلاقة -بسبب هذا الكاهن- مع كل ما هو موجود مع الكهنوت اللاوي أو كهنوت هارون في العهد القديم، بما فيه من كهنوت وذبائح واغتسالات ... إلخ.

التجديد يا اخوة -وهذا هو **الفرق الثاني** بين العهدين- بدأ بالكهنوت، والكهنوت له أساس في أُلوهية الرب يسوع، وبقسمٍ من الله الآب "أنك أنت كاهن إلى الأبد"، وهذا هو الذي جعل المسيح وسيطًا لعهد أفضل[١].

الفرق الثالث في كلامنا عن الفروق بين العهدين يتضح من دراستنا لقانون الإيمان. فنحن نقول في قانون الإيمان النيقاوي: "نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم"، وهو ما يعني أن المسيح له المجد بتجسده قد أدخل **البُعد السماوي في حياتنا الأرضية**، أي صارت هناك خدمة سماوية. والكلام عن هذه الخدمة السماوية موجود في العبرانيين وفي رسائل بولس الرسول الأخرى، والعهد الجديد مكتظ بالكلام على هذا البُعد السماوي.

ففي عب ١٠ يقول: "لأَنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ (المستقبلة) لاَ نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ (الحقيقة)، لاَ يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ" (عب ١٠: ١). وفي ص ٩ يقول: "لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا" (عب ٩: ٢٤). وفي ص ١٠ يقول: "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى "الأَقْدَاسِ" بِدَمِ يَسُوعَ،

---

(١) سبق أن عولج موضوع كهنوت الرب يسوع في أكثر من موضع في هذا الكتاب؛ راجع ما جاء في الفصل الخامس عن "الكهنوت كعنصر مقارنة بين العهدين"، وما جاء بالفصل السادس عن "كهنوت الرب يسوع ليس بحسب وصية جسدية"، وما جاء بالفصل الحادي عشر عن "القراءة الخاصة بكهنوت العهد القديم"، وما جاء في الفصل الثاني عشر عن "الرب يسوع المسيح الكاهن والنبي"، و"كهنوت الرب وخلاص الأمم".[المحرر]

طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ، وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ" (عب ١٠: ١٩ - ٢١)، إذن، ما هو المقصود بالبُعد السماوي؟ المقصود به أنه "أَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أف ٢: ٦). "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ" (كو ٣: ١). اهتموا بما فوق لا بما على الأرض "لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ" (كو ٣: ٣). "إِذًا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ؟ تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: "لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ!" الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ" (كو ٢: ٢٠ - ٢٢)، و"أركان العالم" تعبير هام في الفكر اليوناني، ويعني الأساسات والأعمدة المبني عليها العالم كله، وتشمل المبادئ والشريعة والطقوس، وكل هذا.

إذن، ما الذي نقصده بالبُعد السماوي الذي أعطاه لنا المسيح بتجسده؟

البُعد السماوي في جوهره هو:

أولا: أن الله هو الذي يطلب الإنسان وليس العكس، فالطلب أو الدعوة آتية من السماء.

وثانيًا: أن هذه الدعوة ليست دعوة خارجية مبنية على طقوس أو على عادات اجتماعية، وإنما هي هبة حياة.

وثالثًا: أن هذه الدعوة هي دعوة للشركة، وهذه الشركة هي شركة في الله، الله نفسه. **صحيح أن الله قد يستخدم عناصر من الخليقة مثل المياه في المعمودية، أو الزيوت في الميرون أو الخبز والخمر في الإفخارستيا، لكن هذه العناصر وإن كانت تنتمي إلى الخليقة الأولى، إلَّا أنها تدخل إلى الخليقة الجديدة بقوة الروح القدس، هذا هو البُعد السماوي، ولذلك، فحتى المذبح المبني من الخشب أومن الحجارة، نسميه المذبح الناطق ⲛ̀ⲛⲉⲗⲗⲟⲅⲓⲙⲟⲛ السماوي.**

ورابعًا: هو شركة مع السماويين أي الملائكة، وهو ما يظهر في إيماننا بالشفاعة في الكنيسة، والصلاة التي تُقدمها القوات السماوية والقديسين والشهداء، لأن السماء نزلت على الأرض.

ولذلك نخطئ خطيئة كبرى عندما نأخذ مقاييسَ وقيمًا من الحياة الأرضية ونطبقها على الحياة السماوية. ولنأخذ مثالًا على ذلك موضوع الاستحقاق، **فكنيستنا في غنى الحكمة الإلهية الأرثوذكسية تقول: "اجعلنا مستحقين أن نقول بشكر ..."، وعندما تقول كلمة "بشكر"، فإن ذلك يعني أنك أخذت، ولأنك أخذت، فأنت تعرف أن ما أخذته ليس ملكك، بل هو نعمة وعطية مجانية بسبب جود الله وصلاحه.** ولذلك هذا الاستحقاق لا علاقة له بالسلوك الخُلقي للإنسان، فنحن لا نفعل أي شيء، وليس مطلوبًا منا أي شيء، وليس فينا أي صلاح يؤهِّلنا لنوال أي عطية إلهية، بسبب بسيط، وهو أن العطية مصدرها الله، وأن العطية تُعطى لغير المستحقين، وأن العطية تُعطى لكي تقيم الميت، أي مَن لا حياة فيه، وأن العطية ليس لها علاقة بحالة الإنسان الأخلاقية، سواء أكانت صالحة أو شريرة، لماذا؟ لأنه لا مجازاة على السلوك، وإنما المجازاة هي على الإيمان، فأنت إمَّا أن ترفض الإيمان وإمَّا أن تقبله، والإيمان هنا لا علاقة له بالعراك والصراع الخيالي والافتراضي الآتي من العصر الوسيط عن الإيمان والأعمال، أو ما عُرِف بالجهاد والنعمة، هذا موضوع يُقصد به الدوران في دائرة مفرغة، لأن أي كلام يقال لأي إنسان عن أنه خاطئ وسيئ وشرير لا يعني في الأخير إلَّا أن هذا الإنسان هو الخروف الضال الذي طلبه الراعي الصالح، وأن الدعوة السماوية من الله للإنسان هي هبة، وأن هذه الهبة هي شركة، وأن هذه الشركة فيها البُعد السماوي، أي وجود السماويين معنا، وأن أساسها هو صلاح الله والرحمة الفائقة، لأن: "اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا." (رو ٥: ٨). ولهذا لا يصح بعد هذا أن نتحدث عن أن خطايانا تمنع عنا رحمة الله، أو أن هناك

خطية محدودة أو غير محدودة ... إلخ. الأمر الواضح والذي يتلخص في عبارة واحدة: إما أن السماء أتت لتغيِّر الأرض، وإما أننا نأخذ الأمور الأرضية ونطبقها على السماويات، وعندما نفعل ذلك نكون قد نسينا المبدأ الرسولي؛ "قارنين الروحيات بالروحيات" (١ كو ٢: ١٣)، لكن عندما نقارن الروحيات بالجسديات، فالواحدة منهما تفسد الأخرى.

في الختام، أقول لك يا سيدي العزيز، إذا كان الوسيط للعهد الأفضل أو العهد الأعظم هو الله المتجسد، فكيف يليق، وبماذا يجدي أن نضع ضمانات أرضية أو تشريعات أرضية تظن أنك تسند بها العمل الإلهي الذي يقوم به الأقنوم الثاني في الثالوث، والذي يُعطى بواسطة الاقنوم الثالث الروح القدس؟ ألا يعني ذلك في الأخير أن الله يطلب معونة من الإنسان لكي يكمِّل عمله؟

إن الخلط بين البُعد السماوي وبين البُعد الأرضي لا يعني إلَّا أننا نمارس الليتورجية والصلاة والصوم بأسلوب العهد القديم، أي بخدمة الموت التي تكلم عنها الرسول في الرسالة الى كورنثوس الاصحاح الثاني، وهو أمرٌ لا يصلح ولا يصح على الإطلاق، لأننا إذا كنا قد أخذنا ملء النعمة، الذي هو زمان التجديد في الرب يسوع المسيح، فلا يصح أن نعود إلى عهد الظلال، وممارسات الخدمة في خيمة الاجتماع من تطهيرات وغسلات وذبائح ... إلخ.

المسيح إلهنا يا أحبائي يفتح عقولنا وقلوبنا على البُعد السماوي في الرب يسوع المسيح لكي ننال بركة هذا البُعد ونبقى ثابتين في الإيمان،

له كل المجد والكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

الفصل الخامس عشر

الأسماء الإلهية في العهد القديم، وعلاقتها بالعهد الجديد[١]

في هذا الحديث نعرض لموضوع محدد، وهو الأسماء الإلهية التي وردت في العهد القديم، وعلاقة هذه الأسماء بما ورد في العهد الجديد.

طبعًا نحن كمسيحيين نعرف كلام الرسول بولس في أف ١: عندما يقول: "وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا" (أف ١: ١٩ - ٢١).

كلمة "الاسم" في اللغة العربية قريب جدًا من العبراني، كلمة "الاسم" في العبراني هي "الاشم"، والقاعدة المعروفة تقول إنك إذا حذفت النقط التي على حرف الـ ش، فتظهر الكلمة العربية.

«الاسم" تعبير عن علاقة شخصية

كلمة "الاسم" وردت ٧٧٨ مرة في العهد القديم. في العهد القديم الله يظهر في ظهورات إلهية مختلفة، وربما أهم ظهور هو ما جاء في سفر الخروج ص ٣، عن كلام الله لموسى ويقول له: "أنا أهيه"، أي أنا الله، والتي منها جاء اسم

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٥ أكتوبر ٢٠١٨.

"يهوه"، ويهوه تعني "الكائن، والذي سيكون والذي سيأتي". من هنا، الحديث عن الله في العهد القديم هو حديث عن علاقة شخصية. اسم الله في العهد القديم "يهوه" لا يعبِّر عن علاقة نظرية عقلية تتكون في عقل الإنسان، عبارة عن تأمل إنساني في الحقيقة الإلهية، بل العكس صحيح، هو رؤية إنسانية لإعلان إلهي عن الله نفسه. أي هي حركة عكسية لما يقال في الكتب الحديثة أو الدراسات الحديثة عن العهد القديم. **ليس الإنسان هو من يكتشف الله، ولكن الله هو الذي يكشف نفسه للإنسان، ويعلن أولًا عن نفسه، وهذا هو مضمون الاستعلان الإلهي في خر ٣ عن العقلية المشتعلة بالنار.**

اسم الله "إل»

في العهد القديم عندنا اسم الله "إل"، والتي منها جاءت كلمة "إلوهيم". "إل" جاءت في تك ٧: ١، وفي سفر العدد ٢٣: ٢٢، وفي سفر يشوع ٣: ١٠، وفي أشعيا ٩: ٦، وفي حزقيال ١٠: ٥. والكلمة "إل" هي الاسم الآرامي القديم الموجود عند كل الشعوب السامية، وهو اسم ليس خاصًّا فقط بالعبرانيين، إنما خاصٌّ بالشعوب السامية كلها، ومن كلمة "إل" جاءت كلمة "الله"، و"إيلوه" في الآرامي هي "الله" في العربي. فالأسماء إلوهيم - الله - يهوه، هذه كلها أسماء مرتبطة بإعلانات إلهية عن العلاقة الشخصية بين الله والإنسان. إعلانات معلَنة من الله تُعطى للإنسان لكي يعرف الإنسان خالقه. فعلى سبيل المثال، "إيل شداي"، الله القوي، أو الله القادر على كل شيء أو الله القدير، وردت ٤٨ مرة في العهد القديم، منها ٣١ مرة استُخدمت في سفر أيوب، واستخدمت في سفر التكوين ١٧: ١ وفي غيرها من الأسفار، تُرجمت في الترجمة السبعينية إلى "بانطوكراطور"، والتي نترجمها في صلواتنا الليتورجية إلى "الضابط الكل"، أي القادر على كل شيء.

إذن، **الأسماء الإلهية يا أحبائي في العهد القديم هي أسماء خاصة بعلاقة**

شخصية، أحيانًا أسماء يطلقها الإنسان على الله، ما عدا اسم "يهوه". اسم "إيل شداي" أطلقه إبراهيم على الله الذي أعطى له الحماية. وهي هنا أقرب إلى الواقع الذي نراه في الآداب السامية، عندما يكون لديك صديق تحبه، فإنك تعطيه اسمًا خاصًا، يعبر عن إعزازك له. وأحيانًا تُطلِق على أحدهم اسمًا ينطوي على إهانة، أي اسم يُقصد به إثارة الناس حول إنسان معين. أسماء من هذا القبيل تُطلق على البشر لوضع هؤلاء البشر في علاقة معينة. فتعبيرًا عن الشعور بالامتنان والشعور بالعلاقة القوية مع الله، كان العبرانيون يعطون الله بعض الأسماء التي تعبر عن علاقتهم بالله -ما عدا اسم "يهوه"، فهو الاسم الوحيد الذي استخدمه الله لنفسه- مثل الممارسة التي كانت موجودة في العهد القديم والسابقة على تجسد الرب يسوع المسيح، فعندما كان اليهود يجدون كلمة "يهوه" في الأسفار لم يكونوا يقرأونها، ولكن كانوا يضعون محلها كلمة "أدوناي"، أي "الرب"، وكذلك في الترجمة السبعينية تُرجم اسم الجلالة "يهوه" إلى "كيريوس"، والتي نسمعها في القداس القبطي لأن أصلها يوناني وجاءت من الترجمة السبعينية، و"كيريوس"، أو "أدوناي" استُخدمت ٣٠٠ مرة في السبعينية، واستُخدمت لله في سفر التكوين ١٥: ٢. ويسمى الله "أدوناي يهوه" في أشعياء، وقد استُخدم الاسم "أدوناي" حوالي ٢٠٠ مرة في حزقيال بمعنى "الرب"، والرب هنا هو "كيريوس الله"، "يَهْوَهْ يِرْأَهْ"، وهي الله يعطي أو يقدم في تكوين ٢٢: ١٤. "يهوه روفي"، أي الله الذي يشفي في سفر الخروج ١٥: ٢٢، وفي أماكن أخرى أيضًا. وفي المعارك العسكرية "يهوه نيسي"، الله هو عَلَمي، أو العَلَم الخاص بي خر ١٧، ومز ٤: ٦. "يهوه ميكاديم"، أي الله مقدِّس، وأيضًا "يهوه شالوم"، أي الله السلام في قض ٦: ٢٤. و"يهوه رُعُوي"، أي الرب راعيَّ مز ٢٣. و"يَهْوهْ شَمَّهْ"، أي الله هنا، أو الله كائن في حزقيال ٤٨. و"يهوه صباؤوت"، أي الله رب الجنود، وقد ورد في مواضع كثيرة جدًا في العهد القديم. وهناك أسماء عبرانية كثيرة، نذكرها لمجرد التذكرة

مثل "إيل عيلون"، أي الله العلي، أو "أبير"، أي القادر. الله دُعيَ "سِماخ"، أي الغصن. وقد دُعيَ أيضًا "قدوش"، أي القدوس. كما دُعيَ "شافاط"، أي القاضي. كما دُعيَ "كاناه"، أي إله غيور، كما دُعيَ أيضًا "جُعل"، أي الفادي، ودُعيَ أيضًا "مجن"، أي الدرع، ودُعيَ أيضًا "الصخرة"، وأيضًا "إيل عولام" أي إله العالم، و"إيل باريس"، أي إله العهد، و"إيل كيبور"، أي الله القوي، و"الله الصخرة" صخرتي هو الله، وأيضًا "ملاخ"، أي ملك.

لماذا لا تظهر أسماء الله في العهد القديم في العهد الجديد؟

هذه كلها أسماء موجودة بوفرة في العهد القديم، ولكن السؤال الجوهري هو لماذا لا تظهر في العهد الجديد، ولا في صلوات الكنيسة المسيحية؟ نحن نقرأ في أفسس إن الآب أعطى الابن اسمًا يسمى فوق كل اسم، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم، **فأصبح الرب يسوع المسيح هو الذي يحمل هذه الأسماء جميعها من خلال تجسده الإلهي**. فعلى سبيل المثال "إيل شداي"، القدير أو ضابط الكل، ترجمتها في العهد الجديد "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ" (مت ٢٨: ١٨)، فأصبح المسيح هو "إيل شداي"، لكننا لا نقول "إيل شداي" إطلاقًا لأنها من المفردات الخاصة بالعهد الأول، العهد القديم، **وبالتالي أصبح اسم "يسوع" هو الاسم الذي يحتوي جميع هذه الأسماء، وهو حقيقةً "يهوه يا شع"، أي يهوه مخلص، وهي التي ننطقها باللغة العربية القديمة، وبالسريانية "يشوع / يسوع"**. وهنا الشيء بالشيء يُذكر أن كلمة "يسوع" قُرأت معكوسة فأصبحت "عيسى"، ومن المعروف أن قلب الأسماء هو جزء من السحر والعرافة المستخدم في العالم القديم. والذي درس السحر والعرافة في الأنثربولوجي يعرف أن "يسوع" دُعيَ "عيسى"، وأننا في الحقيقة كمسيحيين يجب أن نكون على حذر من استخدام اسم "عيسى" "ي س و ع"، هنا قُلِبَ حرف الواو إلى ياء، وقراءة الاسم بالعكس،

وقلب الأسماء هو جزء من طريقة التعويذات في السحر، لذلك فنحن لا نقول هذا الاسم على وجه الإطلاق، لأن الاسم "يسوع" هو اللهجة الآرامية العربية في شمال الجزيرة العربية، والذي هو أصلًا في العبراني "يهو يا شع"، أي "يهوه مخلص". هذا هو المسيح ضابط الكل، أي عندما تقول "يهوه يرى"، نجد في العهد الجديد مناسبات كثيرة جدًا تتكلم عن الرب يسوع يرى أشياءً وأفكارًا في قلوب البشر، ولذلك يقول لنثنائيل: "قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ، رَأَيْتُكَ» (يو ١: ٤٨). هذا هو "يهوه يرى". وأيضًا "يهوه روفي"، الله يشفي، خاصة بمعجزات الرب يسوع. "يهوه نيسي"، الله عَلَمي، ما هو عَلَم المسيح؟ الصليب هو عَلَم المسيح. و"يهوه المقدِّس" في يوحنا يقول: "وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ" (يو ١٧: ١٩). "يهوه شالوم"، أي الله سلام، أو سلامنا، يقول الرسول بولس عن الرب يسوع في أفسس: "لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ" (أف ٢: ١٤). ويقول الرب يسوع "سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ. سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ" (يو ١٤: ٢٧ - ٢٨)، وهذا هو السلام الخاص به، فالمسيح هو إله السلام. وأيضًا "يهوه صداقينو"، "وَهذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا" (إر ٢٣: ٦). في العهد الجديد المسيح هو بر الله، وهو بر الله لأنه هو الذي أتى بالتبرير. في رو ٣ يقول الرسول: "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ" (رو ٣: ٢١). "يهوه رُعُوي" الله راعيَّ، في العهد الجديد ليس فقط راعٍ، بل هو الراعي الصالح. "يهوه الصاباؤت"، أي رب القوات، وهي موجودة في أناشيد الليتورجيات كلها في الشرق والغرب وأيضًا في تسبحة الشاروبيم، وهي مأخوذة من أشعياء ٦ ونحن هنا نرى كيف صار رب القوات يأتي ومعه القوات السماوية. الملك الذي ملك على خشبة "يهوه ملك"، وهو "المجن"، الدرع، أسلحة الحروب الروحية في أفسس نعرف أنها هي السلاح الذي نحارب

به لكي نقدر أن نثبت في اليوم الشرير. هذه الأسلحة يا أحبائي هي أسلحة للدفاع وأسلحة للهجوم، فدرع البر، ترس الإيمان للدفاع، خوذة الخلاص، للدفاع، لكن سيف الروح الذي هو كلمة الله هو للهجوم. ولذلك أسلحة اليمين وأسلحة الشمال وهي تأتي في نقطة مهمة جدًا في التدبير الروحي، حيث يقولون: ضربة يمينية وضربة شمالية أو يسارية، الضربة اليمينية موجهة إلى أسلحة الجانب الدفاعي، والضربة الشمالية موجهة إلى الجانب الهجومي. أنت تأخذ الترس على ذراعك اليمنى للدفاع، والحربة أو السيف في الشمال للهجوم، لأن اليمين أسرع في الحركة الدفاعية، إلَّا إذا كنت تستعمل ذراعك الشمال، فيكون الترس في الشمال والسيف في اليمين، عمومًا ما هو في اليمين هو خاص بالدفاع، وما هو في الشمال خاص بالهجوم. الضربة الشمالية عندما تأتي تجعل الإنسان يضطرب، وهذه الأسلحة موجودة في أفسس ص ٦: ١٠ وما بعدها.

الرب يسوع أخذ الاسم الذي فوق كل اسم

ما أريد أن أقوله هو إن هذه الألقاب لا ترد في الليتورجيات أو حتى في الأدب النسكي. الرب يسوع له المجد أخذ هذه الألقاب بالقوة التي صارت له من قِبل القيامة، لأن هناك تعبير للرسول بولس في فيلبي ص ٢ يقول عن الرب يسوع المسيح: "لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ" (في ٢: ٩ - ١١).

وهنا يا أخوة يجب أن ننتبه إلى أن هناك أمرين مهمين عن الرب يسوع؛ أولًا الأُلوهة والمجد والاسم الذي فوق كل اسم، هذا حقه الطبيعي. لذلك يقول الرسول: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ" (في ٢: ٦)، أي أنه لم يختلس المعادلة أو المساواة لله، القديس يوحنا

ذهبي الفم يقول إنه ليس هناك شخص يستطيع أن يسرق شيئًا هو في الأصل ملكه، فالرب يسوع المسيح له المجد هو الله، لكنه أخلى ذاته وأخذ صورة عبد صائرًا في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. **والجدير بالاهتمام في هذه النقطة هو أن المسيح أخذ هذا المركز الإلهي الذي هو أصلًا له، ولكنه أخذه وهو متجسِّد، وهو في عمق الاتضاع والطاعة لله الآب، لماذا؟ لكي يرد الخليقة إلى الله، لأن الخليقة لا يمكن أن تُرد إلى الله إلَّا بطاعة وتواضع المخلص**، لماذا؟ لأن هناك مشكلة كبيرة جدًا هي مشكلة الموت والخطية، ولاحظ أنني أضع الموت قبل الخطية. لأن الخطية جاءت بالموت، وبالموت دخلت خطايا كثيرة إلى حياة الإنسان، لأن الموت أدخل في الطبيعة الإنسانية الرغبة في الخلود، الرغبة التي لا يمكن أن تُشبَع، الرغبة المزيفة، لأن الإنسان لا يمكن أن يخلُد بواسطة الطبيعة الإنسانية، بل يحتاج إلى النعمة التي تُعطى له من الله، فبسبب التواضع رفَّعه الله أيضًا، أي أنه ردَّه إلى الوضع الذي كان فيه قبل التجسد، ومعه الطبيعة الإنسانية التي أخذها من القديسة مريم والدة الإله، فأصبح المجد الذي أخذه المسيح مجدًا نشترك نحن فيه بسبب النعمة، أصبح المسيحُ ممجدًا جالسًا عن يمين الآب في الأعالي، وهو ما يعطيه حق الشفاعة والوساطة لأنه يحمل في كيانه الإلهي الطبيعة الإنسانية الممجدة فيه، والتي هو رأسٌ لها ورأسٌ لجسد واحدٍ يسمى الكنيسة، ولكن هذا الجسد الذي يسمى الكنيسة ليس بالضرورة مقدسًا وطاهرًا بلا عيب، بل يؤكد الرسول بولس في أفسس ٥: أن الرب يسوع المسيح أسلم نفسه لأجل الكنيسة "لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ." (أف ٥: ٢٥ - ٢٧)، الأمر الذي يعني أن فيها دنس، أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب، فهذا عمل إلهي يعمله الله داخل الكنيسة لأن الكنيسة أصلًا تحتاج

إليه، فلأن فيها الدنس فهي تحتاج إلى التطهير، وفيها الغضن وكل عوامل الشيخوخة والضعف، فأخذ هذا عن يقين لأنه كان الرب القادر على كل شيء، والرب الذي يستطيع أن يجمع في ذاته كل هذه الأسماء لأسباب أربعة رئيسة نلخصها حتى لا تضيع في وسط الكلام.

السبب الأول: هو أنه "يهوه الخالق"، وهو "يهوه المخلص"، وهو الله "ضابط الكل"، ولذلك فإن تجديد الخليقة يعني أن المسيح هو الله، لأنه لا يمكن لمخلوق أن يجدد الخليقة.

السبب الثاني: هو أن المسيح له المجد يعطي للخليقة الشركة في الحياة الإلهية، لأن الخليقة لا يمكنها أن تشترك في الحياة الإلهية إذا كان المسيح له المجد مجرد مخلوق.

السبب الثالث: أن تجديد الخليقة يعني إدارة الصراع بين الخير والشر في العالم حسب التدبير الإلهي المعلَن في يسوع المسيح. وهذه النقطة قد تكون متعبة بالنسبة لنا كمسيحيين لأننا نرى أحيانا أن الشر يحاصرنا في كل مكان وأن القوة المضادة للمسيح منتصرة، وأن المخرَج أو المهرَب يكاد يكون عسيرًا أو مستحيلًا، ولكن المسيح له المجد يقول لنا: "وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو ١٦: ٣٣)، أي أن هناك معركة غُلِبَ فيها العالم وسيُغلب فيها العالم، والتاريخ الكنسي هو تاريخ الصراع بين الخير والشر. أحيانًا يكون مصدر الشر من قلب الكنيسة من الداخل، كالهرطقات، وأحيانًا يكون آتيًا من العالم مثل الحروب العالمية أو الصراعات العسكرية عبر العصور. ولذلك، فمهما قلنا عن الإمبراطور قسطنطين، سواء إذا كان يعجبنا أو لا، قسطنطين أنقذ الكنيسة من الدمار فعلًا، ونحن ننتقد الإمبراطور قسطنطين مع أن الكنيسة في فترة ولاية مكسينتيوس ٣٠٦ - ٣١٢ كادت أن تنقرض تحت موجات الاضطهادات المختلفة، فجاء هذا الرجل وأنقذ الكنيسة، ورد لها الأملاك المسلوبة، وأطلق

سراح الأساقفة الذين كانوا في المعتقلات وفي المحاجر وفي السجون، وكانت له في الحقيقة أفضال لا يمكن أن تُنسى. هذا لا يعني أنه كان بلا خطية، لأن في حقيقة الأمر لا يوجد إنسان بلا خطية. لكن الرب يسوع له الرئاسة، فوق كل سلطان وكل اسمٍ يسمى، وبالتالي لا يجب أن ننسى أن الصراع بين الخير والشر هو صراع يجب أن يُحسَم في النهاية لصالح الخير، لماذا؟ يوجد تعبير قديم في الأدب النسكي يقول إن الشر مثله مثل النار تأكل كل الأخشاب وتحرقها، وفي النهاية تحرق نفسها، **فالشر يحرق نفسه في النهاية، والشاطر هو من لا يكون هو الوقود.** فنحن أمام هذا الصراع المخيف والمخيف حقًا، والذي نراه في بعض حِقب التاريخ، وبالتالي من الممكن أن ترى أن الشر يتعاظم ويتعاظم، لكنه يجب أن يصل إلى القمة لكي ينحدر، لأنه عندئذٍ يفقد كل قوته ولا يكون لديه طاقة ليفعل أكثر مما عمل، فلا يجب أن نكون مرتاعين أو خائفين وإنما كما يقول الرسول في أفسس ٥: "فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ" (أف ٥: ١٥ - ١٧). يجب أن يكون لدينا الفهم أن الشر ممكن أن يُترك لكي يأكل نفسه.

السبب الرابع: هو أن المسيح له المجد هو رأس الكنيسة، وله السيادة على كل شيء لكي يفتح طريقًا جديدًا للكنيسة ولجماعة المؤمنين، طريقًا نقول عنه إنه طريق الوسيط، طريق الشفيع، طريق الرأس الذي يقود الكنيسة إلى حياةٍ جديدةٍ، فهذه هي الخدمة الكهنوتية لرئيس الكهنة العظيم الرب يسوع المسيح الذي له اسم فوق كل اسم، وبالتالي فإن كل هذه الأسماء العبرانية القديمة أصبحت متجسدة في شخص المسيح وتحولت من كلمات إلى علاقة، وتحولت من كونها أسماء إلى عطية، إلى النعمة التي نحن مقيمون فيها، نعمة ربنا يسوع المسيح الذي افتقر وهو الغني لكي تغتنوا أنتم بفقره، أي بتجسده.

ماذا يقصد الرب يسوع بتعبير "أنا قد أتيت باسم أبي"؟

يجب أن نلاحظ التعبير الدقيق الوارد في إنجيل القديس يوحنا: "أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي" (يو ٥: ٤٣)، ولم يقل أتيت باسم يهوه، لأن المطلوب هنا هو استعلان أُبوة الله، الأُبوة التي يجب أن تعلَن لكي تعطي الإنسانية نعمة التبني في الابن. "الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ" (يو ١٤: ١٠)، **ويجب أن يكون واضحًا أن الاسم يساوي الشخص. الاسم ليس مجرد اسم يقال، ولذلك أعود وأكرر أن الأسماء الكثيرة التي وردت في العهد القديم هي أسماء عن العلاقة الشخصية مع الله،** مثل "إيل شداي"، أو "يهوه نيسي"، هذه كلها أسماء خاصة باستعلانات إلهية عن قوة الله وعن الله المحارب عن شعب بني إسرائيل، **ولذلك فإن التعبير "أنا آتي باسم الآب"، أي أنا أتيت بشخص الآب، أتيت ومعي أقنوم الآب بتعبير مجمع نيقية لأن المسيح له المجد لم يأتِ لكي يُعلِن أُلوهة مجهولة، وإنما جاء لكي يعلِن الأُلوهة التي كانت مُعلَنة في أسفار الأنبياء، والمُعلَنة في الخليقة؛** فالله خالق كل الأشياء، الله الذي أعطى العهد، والله الذي تكلم في العهد القديم يتكلم في العهد الجديد في اسم الآب لأنه هو مصدر كل الأشياء، وهو الذي في حضنه الأبوي الابنُ مستقرًا، لأن هذا هو الموضع الذي سوف نستقر فيه، أو الرتبة التي سوف نستقر فيها نحن جميعًا كمؤمنين.

إذن، فقد جاء الابن لكي يعلِن الآب، وهذه نبرة مهمة في كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس، ونبرة خاصة بإنجيل القديس يوحنا، وعند القديس بولس الرسول، وتُعد من مميزات العهد الجديد. فالابن الذي جاء لكي يعلِن الآب، يعلِن لنا أيضًا هذا في شخصه، ليس إعلانًا كلاميًا لفظيًا، وإنما إعلانًا شخصيًا في أُقنومه، لأن الرسول يقول عن المسيح "الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا

لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي" (عب ١: ٣)، فهو رسم الجوهر، حامل كل الأشياء لأنه هو الأقنوم مُعلِن الآب، ومعطي الروح القدس، لأن الروح القدس يؤخذ من الرب يسوع المسيح. فهنا الوعي اللاهوتي الكتابي والآبائي السليم هو أننا نقبل ألوهية الرب يسوع لكي نقبل معها الآب ونقبل معها الروح القدس، التعليم المسيحي المميِّز للديانة المسيحية عن الله الثالوث.

إذن، فـ"أتيتُ باسم الآب"، تعني أتيتُ لكي أُعلِن الآب، أتيتُ ومعي شخص الآب، أتيتُ ومعي أُبوة الله للإنسانية، الأُبوة التي لم نكن نعرف عنها إلَّا ألفاظًا قليلةً جدًا شحيحةً في العهد القديم، ولكنها الآن تُعلَن في الابن، وتُعلَن كدعوة للإنسان لكي يدخل في هذه الشركة، "وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ يو ١: ٣). **ولذلك يجب أن يكون لدينا الوعي بأن الثالوث هو الإعلان الكامل عن الله في العهد الجديد، لكن الثالوث مُعلَن في الابن المتجسد، ومُعلَن ليس بالألفاظ، وإنما بالعلاقة، والعلاقة ليست علاقةً لفظيةً، كلاميةً، إنما هي علاقةٌ شخصيةٌ فيها الشركة، وفيها النعمة.** وعندما نُدعى إلى هذه الشركة ونأخذ هذه الشركة، فنحن ندخل في هذه العلاقة الخاصة بين الآب والابن والروح القدس بواسطة الوسيط بين الله والناس الرب يسوع المسيح الإله المتجسد.

الروح القدس المنبثق من الآب في الابن يُكمِّل معرفتنا بالثالوث

لدينا هنا النص الذي قاله القديس بطرس في عظة العنصرة في سفر الأعمال، وبالتحديد باللفظ يقول: "وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ، سَكَبَ هذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ" (أع ٢: ٣٣)، أي أن الروح سُكِب علينا من الآب ولكن بواسطة الابن. ذلك لأنه ليس لنا علاقة خاصة بالروح القدس من دون الابن، ولكن هناك علاقة خاصة بالابن، وهي التي تجعلنا ندخل إلى هذه الشركة، إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون،

والتي تجعلنا نأخذ هذه العطية، وهو ما يعبِّر عنه الرب بوضوح في إنجيل يوحنا ١٥ وهنا الكلام واضح جدًا "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (يو ١٥: ٢٦).

ولعلنا نلاحظ أنه ليس هناك أي كلام على انبثاق الروح القدس من الابن، ولكن كل الكلام عن أن الروح القدس منبثق من الآب ويعطى بواسطة الرب يسوع المسيح، ولذلك نجد في نفس الإنجيل بعد القيامة "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: "سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: "اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو ٢٠: ٢١ - ٢٣). ولذلك نحن لا نقبل التعليم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن لأنه لم يرد عنه شيء في الكتاب المقدس، لكن جاء في الكتاب المقدس وتعليم الآباء أن الروح القدس ينبثق من الآب ويُعطى بواسطة الرب يسوع المسيح، ولذلك يُدعى الروح القدس في العهد الجديد روح الابن (غل ٤: ٦)، الرسول بولس يقول: "ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: "يَا أَبَا الآبُ" إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ" (غل ٤: ٦ - ٧).

إذن، مسألة انبثاق الروح القدس من الآب والابن مسألة غير مطروحة لأن الكتاب المقدس خلا من تعليم بخصوصها، ولذلك لا يمكننا أن نقول عن الروح القدس إنه منبثق من الآب والابن مثلما فعل الكاثوليك في القرن العاشر، وعادوا وتنازلوا عنها في أيام البابا يوحنا الـ ٢٣ والبابا بولس السادس. وفي احتفال عيد الرسل قالوا قانون الإيمان مثلما نقوله نحن "المنبثق من الآب"، على أساس إن تكون هذه الصيغة بمثابة ذلك مصالحة مع الكنائس الشرقية، لكن الروح هو روح الابن لأنه لا ينبثق من الآب إلى الفراغ، ولكنه ينبثق من الآب في الابن لأن الابن هو الوسيط والكاهن والرأس الذي منه ينحدر الروح

القدس على الكنيسة وعلى المؤمنين في المعمودية وفي الميرون.

ولذلك -في الإفخارستيا- يستدعي الكاهن الروح القدس من عند الله الآب لأن الروح القدس الذي كوَّن جسد الرب يسوع المسيح في أحشاء القديسة مريم العذراء، هو الروح الذي يحوِّل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه. ولذلك ليس هناك ما يسمى بانبثاق الروح القدس من الآب والابن، ولكن هناك استعلان الروح القدس بواسطة الابن لكي يكمِّل -كما يقول القديس باسيليوس- معرفتنا بالثالوث. ولذلك، الروح القدس هو شريك للابن في الخدمة وفي استعلان الآب أيضًا لكي تكمُل لنا معرفة الآب والابن بواسطة الروح القدس.

الروح القدس يُعلَن بواسطة الكنيسة

القديس غريغوريوس النزينزي عنده عبارة شعرية جميلة جدًا، وعندما أتذكرها أصاب بالألم الشديد وبالفرح في ذات الوقت، يقول: "الله مُعلَن في العهد القديم من خلال الأنبياء، ومُعلَن في العهد الجديد في الابن، فالابن يُعلِن الآب، والروح يُعلِن الابن، لكن مَن الذي يُعلِن الروح؟ الكنيسة"، فالروح يُعلَن بواسطة الكنيسة، وهي مسئولية خطيرة جدًا، يوضحها الرسول بولس عندما يتكلم على المواهب في كورنثوس الأولى ١٤ حيث يقول "وَلكِنْ إِنْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَنَبَّأُونَ، فَدَخَلَ أَحَدٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ أَوْ عَامِّيٌّ، فَإِنَّهُ يُوَبَّخُ مِنَ الْجَمِيعِ. يُحْكَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمِيعِ. وَهكَذَا تَصِيرُ خَفَايَا قَلْبِهِ ظَاهِرَةً. وَهكَذَا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ وَيَسْجُدُ للهِ، مُنَادِيًا: أَنَّ اللهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ" (١ كو ١٤: ٢٥). هنا استعلان الروح القدس بواسطة مواهب الكنيسة، الابن يُعلِن الآب، والكنيسة تُعلِن الروح، وهي مسئولية كبيرة ومخيفة وخطيرة، لأن حياتنا ليس فيها ما يؤهلنا لذلك، وإنما هي رحمة الله الذي أعطانا هذه الخدمة لكي نخدم ونصلي بالروح، ونبارك بالروح، ونتكلم بالروح، ونشهد للروح لكي نُعلِن أن الله هو بالحقيقة فينا، وعندما نفشل في هذا نصبح تحت الدينونة.

إذن، فما حدث في العهد القديم يُكمَل ويُفهَم من خلال تدبير العهد الجديد، وبالتالي لا يمكن أن ننسى هذا التدبير ونرجع إلى أسماء الله في العهد القديم، وننسى إن الرب يسوع هو المخلص، وهو الفادي، وهو الله القدير، وهو الله ضابط الكل، وهو الله القادر على كل شيء الذي يقول "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ" (مت ٢٨: ٢٠)، فهذا كلام لا يمكن أن يقال إلَّا من شخص يملك قدرة على الماضي وعلى الحاضر والمستقبل. لذلك في سفر الرؤيا يقول الرسول يوحنا عندما رأى الرب متجليًا في الاصحاح الأول في منظر إلهي غريب جدًا: "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ. أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ" (رؤ ١: ٧ - ٨)، والألف والياء هما أول وآخر حروف الأبجدية، وتعني أنا أول ونهاية المعرفة الإنسانية، البداية والنهاية، بداية الخليقة الأولى ونهاية الخليقة الجديدة، "يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ ١: ٨)، وعندما سمع يوحنا اسم الرب وخاف وارتعب، نظر فرأى ابن إنسان "فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلًا لِي "لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ. فَاكْتُبْ مَا رَأَيْتَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هذَا" (رؤ ١: ١٧ - ١٩).

هذا الإنسان يبدو في المنظر الإلهي متمنطقًا بمنطقةٍ من ذهب، (أي أنه رئيس كهنة)، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج (وهي علامة النقاوة) وعيناه كلهيب نار (لهيب النار تعبير في المزامير عن الحضور الإلهي الذي يسبق الظهور الإلهي في العهد القديم، أي أن عينيه عينان إلهيتان)، وهي شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون (هنا نوع من التجلي الإلهي)، وصوته كصوت مياه كثيرة، ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها (المسيح المتجلي هنا في سفر الرؤيا هو المسيح الإله المتجسد).

اسم الرب يسوع في الإبصاليات

في الختام، نحن في حاجة إلى أن نرجع إلى إبصاليات اسم الرب يسوع وإلى الكلام الذي قيل عن اسم الرب يسوع المسيح، في الأوشية: "اسمك القدوس هو الذي نقوله فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس، (عندما نقول الاسم، لأن الذي يحرك القلب إلى نطق اسم الرب يسوع هو الروح القدس) ولا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية ولا على كل شعبك). فمنذ أن أخذت وصية بأن أصلي الإبصاليات، أعود من وقت لآخر للإبصاليات، لأن اسم الرب يسوع المسيح هو الطعام والقوة والجاه والعزة التي تعطي لنا حق القدوم إلى الله الآب الذي له المجد الدائم مع ابنه وفي ابنه بالروح القدس الآن وكل أوان وإلى الأبد آمين.

الفصل السادس عشر

الخطية في العهد القديم[1]

من الموضوعات المهمة التي تُثار في الاجتماعات المسيحية، الكلام عن الخطية بوصفها انفصال عن الله. وهذا الأمر ليس قاصرًا على طائفةٍ بعينها، بل ينتشر بكل أسف، حتى في الكنائس الرسولية القديمة.

في العهد القديم استُخدمت كلمة "انفصال" بالفعل، وهي في اللغة العبرانية الكلمة "ألف صادي لام"، وهي تعني فعلًا انقسام شيئين، مثلما اقتسم عيسو نصيبه من البركة مع أخيه يعقوب، ويعقوب أخذ نصيب عيسو (تك ٢٧: ٣٦ - ٤٠). وفي باقي الأسفار لدينا تعبير "ب د ل"، وهو مثل التعبير العربي، وقد استُخدم هذا التعبير عن الفصل بين الليل والنهار في قصة الخلق (تك ١).

الخطية، هل هي انفصالٌ عن الله؟

والحقيقة أنه ليس هناك في العهد القديم أي كلام عن أن الخطية تفصل الإنسان عن الله، إلَّا في نصٍّ واحد يجب أن نقرأه بتؤدة لكي نتفهم الفكرة في وضوح، وهو النص الوارد في أشعياء ٥٩: ١ – ٦٠: ٣. ففي أشعياء ٥٩ يقول النبي: "هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقَلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ، بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ ... (ومن عدد ٣ - ٨ يذكر خطايا بني إسرائيل) ... مِنْ أَجْلِ ذلِكَ ابْتَعَدَ الْحَقُّ عَنَّا، وَلَمْ يُدْرِكْنَا الْعَدْلُ. نَنْتَظِرُ نُورًا فَإِذَا ظَلاَمٌ. ضِيَاءً فَنَسِيرُ

(١) محاضرة منشورة على موقع coptology.com بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠١٨.

فِي ظَلاَمٍ دَامِسٍ. نَتَلَمَّسُ الْحَائِطَ كَعُمْيٍ، وَكَالَّذِي بِلاَ أَعْيُنٍ نَتَجَسَّسُ. قَدْ عَثَرْنَا (أي وقعوا) فِي الظُّهْرِ كَمَا فِي الْعَتَمَةِ، فِي الضَّبَابِ كَمَوْتَى ... لأَنَّ مَعَاصِيَنَا كَثُرَتْ أَمَامَكَ، وَخَطَايَانَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا، لأَنَّ مَعَاصِيَنَا مَعَنَا، وَآثَامَنَا نَعْرِفُهَا ... وَصَارَ الصِّدْقُ مَعْدُومًا، وَالْحَائِدُ عَنِ الشَّرِّ يُسْلَبُ. فَرَأَى الرَّبُّ وَسَاءَ فِي عَيْنَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَدْلٌ (أي أن الحال وصل في إسرائيل إلى أسوأ ما يكون، لأن الخطية فصلت وسترت وجه الله عن بني إسرائيل، فهل قرر الله أن يقطع العلاقة؟ أبدًا) فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ، وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ، وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ. فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ، وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ ... "وَيَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ وَإِلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فِي يَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ. أَمَّا أَنَا فَهذَا عَهْدِي مَعَهُمْ، قَالَ الرَّبُّ: رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ، وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِ نَسْلِكَ، قَالَ الرَّبُّ، مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ. "قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ" (أش ٥٩: ١ – ٦٠: ١ - ٣).

إذن، نلاحظ بعد هذا الكلام العنيف الذي قيل، أنه لا كلام عن انفصالٍ دائمٍ، ولا تستمر مرحلة الخطية والظلمة في البقاء، بل لأن الله رأى أنه لا مخلِّص، فأتى لكي يخلِّص، ولكي ينقِّي إسرائيل، فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه، أي كمقاتل، وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ، والغيرة هنا هي غيرة الله على شعبه. إذن، **فالكلام عن الخطية بوصفها انفصال، هو كلامٌ مخطوف ومقتطع من سياقه، ويتم حَشره في جرعة من الشعور الذنب لكي يخيف الواعظُ الناسَ ويرعبهم.** وبالتالي فإن أي كلام يُقال عن الانفصال، ما هو إلَّا وهمٌ يعشش في عقول مَن يظنون أن الخطية هي المحور الذي تدور حوله حياتنا.

المفردات اليونانية المستخدمة للتعبير عن "الانفصال»

في النص اليوناني للعهد الجديد لدينا فعل مركب هو الفعل "ἀφορίζω - أفوريزو"، وقد جاء هذا الفعل ١٠ مرات في العهد الجديد، ومعناه "يقطع أو يفرز أو يفصل"، ولكن الفصل المقصود هنا ليس مقصودًا به الفصل الناتج عن الخطية. في (غل ١: ١٥) بولس مفرز "ἀφορίσας - أفوريزاس" لإنجيل الله قبل أن يُولد. وقد استُخدِم هذا الفعل أيضًا للفصل أو التمييز "ἀφορίσει" بين الجداء والخراف في يوم الدينونة. ولم يستخدم الفعل للفصل بين الله وبين الإنسان في الحياة الأرضية على الإطلاق. وفي بقية الأسفار كما في كورنثوس الثانية ٦: ١٧ جاء الفعل بمعنى "اعتزلوا - ἀφορίσθητε"، وهو يقتبس أشعياء ٥٢: ١١، وأرميا ٥١: ٤٥ "لِذلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا ἀφορίσθητε، يَقُولُ الرَّبُّ" (٢ كو ٦: ١٧)، فالروح القدس هنا يفصل الجماعة عن السالكين في طريق الشر، لكن ليس من فصلٍ بين الإنسان وبين الله. وهذا الفعل "ἀφορίζω - أفوريزو"، فعل الفصل أو الفرز، لا يمكن أن يُستَخدم في العهد الجديد، العهد القائم على الإله المتجسد.

تناقض الاتحاد الأقنومي مع فكرة الانفصال

واضح إذن أن الذين يتكلمون عن أن الخطية تفصل الله عن الإنسان قد نسوا القاعدة الذهبية اللاهوتية لآباء الكنيسة، وهي وجوب وضع الأساس الإيماني اللاهوتي قبل أن التحدث عن أي موضوع. وبالتالي، الكلام عن الخطية، أو موضوع الخطية، لا نتصوره تصوُّرًا سليمًا إلَّا إذا وضعنا أولًا اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح كأساس لهذا الكلام. لأنه إذا كان المسيح له المجد في إنجيل يوحنا ١١: ٥٢ قد جاء لكي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فهؤلاء الأبناء المتفرقين لا يمكن أن يجتمعوا إلى واحد إلَّا إذا كانت هناك قوة تُجمِّع هؤلاء الأبناء، وهذه القوة التي تُجمِّع ليست قوة بشرية، وإنما هي قوة إلهية

آتية من اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد، فالقوة التي توحِّد هي قوة الرب، لذلك لا نستطيع أن نتكلم عن الخطية كانفصال بين الله والإنسان، إلَّا إذا كنّا قد نسينا أساس التعليم اللاهوتي في الكنيسة، وهو التجسُّد.

وبالتالي، مَن يتكلم عن الخطية كانفصال عن الله، لا بُد وأنه قد وضع هذه القاعدة الذهبية جانبًا، وهكذا أصبح يتكلم في هذا الموضوع من عندياته، دون ما سند من التسليم الكنسي، أو الرسولي. المسيح الذي جاء لكي يجمع ما في السموات وما على الأرض تحت رأسٍ واحد لا تستطيع الخطية أن تفصل فيما بعد ما جمعه، لأنه يجمع لكي يغلب الانفصال الذي خلقته الخطية، ويجمع لكي يوحِّد الإنسان مع الله. إذن، **لا يجب أن نردد ما يُقال من إن الخطية تفصل، لأنه لا يمكن أن يستمر في الوجود شيء منفصل عن الله.** ولذلك يجب أن نكون على وعي وأن نكون حذرين تمامًا من هذا الكلام البسيط الذي يُقال على مستوى الشعب، والمقصود به إثارة الشعور بالذنب. ويجب أن نكون واعين أيضًا إلى أن هناك ارتباطًا كبيرًا جدًا في فكرنا بين الخطية وبين الموت، ولكن هذا الارتباط قد تغيَّر وانقطع بمجيء الرب يسوع، وقد ذكرنا هذا الموضوع في مرات سابقة.

المفردات اليونانية المستخدمة للتعبير عن "الخطية»

في كلامنا عن الخطية في العهد الجديد، وعندما نعود للمفردات اليونانية المستخدمة، نجد لدينا هنا الكلمة المشهورة "άμαρτία - أمارتيا"، والتي ترجمها الأوربيون في القواميس إلى to miss the mark بمعنى أن يفشل في الوصول إلى الهدف، والهدف هو العيش بحسب خلق الإنسان على صورة الله، وبالتالي كلمة "άμαρτία - أمارتيا" هي الحيدان عن الهدف، أو الخطأ في تحديد الهدف.

وهناك كلمة أخرى هي كلمة "أنوميا - ἀνομία"، وهي تعني في عب ٩: ٧ الخطية التي ارتُكبت عن جهل "فَرَئِيسُ الْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، لَيْسَ بِلاَ دَمٍ يُقَدِّمُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جَهَالاَتِ ἀγνοημάτων الشَّعْبِ" (عب ٩: ٧). ونفس الكلمة استخدمت في تيموثاوس الأولى ١: ١٣ "أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِدًا وَمُفْتَرِيًا. وَلكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْل ἀγνοῶν فِي عَدَمِ إِيمَانٍ".

وهكذا يتضح لنا أن هذه المفردات تُستخدم دون الوعي بأن وراءها فكرة الجهل، أو فكرة التعدي. وفكرة التعدي ليست فكرة قانونية على الإطلاق، وإنما هي فكرة خاصة بالإنسان الذي يخرج خارج حدود الصورة الإلهية، أي أنه لا يريد أن يعيش كصورة الله، هذا هو التعدي، أي الخروج خارج حدوده، وهذا التعدي يجلب على الإنسان الدمار الداخلي، لأنه يجعل الإنسان غير قادر على معرفة خطورة الخطية، فلا يعلم ماذا تفعل به الخطية.

الخطية إذن ليست عملًا يُرتكب خارجًا عن الذات، إنما هي عملٌ يدمِّر الذات الإنسانية، لأن الإنسان في النهاية يدمِّر ذاته بالخطية غير شاعر أنه فَقَدَ حياةً لم يكن ينتبه إليها، لأنه استدار في اتجاه مضاد للحياة الإلهية التي كانت معطاة له من الله، أي أنه فَقَدَ اتجاهه، وعند ذلك أصبح الإنسان عاجزًا عن رؤية هدف الوجود، ألا وهو الحياة كصورة الله، وهكذا ضاع منه هذا الهدف، وبالتالي أضحى يعيش دون أن يعرف أن الحياة من دون الله حياةٌ ملؤها الفراغ، إذ لا يملأ فراغ القلب إلَّا الله[١].

(١) من الجدير بالذكر أن الدكتور جورج قد تعرض في مناسبةٍ أخرى للمفردات اليونانية المستخدمة للتعبير عن الخطية، وذكر بعض المفردات الأخرى التي لم ترد بمتن هذا الكتاب، لذا رأينا تتميمًا للفائدة إدراج هذه المفردات هنا في الحاشية. راجع د. جورج حبيب بباوي، خطية آدم ووراثة الموت، بحث آبائي من العصر الرسولي إلى القديس ساويرس الأنطاكي، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١، ص ٢١ وما بعدها، وتحت عنوان: "الكلمات اليونانية الخاصة بالخطية في العهد الجديد"، حيث يقول: إذا اتبعنا الأبجدية اليونانية، نجد أن أول كلمة هي ἀδικία وهي كلمة عامة تعني عملًا ضد القانون - جريمة. هذا هو المعنى الشائع في الأدب اليوناني القديم.

المفردات اليونانية المستخدمة للتعبير عن "المغفرة»

أمَّا الكلمات اليونانية التي تُرجمت بمعنى "يغفر"، فهي كلمات مهمة جدًا لأننا يجب أن نكون على وعي بأننا عندما نتكلم عن المغفرة، فنحن نتكلم عن "الحِل - to lose"، وهي في نفس الوقت تكشف لك عن طبيعة عمل الفادي والمخلص. فعل الحِل، أو فعل الترك هو الفعل ἀπολύω - to lose، وجاء في لوقا ٦: ٣٧، "لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا ἀπολύετε يُغْفَرْ لَكُمْ" (لو ٦: ٣٧). لكن الكلمة في اللغة العربية مثلها مثل الكلمة الإنجليزية لا تفي بالمعنى المقصود. ففي اللغة اليونانية لدينا ٣ أفعال لكلمة "يغفر"، ولكن لدينا فعل واحد في اللغة العربية، وفعل واحد في اللغة الإنجليزية هو forgive. وقد أشرنا بأعلى إلى نص لوقا ٦: ٣٧، فكلمة "اغفروا" في هذا النص ἀπολύετε تعني: to lose بمعنى يفقد أو يخسر - to dismiss بمعنى صَرَف النظر عن.

وقد استُخدمت في الترجمة السبعينية لترجمة ٢٤ كلمة عبرانية، وهي -بسبب النظام الثيوقراطي في العهد القديم- تعني عصيان القانون والخروج عليه (لا ١٩: ١٣ تث ٢٨: ٢٩ مع مزمور ١١٩: ١٢١)، وهي الكذب والخداع (أمثال ٦: ١٧ – أرميا ٥: ٣١). كذلك وردت في العهد الجديد ١٠ مرات في سفر الرؤيا، ٥ مرات في سفر الأعمال، ٣ مرات في كورنثوس الثانية، ومرةً واحدة في كلٍّ من متى، ولوقا، غلاطية، فليمون، بطرس الثانية .... الكلمة الثالثة هي παράβασις وتعني "التعدي"، ليس حسب المعنى الشائع الآن، بل الابتعاد عن الطريق الصحيح. وفي الإنجيل حسب متى "التعدي" هو كسر الوصية (١٥: ١)، وهكذا أيضًا تعدَّى يهوذا الإسخريوطي وظيفته (أع ١: ٢٥). الكلمة الرابعة هي παράπτωμα وتعني فقدان الطريق الصحيح، الضياع أو التوهان، وهي أصلًا خاصة بترك الشريعة (مز ١٩: ١٢، ٢١: ١ – حكمة ٣: ١٣ – حزقيال ٣: ٣٠). وقد ورد الفعل مرةً واحدةً في (عب ٦: ٦): "وَسَقَطُوا παραπεσόντας، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ"، وهنا نلاحظ أن الترجمة العربية لهذا النص في ترجمة فانديك غير صحيحة، لأنها ليست السقوط "الذين سقطوا"، بل الذين تاهوا وضاعوا، وهؤلاء حسب كلمات (عب ٦: ١ - ٦) هم العائدون إلى اليهودية والممارسات الطقسية بعد نوالهم المعمودية. وهكذا أيضًا نص (رو ٥: ١٥): "وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ παράπτωμα هَكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ" يجب أن يُقرأ: "ولكن الهبة ليست كالضياع وفقدان الطريق الصحيح"، لأن التعدي هنا ليس مجرد كسر وصية، بل الخروج على حدود الخلقة. هذا وقد وردت الكلمة في القداس الغريغوري: "حل واغفر واصفح لنا يا الله عن زلاتنا ⲛ̀ⲛⲉⲛⲡⲁⲣⲁⲡⲧⲱⲙⲁ"، والزلة ليست مجرد الخطأ، بل هي أيضًا الانحراف عن الصواب، وهي تعني في اللاهوت المسيحي الابتعاد والضياع أو الضلال عن الهدف، أي يسوع المسيح نفسه. [المحرر]

ولدينا فعل غريب ولذيذ ورد ٨ مرات في العهد الجديد، وهو فعل "χαρίζωμοι خاريزوموي"، وهو يُترجم في الإنجليزية إلى forgive أيضًا، ولكنه يعني في اليونانية "اعطِ بسخاء". في لوقا ٧: ٤٢ أول مرة يرد فيها الفعل في الأصل اليوناني: "وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا ἐχαρίσατο جَمِيعًا (أي كان كريمًا جدًا give generously). فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟" (لو ٧: ٤٢). وهنا يُظهر الفعل الكرم generosity في أنه ترك لهما الدين. وفي نفس الاصحاح ٧: ٤٣ "فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ: "أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ ἐχαρίσατο بِالأَكْثَرِ"، (أي أظن أن الذي كان معه كريمًا بالأكثر) فَقَالَ لَهُ: "بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ»" (لو ٧: ٤٣). إذن، فالفعل "سامح" الذي ورد في الترجمة البيروتية، فعلٌ ضعيفٌ جدًا في اللغة العربية ولا يلبي معنى الفعل في الأصل اليوناني χαρίζωμοι لأنه من الاسم χάρίς والذي يعني: نعمة، أو فضل، أو إحسان، أو الكرم الإلهي.

لذلك عندما يتكلم الرسول بولس عن الكرم الإلهي في أفسس ٤: ٣٢: نجد أن المعنى القوي ضاع في اللغة العربية: "وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ χαριζόμενοι كَمَا سَامَحَكُمُ ἐχαρίσατο ὑηίν اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ" (أف ٤: ٣٢). الفعل المُترجَم هنا "كما سامحكم الله"، يعني كما كان الله كريمًا جدًا وغنيًا في عدم الدينونة، لأنه ترك الدين لكليهما (لو ٧: ٣٤)، فالفعل اليوناني هنا يوضِّح الكرم الإلهي والغنى الإلهي. وفي كولوسي ٢: ١٣ يتكلم الرسول على موت المسيح على الصليب: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا χαρισάμενος ἡμίν لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا،" (كو ٢: ١٣)، أي أنه كان كريمًا جدًا معكم، ولكن كما قلت إن كلمة "سامح" هنا كلمة ضعيفة جدًا، فعجزت عن بيان عمق الصلاح والرحمة الإلهية.

في كولوسي ٣: ١٢ أصحاح "فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ χαριζόμενοι بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ ἐχαρίσατο ὑμίν الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا" (كو ٣: ١٢)، فالغفران هنا يحمل معنى الترك، والترك يحمل عظم الكرم الإلهي.

ونجد ذات الفعل في كورنثوس الثانية ٢: ٧، ١٠ "مِثْلُ هذَا يَكْفِيهِ هذَا الْقِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا -بِالْعَكْسِ- تُسَامِحُونَهُ χαρίσασθαι بِالْحَرِيِّ وَتُعَزُّونَهُ، لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هذَا مِنَ الْحُزْنِ الْمُفْرِطِ .... وَالَّذِي تُسَامِحُونَهُ χαρίζεσθε بِشَيْءٍ فَأَنَا أَيْضًا. لأَنِّي أَنَا مَا سَامَحْتُ κεχάισμαι بِهِ - إِنْ كُنْتُ قَدْ سَامَحْتُ κεχάισμαι بِشَيْءٍ - فَمِنْ أَجْلِكُمْ بِحَضْرَةِ الْمَسِيحِ".

أما الفعل الوارد بكثرة هو الفعل ἀφίημι ويعني يترك، يحل، يتخلى عن، يحذف، يلغي، يشطب، وقد ورد في متى ٦: ١٢ "وَاغْفِرْ لَنَا ἄφες ἡμίν ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ ἀφήκαμεν نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا".

وقد ورد هذا الفعل في الأناجيل الأربعة بوفرة، وعند الرسول بولس، وفي رسالة يعقوب، وفي رسالة يوحنا الأولى، النص المهم بالنسبة للتعليم السائد عن الخطية في الكنيسة القبطية، وهو تعليم مدمِّر في رأيي، ولو استطعنا أن نفهم موضوع الخطية من خلال موضوع الغفران في رسالة يوحنا الأولى "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ / يترك ἀφῇ ἡμίν لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يو ١: ٩).

أنا أقول للأخوة المستمعين في المرات التي يتعبك ضميرك في موضوع الخطية، ارجع للعهد الجديد، وأيضًا تجد **أن أعظم التراتيل في الكنيسة الجامعة هي "مراحمك يا إلهي" التي تُقال في ختام تسبحة الكنيسة القبطية، وهي تحوي قلب وجوهر لاهوت كنيسة الإسكندرية.**

الخطية، هل هي عصيان؟

الخطيئة بمعنى "العصيان" وردت في العهد القديم، ولكن كلمة "العصيان" لم ترد في العهد الجديد ولا مرة، لأن العصيان في العهد القديم، هو تعدي الناموس، وهو اعتداء على الشريعة، والشريعة في يد الملك وفي يد الحكومة الثيوقراطية، أو الحكومة الإلهية والتي تكلم عنها سفر المكابيين وأسفار الأنبياء، وبالتالي، ليس هناك وجود لما يسمى بالعصيان في العهد الجديد، وذلك لعدم وجود ناموس أو شريعة، ولا حكم ثيوقراطي، ولا يجب الاعتماد في عكس ذلك على الترجمات العربية، لأنها تحتاج إلى مراجعات، إنما كل ما نتمناه أن يرجع القارئ إلى الترجمة الموحدة التي صدرت عن دار الكتاب المقدس في السنوات الأخيرة، وإن كنت أنا أستعملها في حذر من أجل الهجوم الذي يثور ضدي من آن لآخر على الإنترنت.

لكن عمومًا، الإنسان لا يعصى الله عن معرفة، وإنما يعصاه عن جهل، ولذلك حتى إذا أخذنا تعبير العصيان رغم أنه غير موجود في العهد الجديد بمعناه الثيوقراطي، فهذا موجَّه للشريعة الموسوية التي تحكم المجتمع، والخروج عليها هو عصيان للقانون الذي يحكم المجتمع، أقول حتى لو نقلنا هذا الكلام إلى العهد الجديد، وقلنا إن الخطية هي عصيان وتمرد على الوصايا الإلهية كما يقال في بعض العظات عندنا، حتى لو قلنا هذا الكلام، **أرجع وأقول إن العهد الجديد سمَّر عصيان الإنسان في الصليب، ذبح الخطية، وذبح الشيطان أيضًا، وتعبير "ذبح الشيطان" تعبير ليس من عندياتي ولكنه موجود عند القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب تجسد الكلمة**[1]. لو كان الشيطان في قوته لكان خرَّب كل شيء، ولكنه يحيا ككائن مذبوح، ضعيف، بدليل أن المؤمنين يطردونه باسم الرب يسوع من وجوده في حياة من عليهم أرواح نجسة. يُطرد

(١) راجع تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي ف٢٧: ٤، ٢٨: ٤. [المحرر]

ولا يستطيع أن يدخل حتى في الخنازير إلَّا بإذن الرب يسوع. فحتى لو تكلمنا عن العصيان فيجب أن يكون واضحًا أمامنا أننا لا ننتمي إلى مملكة ثيوقراطية، **وأن العصيان في معناه الحقيقي الروحي هو أن يعمل الإنسان ما هو ضد الطبيعة وضد الضمير، أي أنه يعصى ضميره**، أما عصيان الله، فهو إن حدث، إنما يحدث عن جهل، ويحدث لكي يدمر الإنسان نفسه بالخطية.

علاج الخطية

في العهد القديم، كانت الخطية تُعالج بالتوبة والتعليم النبوي وبالذبائح حسب شريعة موسى، أمَّا في العهد الجديد، فالخطية تُعالج بالشفاء، ويقول الكاهن في القداس: "أنت هو شافي نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا" في التحليل بعد استدعاء الروح القدس، وبعد صلاة القسمة. وأيضًا عندما يقول الأب الكاهن: "حاللنا وحالل كل شعبك"، أي فك رباطات الخطية لأن الإنسان يُعذِّب نفسه عندما يربط نفسه برباط الخطية، ولذلك يحتاج إلى غنى صلاح الله ورحمته لكي يستطيع أن ينال الحرية الداخلية.

ولذلك أنا لا أعصى الله إذا أخطأت، وإنما أعصى ضميري. إذا تصورت أنني أعصى الله، وأنني أريد أن أعصى الله، ففي حقيقة الأمر أكون واهمًا، وهذا الوهم إنما يدل على الجهل، لأن الله هو أصلي ومصدر كل كائن حي في السماء وعلى الأرض.

قد يستطيع الإنسان أن يعمل أشياء كثيرة؛ ينشئ مبانٍ، ويصنع طائراتٍ وسفن فضاء ويزور القمر، وربما أمكنه استنساخ بعض الكائنات الحية، وربما يصنع شيئًا أكبر من الاستنساخ، لكن في الأخير، يتحرك الإنسان في إطار ما أُعطيَ له كمخلوق، لم يأتِ بشيء من عندياته، لم يَخلِق من العدم. ولذلك، التجديد والغفران والتقديس هو بقاء الإنسان في دائرة الصورة الإلهية التي تُجدَّد في المسيح يسوع.

أرجو أن يكون هذا الكلام البسيط غير المنمق، البسيط جدًا قد أصاب هدفين؛ الأول هو التأكد من عدم وجود انفصال على الإطلاق بين الإنسان والله، والثاني الإيقان بأن الخطية تُقابَل بتحرير الإنسان، وبالعمل الإلهي المبني على الغنى وعلى السخاء الإلهي الذي يجعل الله يعطي لنا الفكاك من رباطات الخطية لكي نحيا كصورة الله، ونحيا مثل صورة المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الفصل السابع عشر

الهيكل والذبائح في العهد القديم[(١)]

من الموضوعات الأساسية في العهد القديم موضوع الذبيحة والمذبح وخيمة الاجتماع أو الهيكل. في هذه المحاضرة سنتناول بالتفصيل موضوع الذبائح، لأن الشروح الموجودة في الكتب العربية، هي في حقيقة الأمر غير دقيقة، بل وبعيدة تمامًا حتى عن النص المتعلق بها والموجود أصلًا في الكتاب المقدس، وبالتحديد في العهد القديم.

ومصدرنا الأساسي فيما نقدمه عن الذبائح هو نص سفر اللاويين، وشرح الآباء على سفر اللاويين؛ ولدينا أقدم شرح للسفر وهو عظات العلامة أوريجينوس على سفر اللاويين، ويأتي بعده القديس كيرلس الكبير عمود الدين في كتابه "السجود والعبادة بالروح والحق"، إلى جوار بعض الآباء في الكنيسة الغربية قبل الانقسام.

بدايةً، هناك ملاحظتان مهمتان يؤكدان المبدأ الموجود في الدسقولية، وفي عظات القديس يوحنا ذهبي الفم بعنوان "ضد المتهودين"، وبشكل متناثر عند آباء الكنيسة.

الملاحظة الأولى، والتي كانت محل اهتمام الدسقولية بشكل واضح، والتي نجدها أيضًا عند ذهبي الفم وعند بعض الآباء، تعتمد على نص سفر اللاويين في أن الله لم يأمر بالذبائح، ولكنه يقول إذا أراد إنسان أن يقرِّب ذبيحةً،

---

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠١٨.

فليقربها بهذا الشكل، وهو ما ورد في الترجمة العربية: "كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ مِنْكُمْ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ تُقَرِّبُونَ قَرَابِينَكُمْ" (لا ١: ٢). وقد أشارت الدسقولية في فصل ٣٣ -وأنا هنا استخدم النص المطوَّل الذي حقَّقه ونشره الدكتور وليم سليمان قلادة- إلى أن تقليد الذبائح كان تقليدًا عامًا في العبادة في العالم القديم، وكان نابعًا من شعور الإنسان بوجوب تقديم شيء لله الخالق، لذلك لم يشأ الله أن يحرم بني إسرائيل من هذا العمل، ولكنه وضع هذا التقديم في إطار لاهوتي مختلف تمامًا عن الذبائح الوثنية، وعن العبادة الوثنية التي كانت سائدة في الديانة الكنعانية[1].

(١) راجع، "الدسقولية، تعاليم الرسل" اعداد وتعليق وتقديم د. وليم سليمان قلادة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٩، الفصل ٣٣ بعنوان: "لأجل الاعتراف المستقيم بإيمان الثالوث المقدس الذي بشرنا به رسل الحق"، ص ٣٩٨ وما بعدها: "بند ٥٦- وقد وضعنا لكم أنتم الأساقفة والقسوس هذه التعاليم الجامعة بواجبٍ وحق، تذكارًا وثباتًا للذين آمنوا بالله. وأرسلناها من جهة صاحبنا الخادم أقليمنطس – ولدنا المؤمن ذي النفس [المتحدة] بالرب، مع برنابا وطيموتاوس ابننا الحبيب، ومرقس [ذي] الجنس (الصادق). ونعلمكم أن طيطوس أيضًا معهم، ولوقا وسوسيبطرس:

بند ٥٧- هؤلاء نطلب إليكم من [جهتهم] بالرب لكي تبتعدوا من العادات القديمة والرباطات الباطلة والاغتسال والاحتراز من الأطعمة والغسل في كل يوم. "لأن [الأمور الأولى مضت] وقد [تجددت كلها]".

بند ٦٤- هذا الناموس صالح ومقدس وليس فيه ضيقة على أحد. لأنه يقول: "إنك إذا صنعت لي مذبحًا، اصنعه لي من الأرض". ولم يقل: "اصنع لي" بل "إذا صنعت" ولم يزدنا ضررًا، ببل جعل الأمر تحت سلطاننا – لأنه حر".

بند ٦٥- لأن الله ليس بمحتاج للقرابين، [لأنه فوق كل احتياج] بطبيعته، لكن بالحري (إذ) هو عارف (أنه) مثل المحب لله الأول هابيل ونوح وإبراهيم والذين جاءوا بعدهم – أنهم لما تحركت ذواتهم من جهة الناموس الطبيعي، ورأى شاكر أن يقربوا لله، ولم يفعلوا ذلك بتكليف – (هكذا) أعطى موضعًا أيضًا للعبرانيين أن يصنعوا هذا ولم يأمرهم، لكن سمح لهم أن يكون (ذلك منهم) إذا أرادوا هم. وسُرَّ بقرابينهم إذا قدموها بضمائر مستقيمة. لأجل هذا قال: "إن كنت تشتهي أن تذبح لي عن هذا فلست بمحتاج إلى ذبيحة" لأنه قال: "إني لا [احتاج إلى] شيء؛ لي المسكونة وما فيها".

بند ٦٦- وفي الزمان الذي نسى الشعب هذه (الأمور) ودعوا لهم العجل إلهًا عوض الله الحقيقي، و[نسبوا له] سبب خروجهم من مصر، وقالوا: "هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر" وعبدوا بالنفاق "صورة عجل يأكل العشب" – [والله] الذي افتقدهم من جهة موسى في شدائدهم جحدوه، ....

وأنا على ما أظن -من خلال الذاكرة فقط، وليس من خلال مراجعة دقيقة لما نُشِر في مصر حتى ١٩٩٠- أننا نفتقد إلى دراسة عربية جيدة عن العبادة الكنعانية القديمة.

الملاحظة الثانية، وهي ملاحظة في منتهى الأهمية، وهي **أن الذبائح في الديانات الوثنية**، التي تناولتها الكثير من الأبحاث، **لم تكن تُقدَّم لإرضاء الله، بل لحجب الغضب الإلهي عن الإنسان**؛ الله يغضب فيُسترضى بالذبائح.

لكن في سفر اللاويين، وعلى القارئ أن يراجع نص هذا السفر، فسيجد أنه **يخلو من أي حديث عن تقديم ذبيحة لكي تصرف الغضب الإلهي، بل وحتى كلمة "غضب" غير موجودة في كل ما كُتب عن الذبائح في سفر اللاويين**، وللتحقق من هذا الأمر ما عليك إلَّا أن تراجع هذا السفر.

كذلك لا وجود للمبدأ الذي وضعه الأخوة البلاميس والإنجيليين في عقل الأقباط، والذي اقتطعوه عسفًا من سياقه في الرسالة إلى العبرانيين: "بدون سفك دم لا تحدث مغفرة". وفي الحقيقة، تُعد هذه الملاحظة مهمة جدًا، لأن الرسالة إلى العبرانيين لا تقول هذا على الإطلاق، بل تقول: "وَكُلُّ شَيْءٍ **تَقْرِيبًا** يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عب ٩: ٢٢). وهنا كلمة "تقريبًا" على قدر كبير من الأهمية، لأن سفر اللاويين ص ٢ يتكلم

بند ٦٧- فغضب الله لأنهم لم يشكروه على ما صنعه لهم. فربطهم برباطات لا تتحل، وكتافات صعبة لا يفرغون منها. ولم يقل لهم: "إذا صنعتم"، بل "اصنعوا لي مذبحًا و[اذبحوا] كل حين".

بند ٦٨- و[قال]: أنت غير شاكر وتنسى – [فقدم] لي القرابين دائمًا لكي تذكرني، (و) لأجل أنك استعملت سلطانك رديًا أنا أُضيق عليك بالجملة [فتبتعد] من [بعض أنواع] الأطعمة و[أشرع] لك [تقسيم] الحيوانات الطاهرة والأُخر النجسة – [مع أن] كل حيوان طاهر لأني خلقته من جهتي. وآمر بالغسل للتطهير، والغطس الدائم والنضح والتطهير والبطالات المختلفة. – فإذا لم تُطِع [كل] واحدة من هذه أجِدُ لك عقوبةً إذ أنت عبد غير طائع، لكي [تقمع] و[تخنق] بساجورة الوصايا لتبعد من ضلالة الآلهة الكثيرة".

بند ٧٠- فلأجل قساوة قلوبهم ربطهم بهذا، بالذبيحة والامتناع والتطهير [حتى] بحفظ هذه (الفرائض) هكذا (يدومون) [في ذكر] الله الذي أعطاهم هذه (الوصايا). راجع ذات النص في الطبعة الثانية الصادرة عن دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٨٩، ص ٧٢١ – ٧٢٧.[المحرر]

عن أنه يمكن للإنسان أن يقدم تقدمة قربان "فتكون مِنْ دَقِيق. وَيَسْكُبُ عَلَيْهَا زَيْتًا، وَيَجْعَلُ عَلَيْهَا لُبَانًا. وَيَأْتِي بِهَا إِلَى بَنِي هَارُونَ الْكَهَنَةِ، وَيَقْبِضُ مِنْهَا مِلْءَ قَبْضَتِهِ مِنْ دَقِيقِهَا وَزَيْتِهَا مَعَ كُلِّ لُبَانِهَا، وَيُوقِدُ الْكَاهِنُ تَذْكَارَهَا عَلَى الْمَذْبَحِ، وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَالْبَاقِي مِنَ التَّقْدِمَةِ هُوَ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ، قُدْسُ أَقْدَاسٍ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ. "وَإِذَا قَرَّبْتَ قُرْبَانَ تَقْدِمَةٍ مَخْبُوزَةٍ فِي تَنُّورٍ، تَكُونُ أَقْرَاصًا مِنْ دَقِيق، فَطِيرًا مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، وَرِقَاقًا فَطِيرًا مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ. وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُكَ تَقْدِمَةً عَلَى الصَّاجِ، تَكُونُ مِنْ دَقِيق مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، فَطِيرًا. تَفُتُّهَا فُتَاتًا وَتَسْكُبُ عَلَيْهَا زَيْتًا. إِنَّهَا تَقْدِمَةٌ. "وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُكَ تَقْدِمَةً مِنْ طَاجِنٍ، فَمِنْ دَقِيق بِزَيْتٍ تَعْمَلُهُ. فَتَأْتِي بِالتَّقْدِمَةِ الَّتِي تُصْطَنَعُ مِنْ هذِهِ إِلَى الرَّبِّ وَتُقَدِّمُهَا إِلَى الْكَاهِنِ، فَيَدْنُو بِهَا إِلَى الْمَذْبَحِ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمَةِ تَذْكَارَهَا وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَالْبَاقِي مِنَ التَّقْدِمَةِ هُوَ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ، قُدْسُ أَقْدَاسٍ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ. "كُلُّ التَّقْدِمَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ لاَ تُصْطَنَعُ خَمِيرًا، لأَنَّ كُلَّ خَمِيرٍ، وَكُلَّ عَسَل لاَ تُوقِدُوا مِنْهُمَا وَقُودًا لِلرَّبِّ. قُرْبَانَ أَوَائِلَ تُقَرِّبُونَهُمَا لِلرَّبِّ. لكِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَصْعَدَانِ لِرَائِحَةِ سَرُورٍ. وَكُلُّ قُرْبَانٍ مِنْ تَقَادِمِكَ بِالْمِلْحِ تُمَلِّحُهُ، وَلاَ تُخْلِ تَقْدِمَتَكَ مِنْ مِلْحِ عَهْدِ إِلهِكَ. عَلَى جَمِيعِ قَرَابِينِكَ تُقَرِّبُ مِلْحًا. "وَإِنْ قَرَّبْتَ تَقْدِمَةَ بَاكُورَاتٍ لِلرَّبِّ، فَفَرِيكًا مَشْوِيًّا بِالنَّارِ. جَرِيشًا سَوِيقًا تُقَرِّبُ تَقْدِمَةَ بَاكُورَاتِكَ. وَتَجْعَلُ عَلَيْهَا زَيْتًا وَتَضَعُ عَلَيْهَا لُبَانًا. إِنَّهَا تَقْدِمَةٌ. فَيُوقِدُ الْكَاهِنُ تَذْكَارَهَا مِنْ جَرِيشِهَا وَزَيْتِهَا مَعَ جَمِيعِ لُبَانِهَا وَقُودًا لِلرَّبِّ" (لا ٢). إذن، فالأصحاح الثاني من سفر اللاويين مخصص بالكامل للتقدمات غير الدموية.

ما هي دلالة تقديم الدم في العهد القديم؟

الدم في سفر اللاويين -وكل ما أطلبه من القارئ هنا أن يراجع ما أقوله على الكتاب المقدس- هو قوة الحياة الموجودة في الإنسان، والموجودة في الحيوان أيضًا، وعلى ذلك، **فالدم هو تقدمة حياة لا تقدمة موت. ولذلك، الذبحُ**

غير القتل. الذبحُ تقديمٌ، أما القتل فهو عمل إجرامي أو خطية. لذلك، عندما نتكلم عن الدم، إنما نتكلم عن الحياة، الحياة التي تجد مظهرها الحقيقي في السائل اللزج الموجود في الدورة الدموية، والذي نسميه الدم. فالدم هنا هو تقدمة لله، وهي تقدمة حياة وليست تقدمة موت، لأن الموت نجاسة في العهد القديم، ومَن يمس كائنًا ميتًا، حتى ولو كان معدًا للدفن، يكون نجسًا إلى المساء، ويجب أن يتطهر بالغسل بالماء. وبالطبع من غير المتصوَّر أن يقدم إنسان العهد القديم ما يُعد نجاسةً لله!

فإذن، الخطايا التي يرتكبها الإنسان، يُقدم عنها ذبيحةً، ويجب أن نلاحظ أنه يوجد فعلٌ مهم جدًا في اللاويين هو فعل "يكفِّر"، وهذا الفعل هو أيضًا من الأفعال التي فُهمت خطأً في كل الكتابات العربية المسيحية، وذلك تأثرًا بالكتابات البروتستانتية، لماذا؟ **لأن التكفير عن الخطية هو تطهيرٌ وليس تقديمًا لعِوَض، بمعنى أن الحيوان الذي يُذبح لا يُذبح عِوضًا عن الإنسان**، فهذا الكلام لم يرد في العهد القديم، ولكن أشاعه الفكر الإنجيلي المتطرف، وانتقل منه -بكل أسف- بشكلٍ وافر إلى الكتب المسيحية الأرثوذكسية، بالرغم من أنه ضد كل ما هو موجود في العهد القديم نفسه، وعلى وجه التحديد التعبير الدقيق الذي يُقال في سفر اللاويين نفسه. وإذا كان التكفير عن الخطية هو تطهير، فلأن الخطية هي نجاسة، والنجاسة تُطهَّر بتقدمة الحياة، بالذبيحة. فالكاهن يأخذ الذبيحة ويقدمها لكي يتطهَّر الإنسان. وهذا هو كلام الكتاب المقدس، لكيلا يدَّعي أحد أنني أقول كلامًا من عندياتي.

ففي الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين يقول الرسول: "بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي" (عب ١: ٣). فالمسيح هو رئيس الكهنة الذي قدَّم الذبيحة وصنع تطهيرًا، **وهنا نلاحظ أنه لا وجود لفكرة تقديم شيء لإرضاء الله، أو لصرف الغضب الإلهي، أو**

لتحول غضب الله والعقوبة من الإنسان إلى الحيوان، هذا لا وجود له على وجه الإطلاق، لا في الرسالة إلى العبرانيين ولا في اللاويين ولا في التثنية، أي تثنية الاشتراع التي أُعيدت فيها شريعة الذبائح، وإنما مَن يقولون هذا الكلام، هم الأخوة البلاميس، والحَكَمُ فيما بيننا هو كلام الكتاب المقدس فقط، لأنني لست في حوار معهم على أساس تفسيرٍ ما، بل على أساس الكلمات الموجودة في الكتاب المقدس، والتي لا يعيرونها أي اهتمام، فإذا لم يكن ما يقولونه موجودًا في الكتاب المقدس، فأنا متأسف جدًا لا أريد أن أسمع كلامهم، لماذا؟ لأن الذبيحة طبقًا لنص الكتاب المقدس هي للتطهير، والتطهير هو التكفير وذلك بنص اللاويين ١٤ على ذبيحة الأثم: "ثُمَّ يَعْمَلُ الْكَاهِنُ ذَبِيحَةَ الْخَطِيَّةِ وَيُكَفِّرُ عَنِ الْمُتَطَهِّرِ مِنْ نَجَاسَتِهِ. ثُمَّ يَذْبَحُ الْمُحْرَقَةَ. وَيُصْعِدُ الْكَاهِنُ الْمُحْرَقَةَ وَالتَّقْدِمَةَ عَلَى الْمَذْبَحِ وَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ فَيَطْهُرُ" (لا ١٤: ١٩ - ٢٠). ويتكرر ذات الكلام في ذات الاصحاح في عدد ٣٠، وبالتالي لا مجال لتفاسير افتراضية لا تستند على نصوص واضحة.

وفي يوم الكفارة العظيم يقول لا ١٦ "وَمَتَى فَرَغَ مِنَ التَّكْفِيرِ عَنِ الْقُدْسِ وَعَنْ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَعَنِ الْمَذْبَحِ، يُقَدِّمُ التَّيْسَ الْحَيَّ (تيس عزازيل)"، ولذلك في ذات الأصحاح يقول: "لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفَّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ. سَبْتُ عُطْلَةٍ هُوَ لَكُمْ ... " (لا ١٦: ٢٠ - ٣١). وهو ما يظهر منه أن هذه الإضافات أو التفاسير جاءت من العصر الوسيط الأوربي.

انتقال الخطية من الخاطئ إلى الذبيحة، هل هو ممكن؟

النقطة المهمة جدًا في الكلام عن الذبائح، هي تفسير الشيع البروتستانتية لوضع اليد على الذبيحة، والقول بأنه يعني أن الخطية تنتقل من الخاطئ إلى الذبيحة، وهو تفسير لا يستند إلى أي نص في العهد القديم، بل وهو غير موجود في تفاسير علماء اليهودية من اليهود أنفسهم، وبالتالي فهو بمثابة

افتئات على النص وعلى علماء اليهودية أيضًا. كما أن هذا التفسير غير موجود أيضًا في جميع كتابات آباء الكنيسة قاطبةً، ومَن يدعي عكس ذلك، عليه أن يقدم الدليل على ادعائه. وعظات العلامة أوريجينوس على سفر اللاويين موجودة وهي تشهد لما نقول به.

لكن ما يتوجب أن نشير إليه، هو أن هذا التفسير يستند إلى مبدأ خطير جدًا يعود إلى الغنوسية والهرطقة المانوية التي تعتمد مبدأ انتقال الخطية، وهو ما يدعونا للتساؤل: كيف للخطية وهي عمل غير مادي، بل أدبي أخلاقي فكري روحي موجود في قلب وضمير الإنسان أن تنتقل بوضع اليد على رأس حيوان؟ نحن هنا أمام أحد أمرين؛ إما أن يكون أصحاب هذا التفسير على خطأ، وإمَّا أن يكون هذا التفسير نوعًا من الشعوذة، ذلك أن الكتاب المقدس يخلو من هذا الكلام أصلًا، فكيف نتصور أن هناك شخصًا ارتكب جريمة قتل وامتلأ قلبه من الغل والغضب والحقد، أو زنى، أو كذب، أي ارتكب خطيئةً من الخطايا المنهى عنها في الوصايا، أو كَسَرَ يوم السبت، وهي من الخطايا الكبيرة، ثم قدَّم ذبيحةً، فكيف ينتقل العصيان وكسر الوصية وانحراف الضمير من القلب إلى اليد إلى رأس الحيوان، بل وفي بعض الأحيان إلى رئيس الكهنة الذي يضع يده على ذبيحة يوم الكفارة العظيم، ومنه إلى الذبيحة؟!!

في لا ١٦ "وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ، وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ، فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ" (لا ١٦: ٢١). **لا شك إن ما يحدث هنا هو عملية طقسية رمزية، حيث يضع الخطايا بشكل رمزي،** ويجب أن ننتبه إلى أنه يُطلِق التيس إلى البرية، وهو ما يعني أن هذه الخطايا قد رُفعت من العلاقة بين الإنسان والله، وهذا هو الأمر المهم، فيتطهر الإنسان ويصبح الإنسان في علاقة سلام مع الله.

ويجب أن ننتبه إلى ما جاء في سفر اللاويين من واقع المفردات التي وردت فيه، حتى المفردات العربية، فهناك فرقٌ كبيرٌ في اللغة العربية بين كلمة "ينقل"، وبين كلمة "يحمل"، ففي الأصحاح ١٦ يقول: "وَمَتَى فَرَغَ مِنَ التَّكْفِيرِ عَنِ الْقُدْسِ وَعَنْ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَعَنِ الْمَذْبَحِ، يُقَدِّمُ التَّيْسَ الْحَيَّ. وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ، وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، **لِيَحْمِلَ** التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ، فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ" (لا ١٦: ٢٠ - ٢٢). هنا يحمل التيس كل ذنوب بني إسرائيل إلى أرضٍ مقفرة، ليس لأن الذنوب تنتقل من بني إسرائيل إلى التيس، بل القراءة الدقيقة للنص تقول -لو كان هناك انتقال للذنب- **إن الذنب ينتقل من الشعب إلى رئيس الكهنة، وليس للتيس مباشرةً، لأن الوسيط هنا هو رئيس الكهنة**. وأنا أذكر أنه قد صدرت سلسلة تحت اسم Anchor Bible، أي المرساة، تضمنت ثلاثة مجلدات لشرح سفر اللاويين لأكبر عالم يهودي في القرن العشرين يدعى جاكوب مليجروم، وكان أستاذًا بجامعة بيركلي، لا قبله ولا بعده في مجاله، وقد ردَّ فيها على كل التفاسير المسيحية السائدة في الأوساط البروتستانتية والتي تقول بانتقال الخطية إلى الذبيحة، تلك التفاسير التي انتقلت إلينا في الكنيسة القبطية، وهي تفاسير تعود إلى العصر الوسيط الأوربي وغير موجودة في كتابات آباء الكنيسة، ولا في أول تفسير لسفر اللاويين وهو عظات العلامة أوريجينوس.

إذن، يحمل التيس الخطية، لأن الخطية بكونها نجاسة تُنقل إلى خارج المحلة وكلمة "خطية" هي defilement وتعنى وَسَخ أو قذارة أو نجاسة، والتعبير العربي عن الخطية بكونها نجاسة تعبير جيد جدًا، فالنجاسة هنا تطهُر وقد سبق لنا أن قلنا إن التكفير هو تطهير، بدليل أن الكاهن يكفِّر عن المذبح، **لماذا تكفر عن المذبح؟** هل أخطأ المذبح لكي تكفِّر عنه؟ هل

يمكن تصور أن شيئًا مصنوعًا من الحجر أو الخشب أو القماش أو المعادن، يمكن أن يخطئ؟ طبعًا لا، ولكنه **يُطهَّر طالما ذُكرت فيه الخطية، وحدث فيه طقسٌ من طقوس التطهير، لذلك يجب أن يُطهَّر ذات المكان**. وبالتالي تطهير المذبح وتطهير خيمة الاجتماع وتطهير الشعب، ليس إلَّا طقس تطهير لا أكثر ولا أقل. وهنا ألفت النظر إلى أن كلمة "تطهير"، و"طهارة" وردت على الأقل -بحسب ما أحصيته أنا- في النص القبطي والعربي في القداس الباسيلي ١٥ مرة. "طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا"، يعني كفارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، أو تطهيرًا لأنفسنا وأجسادنا وأروحنا.

ماذا يعني وضع اليد على الذبيحة؟

الكفارة إذن، هي تطهير بحسب سفر اللاويين نفسه، ذلك لأنك لا تستطيع أن تنقل -بوضع اليد- شيئًا ما في الضمير أو في الوجدان أو في القلب، فإذا كان هذا هو معنى الكفارة، فماذا يعني وضع اليد؟ وضع اليد في التفاسير اليهودية الموجودة تحت أيدينا، أي المتاحة، **يعني أن المقرِّب يضع يده على الذبيحة لكي يؤكِّد أنها هي ذبيحته هو، وأنه يملكها، وأنه يؤكد فعل التقديم، وليس لأن الخطية تنتقل من الكاهن أو من الخاطئ إلى الذبيحة**، وأيُّ تفسيرٍ آخر يتطلب أن يكون هناك نصٌّ صريحٌ من اللاويين، فإذا لم يكن هناك نصٌّ صريح يقول بانتقال الخطية الذبيحة، عندئذٍ يكون الأمر هنا بمثابة فرق في التفسير، وطالما كان هناك فرقٌ في التفسير، فقد وجب الرجوع إلى المصادر القديمة، وهي أولًا كتابات آباء الكنيسة، وما يسبقها من تفاسير علماء الشريعة اليهودية من اليهود، أمَّا ما جاء من العصر الوسيط، وبالذات العصر الوسيط الأوروبي، دون استناد إلى نصٍّ في الكتاب المقدس، فهو موضوعٌ لا يخصنا لسبب بسيط، لأنه أولًا خطأٌ تاريخيٌّ، وثانيًا خطأٌ عقائديٌّ.

علاقة الطقوس بـ"ضمير الخطية"

ومن الملاحَظ أنه بالرغم من أن المعمودية والدهن بالميرون والتناول وممارسة سر التوبة والاعتراف، يظل الصراع مع جذر الخطية الموجود في قلب الإنسان مشتعلًا، لأن "ضمير الخطية" الذي يتكلم عنه الرسول في العبرانيين على الأقل ٦ مرات، هو هذا الانقسام الموجود في الإدراك وفي المعرفة والتصور الناتج عن الطقوس نفسها، **فالطقوس -بسبب عجز الإدراك- تُعلِّم الإنسان الازدواجية في النظرة، والازدواجية في الحياة.** وأُوضِّح ذلك بدليلٍ لا يقبل الدحض؛ يا أخي العزيز، ماذا كانت مشكلة الكاهن واللاوي اللذين عندما رأيا الإنسان الجريح عند أريحا امتنعا عن مساعدته؟ لقد مرَّ عليه كليهما دون أن يتفقداه، ليس لأنهما قساة القلب، أبدًا، بل لأنهما لو لمسا هذا الإنسان الجريح، وتلوثت أيديهما بالدم، فسيصبحان نجسين، وبالتالي يتوجب عليهما تنفيذ شريعة التطهير المنصوص عليها في اللاويين، وهنا لنا أن نتخيل ماذا يصنع ضمير الخطية في الإنسان، فبينما هو يساعد إنسانًا مجروحًا مضروبًا من اللصوص ويصنع معه معروفًا، تتسبب هذه المساعدة في أن يكون نجسًا! هذا هو ضمير الخطية، فبينما تريد أن تصنع الخير، تمتنع حرصًا على الطهارة الجسدية! ولكن عندما يمر السامري الذي لا تهمه الشريعة ولا الناموس، يغسل للجريح جروحه، ويضع عليها زيتًا، ويأخذه إلى الفندق ويدفع أجرته.

طبعًا، هذا المثل عندما سمعه اليهود من الرب يسوع، أنا أتصوَّر أن الغيظ الذي ملأ قلوب السامعين الذين كانوا يسمعون المسيح له المجد، قد وصل إلى أقصى حدوده، طبعًا، امتلأوا غيظًا وغضبًا، لأنه بذلك كان يكسر الممارسات الطقسية الموجودة في اليهودية، والتي نسميها "الحلقة" في العبرانية. لك أن تتصور أن جريحًا يحتاج إلى المساعدة، وأنت كاهن أو لاوي، لكنك لا تستطيع أن تمد يدك عليه، لأن الشريعة مطلوبة من الكاهن واللاوي، فالمسيح له

المجد ضرب هذا المثل لمن أراد أن يبرر نفسه وسأله عمن يكون قريبه؟ فأجاب ذاك وقال له: الذي صنع معه المعروف، فقال له الرب: أفعل هكذا وأحيا، أي عِش هكذا do likewise and live ، هذا يا اخوتي هو ضمير الخطية.

وإذا افترضنا جدلًا أن الخطية كانت تنتقل في العهد القديم إلى الذبيحة، ففي العهد الجديد لمن تنتقل خطيئتك؟ الخطية لا تنتقل، لأن الخطية لا يمكن نقلها، وحتى عندما نقول عن الرب يسوع له المجد إنه حمل خطايانا في جسده على الخشبة، فذلك يعني أنه يُطهِّرنا من كل خطية بروحه القدوس، وأنه أخذ على عاتقه أن يُبيد موتنا في جسده، ويرفع أي يزيل الخطية والموت من علاقتنا مع الله، وهو ما تتغنى به صلاة الصلح الثانية في القداس الغريغوري، وهي قطعة في غاية الجمال، عندما تقول: "**لأنك أنت القادر أن ترفع كل الخطايا وتنقل الظلم والآثام التي للناس الأشقياء، إذ أنت طُهر العالم كله**"، فالكلام عن رفع الخطايا ونقل الظلم والآثام هنا ليس لأن هذه الخطايا وهذا الظلم أمورٌ مادية يمكن رفعها أو نقلها، وإنما لأن ذلك محمولٌ على أن الرب يسوع هو "طُهر العالم كله"، فالتطهير هنا يعني رفع ونقل وإزالة الخطايا والآثام من العلاقة مع الله فلا تعود تعيق هذه العلاقة، بل يصل بها إلى المصالحة والشركة.

ولا يمكن أن يعني الكلام عن أن المسيح حمل خطايانا أو أنه رفع الخطايا أو نقل الظلم، أن أحدًا ما وضع يده على المسيح واعترف بخطايا البشر تطبيقًا لطقس العهد القديم. لأنه عندما صُلِب الرب يسوع يوم الجمعة الكبيرة، من ذا الذي اعترف بخطايا العالم على ذبيحة الصليب؟ لا أحد، لا الآب اعترف، ولا الروح القدس اعترف، ولا اليهود اعترفوا، ولا الرومان اعترفوا، ولا أحدًا اعترف، بل بالعكس كانوا يجدفون عليه، وحتى التلاميذ هربوا، ولم يكن هناك سوى يوحنا الحبيب والمريمات، أمَّا الباقون فقد هربوا وخافوا، وبطرس أنكره. إذن،

لم يكن هناك اعترافٌ بخطيةٍ ما، لكن الصليب ضرب جذر الخطية، الخطية المتحصنة في الموت، بأن خلع محبة الذات من الإنسان التي تجعله يخطئ، وخلع الرغبة في الخلود التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب أفظع الخطايا من أجل الحصول عليه، فجاء الصليب وخلع منه هذه الرغبة وأعطاه عربون القيامة، وأعطاه الرب يسوع خبز الحياة؛ الإفخارستيا جسده ودمه. إذن، فليس هناك من قوة تستطيع أن تنقل الخطية من الوجدان والعقل والإرادة خارج الإنسان وتوضَع على حيوان أو على أي شيء آخر.

أما في المسيح يسوع له المجد، في العهد الجديد، فالذي يطهِّر الإنسان الخاطئ هو الروح القدس الذي يسكن في القلب لكي يقدِّسه، ويرفع عنه عنف محبة الخطية، ويحوِّل القلب إلى محبة المسيح. وعلى ذلك، **فالتطهير في القداسات لا ينطبق عليه المعنى الموجود في العهد القديم، وإنما هو يعنى التقديس، أي شركة الإنسان في قداسة الروح القدس.**

التقديس والتطهير بين العهد القديم والجديد

ولكي نوضح هذا الأمر، نعرض لنقطة مهمة جدًا خاصة بذبيحة الخطية، ففي لا ٦: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: "كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ قَائِلًا: هذهِ شَرِيعَةُ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةُ، تُذْبَحُ ذَبِيحَةُ الْخَطِيَّةِ أَمَامَ الرَّبِّ. **إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ**.(قدوش قادوشاه، أي مقدسة جدًا) الْكَاهِنُ الَّذِي يَعْمَلُهَا لِلْخَطِيَّةِ يَأْكُلُهَا. فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ تُؤْكَلُ فِي دَارِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. كُلُّ مَنْ مَسَّ لَحْمَهَا يَتَقَدَّسُ. وَإِذَا انْتَثَرَ مِنْ دَمِهَا عَلَى ثَوْبٍ تَغْسِلُ مَا انْتَثَرَ عَلَيْهِ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ. وَأَمَّا إِنَاءُ الْخَزَفِ الَّذِي تُطْبَخُ فِيهِ فَيُكْسَرُ. وَإِنْ طُبِخَتْ فِي إِنَاءِ نُحَاسٍ، يُجْلَى وَيُشْطَفُ بِمَاءٍ. كُلُّ ذَكَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ يَأْكُلُ مِنْهَا. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ. وَكُلُّ ذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ يُدْخَلُ مِنْ دَمِهَا إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِلتَّكْفِيرِ فِي الْقُدْسِ، لاَ تُؤْكَلُ. تُحْرَقُ بِنَارٍ" (لا ٦: ٢٤ - ٣٠).

وهنا يجب أن ننتبه إلى أنه **إذا كانت الخطية تنتقل إلى الحيوان، فلا يمكن أن تكون ذبيحة الخطية قدس أقداس، لأن الخطية نجاسة.** وهناك بحثٌ عن التقديس عند القديس كيرلس نُشِر في مجلة الدراسات الخاصة بجامعة كمبريدج، ملخص هذا البحث مبني على شرح مؤلفات القديس كيرلس الكبير في إنجيل يوحنا وفي أسفار العهد القديم، حيث يقول القديس كيرلس إن التقديس هو تخصيص، لأن كل بكر فاتح رحم يُدعى قدوسًا للرب، لأنه مخصص لخدمة الله. كما أن مكان العبادة هو قدس، لأنه مخصص لخدمة الله. والصوم في يوئيل: "قدسوا صومًا نادوا باعتكاف"، أي أن هناك وقتًا خُصِّص لله.

أمَّا في العهد الجديد، فقد نُقل التقديس من التخصيص إلى ما هو أهم، وهو الشركة في قداسة الله، وهو الموضوع الذي لا يُعجِب بعض القيادات في هذا الجيل. نحن نشترك في قداسة الله، وعندما أقول هذا، فأنا لا أُقدم شيئًا من فكري الخاص، ولكن ليتكلم الكتاب المقدس وليسكت كل فم، فماذا يقول الكتاب المقدس؟ يقول الرسول بولس في العبرانيين بمناسبة كلامه عن التأديب: "وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ. ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟ لأَنَّ أُولئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هذَا (أي الله الآب السماوي) فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، **لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ**" (عب ١٢: ٨ - ١٠).

وفي عب ١٠: عندما يتكلم عن موت الرب يسوع على الصليب الموت المحيي يقول: "فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ (أي بمشيئة تقديم المسيح ذاته على الصليب) نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً" (عب ١٠: ١٠). **وتقديم يسوع جسده هو الفعل الإلهي الدائم الذي لا ينتهي، لأنه موجودٌ في الإرادة، وهذه الإرادة هي إرادة أزلية،** وهو "مرة واحدة" لسبب بسيط،

وهو أن الزمان متغيِّر أَّما الإرادة فغير متغيِّرة، فـ"يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد"، ولذلك يتكلم القديس بطرس في رسالته الأولى ١: ٢٠ عن دم يسوع المسيح المعروف سابقًا قبل تأسيس العالم، أي أنه معروفٌ في الإرادة في التدبير الإلهي السابق على خلق الكون.

الرسالة إلى العبرانيين بكونها مصدر التعليم المسيحي عن الذبائح

إن موضوع الذبائح يا أحبائي في حقيقة الأمر هو موضوعٌ لا يؤخَذ من العهد القديم وحده، لسبب بسيط، وهو أننا لسنا يهودًا، ولكن التعليم المسيحي عن الذبائح يُؤخذ من الرسالة إلى العبرانيين. فليس لدينا في العهد الجديد تعليم كامل ووافٍ عن الذبائح إلَّا في هذه الرسالة، وعلى ما أظن أنه ليس لدينا تفسير عربي ممتاز عن الرسالة إلى العبرانيين، إلَّا تفسير جناب القمص متى المسكين، وأقول للقارئ ارجع اقرأ كتاب أبونا متى المسكين وتعلَّم.

يبدأ الرسول الكلام عن الذبائح ابتداءً من الأصحاح السابع، وإلى العاشر. في هذه الفصول يضع الرسول العلامات الرسولية الأساسية التي تميِّز المسيحية عن الديانة اليهودية. وهو، لكي يتكلم عن ذبيحة المسيح، يتكلم عن الكاهن أولًا، لماذا؟ لأن الكاهن والذبيحة لا يمكن فصلهما، فعندما يتكلم عن موضوع الكهنوت لا يعود إلى كهنوت هارون، وهنا أنا استغرب، بل وفي غاية الدهشة من الذين يلجأون إلى كهنوت العهد القديم للكلام عن ذبيحة المسيح وتفسيرها على أساس ما جاء في العهد القديم، ذلك أنه إذا كان الكهنوت الهاروني والكهنوت اللاوي قد أُبطل من كنيسة المسيح، إذن فقد أُبطل معه كل النظام الهاروني واللاوي الخاص بالذبائح، وهو ما شرحه الرسول بولس بالتفصيل في عب ٧: ١٢ حيث يقول: "لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا. لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هذَا كَانَ شَرِيكًا فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ (واضح هنا أنه يتكلم عن ملكي صادق وكهنوت المسيح).

فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ. وَذلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحًا أَيْضًا إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ، قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ (اليهودية في شكلها الدقيق)، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ: "كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ". فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا" (عب ٧: ١٢ - ١٨). وعدد ١٨ هذا يُعد قطعة ديناميت تنسف كل الفكر الإنجيلي البلموسي الذي دخل إلى الكنيسة القبطية، ويقطع دابر كل ما يُقال عن تطبيق كلام اللاويين على المسيح.

يقول الرسول: "فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ" (عب ٧: ١٨ - ١٩)، لماذا؟ لأن يسوع صار ضامنًا لعهدٍ أفضل، لأن كل رؤساء الكهنة ماتوا، ولم يدعهم الموت يستمرون في خدمتهم، أما هو فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول، لماذا يقول القديس بولس هذا الكلام؟ **لأن الكاهن هنا، أي في العهد الجديد هو الذبيحة، أما في العهد القديم، لم يكن الكاهن هو الذبيحة، بل كان يوجد كاهن وذبيحة وخاطئ، لكن في العهد الجديد ليس لدينا كاهن وذبيحة، بل الكاهن هو الذبيحة،** ولذلك "لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلًا عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ (لأنه بلا خطية) ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ (ذاته). فَإِنَّ النَّامُوسَ يُقِيمُ أُنَاسًا بِهِمْ ضَعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ (أي بهم ضعف الموت). وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتُقِيمُ ابْنًا مُكَمَّلًا إِلَى الأَبَدِ" (عب ٧: ٢٧ - ٢٨). وتعبير "كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ" جاءت في مزمور ١١٠: "أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: "أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ"، وهو مزمور جميل جدًا، وقد رجعت لكافة التفاسير اليهودية عن المزمور ١١٠، فاكتشفت أن في "المدراش رابا"، أي التفاسير التي كتبها

الرابيون، أن هناك تفاسير لجميع المزامير ما عدا هذا المزمور، حتى أن آخر واحد فسَّر المزامير وهو راباي من العراق من القرن الـ ١٥ اسمه راباي مسعود، نشر التفسير الخاص به في أربع مجلدات عبراني، وتعجبت لأنني وجدته قد ترك المزمور ١١٠ ولم يكتب له تفسيرًا! المزمور ١١٠ مزمور محير عند علماء اليهود، وتجد هذه الحيرة حتى في الحوار بين اليهودي تريفو وبين الشهيد يوستينوس في سنة ١٥٠م، فلا تفسير له هناك أيضًا، وما ذلك إلَّا لأن الرب أقسم بعد أن جاء الناموس، وهنا يجب أن ننتبه إلى نقطة مهمة، وهي **أن القسم بعد الناموس معناها أن الناموس مرحلة مؤقتة لا تقبل البقاء الأبدي**، وهذا أمرٌ لا يُسلِّم به يهودي.

ولذلك "وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلاَمِ (أي بداية الكلام) فَهُوَ: أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ (أي السماء) ... فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى الأَرْضِ لَمَا كَانَ كَاهِنًا، إِذْ يُوجَدُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ حَسَبَ النَّامُوسِ، ... وَلكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ" (عب ٨: ١ – ٦)، فإذا كان هذا هو العهد الأعظم، فلماذا نرجع إلى العهد الأقل، العهد الزائل، العهد الذي يسميه الرسول في كورنثوس الثانية **خدمة الموت**، لماذا نستعين بالكلمات الخاصة بالعهد الزائل ونفسر بها العهد الجديد؟

أنا لم أرَ نكبةً في الفكر القبطي أكثر من نكبةِ أن الظل يشرح النور، بينما الحقيقة هي أن النور هو السبب في وجود الظل. ولذلك يقول الرسول: "فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ. لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ (أي لبني إسرائيل) لاَئِمًا: "هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ.

لأَنَّ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِم (أي ليس على الحجارة التي كُتبت عليها الوصايا العشر)، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا ... فَإِذْ قَالَ "جَدِيدًا" عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ (شاخ وأصابه العَجَز)" (عب ٨: ٦ - ١٣).

وهنا أريد أن أتوقف عند نقطة مهمة جدًا خاصة بالحياة الروحية الأرثوذكسية، ولكي يكون كلامنا كلامًا متزنًا، يقول الرسول إن الذبائح في العهد القديم في عب ٩ "لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ، ... مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ (المستقبلة)، ... لَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، **يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ** لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!" (عب ٩ - ١٤)، وهنا يعرض الرسول لمعنى الكفارة ولمعنى التطهير، "وَكُلُّ شَيْءٍ **تَقْرِيبًا** يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عب ٩: ٢٢)، **فالمسيح قُدِّمَ مرةً لكي يحمل خطايا كثيرين، ليس بمعنى أن يضعها على نفسه، بل بمعنى أنه يحملها بعيدًا كما كان يحدث في العهد القديم بشكل رمزي في أن تيس عزازيل كان يحمل دنس ونجاسة بني إسرائيل إلى البرية ويبعدها من طريق العلاقة بين الله والإنسان.**

وهنا يجب أن ننتبه إلى الكلام المهم جدًا في ص ١٠ وعلينا أن نلاحظ أن التركيب اللغوي جميل ودقيق جدًا، حيث يقول الرسول: "لأَنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ لاَ نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ، لاَ يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ

سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ (أي أنه لا يستطيع أن يعطي علاقة قوية بين الله والإنسان، طالما أن الذبيحة تُعاد، وهو ما يعني أنها ناقصة، ولذلك تُعاد). وَإِلاَّ، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لاَ يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا" (عب ١٠: ١ - ٣).

وهنا يضع الرسول بولس تعبيرًا فنِّيًّا دقيقًا، وهو تعبير "ضمير خطايا"، الضمير هنا ليس بالمعنى الأدبي السائد في اللغة المعاصرة سواء كانت إنجليزية أو عربية، وإنما هو الإحساس Sense فالرسول يتكلم هنا عن عملية غريبة الشكل؛ أنت نجس وتدخل لكي تتطهر، فشعورك بالنجاسة يجعلك تسلك سلوكًا ثنائيًّا، سلوكًا مزدوجًا، يوجد أشياء نجسة وتوجد أشياء طاهرة، وبالتالي علي الإنسان أن يتجنب الأشياء النجسة لكي لا تتنجس الأشياء الطاهرة، وهو ما يظهر فيما وصلت إليه أحكام الشريعة من تشدد في زمن الرب يسوع المسيح، بحيث أصبح على أي يهودي يدخل أرض الأمم، وبالذات أرض كنعان، أن يخلع الصندل الذي ينتعله في رجليه عند عودته إلى أرض اليهودية، بل وأن ينفض الغبار الذي علق برجليه، ذلك لأن الأشوريين والكنعانيين بعد أن كانوا يدفنون الموتى في المقابر، كانوا يأخذون ما تبقى من رماد وبقايا جثث الحيوانات والإنسان ويضعونه كسماد للزراعة، وبالتالي عُدَّ الغبار الذي كان يعلق بالأرجل نتيجة للمشي على الأرض في عرف الشريعة بمثابة نجاسة، وبالتالي لا يجب على اليهودي أن يُدخِل نجاسة الأمم إلى أرض إسرائيل، ولذلك قال الرب يسوع للتلاميذ: "وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ" (مت ١٠: ١٤)، والمعنى هنا أن هؤلاء أصبحوا بالنسبة لكم مثلهم مثل الأمم، فطالما رفضوني ورفضوا تعليمي، فقد شاركوا الأمم في نجاستهم، وبالتالي عرِّفوهم أنكم ليس لكم شركة معنا.

إذن، فضمير الخطية هو الضمير المنقسم الذي يرزح تحت الإحساس بالنجاسة والطهارة، وهو مبني على الممارسات الخارجية، وهذا الكلام -للأسف الشديد- أصبح جزءًا من اليهودية القبطية السائدة في الحياة الكنسية المعاصرة، والتي تظهر في التعليمات الخاصة بعدم تناول المرأة الحائض أو بضرورة اتيان سلوك معين قبل التناول كالاستحمام للتطهير مثلًا، وأن هذا السلوك يضع الإنسان في حالة الاستحقاق، في حين أن النظافة شيء مهم للحفاظ على الصحة العامة، وهو أمر واجب طبيًّا، ولكن هذا السلوك ليس هو ما يقربك من الله، وهذا الأمر كان محل خلاف بيني وبين الأنبا شنودة، ولكن ما قلته ولا زلت أتمسك به هو أن هذا السلوك يُعد شكلًا من أشكال "ضمير الخطية"، لأن النجاسة ليست في الجسم أو في الملابس، بل هي في القلب، في الضمير من الداخل، فالحياة المنقسمة التي تجمع بين المقدس والنجس، هي "ضمير خطية"، فإذا كان المسيح "يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ"، فإن ذلك يعني أن التطهير الذي أتى به المسيح بالصليب وبالقيامة وبالروح القدس قد نقل المسألة برمتها من الممارسات الخارجية إلى القلب، فأصبح القلب يتطهر بعمل الروح القدس تطهيرًا دائمًا وليس بالممارسات خارجية التي لا يتحرر فيها الإنسان من الشعور والرؤية المزدوجة dualistic التي تجمع ما بين النجس والطاهر، ولذلك لا يصح تطبيق الكلام الخاص بالعهد القديم على العهد الجديد، وإلَّا تصبح عظام القديسين نجسةً، طبقًا لشريعة أن مَن لمس جثةً أو بقايا إنسان ميت هو نجس إلى المساء، في حين أن عظام القديسين ما تزال تحمل بركة الميرون طبعًا، وبالتالي يظهر التناقض في أوضح صوره.

ولذلك نقول إن أصحاح ١٠ في العبرانيين، هو الأداة التي خلعت موضوع الذبائح كلها من جذره، لماذا؟ "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا **(طبعًا هو يرفعها ويزيلها طقسيًا نعم، لكن مازال جذر الخطية في قلب**

الإنسان، ولذلك هو يقدم هذه الذبائح كل سنة، لماذا؟ لأن دم الحيوان ليس فيه قوة الحياة التي لا تزول، فلا يُقدس إلى التمام، لأنه يفتقد إلى العنصر الإلهي الخاص بالإله المتجسد) لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: "ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ (أي لم تطلب مني)، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ (أي أن الله غير راض عن هذه الأشياء). ثُمَّ قُلْتُ: هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ". إِذْ يَقُولُ آنِفًا: "إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا". الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ. ثُمَّ قَالَ: "هنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللهُ". يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ (وبالتالي لا يصح على الإطلاق محاولة شرح ذبيحة المسيح بتطبيق الشريعة الخاصة بذبائح العهد الأول عليها، لأن واقع العهد الثاني مختلف تمام الاختلاف). فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً ... وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ، (لأن الذبيحة دخلت السماء، والذبيحة هي الكاهن) لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عب ١٠: ٤ - ١٤).

وفي ذات الأصحاح يقول الرسول: "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى "الأَقْدَاسِ" بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ (وكان حجاب الهيكل قد شُق في ساعة موت الرب يسوع، لأنها كانت الساعة التي كان يُقدَّم فيها حمل الفصح، والحمل الحقيقي قُدِّم على الجلجثة في هذه الساعة، فدخل المسيح له المجد كَكَاهِنٍ عَظِيمٍ عَلَى بَيْتِ اللهِ، وهذا الحجاب، أي جسده هو الذي كشف لنا قدس الأقداس الحقيقية، أي المحبة الإلهية التي لا حدود لها).

ونحن في الإفخارستيا، نتمسك بوحدة الكاهن والذبيحة، ومن يشترك في القداس يجد تعبيرًا جميلًا جدًا في طقسنا القبطي: "مذبحك الناطق السمائي"،

وكلمة الناطق أو العاقل ⲛ̀ⲛⲉⲗⲗⲟⲅⲓⲙⲟⲛ هنا مشتقة من كلمة اللوغوس، **لأن مذبح الكنيسة** هذا سواء أكان من خشب أو من رخام أو من طوب أو أيًّا كان، هذا المذبح **هو العلامة الرمزية لإرادة الرب يسوع المسيح الأزلية، ونسميه كرسي أو عرش الثالوث**، والكلام الذي كُتب في العهد القديم عن المذبح لا ينطبق عليه بالمرة، وبالتالي لا يصح تطبيق العهد القديم على الرب يسوع.

دعونا يا أخوة نعيش في النور ونتحدث عن الذبائح بشكل كتابي آبائي طقسي سليم، من العهد الجديد ومن كتابات آباء الكنيسة حتى ينتهي اللغو الذي يملأ الكتب العربية، ولربنا يسوع المسيح المجد الدائم إلى الأبد آمين.

حاشية: اليهودية القبطية

إن تطبيق ما جاء في سفر اللاويين على ذبيحة المسيح كانت نتيجته الطبيعية هو ما قال به الأنبا شنودة الثالث في كتابه "٥ تأملات في أسبوع الآلام" ومن بعده مطران دمياط الراحل الأنبا بيشوي شرحًا للفداء الذي أتمه المسيح على الصليب[١] من أن الآب شوى الابن على الصليب، وأن النار اشتعلت في الابن، وأن الآب اشتم رائحة الشواء وتنسم هذه الرائحة بسرور ... إلخ. هل يمكن أن نتصور أن هذا الإله الذي رضي عن الإنسان بعد أن أخذ حقه من ابنه الوحيد، هو إله المسيحية، وهل يمكن لإنسان عاقل أن يعبد إلهًا كهذا؟ وهل يمكن أن تصدق أن الإله المنتقم من ابنه الوحيد يحبك بالفعل، أو أنه يغفر لك؟ لا أبدًا، لأنه لم يترك حقه، في حين أن الرسول يقول "إن المحبة

(١) راجع؛ الأنبا بيشوي مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس، العلاقة بين الأقانيم الثلاثة، محاضرة مسجلة على شريطي كاسيت، ألقاها في مؤتمر الحياة الكنسية ١٩٩٨، أسقفية الشباب. وقد قام الدكتور جورج بالرد على ما جاء بكتاب "تأملات في أسبوع الآلام، ٥ كتب" لأنبا شنودة الثالث، وما جاء بكتاب الأنبا بيشوي "عقيدة الفداء والكفارة"، وما جاء بهذه المحاضرة تفصيلًا في كتابه "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء"، راجع ص ٤٦ – ٥٢، ص ٣٩١ وما بعدها، الطبعة الأولى، القاهرة، مارس ٢٠٠٩ [المحرر]

لا تطلب ما لنفسها"، هنا أنت تكسر أهم ما في المحبة.

وليس ذلك فقط، ولكن تطبيق ما جاء في العهد القديم على حياتنا المسيحية أنشأ لدينا ما يمكن أن نسميه باليهودية القبطية، وأنا عشتُ في هذه اليهودية، وأقصد هنا التعليم الذي كان منتشرًا في زمني وأنا شاب. والشخص الذي أنقذني من هذه اليهودية هو قداسة البابا كيرلس السادس، وأنا أقصد اليهودية والفريسية التي كنا نتعلمها في اجتماعات الشباب وفي مدارس الأحد. هذه اليهودية القبطية تتميز بثلاثة ملامح مهمة جدًا؛ هي:

أولا: وضع الشريعة قبل الإنسان، بمعنى أن تكون الأولوية للقانون الذي يخترعونه عبر كل العصور بحيث يصبح سيفًا مسلطًا على رقاب عباد الله.

ثانيًا: التطهيرات الجسدية أهم من تطهير الروح القدس، وأهم من التقديس الذي نأخذه في المعمودية والميرون، وهو ما يظهر في عدم تناول المرأة الحائض، وفي ما يُطلب من الشخص من استحمام قبل التناول كنوع من التطهير الذي يشبه الوضوء الإسلامي، في حين أن ما يطهرني هو الله نفسه: "انضح عليَّ بزوفك فأطهُر تغسلني كثيرًا فأبيض أكثر من الثلج"، وهو ما لا يأتي من استحمام الإنسان بالمياه، ولكن من عمل الروح القدس(١).

وثالثًا: التمسك الحرفي بالطقوس، ولذلك نشأت نزاعات كثيرة على الطقوس لا تنتهي، وليس هناك داعي لفتح ملف الطقوس. فعندما يقول لك أحدهم يجب أن تصلي متجهًا ناحية الشرق، فهو طبعًا أمرٌ صحيح لأن الشرق له معنى روحي لاهوتي ممتاز جدًا، وهو يعيدك إلى يوم معموديتك التي جحدت فيها الشيطان ناحية الغرب، وأعلنت إيمانك والتصقت بالرب يسوع ناحية الشرق، وهذا هو التفسير الصحيح للاتجاه نحو الشرق في الصلاة، لكن لنفرض أنك

---

(١) راجع د. جورج حبيب بباوي، تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية من العصر الرسولي حتى العصر الحديث، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣. [المحرر]

كنت تركب سيارة ولم تكن متجهًا ناحية الشرق، ألا تستطيع أن تصلي؟ تلك هي اليهودية التي أبطلها قداسة البابا كيرلس، وأنا أذكر أنني في إحدى المرات كنت أخدم معه شماسًا، وكان معه أحد الآباء الكهنة، فقال له: يا ابني هل قلت سر الإنجيل؟، فقال له: قلت يا سيدنا، فقال له: كان وجهك للغرب أم للشرق، فقال له: للغرب، فقال له مبتسمًا: يبقى الملاك ماسمعكش، فقال له: يعني أعيد الصلاة يا سيدنا، فقال له: يا ابني موش كده، الله موجود في كل مكان يا ابني، أنا بس حبيت أديلك درس أنك وأنت بتصلي تصلي بقلبك. هذا مثال على التمسك الحرفي الذي يخنق الحياة الروحية في الإنسان.

وأذكر أن أحد الأشخاص قال لي إن المرأة التي أُمسكت في الزنا في يو ٨ عندما قال لها المسيح مغفورة لك خطاياك، لم تُغفَر خطاياها فورًا لأن المسيح لم يكن قد مات بعد على الصليب، فقلت له يا أخ إن هذا الكلام غير معروف في المسيحية الأرثوذكسية، فقال لي: إن هذا الكلام قاله قداسة البابا شنودة، فقلت له: إنني لم أسمعه منه ولم أقرأه، لكن إن كان قال هذا، فهذا الكلام خطأ، لأن هناك قاعدة لاهوتية آبائية رسولية كتابية أرثوذكسية مؤدَّاها أن الرب يسوع لا يأخذ قوةً من أي عملٍ يعمله، ولكن العمل هو الذي يأخذ قوته من شخصه هو، بما يعني أن المسيح عندما يغفر الخطايا فهو يغفرها بسلطانه الإلهي وليس بالموت على الصليب، فليس لأن المسيح مات على الصليب أصبح قادرًا على الغفران، وإلّا يعني هذا أن المسيح يأخذ سلطانه الإلهي من الموت على الصليب، وهو ما يعني أيضًا أنه قبل ذلك كان بلا سلطان، فهل عندما انتهر الرياح، وعندما أقام الموتى، هل كان المسيح بلا سلطان؟ وعندما قال للمفلوج مغفورة لك خطاياك هل كان المسيح بلا سلطان؟ هذا شيء غير معقول! أنا آخذ قوتي وشخصيتي من أعمالي التي أعملها لأني إنسان مخلوق، لكن الرب يسوع المسيح، هل يحتاج إلى عمل يعمله لكي يأخذ منه سلطان؟!!!! ففزع هذا الأخ من هذا الكلام، وتعلل بأنه لم يسمعه قبلًا، فقلت

له: لا عيبَ عندك، أنت معذورٌ، ولكن العيب يطالنا كلنا، وأنا لا ألوم قداسة البابا أو فلان أو علان، لكن أوجه اللوم للكل.

الفصل الثامن عشر

اللاهوت والتاريخ في العهد القديم[١]

الحديث في هذا اللقاء أيها الأخوة والأخوات عن اللاهوت والتاريخ في العهد القديم. أحب أن أقول في البداية إن العهد القديم لم يُدرَس بعناية وافرة في كليات اللاهوت في العالم العربي، لسببين؛ **الأول** هو انعدام التخصص، **والثاني** هو أننا نخشى البحث والتفكير بسبب تأثير البيئة والثقافة الإسلامية علينا.

الفرق بين الوحي والتنزيل

فعلى سبيل المثال لا الحصر، هناك فرقٌ كبيرٌ جدًا بين التنزيل، وهو مبدأٌ خاصٌّ بالقرآن وبالدين الإسلامي، وبين الوحي، وهو المبدأ الذي تقبله اليهودية والمسيحية. التنزيل حسب العقيدة الإسلامية يعني أن القرآن مكتوبٌ في ألواح موجودة محفوظة قبل خلق العالم بجانب العرش الإلهي. اللوح المحفوظ، هو الاسم الذي ورد في التفاسير وفي كتب المفسرين الكبار، بمعنى أن كل حرف وكل كلمة من كلمات القرآن يوجد لها أصل إلهي في السماء. وفي عهد الدولة العباسية ثار الجدل حول خلق القرآن أو أزليته بين السنة والمعتزلة وانتهى الأمر إلى لا شيء.

ويستخدم المسلمون تعبير "آية" لوصف النص القرآني، لأن كل سطر من سطور القرآن هو آية، لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها لما

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ١٦ أكتوبر ٢٠١٨.

استطاعوا. ولذلك نسمع في الإذاعة المصرية، وفي الإذاعات العربية كلها العبارة التي تبدأ بتقديم السور القرآنية: يتلو عليكم الشيخ فلان الفلاني ما تيسر من آيات الله البينات. وقد دخلت كلمة "آية" عندنا لوصف أي نص من نصوص الكتاب المقدس.

مستويات الوحي الإلهي

أما فيما يخص الوحي، فنقول إن هناك ثلاثة مستويات للوحي، **ففي المستوى الأول** هناك كشف إلهي، إعلان إلهي يُعطى للنبي بواسطة الروح القدس، بواسطة روح الله، يراه النبي فيتكلم عنه بلغته الإنسانية، ولذلك تختلف لغة أشعياء الذي تربَّى في القصر الملكي عن لغة النبي عاموس الذي كان جامعًا وبائعًا للجميز. فاللغة الإنسانية هي الوسيلة التي ينقل بها النبي الوحي، ويعبِّر بها عن رؤيته.

المستوى الثاني في الوحي هو أن يتكلم الله بشكلٍ مباشر، بحيث أن كلمات النبي لا تُعد كشفًا ولا هي رؤية، ولكنها تأتي بتدخل إلهي، فينطق النبي بالكلمة التي يعطيها الله له. وهذا المستوى نجده في الأسفار التاريخية، عندما يقول شخص كإيليا: "حيٌّ أنا يقول الرب"، ثم ينطق بكلام خاص بأمور تحدث مباشرةً أو المستقبل القريب.

والمستوى الثالث وهو مستوى كتابة التاريخ، ونحن هنا نتكلم عن أسفار الملوك الأول والثاني ومن قبلها صموئيل الأول والثاني ... إلخ، وهذه الأسفار هي تاريخ بني إسرائيل، وقد كُتِبَت بوحي من الله، لكن الوقائع التي حدثت فيها، كأحداث سفر التكوين، هي أفعال إنسانية تأتي بإرادة الإنسان الحرة، بمعنى أنه ليس هناك إنسانٌ يتصرف في التاريخ بإرغام أو بنوعٍ من القسر الإلهي الذي يرغمه على إتيان عمل معين.

خطورة اعتبار الكتاب المقدس بمثابة تنزيل

وعندما أخذنا عن المسلمين كلمة "آية أو آيات"، أصبحنا نستخدمها في الكتابة أو في الحديث، فنقول مثلًا إنجيل القديس يوحنا أصحاح ١٧ آية رقم كذا، وكان أثر ذلك أننا اعتبرنا أن العهد الجديد هو بمثابة تنزيل، وهنا المشكلة. وأنا كمسيحي أرثوذكسي أرى أن التنزيل، وهو الوصف الإسلامي لكلمات القرآن، يشكل عدة أخطار كبيرة على المسيحية، وعلى الفكر اللاهوتي بشكلٍ خاص؛ نجملها في الآتي:

الخطر الأول: هو التعامل مع نص الكتاب المقدس، بوصفه نصًّا أزليًّا لا يقبل تأويلًا أو تفسيرًا، ولا تستطيع أن تُعيد النظر فيه على أساس تغيُّر الظروف الاجتماعية، ولا على أساس تغيُّر العلاقة بين الله والإنسان، أي على سبيل المثال لا الحصر، وهي النقطة التي تهمني هنا بشكلٍ خاص، يجب أن نعي أن الكثير مما ورد في العهد القديم لا يخص الديانة المسيحية. فالتاريخ، إن كان يتضمن أمثلةً للسلوك الصالح، كيوسف ابن يعقوب، أو كإيمان إبراهيم، أو كمزامير داود، فهي أمورٌ تلزمنا في الكنيسة، لكن قصص الحروب والقتل والجرائم التي يذكرها العهد القديم، فهي وإن كُتِبَت بوحي، فليس لأن الله راضٍ عنها، وإنما بكونها الوسيلة الوحيدة في زمانها، كالصراع بين عبادة الإله الواحد وبين الديانات الوثنية. وهنا لا يجب أن ننسى أن الحضارة القديمة كانت تقوم على أُسسٍ دينية صبغت كل شيء، فالقانون، المُلك، المحاكم، الطب، الحروب، ... إلخ كلها تدخل في إطار العقيدة الدينية التي تسيطر على كل شيء. ونحن لم نَعِش بالطبع هذه الفترة في الثقافة الإنسانية أو الحضارة الإنسانية، ولذلك لا نعرف عنها إلَّا ما ورد في كتب التاريخ، ولكن كان أقرب واقع لنا هو ما كان سائدًا في الدولة العثمانية، وبالنسبة لنا نحن الذين نعيش في العصر الحديث بداية الدولة الحديثة في مصر هو حكم محمد علي،

لكننا في حقيقة الأمر لا نعرف ما هو معنى الدولة الدينية على الإطلاق، لأننا لم نَعِش هذه التجربة، لذلك لا يعرف حتى الناس الذين تكلموا عن الدولة الدينية في العصر الحديث، وأصحاب الدعوة إلى أسلمة كل شيء لا يعرفون ما هي الدولة الدينية.

وأذكر عندما كنتُ شابًا أن كان هناك كتابٌ لا أظن أنه متاح في السوق الآن، ولكنه كان عبارة عن قطعة تاريخية وشهادة، وهو كتاب كتبه الشيخ على عبد الرازق بعنوان "الإسلام وأصول الحكم"، وكان يُعتبر أول فتح في الفكر الإسلامي السياسي، لأنه قرر أنه لا توجد دولة دينية في الإسلام، ولذلك جُرِّد من الشهادة العالمية التي حصل عليها من الأزهر، وطورد في المحافل الإسلامية ومات منبوذًا لدرجة أنه عندما أراد الدكتور محمد عمارة إعادة طبع الكتاب، رفضت بنت الشيخ علي عبد الرازق إعادة طبعه لأن الكتاب تسبب في كثير من المشاكل لوالدها. وأنا أنصح كل شخص يستمع أن يبحث عن هذا الكتاب وأن يقرأه.

نعود إلى العهد القديم، صراع الله يهوه، ألوهيم مع الآلهة الأخرى كان أحيانًا يدور في ميدان القتال، وقوانين الحرب في العالم القديم كانت قوانين مفزعة لأن العالم في هذا الزمان لم يكن يعرف اتفاقيات كاتفاقية جنيف لحماية حقوق الإنسان الأساسية في حالة الحرب، وطرق الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، وحماية المدنيين الموجودين في ساحة المعركة ... إلخ وإنما هذه كلها أمور وُلدت من خلال معاناة دول أوروبا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، إنما قبل ذلك لم يكن هناك أسلحة محرمة ولا قوانين، وكانت القاعدة السائدة هي أن الغالب هو الذي يملك القانون. ولذلك كان الله أحيانًا، وأرجو الانتباه إلى كلمة أحيانًا، يتدخل لكي يحفظ ما تبقى من شعب يؤمن بالتوحيد في مواجهة شعوب تؤمن بتعدد الآلهة وبالذبائح

البشرية، كتقديم الأطفال كذبائح في العبادة الأشورية والكنعانية القديمة، وكان الله يتدخل لكي يحفظ البقية الباقية، دون أن يعني ذلك أن هذا هو الأسلوب الأمثل. لأن هناك نصوصًا كثيرة حتى في الشريعة؛ في اللاويين وفي المزامير تنبذ سفك الدم، وعلى سبيل المثال نجد في سفر التكوين "سافك دم الإنسان بإنسانٍ يُسفك دمه"، وعلى ذلك، فكل هذه الأمور المفزعة التي نراها في العهد القديم، ليس لها علاقة بالعهد الجديد على وجه الإطلاق، لذلك سبق لنا أن قلنا في مناسبة أخرى عن تغيير العهد، أن هناك عهدًا أفضل وعهدًا أعظم، وأن الكلام القديم الذي قيل في العهد القديم يجب أن يُراجع على ما أُعلن في العهد الجديد عن حياة المسيح وفي تعليمه.

فإذا أردنا أن نقدم مثالًا على ذلك يمكنك -يا سيدي العزيز- أن تقارن ما قيل في مز ٣٥ بما جاء في العظة على الجبل، فستجد أن مزمور ٣٥ هو أحد الأغاني أو الأناشيد التي كانت تقال في حروب بني إسرائيل. قارن بين شخص يقول: "قاتل يا رب مقاتليَّ، وامسك سيفًا ومجنًا واجر وراء الأعداء، وملاك الرب طاردهم ... إلخ"، ومزيد من الكلام الصعب جدًا، لا نستطيع أن نقوله أو أن نعيده بحيث يتماشى مع ما قيل في العظة على الجبل: "أحبوا أعدائكم وباركوا لاعنيكم ... إلخ"، وهي الوصايا التي تدخل في تغيير العهد. لذلك ينطبق على عبارات المزمور ٣٥ وما يماثله من عبارات في العهد القديم المنهج الذي انتهجه آباء الكنيسة ابتداءً من العلامة أوريجينوس والذي فحواه أن العهد القديم يُؤخذ بالتأويل الرمزي، الذي نسميه التيبولوجي، بحيث نرى في هذه الوقائع التاريخية الصعبة التي تحتوي على سفك الدم والحرب، رمزًا للصراع بين الخير والشر، ويكون الأعداء هنا هم الأعداء الروحيين غير المنظورين، والذين هم بشكلٍ خاص، الأرواح النجسة. وبالتالي لا يكون هناك أي تسليم بأن هذه العبارات أو هذه الفقرات هي القانون الخاص بالمعاملات الإنسانية حتى في الحرب.

ولذلك نقول إننا لا نؤمن بالتنزيل، لأن التنزيل معناه أن عباراتٍ أو فقراتٍ كهذه تُعد من قبيل الكلام الإلهي الأزلي، وبالتالي تُطبق حرفيًا، وهو منطق يتأباه العهد الجديد. ولذلك لا أستطيع أن أقول إن الكلام الخاص بالوقائع التاريخية هو بمثابة تنزيل، فعلى سبيل المثال خداع لابان ليعقوب، وهي قصة فيها شيء من الفكاهة، ولكنها تعبِّر عن العقلية القديمة، وبالتالي لا أستطيع أن أقول عنها إنها نصٌّ مكتوبٌ في لوح محفوظ بجانب العرش الإلهي، وإنما هي قصة تاريخية تبين السلوك البشري بما فيه من قصورٍ وضعف.

هذا هو الخطر الأول، والذي يتبين منه أننا في أي محاولة لوضع الكتاب المقدس في نفس الإطار الفكري الإسلامي، سوف نخسر كثيرًا، ليس لأن الإسلام أعظم أو أقل، وهو أمر خارج نطاق ما نناقشه الآن، وإنما لأن هناك فروقًا كبيرةً بين المسيحية وبين الإسلام، منها أننا نُسمَّى أهل الكتاب جوازًا، على أساس أن لدينا كتاب مقدس، لأنه لما كانت الدعوة المحمدية قد ظهرت في جزيرة العرب، ولم يكن لدى العرب كتاب مقدس، كان اليهود والمسيحيون لديهم هذا الكتاب، لذلك أُطلِق علينا تسمية "أهل الكتاب"، **في حين أن المسيحية ليست ديانة أهل كتاب، وإنما هي ديانة الإله المتجسد**، وهو أمرٌ فارقٌ إلى حدٍّ بعيد من حيث المضمون التاريخي وحتى الفلسفي والإنساني، **لأن عبارة "أهل الكتاب" تعني الديانة التي يحكمها النص.**

الخطر الثاني الذي يترتب على اعتبار الكتاب المقدس بمثابة تنزيل، وهو شيءٌ يدعو للتأمل، وإلى وقفة هادئة قصيرة، وإلى الانتباه الروحي الشديد جدًا، والحذر، ألا وهو أن التنزيل يحبس الدين في الإطار التاريخي الذي حدث فيه، فلا ينخلع منه، وبناءً عليه يتوجب اعتبار أن كل الكلام الوارد في الأسفار التي كُتبت في فترة على الأقل ألف سنة قبل المسيح بمثابة تشريع إلهي للسلوك والعادات الاجتماعية، وبذلك يُعد تقنينًا canonization لكل ما يحدث

في الحياة، وهذا لا يعني فقط أنك تلغي حرية الإرادة، ولكن يعني أيضًا أنك تحفظ الدين في حقبة زمنية محددة تظن أنها هي الحقبة الذهبية التي لا يمكن أن يأتي بعدها ما هو أعظم منها أو ما يساويها، بينما الواضح من مسيرة التاريخ الإنساني أن الإنسان يتطور ناحية ما هو أعظم، وما هو أكبر في كل شيء، ليس فقط في الكتابة وفي المعلوماتية ولكن في السفر، في الاكتشافات العلمية.

أنا أذكر مرة في ندوة كنّا نتكلم على الدين بشكلٍ عام والاكتشافات العلمية، وكان هناك صديق لي من باكستان خريج جامعة حيدرأباد، كان إمامًا للجامع في جامعة كمبريدج، وكان إنسانًا طيب القلب، ففي الندوة قال: إن القرآن يحتوي على جميع النظريات العلمية في الماضي والحاضر والمستقبل. فقلتُ له: لو أنا كنتُ مسلمًا، لَمَا قبلتُ هذا الكلام على الإسلام ولا على القرآن، فاندهش الرجل، وسألني عن السبب، فقلت له: لأن هذه النظريات العلمية اكتشفها اليهود والنصارى والملحدين والكفار، فإذا كانت هذه النظريات العلمية موجودة في القرآن، فمعنى هذا أن العقل الإنساني هو في مستوى معرفة العقل الإلهي، وهذا أمرٌ لا يقبله الإسلام، فلا يجب أن تقول مثل هذا الكلام لأنه يضر الإسلام، فانتاب الراجل الفزع على نفسه، لأن كلامه يعني أنه يؤلِّه العقل الإنساني ويؤلِّه أُناسًا لا علاقة لهم بالإسلام، وليسوا حتى موحدين بالله، مثل معظم الملحدين الذين كان لهم دور كبير جدًا في الاكتشافات العملية.

أنا أقول هذا الكلام لأنني في كل مرة كنتُ أكتب مقالة، وأكتب فيها عبارة "النص الفلاني"، فأجد الناشر يغير كلمة "النص"، ويضع بدلًا منها كلمة "الآية"، ولم أكن أُعير هذا الموضوع اهتمامًا، لأن ما يهمني في النهاية هو أن الفكرة تصل إلى القارئ، ولكني أسوق هذا المثال لأنه يهمني أيضًا أن نكون

على وعي بأن كلمة "آية" في المدلول المسيحي إنما تعني نصًّا من نصوص الكتاب، ولا تعني "النص المُنزَل" الذي لو اجتمع الإنس والجن لَمَا استطاعوا أن يأتوا بمثله.

الخطر الثالث هو، ليس فقط تقنين العادات الاجتماعية والتشريعات، كما سبق وقلنا ذلك في كلامنا عن الخطر الثاني، ولكن أيضًا تقنين المفاهيم concepts بحيث يُعد كل ما جاء في هذه الكتب بوصفها تنزيلًا إلهيًّا، أمورٌ لا يمكن أن تتغير، بينما تأتي الاكتشافات العلمية لتقول إن هناك معلومات جديدة عن الكون أو عن الإنسان. أنا أكتفي بذلك في هذا الموضوع لئلا يُفهم منه أنني أُهاجم الدين الإسلامي، ولكني أترك موضوع الإسلاميات لأنني أؤمن بالتخصص، ومَن يريد أن يتكلم عن الإسلام يجب أن يكون قد درس في الأزهر وأن يكون متمكنًا تمامًا من التاريخ واللغة العربية، ومدارس الفقه والتفسير. لكن، وإن كان موضوع الإسلام لا يخصني، إلَّا أنني أضع هذه الملاحظات السريعة حتى لا نتأسلم نحن، بمعنى ألا ننقل معايير إسلامية ونطبقها في حياتنا المسيحية، **لأن الأساس اللاهوتي الخاص بنا ليس هو الكتاب كما في الإسلام، وإنما الإله المتجسد، وما الكتاب المقدس إلَّا شهادةٌ عن هذا الإله المتجسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.**

فإذن، الكلام الذي جاء في العهد القديم عن غضب الله على بني إسرائيل لا يُعد قانونًا عامًا ينسحب على علاقة الله بالإنسان في العهد الجديد. كل الكلام الذي قيل في الأنبياء عن خطايا بني إسرائيل، وعن الأمور الصعبة التي وقعت في التاريخ وجلبت عليهم السبي والشتات ... إلخ يجب أن نكون واعين تمامًا إلى أنها خاصة بهذه الوقائع تحديدًا، ولا تصلح لتطبيقها خارج هذه الظروف.

أقول هذا الكلام، لأن أحد الأخوة أسمعني حديثًا لشخص على قناة أغابي، وهو حديث لا علاقة له بالديانة المسيحية، فهو يقول "إن كل علماني يخطئ

في حق البطرك تحدث له مصائب كثيرة، ونحن نرى أمثلة قريبة الشبه من هذا الحديث"، وأرجو منكم يا اخوة أن تلاحظوا كلمة "قريبة الشبه". فعلى سبيل المثال حدث أن مجموعةً من الأطفال سخروا من أليشع وقالوا له: "اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ!". فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا" (٢مل٢: ٢٣ - ٢٤). إن محاولة تطبيق تفاصيل هذه الواقعة على بعض الوقائع الحديثة تشي عن أن هناك محاولة خلط -قد يكون مقصودًا أو عن جهل- بين التاريخ القديم، وبين وقائع التاريخ الحديث، وبين الإيمان المسيحي بغرض الوصول إلى نتيجةٍ محددة، وأمرٌ يجافي الحقيقة. والمثال على ذلك أنه عندما أُغتيل الرئيس السادات، فسَّر البعض ذلك بأنه نوع من الانتقام الإلهي بسبب غضب الأنبا شنودة، وهو تفسير غير صحيح، لأن التاريخ السياسي المصري لا يخلو من محاولات الاغتيال، كاغتيال النقراشي باشا وكان وزيرًا للداخلية والذي أُغتيل في مبنى وزارة الداخلية بواسطة أحد أعضاء الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين، وكذلك محاولة اغتيال إبراهيم عبد الهادي رئيس وزراء مصر، وأيضًا محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية، فكل هذه الوقائع والمحاولات لم تكن على علاقة بأحداث كنسية، ولذلك، فإن اغتيال أنور السادات كان يجب أن يُقرأ في سياق تاريخ الصراع الدموي بين نظام الإخوان وبين الحكومة المصرية، وبالتالي لا علاقة له بقرار عزل الأنبا شنودة على الإطلاق.

ولكننا عندما نحاول تفسير مثل هذه الأحداث استنادًا إلى ما حدث مثلًا مع النبي أليشع، فهنا يحدث الخلط، فأنبياء العهد القديم ليسوا كالبطاركة نهائيًا، وهذا يفتح لنا موضوعًا لم نتكلم فيه من قبل، لكن ربما هذه هي المناسبة. النبي في العهد القديم كان هو وسيلة الاتصال الوحيدة بين الله والشعب، أمَّا البطرك في العهد الجديد فليس هو وسيلة الاتصال بين الله والشعب،

لأن الله في العهد الجديد، وهنا أسوق نصًّا من سفر أرميا ٣١ سكن في وسط الشعب وهو الذي يعلِّم الشعب الطريق الجديد للعهد الجديد "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا ... يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (إر ٣١: ٣١ - ٣٣). ففي العهد الجديد كلُّ إنسان منا أخذ الروح القدس، وكلٌّ منا فيه روح النبوة لكي يستطيع أن يميِّز النبوة، وبالتالي لا يوجد هنا الشخصية المميِّزة للديانة العبرانية القديمة الذي هو النبي والملك والكاهن، وكان النبي أهم من الملك والكاهن، لأن الملك كان يأخذ توجيهاته من النبي، وكان النبي يتجاوز كل الطقوس الكهنوتية في العهد القديم، والدليل على ذلك الأصحاحات الأولى من سفر أشعياء النبي، فتجدوا أن الله يوبخ الشعب على تقديم الذبائح بدون توبة، وأن هذه الذبائح أصبحت مكرهة للرب، وسببت له ضيقًا وأنه لا يريد أن يشم رائحة هذه الذبائح.

في العهد الجديد البطرك ليس مثل النبي، ولكننا نخلط الأمور لأن هناك محاولة لتكبير الدور البطريركي بحيث لا تستطيع أن تقول كلمة الحق، مما يترتب عليه أن يبقى الاستبداد والسلطان الكهنوتي المطلق الذي لا وجود له في كنيسة العهد الجديد، والذي اختُرِع في العصر الوسيط، والذي يُعد ضدًا للمسيح.

في العهد القديم كان الروح القدس يعمل بشكل جزئي، إنما في العهد الجديد يعمل الروح القدس في جسد المسيح كله، أي في كل عضو في الكنيسة الجامعة، ومن بعد المعمودية والميرون نحن لا نحتاج إلى نبي يعرفنا إرادة الله، أما الفتاوى التي كانت تُثار في الاجتماعات، إنما تدل على انعدام الإفراز والتمييز، وهو الموضوع الذي عُقد لأجله أول مؤتمر في الحياة النسكية سنة ٣٦٠م في برية الإسقيط، وحضره القديس أنطونيوس الكبير، ولما

ســأل عن أعظم الفضائل المسيحية، قال البعض الصوم والصلاة والسهر ... إلخ وحتــى المحبة، ولكن أنطونيوس الكبير قــال: إن الفضيلة العظمي التي يجب أن يقتنيها الناســك هي فضيلة الإفراز والتمييز، وهذا الكلام موجود عند يوحنا كاسيان، وموجود في كتب تاريخ الرهبنة القبطية.

لذلك، فنحن نمر بأزمة كبيرة يا أخوة تتلخص في أننا نرجع إلى العهد القديم ونستقي منه النصوص التاريخية الخاصة بالطوفان مثلًا، أو سدوم وعمورة، وننسى أن هذين الحدثين حصلا مرةً واحدة. الله في العهد الجديد لا يطبِّق منهج العقوبة، وهذه النقطة كانت هي إحدى نقاط الخلاف الجوهرية بيني وبين الأنبا شنودة، وأصبحت للأسف نقطة الخلاف بينه وبين الدكتور هاني مينا عندما كتب كتاب "العدالة الإلهية حياه لا موت، مغفرة لا عقوبة"، وحُرِم من التناول.

تفسير النصوص خارج السياق أو الأساس التاريخي لها

ومن الأمور التي يجب مراجعتها في العصر الحديث، ما إذا كانت لبعض العبارات الرسولية أو الإنجيلية أساسٌ تاريخيٌّ ما، فلا تطبق تطبيقًا عامًا، بل يجب مراعاة السياق أو المناسبة التي قيلت فيها هذه العبارة، ذلك لأن هناك عبارات يظن البعض أنها تنطبق في كل الأحوال، وكأنها قاعدة مجردة، ويستخدمها الكثيرون إمَّا لإحداث تأثيرٍ ما، وإمَّا لزرع فكرةٍ ما والإيهام بصحتها.

والمثال على النوع الأول وهو استخدام بعض العبارات الرسولية لإحداث تأثيرٍ ما، مثل ما قاله الرسول بولس عن الذين يأكلون جسد الرب ويشربون دمه بغير استحقاق، وهو نص يُستخَدم لإرعاب الناس من تناول الإفخارستيا جسد الرب ودمه، وإشعارهم أنهم غير مستحقين للتناول إلَّا بعد أن يأتون بعض الأعمال التي يظنون أنها تؤهِّلهم للتقرب من جسد الرب ودمه، في

حين أن الأمر هنا مرتبط بسياق تاريخي وليس مجرد حكم عام ينطبق في كل الأحوال، وهو ما يبين من عرضنا للسياق الذي ورد فيه هذا النص. يقول معلمنا القديس بولس: "فَحِينَ تَجْتَمِعُونَ مَعًا لَيْسَ هُوَ لأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ.... لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا»(١كو ١١: ٢٠ - ٣١)، فما هو المقصود بهذا الكلام؟

هذا الكلام لم يُكتَب بصورة عامة مطلقة عمن يتناول دون استحقاق، أبدًا، لأننا لو عُدنا إلى ما سبق هذا الكلام لوجدنا أن الرسول يتكلم في ذات الرسالة في أصحاح ١٠: ١ – ١٢ على شعب إسرائيل في البرية وعلى عبادة الأوثان. وابتداءً من عدد ١٦ يقول: "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ. انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟ فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ، أَوْ إِنَّ مَا ذُبحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ، لاَ للهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ. أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ؟" (١ كور ١٠: ١٦ - ٢٢).

إذن، هذا الكلام قيل عن العبادة الوثنية، لأن الرسول كتب عن شعب إسرائيل أنهم بعد أن اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وبعد أن أكلوا طعامًا واحدً روحيًّا وشربوا شرابًا روحيًّا تحولوا ناحية عبادة الأوثان وصنعوا تمثالًا للعجل أبيس، ولأن هذه الأمور قد حدثت مثالًا لنا، لذا يحذرنا الرسول

قائلًا: "فَلاَ تَكُونُوا عَبَدَةَ أَوْثَانٍ كَمَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْهُمْ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "جَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ، ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ" (عب ١٠: ٧).

وطبعًا لا يجب أن ننسي أن كنيسة كورنثوس تقع في قلب المجتمع الوثني الذي عاش فيه القديس بولس، لذلك نجده في أصحاح ١١، يتكلم عن الانشقاقات والتسابق في الأكل: "فَالْوَاحِدُ يَجُوعُ وَالآخَرُ يَسْكَرُ. أَفَلَيْسَ لَكُمْ بُيُوتٌ لِتَأْكُلُوا فِيهَا وَتَشْرَبُوا؟ أَمْ تَسْتَهِينُونَ بِكَنِيسَةِ اللهِ وَتُخْجِلُونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ؟ مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ؟ أَأَمْدَحُكُمْ عَلَى هذَا؟ لَسْتُ أَمْدَحُكُمْ!" (١كور ١١: ١٨ - ٢٢)، لذلك أردف هذا الكلام بكلامه عن الإفخارستيا في الأعداد من ٢٣ وحتى نهاية الأصحاح. وهنا يظهر الأساس التاريخي الذي يحمل الكلام عمن يأكل جسد الرب ويشرب دمه بدون استحقاق. وهنا تبدو أهمية الأساس التاريخي في عدم نزع النص من أساسه التاريخي، فيتحول النص إلى حكم عام يطبق على جميع البشر، وبالتالي نكون قد تعاملنا مع النص على أنه تنزيل وليس وحيًا، واتجهنا ناحية الأصولية التي تضرب كل شيء في الحياة الكنسية. هنا -في كنيسة كورنثوس- يوجد أُناس مجرمون في جسد الرب ودمه بسبب البدع، وبسبب الزنا والاستمرار في عبادة الزنا، وبسبب الشركة في مائدة الشياطين، فهؤلاء غير مميِّزين أنهم يأكلون جسد الرب ويشربون دمه، وبالتالي يكونون مجرمين لأنهم يستهترون بالإفخارستيا، وهؤلاء غير الإنسان الضعيف المستعبد للخطية، الغير القادر على التوبة والمتعثر فيها، فيتناول ليتقوى، ولكنه بعد التناول يسقط أيضًا، لأن أبيه الروحي كان عليه أن يعطيه علاجًا روحيًّا يشفيه من تسلُّط عادة معينة عليه، لكنه إمَّا ضنَّ عليه بالعلاج، وإمَّا أنه غير مختبر، فاكتفي بالتخويف، والخوف لا يزرع في قلب الإنسان توبة حقيقية.

لذلك يقول الرسول إن فيكم أُناسًا ضعفاء ومرضى وأُناسًا يموتون لأنهم يشتركون في مائدة الرب وفي مائدة الشياطين، وهذا الكلام ليس من عندياتي،

ولكنه في عظة القديس يوحنا ذهبي الفم. وما ألفت إليه النظر هنا هو أن الاستحقاق هو أن يعترف الإنسان بضعفه، وأن يذكر هذا الضعف لله. ولذلك أقول إن الأصولية القبطية التي تنزع النص من سياقه وتحوله إلى حكم عام مطلق لزرع الرعب والخوف في قلوب الناس، هذا الكلام يجب أن يُراجع على المحتوى التاريخي الذي قيل هذا النص بمناسبته. لأنه إذا أرد شخصٌ أن يتطهر ويأخذ دواء الإفخارستيا معترفًا بضعفه، ويعرف أنه يحتاج إلى نار المحبة الإلهية لكي تطهره، وحدث أن سقط بعد ذلك، هل من اللائق أن أقول له إنك مجرم في جسد الرب ودمه، وأن المسيح سوف يميتك؟ أبدًا، لن يميتك، بل سوف يغسلك مرةً أخرى وثالثة ورابعة، لأنه الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف الضال.

ومن أمثلة العبارات التي تُستخدم لزرع فكرةٍ ما والإيهام بصحتها، ما ورد في الإنجيل عن التجديف على الروح القدس، وهنا أُعيد على أسماعكم ما قاله أثناسيوس العظيم، حيث قال إن الكلام عن التجديف على الروح القدس قيل في مناسبة إخراج الشياطين، وفي مناسبة معينة عندما نسب اليهود قوة الرب الإلهية في إخراج الشياطين إلى رئيس الشياطين بعلزبول، فتحوَّلت قوة الأُلوهة في الرب -في أذهانهم- إلى قوة شيطانية، فأصبح هذا تجديفًا على الروح القدس، ولذلك ليس كل مَن مرَّ بتجربة الشك يجدِّف على روح الله، وليس كل إنسان ضعيف يجدف على روح الله، وليس كل إنسان تنتابه الحيرة في ألوهية المسيح يجدف على روح الله، بل كل إنسان ينسب أعمال المسيح الإلهية إلى الشيطان، هو الذي يجدف على الروح القدس.

وأيضًا من هذه الأمثلة ما ورد في الإنجيل المقدس عن الطلاق والزواج، وقد قلنا إن هذا الكلام خاص بالرجل وليس عن المرأة، وأن هذا الكلام خاص بالبيئة المحيطة في الرد على سؤال الفريسيين: "هل يحل الرجل أن يطلق

امرأته من أجل كل سبب"، فالرد كان على سؤال، ولكن الأصولية القبطية فسَّرت النص على أساس اقتطاعه من سياقه، وبَنَتَ عليها قاعدة: "لا طلاق إلَّا لعلة الزنا"، وقيل تبريرًا لذلك إن هذا هو كلام الكتاب المقدس الذي يجب أن نتبعه، دون الأخذ في الاعتبار السياق التاريخي الذي ورد فيه النص، فأصبح النص بمثابة تنزيل واعتمدنا المبدأ البروتستانتي الذي يقول "الكتاب المقدس وحده". فإهمال التفسير التاريخي هو الذي أدى إلى كل هذه المشاكل، لأن معرفة التاريخ تقتل الأصولية، وهو مبدأ يجب أن نحرص عليه، ونسيان التاريخ هو منبت ومزرعة الأصولية، وهذه العبارة خاصة بشيخ المؤرخين في العصر الحديث أرنولد توينبي. لذلك، فمَن يخلع النص من سياقه التاريخي لا يبتغي إلَّا تخويفك وإرعابك، أو أن يزرع في عقلك فكرة غير صحيحة ويريد إيهامك بأنها صحيحة.

«العقوبة"، كلمة تتعارض مع طبيعة الله

أقول لكل قارئ ولكل مستمع؛ يا أخي العزيز افتح فهرس الكتاب المقدس، تحت حرف العين، وابحث عن أين وردت كلمة "العقوبة" في العهد الجديد، فلن تجد لها أي موضع، وكل المطلوب منك أن تتأكد من ذلك. ستجد كلمة "الحكم"، نعم، ولكن كلمة "العقوبة" لا وجود لها. وبالرغم من ذلك أجد شخصًا يقول لي: طيب ما هو رأيك فيما حدث مع حنانيا وسفيرة؟ يا سيدي العزيز، القديس بطرس الرسول لم يُصدر حكمًا، ولم يذكر سفر الأعمال أنهما عوقبا بواسطة الرسول بطرس، وإنما كان هناك حكمٌ من السماء. هناك فرق بين الحكم وبين العقوبة، حتى الموت في العهد القديم، كان ولازال يسمى في كتب الآباء حكمًا وليس عقوبةً، وعندما ترجم أولاد العسال القداس الغريغوري "أنت حولت لي العقوبة خلاصًا"، لم تكن الكلمة القبطية "عقوبة"، بل هي الحكم، ومع ذلك لن ندخل في جدل بشأن الترجمة الصحيحة للأصل القبطي،

ولكن يجب أن نكون على وعي بأن **كلمة "العقوبة" تتضمن جانبين ضد طبيعة الله؛ هما:**

الجانب الأول: هو الانتقام. صحيح أن الله يقول: "لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ" (رو ١٢: ١٩)، ولكن انتبه إلى الكلام، لأنه يقول لي النقمة أنا أجازي وليس لي النقمة أنا أنتقم، فالله ليس بمنتقم، لا في المسيحية ولا حتى في اليهودية، وإلَّا لَمَا قال الرسول: "لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ" (رو ١٢: ١٩). والانتقام يُعد عنصرًا جوهريًّا في العقوبة، وبالتالي لا يمكن فصل الانتقام عن العقوبة، الأمر الذي لا يمكن أن يتفق مع ما جاء في آخر سفر ميخا ٧ حيث يقول النبي للرب: "مَنْ هُوَ إِلهٌ مِثْلُكَ غَافِرٌ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ، فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ" (مي ٧: ١٨ - ١٩). وقد أضاف علماء الشريعة اليهودية عبارة: "تطرحها في بحر النسيان"، وهي عبارة كنا نسمعها من القمص مينا المتوحد وأبونا ميخائيل إبراهيم.

أمّا **الجانب الثاني** في العقوبة، والذي يتعارض مع طبيعة الله، فهو أن العقوبة تحمل معنى قطع العلاقة بين الله والإنسان، لأن الإنسان الذي يُعاقَب على فعلٍ ارتكبه، بالإعدام أو السجن على سبيل المثال، تنقطع علاقته بالمجتمع بالوفاة أو بدخوله السجن، إنما في العهد القديم قبل العهد الجديد، يأتي التأديب لا العقوبة من الله لكي يُصلِح ويجدد العهد، ولكي تعود العلاقة بالتوبة إلى ما كانت عليه. نحن لا ننكر أن هناك تأديبًا إلهيًّا، لكن في العهد الجديد التأديب الإلهي هو للمنفعة الروحية كما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ص ١٢، تأديب من عند الله، الآب السماوي. وهو أمرٌ لا يختلط بالاعتقاد الخاطئ بأن شخصًا ما نالته المتاعب لأن الله غضب عليه لأنه أخطأ

في شخص قديس أو في شخص ذي منزلة روحية أو كنسية، هذا شيءٌ آخر، وهذا هو ما يخيفني من الخلط بين الوحي والتنزيل، ومن الخلط بين التاريخ واللاهوت، واعتبار أن الأحداث الفردية التي وقعت في التاريخ بمثابة تعليم لاهوتي في الكنيسة الجامعة، وهذه نقطة خطيرة جدًا، وتحتاج إلى حديث مفصل ليس مجاله هذه المحاضرة.

المسيح يسوع هو نقطة البدء لقراءة سليمة للعهد القديم

عندما نقرأ العهد القديم في العهد الجديد، فنحن نبدأ بالمسيح لنشرح سفر التكوين، ولا نبدأ من سفر التكوين لكي نصل إلى إنجيل متى على سبيل المثال، **وإنما نبدأ من المسيح رجوعًا إلى الخلف، لأن النور هو الذي يشرح الظل.** وسوف أقدم على ذلك مثالًا صارخًا وغريبًا على مَن لا يعرف المسيحية الأرثوذكسية؛ موضوع نظرية دارون عن النشوء والارتقاء يشغل بال الناس في أمريكا، وقد حدث أن دُعيت إلى اجتماع لدرس الكتاب في كنيسة من الكنائس، وكان موضوع الدرس عن الخليقة الجديدة في الرسالة إلى العبرانيين، فقلت إننا في العهد الجديد نعيش الخليقة الجديدة وليس الخليقة الأولى التي خُلقت في ستة أيام، وأنا أعرف أن هناك أناسًا أصوليون يفهمون أن كل يوم من أيام الخليقة الستة هو ٢٤ ساعة، على أساس أن هذا هو المعنى الذي يعرفونه لكلمة "يوم"، فأنا قلت لهم إن هذه المسألة لا أهمية لها لأن كلمة يوم تعني حِقبة وليس يومًا قوامه ٢٤ ساعة بحسب الوضع الذي نعيشه الآن، وأن قصة الخلق الواردة في سفر التكوين هي بمثابة أساس البيت، وأن أحدًا لا يعيش في أساس البيت، وإنما يسكن الدور الأول أو الثاني، وهكذا، وبالتالي الخليقة القديمة هي الأساس الذي بُنيت عليه الخليقة الجديدة في المسيح يسوع، **والخليقة الجديدة في يسوع المسيح لم تُخلق في ستة أيام، وبالتالي كل الخلاف مع دارون ومع نظرية التطور يقع خارج**

الإيمان المسيحي، ولا يمسه في شيء لسبب بسيط جدًا، وهو أن أيام الخليقة الأولى، سواء كانت ستة أيام أم ست ثواني، أو ستة آلاف عام، مسألة لا ضرورة لها بالمرة، **لأننا** عندما **نبدأ حياتنا في المسيح لا نبدأ بالحبل والولادة، ولا بالميلاد من الأب والأم، وإنما نبدأ بالمعمودية، نبدأ بعطية التبني، نبدأ بهبة الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح**، ولكن هذا الكلام لم يعجبهم وطلبوا ممن دعاني ألَّا يدعونني مرةً أخرى، وأنا لم أتضايق، لأنه لدينا مبدأ مهم جدًا، ألا وهو أنه **لا يمكن للخليقة القديمة أن تشرح الخليقة الجديدة**، وبالتالي أيًّا كان معنى اليوم في قصة الخلق، فهو أمر لا أهمية له.

وعندما وقف أحد الحضور قائلًا لي إنني على خطأ، قلت له أنا أريد منك فقط أن تقول لي كيف تفهم الكلام الذي ورد في سفر التكوين عن أن الله خلق الخليقة في ستة أيام في الإصحاح الأول، ولكن في الأصحاح الثاني: ٤ يقول في النص العبراني: "هذه مبادئ السموات والأرض **يوم** خُلِقت"، ما يعني أنها خُلقت في يوم؟ اليوم في هذا الموضع ليس ٢٤ ساعة، لأن تقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة أمرٌ جاء فيما بعد وبناءً على اكتشافات علمية خاصة، وإنما كلمة "اليوم" في الكتاب المقدس لها معنى خاص نكتشفه معًا من الرسالة إلى العبرانيين.

ففي الرسالة إلى العبرانيين يقول معلمنا القديس بولس في الأصحاح الثالث: "لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ. وَمُوسَى كَانَ أَمِينًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ ... لِذلِكَ كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ: الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ (وماذا عن غدًا وبعد غد، وما بعده؟ هل يصح أن نقول لا تقسوا قلوبكم اليوم، ولكن قسُّوها غدًا؟) فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ، يَوْمَ التَّجْرِبَةِ فِي الْقَفْرِ ... بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ (اليوم هنا

هو الفترة الزمنية التي يعيشها الإنسان، وليس فقط الـ ٢٤ ساعة، وهو ما أعاد الرسول قوله): "إِذْ قِيلَ: الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ" (عب ٣: ٤ - ١٥)، وهو هنا يقصد الجيل الذي تاه في البرية لمدة أربعين سنة ولم يدخلوا إلى الراحة.

وفي الأصحاح الرابع يقول الرسول: "لأَنَّنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ نَدْخُلُ الرَّاحَةَ، كَمَا قَالَ: "حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي" (أي أن شعب العهد القديم لن يدخلوا الراحة) مَعَ كَوْنِ الأَعْمَالِ قَدْ أُكْمِلَتْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ عَنِ السَّابعِ هكَذَا: "وَاسْتَرَاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ (اليوم السابع الذي أصبح في الممارسة اليهودية هو يوم السبت) مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ»"، (هنا يقول الرسول أن هناك وعدًا براحةٍ آتيةٍ، مع أن الله استراح في اليوم السابع) فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْمًا يَدْخُلُونَهَا، وَالَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلًا لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ الْعِصْيَانِ، يُعَيِّنُ أَيْضًا يَوْمًا قَائِلًا فِي دَاوُدَ: "الْيَوْمَ" بَعْدَ زَمَانٍ هذَا مِقْدَارهُ، كَمَا قِيلَ: "الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ". لأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَشُوعُ قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ. إِذًا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ. فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هذِهِ عَيْنِهَا" (عب ٤: ٣ - ١١)، وهنا يتكلم الرسول على أن هناك وعدًا بالراحة، لا علاقة له باليوم السابع، ولذلك هو ليس مع يشوع، بل مع يسوع.

إذن، فاليوم هنا ليس ٢٤ ساعة بحسب مقاييسنا، لأنه لو كان الخلاص يأتي في يوم قوامه ٢٤ ساعة، فهل يعني هذا أن كل الذين عاشوا قبلنا؛ مار مرقس، وأثناسيوس وكيرلس، وأنطونيوس الكبير، والآباء الذين عاشوا سنينًا هذا عددها في البرية، انحصر خلاصهم في يوم أو في اثنين أو أكثر؟ أبدًا، لأن "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب ١٣: ٨). وهكذا أصبحت نظرة

الإنسان إلى تقسيم الأزمنة ليست هي نظرة العهد القديم، بل أصبح هناك اليوم الثامن "هذا هو اليوم الذي صنعه الرب"، وهو اللحن الذي يقال في القداس الإلهي في يوم الأحد، يوم القيامة، وهو اليوم الذي صنعه الله، فكيف صنع الله هذا اليوم؟ هل هذا اليوم هو أحد الأيام التي خلقها الله؟ لا، ولكنه هذا هو اليوم الذي صنع الله فيه أكبر حدث في تاريخ الإنسانية، وهو قيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات.

إذن، فالخلاف بين العهدين خلاف كبير جدًا، بينما نحن نخلط بين العهدين، كمن يخلط التراب مع الذهب، كما يقول المثل البلدي، وأنا لا أقول إن العهد القديم هو التراب، وإنما أقول ذلك على سبيل التمثيل، للإنسان المسيحي الذي يعيش الحياة المسيحية. لأن الإنسان المسيحي الذي يعيش العهد الجديد لا يمكنه أن يقول لأحد ما جاء بكلمات مز ٣٥ "لِيَكُنْ طَرِيقُهُمْ ظَلاَمًا وَزَلَقًا، وَمَلاَكُ الرَّبِّ طَارِدُهُمْ... لِتَأْتِهِ التَّهْلُكَةُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، وَلْتَنْشَبْ بِهِ الشَّبَكَةُ الَّتِي أَخْفَاهَا، وَفِي التَّهْلُكَةِ نَفْسِهَا لِيَقَعْ" (مز ٣٥: ٦ - ٨). هذا كلام داود الرجل المحارب، وهو ما يمكن أن تقوله -في العهد الجديد- في مواجهة الشياطين، ولكنه لا يصلح في الكلام عن البشر، لأن الرب يسوع علَّمنا أن نحب أعدائنا من البشر، ولكننا لا نستطيع أن نحب أعداءنا من الأرواح النجسة، لأنه لا يوجد بيننا وبين الأرواح النجسة ميثاق وعهد، أما العهد الجديد بدم الرب يسوع المسيح فهو عهد السلام والمصالحة الأبدية من أجل خلاص جميع البشر، وبالتالي لا يصح أن نأخذ هذا الكلام في مواجهة إنسانٍ ما حتى لو كان قد تسبب لنا في ضيق أو معاناة.

لا نستطيع أن نقول في مواجهة إنسانٍ ما: "خَاصِمْ يَا رَبُّ مُخَاصِمِيَّ. قَاتِلْ مُقَاتِلِيَّ. أَمْسِكْ مِجَنًّا وَتُرْسًا وَانْهَضْ إِلَى مَعُونَتِي، وَأَشْرِعْ رُمْحًا وَصُدَّ تِلْقَاءَ مُطَارِدِيَّ. قُلْ لِنَفْسِي: "خَلاَصُكِ أَنَا»" (مز ٣٥: ١ - ٣). فأنا لا أطلب النقمة،

ولكن على الأقل يمكنني أن أقول إن حقي عند ربنا، أو أقول: "فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ... باركوا لاعنيكم"، اتركه لحكم ربنا لأنه حتى وإن كان الله في العهد القديم يقول: "لي النقمة أنا أجزي يقول الرب"، لكن في العهد الجديد الله يؤدبنا، وله طرقٌ كثيرة جدًا في التأديب ليس بالانتقام، وإنما بالتقويم، ليس بالقتل أو بالقطع، بل كما يقول الرسول في الرسالة إلى العبرانيين: "لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ. إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ (أي أن حتى من يظلمك يناله هذا التأديب أيضًا)، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ ... وَأَمَّا هذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ **نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ**" (عب ١٢: ٦ – ١٠)، إذن فتأديب الله لنا هو للمنفعة **لكي نشترك في قداسته** وليس للانتقام، ولا للتكسير، ولا للقضاء على الحياة، ولا للموت، أبدًا وإنما للمنفعة، "لِذلِكَ قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ الأَعْرَجُ (أي لا تجعل الأعرج يقع، بل يسير على رجليه)، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى. اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ، مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ. لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ" (عب ١٢: ١٢ - ١٥).

ختامًا يجب أن نعي ونستوعب أن التاريخ هو مِن صُنع البشر، أما التنزيل الذي يوحي للإنسان بأن كل شيء مقدَّر ومكتوب في اللوح المحفوظ، فليس مثل الوحي الذي يُعِّلم الإنسان أن يستقى رؤيةً ويأخذ قرارًا حرًا يتناغم مع المحبة الإلهية، ومع محبة الإنسان لله في الروح القدس.

الرب يسوع المسيح يحفظنا من التيارات المعادية للإنجيل السائدة في الثقافة الموروثة والتي دخلت كنيستنا في الخمسين سنة الأخيرة والتي حاربها الجيل القديم بالوداعة واللطف، وإن كان لم يستأصل الجذور العقائدية التي

نمت وأصبحت أصل مرارةٍ في داخل الكنيسة، فخلقت روح الانتقام والتشفي والتمسك بالعقوبة.

المسيح يحفظنا ويحفظكم في الإيمان وله المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الفصل التاسع عشر

الأعياد في العهد القديم[1]

عيد الفصح

من الكتاب المقدس، ومن تاريخ اليهودية، نعرف أن هناك سبعة أعياد كبرى في العهد القديم. أهم هذه الأعياد هو بلا شك عيد الفصح، عيد العبور. ونحن نسميه باللغة القبطية واليونانية "البصخة"، وهي في العبراني "بَسَخ - فصح". في سفر الخروج أصحاح ١٢: ٢٧ "هِيَ ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ الَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ لَمَّا ضَرَبَ الْمِصْرِيِّينَ وَخَلَّصَ بُيُوتَنَا". والفصح يُعد الحدث الرئيس، الذي بُنيَ على أساسه جزءٌ كبير جدًا من العهد القديم، لأن في الخروج من أرض مصر، وذبح الخروف أو الحَمَل، احتفال بانتصار الله، وليس انتصار الشعب لأنه ليس من انتصار للشعب، لا في عبور البحر الأحمر، ولا في حادثة الخروج ذاتها. هو عيد "تحرير".

وفي العهد الجديد أصبح عيد الفصح هو عيد صَلب المسيح. الرسول بولس يقول: "لأَنَّ الْمَسِيحَ فِصْحَنَا وقَدْ ذُبحَ لأَجْلِنَا" (را ١ كو ٥: ٧). فالمسيح هو الفصح الجديد. والمناسبة التي أُسِّس فيها العشاء السري كانت أسبوع الفصح الكبير. والعهد بالدم هنا هو "ذكرى" لخلاص الله. ففي الفصح كان بنو إسرائيل يتذكرون الله، وعمل الله في الخروج من أرض مصر. أمَّا نحن، فعندما ننظر إلى العيد في العهد الجديد، إنما ننظر إليه على أساس أنه "تحريرٌ". إطلاقُ سراح الطبيعة الإنسانية المستعبدة.

(١) محاضرة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ١٩ أكتوبر ٢٠١٨.

وهنا يجب أن ننتبه إلى أمرٍ على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، وهو **أن مضمون الاحتفال بالعيد لم يكن يدور حول مسألة غفران الخطايا، وإنما كان التركيز كله على تحرير الطبيعة الإنسانية، بمعنى أن الفداء لم يكن في غفران خطايا بني إسرائيل، وإنما في إطلاق سراح العبيد.** لذا، فنحن في حاجة لإعادة النظر في موضوع الغفران، لأن الغفران ليس هو العفو، **لأن الظن بأن العفو هو المسامحة، هو تفكير غير مسيحي.** الغفران هو تحرير، هو فك العبودية، هو كسر السلاسل، وهذه المعاني هي ما تعبِّر عنه صلاة التحليل في الكنيسة القبطية في وضوح: "أيها السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد وكلمة الله الآب الذي **قطَّع كل رباطات خطايانا** من قِبل آلامه المخلصة المحيية ...".

العناصر المشتركة في الاحتفال بالأعياد في اليهودية

وهنا يوجد ثلاث نقاط على قدر كبير من الأهمية تخص عيد الفصح؛ النقطة **الأولى** هي الاحتفال. أي الاحتفال بمناسبة أعلن فيها الله الخلاص. والنقطة **الثانية** هي اجتماع الشعب للاحتفال. والنقطة **الثالثة** هي تسليم الإيمان والصلوات للأجيال التي تُولد في إطار الإيمان الخاص بالجماعة. وهذه هي الركائز الثلاثة لتكوين شعب الله في العهد القديم:

١- أنت تحتفل بعمل إلهي.

٢- تجتمع الجماعة كلها، ويدخل الاحتفال كل بيت.

٣- تجمع الشعب وتُعلِّم الجيل الجديد ماهية الإيمان، وماهية الصلاة، وماهية عمل الله. فيكون الاحتفال بالعيد مناسبة لتثبيت الإيمان، والارتباط بتاريخ الجماعة، والاعتراف بالإيمان الصحيح.

ويجب ألا ننسى إطلاقًا أن الاحتفال بهذه المناسبة يُعد بمثابة استمرارية للشعب، فلا يجب أن ننسى أن هناك أُناسًا يولدون في الجماعة من جيلٍ إلى

جيل، وبالتالي يصبح العيد مناسبة لتثبيت الإيمان، أمَّا إذا اقتصر الاحتفال على الأكل والشرب وتبادل الهدايا ... إلخ فهو أضعف مظاهر العيد، لأن الأعياد لم يكن لها في الحقيقة المظهر الموجود في العصر الحديث من تضييع للوقت في عمل الفطير وتبادل التهاني والزيارات، هذه الأشياء حوَّلت العيد من مناسبة لإحياء الإيمان إلى مناسبة لخلق علاقات اجتماعية لا علاقة لها بالإيمان.

لذلك أقول، إن احتفالنا بعيد الفصح، أي عيد القيامة في الكنيسة المسيحية، يجب أن يكون في الحقيقة احتفالًا بتثبيت الإيمان، وباجتماع الجماعة وبتعليم الجيل الجديد، وليس احتفالًا بانتهاء الصوم الكبير وأكل اللحم، وهو الترتيب الاجتماعي الذي دخل الكنيسة في العصر الحديث، وهو ترتيبٌ مفسدٌ للجانب الروحي.

عيد الفطير

في سفر اللاويين أصحاح ٢٣ لدينا عيدٌ آخر اسمه "عيد الفطير". "فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الرَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فِصْحٌ لِلرَّبِّ. وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ عِيدُ الْفَطِيرِ لِلرَّبِّ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلًا مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلًا مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ السَّابعِ يَكُونُ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلًا مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا (أسبوع راحة) ... وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ وَحَصَدْتُمْ حَصِيدَهَا، تَأْتُونَ بِحُزْمَةِ أَوَّلِ حَصِيدِكُمْ إِلَى الْكَاهِنِ" (لا ٢٣: ٥ - ١٠).

إذن، مدة هذا العيد هي أسبوع، وعندما تجيء إلى الأرض تقدِّم من الحصاد تقدمة لأن الرب أعطاكم هذه الأرض. عيد الحصاد والاحتفال بعيد الفطير، أي

الخبز الذي يخلو من الخمير، يكشف بوضوحٍ شديد كيف يفرض الإيمان نفسه على الوضع الاجتماعي. هنا الإيمان يفرض وضعًا اجتماعيًّا إيمانيًّا على الحياة الاجتماعية، فالعبراني لا يعمل أي عمل لمدة أسبوع، طبعًا نحن نتكلم عما كان يحدث في العهد القديم، أمَّا في العهد الجديد، فهذا لا يحدث، ولا حتى عند اليهود في العصر الحديث.

لكني ألفت النظر إلى نقطتين مهمتين جدًا خاصتين بالأعياد؛ **النقطة الأولى** هي أن الجماعة تنعزل عن عادات الشعوب الأخرى، تتعطل عن العمل لمدة أسبوع، وتقدم بواكير الحصاد للرب، وهو ما يعني أن هناك إيمانًا كبيرًا جدًا وعميقًا بأن الزراعة والفلاحة والشطارة والذكاء ليست هي التي تجلب بركة الأرض، ولكن الله خالق السماء والأرض. وهنا يجد الإيمان بما كُتب في العدد الأول في سفر التكوين في الأصحاح الأول "في البدء خلق الله السموات والأرض"، تعبيره العملي في تقديم الشعب لباكورة الحصاد، فالشعب يقدم الباكورة، والشعب يجتمع، والشعب يعترف بهذا الإيمان. والتقديم، أي تقديم الشعب لباكورة الحصاد لله، يغرس في الإنسان إيمانًا عميقًا جدًا بأن الله هو الخالق، وأنه يوفى بالعهد الذي قطعه مع الآباء البطاركة ببركة الأرض، وببركة التقدمات التي تأتي من غلات الأرض.

أريد أن أقول هنا إن الأعياد بشكلٍ عام، وهذه هي **النقطة الثانية**، هي أعياد تغرس في الجماعة إيمانًا عميقًا جدًا بالله، وأن هذا الإيمان هو إيمان احتفالي، وهو ما يعني أنه يتضمن الاعتراف، وفي الاعتراف إجماعٌ عام، وفي الإجماع العام شعورٌ بالانتماء. وهو ما يجب أن تغرسه فينا أعياد الميلاد أو عيد الغطاس، أو عيد القيامة، فمن الضروري أن تُدخِل الأعياد في نفوس الشعب الإيمان والشعور بالانتماء إلى الكنيسة، والانتماء إلى التاريخ أيضًا، وقد يكون أقوى شيء في اليهودية هو الانتماء للتاريخ، والتاريخ المقصود هنا ليس تاريخ إنجازات الشعب، أبدًا، وإنما تاريخ ما فعله الله في تحقيق المواعيد.

عيد المظال / التجلي

في شهر أغسطس نحتفل بعيد التجلي، وعيد التجلي في العهد الجديد، هو عيد المظال في اليهودية، وهو العيد الذي قال فيه القديس بطرس للرب يسوع "يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً" (مر ٩: ٥). وقد ورد هذا العيد في سفر اللاويين: "كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابعِ عِيدُ الْمَظَالِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلًا مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. إِنَّهُ اعْتِكَافٌ. كُلُّ عَمَلِ شُغْل لاَ تَعْمَلُوا" (لا ٢٣: ٣٤ - ٣٦).

عيد المظال عيدٌ مهمٌ جدًا، لأن الشعب كانوا يقيمون فيه نوعًا من الخيام المبنية من الشجر وفروع الأشجار، ويحتفلون بالإقامة فيها لمدة أسبوع تذكارًا لرحلتهم التي استمرت أربعين عامًا في البرية بعد تحريرهم من عبودية فرعون. وفي عيد المظال تأكيدٌ لحضور الله وسط بني إسرائيل، خصوصًا حسبما ورد في حزقيال: "وَأَقْطَعُ مَعَهُمْ عَهْدَ سَلاَمٍ، فَيَكُونُ مَعَهُمْ عَهْدًا مُؤَبَّدًا، وَأُقِرُّهُمْ وَأُكَثِّرُهُمْ وَأَجْعَلُ مَقْدِسِي فِي وَسْطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ. وَيَكُونُ مَسْكَنِي فَوْقَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا. فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُ إِسْرَائِيلَ، إِذْ يَكُونُ مَقْدِسِي فِي وَسْطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ" (حز ٣٧: ٢٦ - ٢٨)، وهو يبين أن الله يحفظ شعبه من أجل مملكة داود الآتية.

طبعًا، عندما تجلى الرب يسوع المسيح على الجبل، أحضر معه الاثنين الأنبياء، إيليا وموسى. إيليا بوصفه أكثر إنسان ثبَّت عبادة التوحيد، الله الواحد، وموسى بوصفه أكثر إنسان يُعد مسئولًا عن العهد، عن الخروج، وعن المواعيد الكثيرة التي قيلت في سفر الخروج، وعن وعد الله بالخلاص. يأتي المسيح له المجد ويقف بينهما، وكيفما يقول العلامة أوريجينوس وبعض آباء الكنيسة أن

هنا لدينا النبي الذي ذبح أنبياء البعل، والذي تكلم عن التوحيد، والنبي الذي أتى بالوعد، بالبركة، بالأرض، وبمجيء (النبي) وتأسيس مملكة داود، والاثنان يشهدان، ويسمعان شهادة الآب للابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

عيد التجلي، أو عيد المظال في العهد القديم هو عيدٌ خاصّ بحياة الدهر الآتي أصلًا، حتى في العبراني يسمونه "عولام هابا"، أي العالم الآتي، أو الحياة التي سوف تأتي، **لأن الحياة الحاضرة لا تكمُل بالتاريخ المعاصر، أي أن كمال الإنسان ليس فقط في أن يعيش أيَّ كمٍّ من السنين، وإنما كمال الإنسان هو في الملك الأبدي في مُلك الله، في ملكوت الله.** ففي مُلك الله، الحياة تكمُل، لأن الموت هو تهديد للوجود الإنساني.

الجديد في عيد المظال عندما أصبح هو عيد التجلي، هو مجد المسيح الذي أنار حتى الثياب التي كان يلبسها، بنور أقوى من نور الشمس، وهو ما يبيِّن المصير الخاص بـ"العولام هابا"، أي حياة الدهر الآتي، حياة الدهر الآتي في القيامة. وهو الكلام الذي قاله الرسول بولس في فيلبي: "الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢١). وهو ما يعني أن صورة جسد مجده لم تكن فكرة تُقال في كلمات، وإنما رؤية أُعلِنت على جبل التجلي الذي نسميه في التاريخ الكنسي جبل تابور.

ففي تجلي الرب نعيش الإحساس القوي بأن هناك شيئًا ماديًا له كمال في العطية الإلهية، ليس من شيء أكمل التاريخ الإنساني كما فعل التجسد، بتعبير القديس كيرلس الكبير "الاتحاد الأقنومي"، فالقديس كيرلس يقول **إن الاتحاد الأقنومي أكمل التاريخ، لأن التاريخ إذا انتهى بموت الفرد، وأصبحت الجماعة تعيش لفترة ثم تموت، فيكون التاريخ قد انتهي عند القبر، لكن التاريخ في الحقيقة لا ينتهي عند القبر، إنما التاريخ يبدأ عند القبر، يبدأ**

بحياة الدهر الآتي، ويبدأ أيضًا بحل قضية "ترابٌ أنت وإلى التراب تعود"، بأن أصبحت "النفس" في التعبير الطقسي هي وديعة، وديعة للروح القدس، والجسد أيضًا وديعة، يُستودع الجسد في صلاة الراقدين للروح القدس لكي تبدأ حياة جديدة.

والقديس أثناسيوس الرسولي في كتاب "تجسد الكلمة" يقول: "لأننا -كالبذور التي تُلقى في الأرض- لا نفنى عندما ننحل بالموت، بل نُزرع في الأرض لنقوم ثانيةً، إذ أُبيد الموت بنعمة قيامة المخلص، لهذا أخذ المغبوط بولس على عاتقه تأكيد القيامة للجميع، إذ يقول: "لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة "ابتُلِع الموتُ إلى غلبة. أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية" (تجسد الكلمة ٢١: ٢)، وهو التعبير الموجود في كورنثوس الأولى ١٥ عن القيامة.

عيد الخمسين "البنطقستي»

أمَّا عيد البنطقستي، عيد العنصرة، فقد ورد في سفر اللاويين ٢٣ "ثُمَّ تَحْسُبُونَ لَكُمْ مِنْ غَدِ السَّبْتِ مِنْ يَوْمِ إِتْيَانِكُمْ بِحُزْمَةِ التَّرْدِيدِ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ تَكُونُ كَامِلَةً. إِلَى غَدِ السَّبْتِ السَّابعِ تَحْسُبُونَ خَمْسِينَ يَوْمًا، ثُمَّ تُقَرِّبُونَ تَقْدِمَةً جَدِيدَةً لِلرَّبِّ" (لا ٢٣: ١٥ - ١٦). وهذا العيد يأتي في السبت السابع بعد عيد الفصح، وقد كان يُعد في بني إسرائيل عيدًا مزدوجًا، لأنه كان يقع بداية الصيف، ويقدمون فيه الخبزات التي تُقدم لله، والتي تحمل معنى البركة. وفي زمن الرب يسوع كان هذا العيد مخصصًا أيضًا لنزول التوراة وبالتالي هناك احتفال بعيد العنصرة في يوم الخمسين، وأيضًا احتفال بنزول التوراة، نزول الناموس.

وفي احتفال الكنيسة بهذا العيد، وهذا هو الطقس الاسكندراني القديم، نجد كثيرًا من الأوعية المملوءة بالفحم المشتعل ينطلق منها دخان البخور،

وهذا في الحقيقة هو مثال للاحتفال بعيد نزول الله على جبل حوريب، لكن في العهد الجديد في يوم الخمسين، في عيد العنصرة نزل الله، الروح القدس، وهو ما تعبِّر عنه صلوات السجدة. وبالمناسبة، نحن في عيد العنصرة لا نحتفل بحلول مواهب الروح القدس، إنما نحتفل بحلول الروح القدس، أقنوم الروح القدس، وصلوات السجدة تؤكد هذا الأمر بوضوح.

فعيد الحصاد، أو عيد الخمسين، هو العيد الذي نحتفل فيه بالشريعة الجديدة التي جاءت مع المسيح، التي هي ناموس الحياة، فقد حل الروح القدس محل التوراة، وهو موضوع مهم جدًا، وكبير جدًا جدًا يحتاج إلى حديثٍ طويل، لأننا نظن أن الشريعة هي الوصايا، لا أبدًا، الشريعة ليست هي الوصايا، ولا حتى في العهد القديم، وإنما الشريعة هي العهد، والعهد هو الأساس الذي تُبنى عليه الشريعة، ولذلك في كل مرة كان فيها بنو إسرائيل يكسرون العهد، كانوا يكسروا الشريعة. لذلك فإنني أخشى أن نكتفي بالجانب الأخلاقي والقانوني، وننسى الجانب اللاهوتي والروحي، ففي يوم الخمسين، عندما تقيم الكنيسة صلوات السجدة، فنحن نحتفل بحلول الروح القدس.

لكن يجب أن يَقَر في أذهاننا أن حلول الروح القدس هو جزءٌ من العهد، بل وهو أساس العهد، لأن المسيح له المجد، بالذات ابتداءً من يوحنا ١٤، وهو ما تمارسه الكنيسة في صلوات البصخة، حيث نقرأ ما يسمى بفصول البارقليط، في الساعة الأولى من ليلة الجمعة الكبيرة، على أساس أن البارقليط الذي هو المسيح يُسلَّم للذبح لكي يأتي البارقليط الآخر: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ،" (يو ١٤: ١٦). أي روح الحق الذي يأتي ليسكن في الكنيسة، ليس سُكنى مؤقتة كالتي حدثت على جبل حوريب عندما أُعلنت الوصايا العشر ونزل الناموس، بل أصبحت السكنى الأبدية والروح القدس في وسط جماعة الرب.

وكل ما يخيفني من الكلام الذي أثير لدينا عن الحلول المواهبي، هو أن هذا الكلام يعني أن الكنيسة أصبحت بدون الله، فقد حلَّت المواهب محل الروح القدس، وهذا شيء مخيف، مخيف جدًا أن يكون لدينا أعمال الروح، لكن ليس لدينا الروح نفسه، وهو أمرٌ هائل الخطورة. لكن الرجوع للصلوات الطقسية في الكنيسة، والرجوع للكتاب المقدس يكشف لنا أننا نحتاج إلى يقظة روحية لكي نعرف أن الأعياد هي مناسبة احتفالية كبيرة جدًا نحتفل بها لتثبيت الإيمان، وليس ذلك فقط، بل ولِنقل هذا الإيمان للجيل الجديد، وهي مناسبة أشعر فيها بالتفاعل القوي بيني وبين مواعيد الله.

عيد الكفارة العظيم

أمَّا يوم الكفارة، يوم كيبور، ويوم الكفارة يوم مهم جدًا، لأنه دخل في الروزنامة العبرانية وأصبح هو اليوم الذي يتوب فيه الشعب عن جميع الخطايا، وهو اليوم الذي يسامح فيه اليهود بعضهم على ما بدر منهم تجاه بعضهم البعض. وقد ذُكِر يوم الكفارة العظيم في العبرانيين في الأصحاحات ٥، ٦، ويُعتبر في العهد الجديد أنه اليوم الذي يرفع فيه الله خطايا الشعب كله.

وهنا أرجو أن نلتفت إلى أن الكنيسة ترتل كل يوم أحد في الصوم الكبير لحن "ميغالو" عن رئيس الكهنة العظيم الرب يسوع المسيح، وأرجو أن يُقال هذا اللحن باللغة العربية، أو أن يكون هناك نصٌّ عربي مكتوب، لكي يكون أمامنا المعنى الطقسي القديم بأن هذا اللحن يعبِّر عن بداية استعداد الرب يسوع رئيس الكهنة العظيم للدخول إلى قدس الأقداس، أي الجلجثة لتقديم ذاته ذبيحةً عن خطايا العالم كله.

ما هو يوم الكفارة؟ يوم الكفارة هو اليوم الذي يحتفل فيه الشعب بتطهيرهم من خطاياهم "لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ

خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ" (لا ١٦: ٣٠). لقد نسينا -بسبب الثقافة السائدة- أن الله عندما يعطي تعليمًا، فهو لا يعطي تعليمًا عن الموت، وإنما عن الحياة، وبحسب سفر اللاويين ١٧، فالدم هو حياة، تقدمة حياة. لذلك، فإن الذبح ليس كالقتل، والأمر العجيب أن الفعل العبراني "ذَبَحَ"، هو مثل الفعل العربي "ذَبَحَ"، "لأَنَّ نَفْسَ (نِفِش، أي حياة) الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ (**الله هنا هو الذي يعطي، وليس نحن الذين نعطيه لله**) إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ (**أي أنني أنا هو الذي يعطيكم هذا الدم للتكفير**)، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (لا ١٧: ١١)، وهذا مبدأ مهم جدًا لا يجب أن ننساه، أن التكفير هو تطهير للإنسان، وواضح في لا ١٦، ١٧ أن الكلام هو عن التطهير، والتطهير من الخطية يتساوى في التعبير الليتورجي في قداساتنا مع: "طهِّر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفهامنا وأفكارنا - **ⲙⲁⲧⲟⲩⲃⲟ ⲛ̀ⲛⲉⲛ ⲯⲩⲭⲏ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲥⲱⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛϩⲏⲧ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲃⲁⲗ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲕⲁϯ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲙⲉⲩⲓ̀ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲛⲥⲩⲛⲓⲇⲏⲥⲓⲥ**"[١].

التطهير هنا ليس فقط بمعنى التطهير من الخطية purification، بل بمعنى "التقديس"، وهو المعنى الذي يظهر من صلوات التقديس التي تقال على الخبز والخمر: "طهرهما"، ليس لأن هناك نجاسة تستوجب التطهير، بل بمعنى حلول الروح القدس لكي يعطي تقديسه، ونحن مقدسين في يسوع المسيح، ومقدسين بالروح القدس ومُطهَّرين بمعنى مقدسين بعمل روح القداسة فينا.

ولذلك، فالإنسان في العهد القديم لا يستطيع أن يقدم الدم لله لأنه فقط يريد أن يقدمه، وإلَّا يكون قد تعدَّى الكلام الذي جاء في سفر اللاويين،

(١) ورد هذا النص بصيغ متعددة في الصلوات الليتورجية، راجع على سبيل المثال قسمة للابن في صوم الأربعين المقدس، وقسمة سبت الفرح، وقسمة أعياد الملائكة، وغيرها. [المحرر]

وإنما الله هو الذي أعطى الدم للتطهير. وعلى ذلك، فإن الظن بأن الإنسان هو الذي يقدِّم الدم لله، فلم ينشأ إلَّا نتيجةً لدخول الفكر البروتستانتي في الكتابات القبطية نقلًا عن تشارلز ماكنتوش وغيره، ونتيجة تمسك بعض الآباء المعاصرين كالأنبا شنودة والأنبا بيشوي بالتعليم البروتستانتي. في حين أن الدم إنما يُقدَّم هبة حياة من الله لتطهير الإنسان من الخطية. ولا نستطيع أن نقول ما هو أكثر، بصريح نص سفر اللاويين: "فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ"، أي أنا الرب أعطيكم إياه على المذبح، **ولذلك حتى في العهد الجديد الذي أعطى دمه هو المسيح، ولسنا نحن الذين نقدم الدم بل هو قدم دمه في كأس العهد الجديد، وهو الذي أعطى جسده**، ولذلك نقول: "أخذ خبزًا، وبارك، وشكر، وكسر، وقال ..."، أي أننا نشير إلى العمل الذي قام هو به، لأنه ليس من أحد يمكنه أن يقدم المسيح، بل لأن المسيح قدَّم ذاته، فأصبح عمل التقديم هو الوديعة المعطاة للكنيسة.

نعم بالطبع، عندنا تقدمة وعندنا قربان في الكنيسة الجامعة، إنما هذه التقدمة وهذا القربان يجد أساسه في تقدمة المسيح، وهي ليست تقدمة خاصة بالكنيسة تقدمها من عندها، ولكنها تقدمة المسيح. ولذلك، فإن أحكام القطع والفرز والمنع من التناول هي أحكام في منتهى الخطورة، تكشف عن أن لدينا أُناسًا يظنون ويتوهمون أن هذه الذبيحة هي تقدمتهم الخاصة، وأنهم يملكونها. أمَّا إذا أفرز الإنسان نفسه وارتد عن الإيمان، فعندئذٍ يصبح قرار الكنيسة مجرد تحصيل حاصل، لأنه لم يتب، ولأنه يعتقد عقيدة غير عقيدة الكنيسة.

لكن في يوم الكفارة العظيم دخل الرب يسوع إلى قدس الأقداس "الموضع الذي لم يدخله ذو طبيعة بشرية" كما نصلي في قسمة سبت الفرح، فوجد فداءً أبديًا. لذا يجب أن يكون لدينا الوعي بأن يوم الجمعة الكبيرة، هو يوم

الكفارة الخاص بنا، وهو اليوم الذي قدَّم المسيح له المجد فيه ذبيحته وجلس عن يمين الآب وسبى الجحيم[١].

في الرسالة إلى العبرانيين ١٠ يقول الرسول: "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى "الأَقْدَاسِ" بِدَمِ يَسُوعَ (تعبير "دم يسوع"، ليس كلامًا عن حدث قديم وقع يوم الجمعة الكبيرة، لا أبدًا، ولكنه يدل على تقدمة الحياة بدليل ما جاء من كلام بعد ذلك)، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ، وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ، (لذلك) لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِق فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ (إشارة للمعمودية). لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخًا، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ" (عب ١٠: ١٩ - ٢٣)، أي أن يوم الكفارة هو الذي فتح المجال لذبيحة الإفخارستيا، والاحتفال السنوي الموجود في يوم الجمعة الكبيرة يجد أساسه في العهد القديم، لكننا هنا أمام ذبيحة أعظم بكثير جدًا من جميع ذبائح العهد القديم.

عيد الأبواق

ككل الأعياد اليهودية، كان عيد الأبواق عيدًا احتفاليًّا ببدء السنة المدنية، وبدء الشهر السابع من السنة الدينية، وكان الهدف من الهتاف بالأبواق هو دعوة الشعب للحضور أمام الرب، "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ يَكُونُ لَكُمْ عُطْلَةٌ، تَذْكَارُ هُتَافِ الْبُوقِ، مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلًا مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا، لكِنْ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ" (لا ٢٣: ٢٣ – ٢٥). فكان الكهنة ينفخون في البوق فيجتمع الشعب للصلاة. النقطة الجوهرية في العهد القديم هي اجتماع الشعب معًا، وهو ما نجد

(١) راجع، "نزول المسيح إل الجحيم"، مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ١٤ مايو ٢٠٠٩، ومقال آخر بعنوان: "السبت العظيم: أو نزول المسيح إلى الجحيم" منشور بتاريخ ٤ يونيو ٢٠١٠. [المحرر]

صداه في الأدبيات المسيحية الأولى، وكان لدينا تعبيرٌ متداوَل لا أعرف ما إذا كان ما يزال متداولًا أم لا، فعندما كان يبدأ القداس الإلهي كان الناس في جيلي يقولون: "الكنيسة منصوبة"، والفكرة أتت من خيمة الاجتماع، حيث تجتمع الكنيسة لتقديم الذبيحة التي هي ذبيحة الرب، ويجتمع الشعب، وكانت الأعياد هي المناسبات التي يتوحد فيها الشعب.

الوعي اللاهوتي بالعيد عندنا أصابه الوهن بسبب العادات الاجتماعية، لذا فنحن نحتاج إلى نهضة روحية كبيرة جدًا تذكرنا بأن **الأعياد هي مناسبة لتجديد الحياة، ومناسبة للاحتفال بعمل الله، ومناسبة لتسليم الإيمان للجيل الجديد**، فإذا لم يحدث ذلك سنكون قد خرجنا من إطار الكلام الموجود في الكتاب المقدس والليتورجية إلى المضمون الاجتماعي السائد في المجتمع، وبذلك نكون قد نحينا الإيمان جانبًا من حياتنا.

المسيح إلهنا يعطينا نعمةً ومعونةً لكي نستطيع أن نستوعب معنى الأعياد. لأن الاحتفالات التي وردت في العهد القديم كانت تقريبًا هي القوة الروحية التي أبقت على اليهودية، وعندما ضاعت الأعياد من اليهودية، ضاعت روح اليهودية ودخل فيها الجانب الاجتماعي كما دخل هذا الجانب في الكنيسة، وبذلك غاب الارتباط بالتاريخ بالمعنى اللاهوتي وحل محله الارتباط بالحركة الصهيونية، وأصبح الأمر مجرد موضوع سياسي، وهذا شيء مخيف جدًا لأنه خلع الأساس الروحي وأدخل الأساس الاجتماعي والسياسي.

الإفخارستيا هي جوهر أعيادنا المسيحية

أرجو ألَّا ننسى أن جوهر العيد عندنا هو ذبيحة الإفخارستيا، لأننا في ذبيحة الإفخارستيا نحتفل بأي عيد، سواء أكان عيد سيدي أو عيد من أعياد الشهداء أو عيد من أعياد القديسين أو حتى عيد احتفالي بتأسيس كنيسةٍ

ما، أيُّ عيدٍ نحتفل به من دون الإفخارستيا لا يكون عيدًا، لماذا؟ هناك **أربعة أسباب** أساسية موجودة في تاريخنا الكنسي؛

السبب الأول أننا لا نستطيع أن نحتفل بشيء من دون المسيح، لأن كل احتفالاتنا وكل فرحتنا أيًّا كانت، تدور حول مركز الحياة في الكنيسة، وهو رأس الكنيسة الرب يسوع المسيح، في عيد مار جرجس، نحتفل بالإفخارستيا، في عيد الميلاد نحتفل بالإفخارستيا، لأنه إذا كان المسيح هو مركز الحياة، **فالسبب الثاني** هو أن مركز الحياة هو تقدمة الحياة الأبدية في المسيح يسوع، الحياة الأبدية التي تُعطى في التناول من الجسد والدم.

والسبب الثالث هو أننا عندما نحتفل بالإفخارستيا هناك مبدأ طقسي لاهوتي قديم ننساه، وهو أن الاجتماع الإفخارستي هو اجتماع الكنيسة ككل، وليس اجتماعًا لمجموعة أفراد، بل التئام جسد المسيح، لأن الشعب كله يجتمع حول المذبح وحول الذبيحة، أي احتفال جماعة.

السبب الرابع والأخير هو أننا عندما نحتفل بالأعياد من خلال الاحتفال بالإفخارستيا، فلا يقتصر التناول من الجسد والدم على قبول هبة الحياة الأبدية في يسوع المسيح فقط، ولكن يتحقق أيضًا البُعد الكنسي الذي نحن في حاجة إلى استعادته، ألا وهو أنني عندما أتناول جسد الرب ودمه، إنما أستعيد العلاقة اللاهوتية القوية بيني وبين كل إنسان في الكنيسة، وليس فقط بيني وبين كل إنسان يحيا معي وأراه وألمسه، بل أيضًا بيني وبين القديسين، بيني وبين الشهداء، بيني وبين الآباء المعلمين، لأن الذي يجمع أعضاء الكنيسة في جسد واحد هو الرب يسوع المسيح. وما يصنع الصلة بيني وبين بيت لحم والأردن والجلجثة والقبر والقيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب، وأثناسيوس وباخوميوس وكيرلس وأنطونيوس والسيدة العذراء والدة الإله وكل هؤلاء، هو القوة الروحية الإلهية للإله المتجسد التي جمعت الكنيسة في

جسدٍ واحد. فعندما اتناول، تكون لي شركة مع هؤلاء، آخذ هؤلاء في حياتي، وأكون هنا قد غُرست في جبل الله المقدس كما نقول في المزامير، وأصبحت ثابتًا في الكرمة الحقيقية التي هي الرب يسوع المسيح.

لذلك، ولكي يكون لدينا هذا الوعي بما يمثله الاحتفال بالإفخارستيا أو بالأعياد في حياتنا من أهمية روحية وإيمانية، تتمثل في تثبيت الإيمان، وتسليمه للجيل الجديد، وتحقيق الانتماء لتاريخ علاقة الله معنا، والانتماء إلى الكنيسة جسد المسيح، علينا أن نستعيد وضع الأسرة الذي كان سائدًا في الكنيسة القبطية ابتداءً من العلامة أكليمنضس وحتى العصر الحديث. **فقد كان في كل بيت قبطي مقصورة، كانت هي مكان اجتماع صلاة الأسرة، لأن الأسرة التي لا تجتمع مع بعضها للصلاة لا تستطيع أن تسلِّم الإيمان لأطفالها، وأنا هنا أتكلم عن خبرة شخصية**، إذا انقطعتَ عن أن تصلي مع أولادك ومع زوجتك، فستجد أن الحياة الروحية قد هبط مستواها وأصبح متدنيًّا.

وفي القرن الثالث والرابع والخامس نعرف من المدونات القبطية أنه كان لكل أسرة أكثر من عيد، تحتفل فيه بعيد شهيد أو قديس، وكان كل واحد من أفراد الأسرة له شفيع، أو قديس، وكان الأولاد والبنات يُسمَّون بأسماء شهداء وقديسين، وكل فرد كان يحتفل بيوم معموديته وهو اليوم الذي تعمَّد فيه، وقد يكون هذا اليوم يوم نياحة أو استشهاد واحد من القديسين، فترتبط معمودية الطفل بعيد الشهيد، وتحتفل الأسرة بعيد الشهيد، وبذلك يعود الولد أو البنت -بطبيعة الاحتفال بالعيد- إلى الحياة الكنسية. أنا لم أرَ هذا الأمر في العصر الحديث، وإن كنت رأيت هذا في أعماق الصعيد في منطقة الأقصر بصعيد مصر، حيث كانوا يأتون بالأب الكاهن ليعمل لهم ميمر، ولما تساءلت عن ذلك، تبين لي أن آبائنا الفلاحين الفقراء لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة، وبالتالي كان الكاهن يقوم بمهمة قراءة سيرة الشهيد، أي الميمر

الذي يحوي سيرة الشهيد، وبالتالي أصبح العيد في التعليم القبطي الأصيل هو مناسبة لارتباط الطفل أو الولد والبنت بالكنيسة، بيوم معموديته، بعيد الشفيع، باجتماع الصلاة في البيت؛ الاجتماع اليومي، وبالانتماء إلى القديسين الذين يعيش معهم. ومن بعض المدونات القبطية من بعد القرن الخامس والسادس، نعرف أنه كانت توجد أيقونات في البيوت.

لكن إذا افترضنا أن هذه الأمور أصبحت غير موجودة، أو أنها أصبحت صعبة التنفيذ، فما هو البديل السهل الممكن في العصر الحديث؟

السهل في العصر الحديث هو **الحفاظ على أربعة أمور**؛

الأول هو أنه ينبغي على الطفل سواء أكان ولدًا أو بنتًا أن يلبس صليبًا، بحيث يكون مرتبطًا بهذا الصليب كعلامة عهد بينه وبين المسيح في معموديته، لأن الصليب مرتبط بالمعمودية. وتسليم الطفل رشم الصليب وتعليمه أن يرشم الصليب كل مرة قبل أن يصلي، بكون رشم الصليب هو استعادة للمعمودية، استعادة للعلاقة الأبدية التي بينه وبين المسيح. لأن رفع اليد من الشمال ووضعها على اليمين، وهو المعنى الرمزي الموجود عندنا في الشرح الطقسي للصليب ابتداء من القرن الثالث والرابع وما بعده، يعني أنك انتقلت من الدينونة إلى الحياة الأبدية، وبالتالي ليس هناك ما هو أعظم من أنك عندما تقول باسم الآب والابن والروح القدس، فبالروح القدس تنتقل من الدينونة إلى الحياة الأبدية، وهو ما يعني أنك أصبحت عن يمين المسيح[١].

الأمر الثاني، وهو موضوع كبير لا نستطيع أن نتكلم عنه بالتفصيل حاليًا، ألا وهو كيف نكوِّن نظرة مسيحية أرثوذكسية للجسد؟[٢] ذلك أن الطفل في

---

(١) يمكن للقارئ العزيز أن يراجع كتاب معاني رشم الصليب في الحياة الروحية وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، جذور للنشر، القاهرة، ٢٠١٦، منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com.[المحرر]

(٢) راجع، "ثنائية الجسد والاستنارة بالروح – ما هي نظرة المسيحية للجسد؟" محاضرة منشورة على

بداية وعيه، وبالذات في فترة المراهقة وما بعدها إلى أن يكبر ويستقل بشخصيته، يكون أكثر شيء مرتبط بحياته كإنسان هو الجسد.

فالاحتفال بالأعياد، الأعياد السيدية بالذات تقول له **إن الجسد الذي تملكه موجود في جوهر اللاهوت بسبب تجسد الابن**، وأن المسيح له المجد قد مرَّ بمراحل الحياة الإنسانية، مرحلة الولادة والطفولة، ومرحلة البلوغ ومرحلة النضوج إلى أن صُلِب على الصليب، وبالتالي يتلقى الطفل تعليمًا عن أن هذا الجسد شيء مقدس وغالٍ جدًا عند الله، لأن الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح أخذ هذا الجسد في تجسده وأخذه معه إلى السماء، وأن جسد الرب يسوع الموجود عن يمين الآب في السماء إنما ينتمي إلى الطبيعة التي ينتمي لها الطفل، وهو يماثل جسده تمامًا، وأن المسيح يملك هذا الجسد، وأن المسيح يحب جسدك ويحب أن تكون بصحة جيدة، ويحب أن تحافظ على جسدك، ليس لإرضاء الجسد، ولكن لأن هذا الجسد له قيمة كبيرة جدًا عند الله، وبالتالي يجب عليه أن يمتنع عن أن يهين جسده، وأن يحرص عليه نظيفًا مهندمًا، ليس لأن النظافة فرض، أو فقط خوفًا من أن يُصاب بأمراض، وإنما لأن النظافة تعبير عن الجمال، بوصف الجمال هو أحد العطايا الإلهية للإنسان، وهو ما ينعكس إيجابًا على حياة الطفل، فيستطيع أن يرى الحياة بوصفها عطية جميلة من الله، فيميز ما فيها من قيم جمالية مختلفة، وهي قيم يرى بعضها في الكنيسة؛ في الأيقونات وفي البخور وفي الشموع، وفي أن بيت ربنا بيت جميل فيه الملائكة وفيه القديسين وفيه الانتصار والمجد الإلهي الموجود في الكنيسة، في جمال الطبيعة؛ في الورد في الأزهار، في البحر، في الموسيقى.

موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠١٤. وأيضًا مقال منشور على ذات الموقع بعنوان: "طهارة الجسد، الدسقولية وتعليم الآباء أثناسيوس الرسولي وذهبي الفم وكيرلس الكبير" منشور على ذات الموقع بتاريخ ٢٣ ديسمبر ٢٠١٣ [المحرر]

وما يساهم في تكوين النظرة المسيحية الأرثوذكسية للجسد، مسألة اختيار القصص الروحية الجيدة التي تزرع في نفس الطفل البطولة والشجاعة وعدم الخوف والتضحية والبذل. وبالتالي علينا أن نعيد القصة إلى الوضع القديم الذي كانت تحتله في حياتنا والذي نشأنا عليه. وفي الحقيقة، كانت القصة هي أحد مصادر القوة في التربية اليهودية القديمة، وقد لعبت القصة اليهودية دورًا كبيرًا جدًا في بقاء اليهودية حيَّةً، كما لعبت القصص القبطية دورًا كبيرًا جدًا في تثبيت العقيدة والطقوس، فعندما كنا نخدم في خدمة القرى أيام أن كنت في الإكليريكية، كنت أسمع قصصًا من الناس، عن أشياء كثيرة، عن السيدة العذراء وعن مار جرجس وغيره، وقد تكون القصة خيالية، ولكنها كُتبت لتأكيد معنىً ما في العقيدة أو في الطقوس.

الأمر الثالث، هو التحاور، الكلام، التعليم في البيت عن طريق مراجعة ما نتعلمه أو ما نعيشه في الكنيسة. كان أحد أسباب الخلاف مع الأنبا شنودة هو إن برامج التربية الكنسية في الكنيسة القبطية كلها لا تصلح، وتحتاج إلى إعادة نظر، واختلفنا اختلافًا كبيرًا جدًا، فقد كان يرى -على سبيل المثال- ضرورة دراسة الكتاب المقدس بوصفه كتابًا مقدسًا، جريًا على ما يحدث في اجتماعات درس الكتاب في الكنائس، وكنت أرى -وهذه كانت إحدى نقاط الخلاف- دراسة الكتاب المقدس من خلال السنة الطقسية، أي السنة الليتورجية، لأن هذه الطريقة سوف تُتيح لنا أن نحيا في العائلة ما نحياه في الكنيسة.

فمثلًا، في صوم الميلاد وفي شهر كيهك يتم دراسة قراءات صوم الميلاد، فنتكلم عن قصة التجسد وعن النبوات عن المسيح. وعندما ينتهي موسم صوم الميلاد كيهك، يبدأ موضوع المعمودية، وشرح طقس اللقان، وعندما تأخذ زجاجة مياه اللقان معك إلى البيت، تُذكِّر ابنك بمعموديته، وهذا هو

المقصود في الحقيقة بطقس اللقان، الاحتفال بمعمودية الأسرة، معمودية الأب والأم والولد والبنت. وفي الصوم الكبير تدور الدروس الكتابية خاصةً عن معاني الصوم، وبالتالي تحاول أن تجعل ابنك وبنتك يصومون على قدر طاقة كل منهم بدون تشنج وبدون إرغام، أو أن تعلمهم بعض التداريب الهامة كالتدريب على أن يصلوا صلاة يسوع أو الصلاة الربانية في بعض فترات النهار، كنوع من الانقطاع عن الكلام أو اللعب أو الهزار. أو تدربهم على ضبط الفكر بأن يرفض كل فكرة أيًّا كانت، حتى وإن كانت فكرة جيدة ليس لها علاقة بالمسيح، وبالتالي يعود إلى صلاة يسوع. أو التدريب على فحص القلب من الداخل، فقد اعتدنا كل يوم في العشية أن نتقابل قبل العشاء ونصفي أعمال النهار؛ من أخطأ في مَن، ومَن غضبان ومَن مبسوط، نصفّي النهار كله، ثم نصلي ونتناول طعام العشاء معًا.

وفي الحقيقة، فإن فترات الأكل وإن كانت تبدو لنا على أنها حياة اجتماعية مادية زائلة، لكن هذا غير صحيح، لأننا بينما كنا نأكل نعرف أننا نأكل خيرات الله التي أُعطيت لنا كبركة بسبب أن الله هو خالق كل شيء في الكون، وكان لهذا الأمر تأثيرٌ كبير جدًا على احترام الأكل، وأن الأكل حتى لو لم يكن مطبوخًا بطريقة سليمة، لا يصح أن نتذمر عليه، وبالتالي يكون هناك نوع من ضبط النفس، لأنني آكل شيئًا ربنا أعطاه لي، وبالتالي فحتى لو كان طعمه أو شكله غير مرغوب، فلا يجب أن أتذمر، ولا أن أتمرد، لأن الصوم هو قبول الطعام في أبسط أشكاله، لكي يكون لديك قوة إرادة فلا تُستعبَد لرغبة من الرغبات. وهذه مسيرة ومشوار لا يحدث في يوم أو اثنين أو ثلاثة، بل يشب الولد وعنده إيمان بشخصيته وبذاته.

الأمر الرابع، هو عدم فرض أي شيء على الأولاد أبدًا، وإنما ترسيخ مبدأ المسئولية عن أي شيء يختاره، بعد أن توضح له مزايا أو مضار هذه الاختيارات،

لأن استخدام سلطة الأب أو الأم في إرغام الولد أو البنت على شيء ما هو من أخطر الأمور في التربية، لأنه يهدم العلاقة بين الاثنين. أنا أقول هذا الكلام لأننا يجب علينا أن نزرع بالترغيب لا بالتهديد، وأن نشرح للطفل أو الولد أو المراهق مسئولية كل فكرة، مسئولية كل عمل، وكيف أنه هو كمسيحي يحتاج إلى أن يتحمل مسئولية أفكاره، وأن يراجع نفسه على ما تعلمه من إيمان، وأن يفهم أن العيد هو مناسبة لتجديد الحياة، الحياة تتجدد، تتجدد في الفكر وفي الشعور، وأن يحترم جسده، وهو أمر في غاية الأهمية لأنه يجب أن يكون واضحًا أن إحدى بركات التجسد هي تقديس الجسد، وأن جسدي مغروس في جوهر اللاهوت بسبب التجسد، وبسبب المعمودية وبسبب الميرون وبسبب الإفخارستيا، لأن الله هو الذي شاركنا في طبيعتنا لكي نشترك في طبيعته. المسيح إلهنا يمنحنا الفكر المستقيم القويم الأرثوذكسي ويرحمنا ويعطينا يقظة روحية لكي لا ننساق وراء العالم، وأن نحيا الحياة الروحية الحقيقية، وأن نستعيد الجانب اللاهوتي لكي يكون لنا شركة معه ومع الآب في الروح القدس له كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

الفصل العشرون

العنف الدموي في العهد القديم[١]

كثيرًا ما سمعت وقرأت هذا التساؤل عن العنف في العهد القديم، ومن ذات التساؤل يستنتج بعض الأخوة سؤالًا آخر: هل إله العهد القديم هو ذاته إله العهد الجديد؟ ماذا عن قتل الرجال والنساء، وأخذ النساء سبايا (عدد ص ١٣)؟ كيف يأمر الله بالعنف الدموي، وهو إله المحبة؟

أولا: لا يوجد كتاب اسمه العهد القديم، بل حسب التقسيم القديم، توجد التوراة – الأنبياء – الكتب التاريخية – أسفار الحكمة. وقد اختُصِرت هذه الكتب بحسب النطق العبراني في الكلمة "تناخ": توراه – نبيين – حكمة. ولعل القبطي الأرثوذكسي قد لاحظ أن هذه المجموعة من أسفار (العهد القديم) لا تُقرأ في القداسات، وإن كانت بعض الفصول المختارة تُقرأ في أسبوع البصخة، وتشمل النبوات عن المسيح، ونبوات الأنبياء عن نهاية إسرائيل حكومةً وملكًا ومملكةً وهيكلًا، بل نهاية العهد القديم في أرميا ٣١: ٣١.

وعندما لا يميِّز المسيحي بين العهدين، عهدٌ قام على الشريعة، وعهدٌ قام وتأسس على شخص الله الكلمة، فإن الانحراف عن قصد الله في نقل الإنسانية من الطفولة إلى البلوغ، يصبح غير واضح.

ثانيًا: العهد القديم هو مملكة كانت تحت قيادة الأنبياء، صموئيل النبي، وقيام داود بعد سقوط شاول الملك إلى السبي البابلي في عهد منسى الملك.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في ١١ مايو ٢٠١٨.

إذن، فتلك تشريعاتٌ خاصةٌ بالحرب وتأسيس مملكة ثيوقراطية تحكم باسم الله، وتجد هذه المملكة ذاتها مُلزمةً بالحرب، ولم تكن تصرفات بني إسرائيل في الحرب تختلف عن تصرفات الشعوب الأخرى مثل الفرس والأشوريين، بل والمصريين أيضًا.

ثالثًا: أمَّا العهد الجديد، فهو ليس حكمًا ثيوقراطيًا، ولا هو مملكةً أرضيةً، وليست الشريعة هي حجر الأساس فيه، بل يسوع الرب "عهدٌ جديد بدمي الذي يسفك عنكم وعن كثيرين يُعطى لمغفرة الخطايا"، لا لعقاب الخاطئ.

رابعًا: لم تطلب الشريعة القديمة تجسد ابن الله، ولا صلبه، ولا قيامته (يو ٣: ١٦)، بل أرسل الآب ابنه لكي يفدي ويحرر الذين هم تحت الشريعة (غلا ٤: ٤ - ٦).

وعلى ذلك، فاختلاف العهدين هو الجواب الواضح، وليس الله الواحد الذي لا ينقسم إلى إلهين، إله عهد قديم وإله عهد جديد.

أساس العهد الجديد هو يسوع، وهو شخصٌ وليس شريعةً. وقد أبطل يسوع كل أحكام الشريعة لأن السبت جُعِلَ لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. وقد كتب القديس بولس الرسول بحثًا، هو الرسالة إلى رومية أوضح فيه:

١- وأمَّا الآن -عندما تجسد ابن الله- فقد ظهر بر الله بدون الشريعة (رو ٣: ٢١).

٢- بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون (رو ٣: ٢٢).

٣- إذ نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون الأعمال التي تطلبها الشريعة.

٤- كان إيمان إبراهيم هو الذي بره لأنه حُسِبَ له (تك ١٥: ١ - ٦)، إذ آمن

إبراهيم بالرب فحُسِبَ له برًا. كان الإيمان هو سبب تبرير إبراهيم (رو ٥: ١)، وهنا يجب أن نقول إن استعارة الكلمة القرآنية "بر"، هي استعارة غير موفقة؛ لأن "بر" تعني الإحسان، أما حسب لغتنا القبطية، فالكلمة تعني "Ⲧⲙⲉⲑⲙⲏⲓ"، أي الحق، وهي أيضًا: "ص د ق"، فالصدق هو الحق. وعلى ذلك يكون المعنى: ظهر صدق الله وحقه في أنه ليس تحت وصاية الشريعة، ولم يخلق الكون والإنسان لأن شريعةً حكمت بالخلق، ولا توجد شريعة تحكم بفداء الإنسان، سوى صلاحه ومحبته، وهما ليسا بشريعةٍ. ولذلك يقول رسول الرب: "لم أعرف الخطية إلَّا بالشريعة" (رو ٧: ٧).

وحسب تاريخ العهد القديم لم يكن شعب إسرائيل أفضل أخلاقيًّا من الشعوب الأخرى المحيطة بهم، ومن السخافة أن يقول بعض الذين لم يفهموا الفرق بين العهدين، إن الله عاقب هذه الشعوب بواسطة بني إسرائيل؛ لأن السبي جاء ليقول لنا، بل يصرخ: إن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله.

إن الفرق بين المملكة والكنيسة هو أحد الفروق الهامة بين العهدين: عهد الظلال، وعهد النور.

فالشريعة من الله لحكم مملكة لها قانون.

أما الفداء، فمن الله لكي يحرر الإنسان بالشركة في حياة الثالوث، وهي شركة نعمة من الآب بالابن في الروح القدس.

القسم الثالث

دراسات حول العهد القديم

الفصل الواحد والعشرون

الرد على نقد العهد القديم(١)

كان Jean Astruc (١٦٨٤ - ١٧٦٦) هو أول من تخيَّل أن التوراة، أي أسفار موسى الخمسة تحتوي على عدة أسماء إلهية، أهمها إلوهيم - يهوه، وبالتالي ظنَّ أنه توجد وثيقتين جُمعتا معًا: الأولى خاصة بإلوهيم، والثانية خاصة بيهوه؛ لأن اختلاف الاسمين جعله يعتقد أن التوراة هي مجموعة وثائق جُمعت معًا.

هذه نظرية وفرض؛ لأن عدم العثور على وثيقتين، يجعل فكرة دمج وثيقتين مجرد احتمال لا يرقى إلى الحقيقة. وتقدمت فكرة Astrus إلى البحث في النصوص التي تكررت، ومع تكرار بعض النصوص توصَّل إلى: الوثيقة J يهوه – الوثيقة E إلوهيم – الوثيقة D شرح التثنية - الوثيقة P أي الشرح الكهنوتي. إلَّا أن هذه الفكرة لم تجد رواجًا حتى جاء Julius Wellhausen (١٨٤٤-١٩١٨) وصار هو المدافع الأول عنها، لا سيما بعد أن حصل على وظيفة أستاذ العهد القديم أولًا في Marburg وبعد ذلك في Gottingen.

ونقدِّم هنا مثالًا يوضح دور الخيال والافتراض، وهو اعتبار أن (تكوين ١: ٤) مكون من قسمين:

"ورأى الله النور أنه حسن – القسم الأول إلوهيم

"وفصل الله بين النور والظلمة – القسم الثاني إلوهيم

التعسف في هذا التقسيم ظاهر في أن اسم الله "إلوهيم" (تكوين ١: ١)

(١) ثلاث مقالات جُمعت معًا ونشرت تباعًا على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية .coptology com في الفترة من ١١ – ٢١ اكتوبر ٢٠١٥.

حتى آخر قصة الخلق هو إلوهيم؛ لأن الفكرة الأساسية هي أن اختلاف أسماء الله يعني تعدد وثائق.

ما فشلت فيه النظرية الافتراضية

أولًا: هو الاعتماد المطلق على أن النص يؤسِّس العقيدة، وهي فكرة غير تاريخية؛ لأن عقيدة الشعوب السامية لم تبدأ بنصوصٍ، بل باختبار ومشاهدة وحوار واستعلان إلهي كما حدث مع إبراهيم، وبعد ذلك كُتب النص.

ثانيًا: تعدد أسماء الله مثل يهوه - إلوهيم - إل EL - إيل عيلون - إيل شداي - أدوناي - صباؤوت، ليس له علاقة بوثائق، بل هو الاختبار الشخصي لله الذي هو إلهٌ شخصي Personal يتحدث مع البشر ويعطي المواعيد ويحرك أحداث التاريخ.

ثالثًا: الإحصاء الرقمي يوضح حقيقة هامة، هي أن تطور الشعور والحس الديني يجعل بعض الأسماء تنال أهميةً أكبر لأسبابٍ تاريخية مثل اسم "يهوه" الذي ورد في العبرانية ٦٫٨٢٣ مرة، ولأنه اقترن بقصة الخروج صارت له أهمية أكبر في التاريخ من باقي الأسماء التي لم تختفِ، ولكن قَلَّ استعمالها، ولذلك بعد العودة من السبي، أبطل اليهود استعمال اسم "يهوه"، وساد استعمال اسم "أدوناي". وحتى في قراءة الأسفار عندما يرد اسم "يهوه" كان القارئ يقرأ الاسم "أدوناي"، رغم أن الاسم "يهوه" هو المكتوب، وذلك تقديسًا للاسم.

وفي الشتات حلَّ الاسم اليوناني Kyrios محل اسم أدوناي، وصار هو الاسم المعتاد لفظة الرب.

وحتى الآن، عند اليهود المحافظين، يرددون فقط "الاسم" ويقولون "بارخ هاشم"، "أي بارك الاسم"، ويعني "الله"، دون أن يُنطق.

وخلاصة القول، لم تأخذ النظرية بعين الاعتبار:

- دور الأسماء الإلهية في التاريخ اليهودي

- تطور العبادة اليهودية

وحتى مع افتراض صحة وجود وثائق جُمعت معًا: D – P – E – J فإن لدينا نصوصٌ كثيرة جمعها M. H. Segal مؤكِّدًا أن النص الواحد لا يمكن تقسيمه إلَّا بتعسف شديد مثل تكوين ٢٢: ١١ حسب العبرانية:

"ودعى ملاك يهوه من السماء وقال لإبراهيم ...

الآن أنا أعلم أنك تخاف ألوهيم ...".

وطبعًا، يمكن استخدام الخيال لتصوُّر ما هو غير موجود في النص، ولكن يبقى النصُّ سائدًا على النظرية التي فشلت في شرح السبب الحقيقي لدمج هذه الوثائق.

ومثال آخر صارخ، وهو أن (تكوين ٤: ٢٦) يقول إن ولادة أنوش لابن نوح شيت كانت بداية الدعاء باسم يهوه، بينما يؤكد سفر الخروج أن اسم "يهوه" استُعلِن لموسى (خروج ٣: ١٣-١٥)، والحل أبسط، وهو من اقتراح Claus Westermann فالقبائل السامية لها تاريخ سماعي غير مدون، يُنقل شفويًا، وأداة نقل التاريخ هي العبادة، أي الصلاة، وحتمًا بعد الرحيل والاستقرار في أرض مصر، لم يعد للاسم "يهوه" أي مجال في العبادة، ولذلك جاء النص: "من الآن لا تدعوني إله آبائي، بل من الآن اسمي هو يهوه" (تكوين ١٧: ٥، ١٧: ١٥)؛ لأن سيادة اسم "إله الآباء" على العبادة، لم يعد له مكان، وهو ما يؤكده سفر الخروج بعد ذلك (٦: ٢ - ٣). أما الذي ظهر لإبراهيم واسحق ويعقوب فكان "إيل شداي"، ولم يكن اسم "يهوه" قد استُعلن لهم، فالأسماء ليست وثائق، بل هي استعلانات إلهية خاصة بأشخاص تحدثوا مع الله.

ما هو جدير بالانتباه هو أن نفس الاتجاه مس القرآن الذي لم يسلم من

طعنات النقد على أساس لغوي عند Arthur Jeffery وعلى أساس جمع السور عند David Muir وأخيرًا ظهرت أول طبعة نقدية للقرآن نشرها أستاذ القانون الدولي الفلسطيني الأصل سامي عوض الذيب أبو ساحليه بالرسم الكوفي المجرد والعثماني والاملائي في مجلد يقع في ٦٢٨ صفحة.

ولعل المثقفون العرب لا يعرفون أن الكتبَ سلعٌ تُباع، وأن كل كتاب له أسباب دون أن يكون له انتماء أكاديمي، فهو لا يرقى إلى مستوى العلم، بل هو في دائرة البحث والتكهن. ولا زالت مخطوطات صنعاء في اليمن التي لم تُنشر كلها، تؤكد لنا أن التاريخ يسبق النص، وأن التاريخ هو عادات وصلوات واحتياجات البشر التي صاغت كل النصوص.

التوراة البابلية

صار من السهل على كل من لديه ورقة وقلم، وكان على اتصال بناشرٍ ما، وله حظٌّ في موضعٍ ما على موقع من مواقع شبكة المعلومات (الانترنت)، أن يدوِّن ما يشاء بلا حساب، وبلا التزام بالتاريخ، أو حتى بالعودة إلى الوثائق التاريخية التي تؤكد صدق أو على الأقل تسند ما يخطه القلم.

فقد ساد اعتقادٌ عام لدى جمهور عريض من القراء الذين لهم مزاج واضح في القدح في أسفار الكتاب المقدس بوجود وثيقة، أطلق الخيال وحده عليها اسم "التوراة البابلية". خيالٌ جامحٌ لا أساس له في الواقع.

يعرف الذين درسوا العهد القديم -على الأقل- كتابين: الأول منهما ترجمةً لكل وثائق العالم القديم التي لها اتصال بالعهد القديم، وهو كل ما ساد مناطق ما بين النهرين والحضارات القديمة ووادي النيل، وهو ما يشمل قصص الخلق وتكوين كل ما هو على الأرض؛ لأن كل الحضارات القديمة كان لها قصصٌ دينية تشرح الحياة والموت، الميلاد والزواج، الحروب .... الخ، والكتابين هما:

James B. Pritchard Ancient Near Texts: Relation to the Old Testament.

الطبعة الخامسة ١٩٩٢.

ثم:

William Foxwell Albrght: Archeology and the Religion of Israel.

الطبعة الخامسة ١٩٨٦ وهي تشمل ما عُثر عليه في فلسطين حتى سنة ١٩٨٦ وما وجد من آثار قديمة.

ثم ما صدر بعد ذلك من موسوعات، لعل أهمها هو كتاب الأب Ronald P. Vaux بعنوان "إسرائيل القديم"، وصدرت آخر طبعة منه في ١٩٩٧.

أكتب هذه السطور وأنا أحاول أن أفهم سر العداء العنيف للعهد القديم والقدح والذم في أقدم كتاب نادى بالتوحيد في وقتٍ كان عددٌ كبيرٌ من البشر يعبدون الحيوانات.

الخيال، وربما شُرب قدر كبير من المشروبات الكحولية أطلق العنان للخيال ليكتب ما يشاء دون العودة إلى الوثائق القديمة، ولكن يجب أن نلاحظ أن كل شعوب الأرض لديها قصة أو قصص عن أصل الإنسان، وعن القوة أو القدرات الإلهية التي خلقت الكون. لدى كل إنسان سوي إحساسٌ بالله الخالق، وهو إحساس طبيعي يقول عنه سفر الجامعة إن الله "جعل الأبدية في قلوب البشر التي بدونها لا يفهم الإنسان غاية العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية" (جامعة ٣: ١١). المشكلة ليست في الاتفاق حول عقيدة، ولكن الاختلاف في التفاصيل، ولعل قصة الخلق المصرية القديمة (الفرعونية) عن الإله آتون التي نشرها Pitchard في ص ٣ تؤكد قوة الإله Atun ولا يوجد فيها الخلق في ستة أيام ولا الخلق بالكلمة؛ لأن ترتيب الأيام السبعة خاص باليهود، وهو تأكيد على أن السبت اليوم السابع هو ترتيب إلهي، ولا توجد أية إشارة إلى "نسمة الحياة"، أو "الصورة الإلهية". فالخلاف ضروري؛ لأننا نسير جميعًا على أرجلنا، ولكن هدف السير مختلف؛ لأن من يسير للقتل، ليس كمن يسعى للرزق، والعيب ليس في السير، والمشكلة ليست في القدمين.

إن جمع الحابل بالنابل هو عمل الجهل الذي لا يقبله العقلاء، وحشد أكبر أكاذيب عن التاريخ القديم، لن يعيد كتابة التاريخ، ولكن يبقى علينا أن نسأل:

١- أين هي التوراة البابلية؟

٢- وهل نُشِرت أم أنها نتيجة زجاجة ويسكي؟

وثمة سؤالٌ آخر أهم: هل كل قصة عن خلق الإنسان هي من مصدر واحد؟ وإذا تعددت المصادر، فما هي المشكلة في محاولة الانسان وضع نفسه في الكون من أجل تحديد خارطة طريق حياة وموت وبقاء ونضال؟

كفى الله القارئين شر جهل مَن يكتبون مساقين بالتعصب والحماقة معًا؛ لأن التعصب يدخل من باب الغباء، ويسكن في دار الحماقة، وكلما استمر في الإقامة في دار الحماقة، كلما ظن أنه على صواب.

التوراة البابلية – خرافة ثقافة التخلف

لا أريد أن أذكر أسماء السادة الذين جمح القلم في يديهم، وصال وجال وأخذ من الخيال وحده ذلك الكم من الصفحات التي تشي عن عقول لا تعرف قواعد البحث التاريخي، أو اللغوي، أو حتى أبسط ما هو مقبول في الأبحاث الدينية.

لكي نكتب بأمانة عن التوراة البابلية، لا بُد من وجود نص أو توراة، والاسم الصحيح هو توراة، وهو اسمٌ عبراني يعني "تعليم"، وهو الاسم الخاص بالأسفار الخمسة الأولى التي تحمل اسم موسى النبي. على أنه لا وجود لكتاب أو مجموعة من النصوص أو النقوش تحمل هذا اسم "التوراة البابلية". فهذا الاسم هو اسمُ فكرة خيالية، لا وجود لها.

عند كل الشعوب القديمة في العراق (ما بين النهرين) - سوريا الكبرى - مصر الفرعونية .. الخ قصصٌ عن أصل الكون وأصل الإنسان؛ لأن كل الحضارات

القديمة في العالم القديم كله، وُلِدَت في داخل الديانات القديمة. هي حضارة دينية بما فيها حضارة، بل ثقافة العالم اليوناني - الروماني الذي، رغم خروج مدارس الفلسفة من قلب الأفكار الدينية، إلَّا أن الفكر الديني أو الأفكار الدينية هي التي خلقت رؤية الإنسان إلى: أصله - الميلاد من الأب والأم - الزواج - الأسرة - الميراث - الحياة على الأرض والحياة بعد الموت.. الخ.

فهل يعرف السادة أصحاب الأقلام الحائرة أننا أمام احتمالين:

الأول: هو أن التوحيد كان هو المبدأ الأول السائد، وأعقبه الوثنية.

الثاني: أن الوثنية كانت هي المبدأ السائد الذي أدَّى إلى التوحيد.

وكلا الاحتمالين له من يسانده ومن يعارضه؛ لأننا نحاول أن نقرأ التاريخ والعادات والعقائد بنظرة أدق، وليس لدينا في حقيقة الأمر حقائق تاريخية، بل الافتراضات التي تساعدنا على الاقتراب من التراث الإنساني القديم والعالمي أيضًا. حتمًا يوجد تشابه بين عقائد كل الشعوب، وحتمًا يوجد اختلافات. التشابه يظهر في تعامل الإنسان وصياغة الصلوات والتعبير عن المشاعر والآمال الإنسانية التي لا يختلف عليها إنسان مع أخيه الإنسان، رغم اختلاف اللغة والبيئة والمكان الجغرافي. الآمال والمخاوف والحب والكراهية والحسد والعنف، هذه كلها سمات عامة لكل شعوب الأرض، مهما كان زمانها أو مكانها، ومهما كان اختلاف التعبير عنها.

عندما درسنا ثقافة العالم القديم كان لدينا مرجع هام لم يصل بعد -حسبما أعرف- إلى بيوت الترجمة والنشر وهو كتاب:

James. Pritchard: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.

إصدار جامعة برنستون في أمريكا – عدة طبعات.

الذين يخافون من التفكير قاوموا بشدة ترجمة ونشر الكتاب في لبنان،

وجاءت عواصف حرب لبنان، وعاد المترجم الأرمني د. خانجيان إلى أمريكا، ومات المشروع.

تراث الإنسانية القديم لا يلغي الوحي، ولا يحذف دور الأنبياء، ولا يجعل من العهد القديم كتاب خرافات عبرانية، بل تؤكد القراءة الدقيقة، إن ما سُجِّل في سفر التكوين الإصحاح الأول، وبعد ذلك في مزمور ٨ عن خلق الكون والإنسان، كان ضد ثقافة الشعوب الأخرى التي عبدت الحيوانات والبشر، وأقامت الأصنام بينما يقول المزمور الثامن:

- أرى السموات عمل أصابعك
- القمر والنجوم أنت التي كونتها (٨: ٣)

وعن الإنسان

- مَن هو الإنسان حتى تذكره؟ وتنقصه قليلًا عن ألوهيم[١]
- بمجد وبهاء تكلله
- تسلِّطه على أعمال يديك
- جعلت كل شيء تحت قدميه، الغنم والبقر جميعًا
- وبهائم البر أيضًا وطيور السماء ... (٨: ٤-٨)
- أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض (٨: ٩).

بل، هناك الخلق الذي ينتهي بأعظم مكانة للإنسان، وهي أنه "صورة الله ومثاله" (تك ١: ٢٦)، وهو تعليمٌ غائبٌ، ليس تمامًا في العصر الحديث، وغاب من العصر الوسيط شرقًا وغربًا.

حتمًا سوف نقرأ الكثير من قصصٍ قديمةٍ عن الخلق، ولكن تبرز قصة خلق الإنسان في سفر التكوين في أن الله خلقه لكي يكون الإنسان "صورته ومثاله"، من أهم ما جاء في العهد القديم.

---

(١) حسب الأصل العبراني، أي أقل من الله.

الفصل الثاني والعشرون

الأسفار القانونية التي حذفها مارتن لوثر ويوحنا كالفن[1]

اتهمني شخص على إحدى الفضائيات في الولايات المتحدة في برنامج باللغة العربية بأنني ومعي القديس اثناسيوس الرسولي لا نؤمن بالأسفار القانونية الثانية التي حذفها مارتن لوثر ويوحنا كالفن. ودهشتي الكبرى هي أنني لم أكتب ولم أذكر شيئًا عن هذه الأسفار بالذات، وهي بالتحديد:

طوبيا (طوبيت) – حكمة سليمان – حكمة بن سيراخ – باروخ – نشيد الفتية الثلاثة – قصة سوسنة – دانيال النبي والتنين – يهوديت – المكابيين – خاتمة سفر استير – صلاة الملك منسى – مزمور ١٥١.

أذكر مقالة لأستاذنا الكبير يسى عبد المسيح، ومقالة أخرى ربما لم تُنشر لأستاذنا العظيم د. وهيب عطا الله، ومحاضرة لأستاذنا د. وهيب جورجي. وقد أشار هؤلاء إلى رسالة القديس اثناسيوس – رسالة عيد القيامة في عام ٣٦٧ وحسب ترقيم مجموعة الآباء اليونانيين P.G. الرسالة رقم ٣٩ – نُشرت الترجمة الإنجليزية في المجلد ٤ الطبعة الانجليزية ص ٥٥١ – ٥٥٢ وترجمة النص كالآتي:

"هذه هي أسفار العهد القديم وعددها ٢٢ كتابًا. وكما سمعت أن هذا الرقم هو عدد حروف الأبجدية العبرانية عند العبرانيين وهي حسب الترتيب والأسماء: الأول هو سفر التكوين، بعده

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com في أغسطس ٢٠١١.

الخروج ويليه اللاويين وبعد ذلك العدد ثم سفر التثنية. ويلي ذلك يشوع بن نون ثم القضاة وراعوث. وأيضًا بعد ذلك أربعة أسفار للملوك الأول والثاني يعتبران كتابًا واحدًا وهذا أيضًا الثالث والرابع كتابًا واحدًا. ثم أيضًا الأخبار الأول والثاني يعتبران كتابًا واحدًا. سفر عزرا الأول والثاني (نحميا) هما معًا كتاب واحد. وبعد كل هذه الأسفار – سفر المزامير ويتبعه سفر الأمثال ثم سفر الجامعة ونشيد الأناشيد. أيوب بعد هؤلاء، وكتاب واحد للأنبياء الاثنى عشر، سفر واحد لأشعياء، وبعده ارميا وباروخ، المراثي والرسالة ارميا، كتاب واحد. وبعد هذا حزقيال ثم دانيال كل منهما كتاب واحد. هذه هي اسفار العهد القديم.

وأيضًا ليست هذه مشقة أن أتكلم عن العهد الجديد. فهو أربعة أناجيل حسب متى، مرقس، لوقا ويوحنا. ويلي الأناجيل سفر أعمال الرسل، ثم الرسائل وهي سبعة يعقوب رسالة واحدة ورسالتين لبطرس وثلاثة ليوحنا ثم رسالة ليهوذا. ويضاف إلى هذه أربعة عشر رسالة لبولس كتبت حسب الترتيب الأولى إلى رومية ورسالتين إلى كورنثوس وبعدهما رسالتين إلى غلاطية وبعدها رسالة إلى أفسس ثم فيلبي ثم كولوسي وبعدهما رسالتين إلى تسالونيكي ثم العبرانيين وأيضًا رسالتين إلى تيموثاوس وواحدة لتيطس وأخيرًا الرسالة إلى فليمون وأيضًا سفر الرؤيا.

هذه هي ينابيع الخلاص وكل مَن يعطش سوف يجد شبعه بالكلمات الحية في كل هؤلاء. ففي هذه الأسفار وحدها أستعلن تعليم التقوى. ولا يجب على أي إنسان أن يضيف إلى هذه الأسفار أو أن يحذف منها شيئًا. لأن الرب قال للصدوقيين مخجلًا إياهم: أنتم تخطئون لأنكم لا تعرفون الكتب. ووبخ

اليهود قائلًا: "فتشوا الكتب لأنها تشهد لي" (متى ٢٢ : ٢٩) ومن أجل الوضوح الكبير يجب ان أضيف إلى هذه الأسفار – من أجل ضرورة أن يكون لدينا فهم أشمل أنه توجد أسفار أخرى غير تلك التي ذكرتها سابقًا لم تحسب ضمن قانون الأسفار، ولكن قد رُتِّبَت بواسطة الآباء لكي يقرأها الذين يرغبون في الانضمام إلينا، وهم الأعضاء الجدد (الموعوظين) الراغبين في تعلم كلمة التقوى وهي:

سفر حكمة سليمان – حكمة بن سيراخ – أستير – يهوديت – طوبيت وتعليم الرسل (الديداكي) وهرماس. هذه يا أخوة لم تُضَف إلى قانون الأسفار، بل تُقرأ فقط ولا يوجد سفر آخر بين هذه يوصف بالأبوكريفا، وما عدا ما ذكرت توجد أسفار اخترعها الهراطقة وهم يكتبون حسبما يشاؤون ويضيفون إلى هذه الأسفار خيالاتهم بل يكتبون تاريخًا لها، ويستعملونها كأسفار قديمة لكي يجدوا فرصة لكي يضلوا السذج".

فهل يمكن بعد هذا الشرح المطول لإنسان، وهو المعلم الكبير الملقب حقًا بالرسولي دون باقي أساقفة الإسكندرية، أن أقول شيئًا آخر بعد أن وضعني الأنبا شنودة الثالث معه في ذات قفص الاتهام بالشرك بسبب التعليم عن الشركة في الطبيعة الالهية.

هل انحدرنا نحو هذه الهاوية، وهي جهنم نفسها، إذ أصبح الكلام سهلًا عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية كلام دون تدقيق. والأخطر هو تصفية حسابات وزرع الشكوك وإثارة غرائز الدفاع عن المصالح الشخصية، لا قوة الروح القدس للدفاع عن الحق. انحدار رهيب أن نكذب وندعي بعد ذلك أن روح الحق روح يسوع ساكن فينا يعطينا الحياة للشهادة.

الخلفية التاريخية للأسفار التي حُذفت

كانت هذه الأسفار تُقرأ في مجامع يهود الشتات، وبالذات في مدينة الإسكندرية التي أراد الفاتح الإسكندر أن يجعلها عاصمة المسكونة كلها. وفي الإسكندرية بالذات بدأ يهود الشتات في ترجمة أسفار العهد القديم إلى اليونانية. وأول وثيقة عن ترجمة الأسفار إلى اليونانية وردت في رسالة شخص يُدعى *Aristeas* في رسالة إلى شخص آخر يدعى *Philocrates* وتاريخ الرسالة غير معروف، ولكن الفترة هي القرن الثاني قبل الميلاد. وتقول الرسالة إن ٧٠ شخصًا جاءوا من فلسطين إلى الإسكندرية لترجمة الأسفار العبرانية وبالذات التوراة (أسفار موسى الخمسة) إلى اليونانية. وطبعًا -كما هي العادة- يدور جدل طويل حول هذه الرسالة لا يخص أي قارئ، لكن كان أمام يهود الشتات مشكلتين:

١- إهمال اللغة العبرانية التي كانت معروفة عند الخاصة منهم.

٢- عدم فهم عامة يهود الشتات اللغة العبرانية ولا حتى الآرامية، وهو ما جعل الترجمة السبعينية هي الكتاب المقدس ليهود الشتات قبل ظهور وانتشار المسيحية، ولكن اللغة اليونانية هي لغة الثقافة العالمية والمتعلمين.

انتشار الترجمة السبعينية[١]

كان مجمع يمنة *Jamnia* (التاريخ المؤكد غير معروف، والسائد هو بداية القرن الأول المسيحي)، قد انعقد في هذه القرية خارج مدينة غزة في فلسطين وقرر هذا المجمع قبول الأسفار المعروفة في فلسطين باللغتين العبرانية والآرامية فقط واستبعاد تلك التي ذاعت بين يهود الشتات[٢].

---

(١) يرمز لها دائمًا في الكتابات الأوربية بالأرقام الرومانية LXX أي ٧٠.

(٢) راجع البحث التاريخي J.P. Lewis نشر بعنوان Jamnia Revistited في مجلد:
The Canon Debate on the Origin and Formation of the Bible, 2002 edited by L.M. McDonald and J.A. Sanders.

خلف هذا التشدد تكمن ثلاث حقائق:

١- انتشار الترجمة السبعينية ليس فقط بين يهود الشتات، بل في كنائس المسيح واستخدامها في نشر المسيحية.

٢- استخدام النص اليوناني للعهد القديم في اثبات عقائد المسيحية الكبرى، ولعل خير مثال هو حوار الشهيد يوستينوس حوالي سنة ١٥٠ مع الرابي *Rabbi* تريفو حول النبوات التي وردت في العهد القديم عن يسوع الناصري.

٣- تمسك المسيحيون بالنص اليوناني للعهد القديم؛ لأن أغلب الذين انضموا إلى الكنيسة كانوا من الأمم (غير اليهود) الذين لا يعرفون العبرانية أو الآرامية. وكان تمسك المسيحيين بالنص اليوناني له سبب واحد هو أن الترجمة قام بها اليهود أنفسهم وأنهم كانوا ولا زالوا يقرأون هذه الترجمة في المجامع.

وقد أدرك العلامة أوريجينوس حقيقة المشكلة، ولذلك جمع ما لديه من ترجمات ونصوص في سداسية *Hexapla* حيث وضع في أعمدة متوازية (حوالي سنة ٢٥٣) النص العبراني - النص العبراني بحروف يونانية - النص اليوناني بحروف عبرانية ثم ثلاثة ترجمات يونانية شائعة بين اليهود، وهي ترجمة أكويلا - سيماخوس - ثيؤدوثيوس.

ولم تكن رسالة عيد القيامة للقديس اثناسيوس هي الوثيقة الوحيدة الذائعة في المسكونة، بل جاء القديس جيروم *Jerome* بعد ذلك بضرورة العودة إلى الأصل العبراني، وذكر في مقدمته لأسفار الملوك أنه يترجم عن العبرانية مباشرةً ولا يهتم بالترجمة اليونانية، ولذلك نشر الترجمة اللاتينية *Volgate* واعتبر أن الأسفار الذائعة بين يهود الشتات مثل طوبيت ويهوديت .. الخ هي الأسفار القانونية الثانية[1].

(١) نظرًا لعدم توفر ترجمات حديثة الشرح الكتاب المقدس للقديس جيروم نحيل القارئ على:
J. N. D. Kelly: Jerome: His life, writings, 1988, pp 153-67.

الترجمة الموحدة للكتاب المقدس

هذه الترجمة صدرت من جمعية الكتاب المقدس، بيروت، وهي غير ترجمة فانديك التي نشرها المرسلون والتي ذاعت في مصر ونشرت الترجمة الموحدة الأسفار القانونية الثانية:

طوبيا – يهوديت – أستير – حكمة سليمان – حكمة يشوع بن سيراخ – باروخ – رسالة ارميا – تتمة سفر دانيال – المكابيين الأول والثاني وهي الأسفار التي ضمها مجلد LXX.

هل غاب الأصل العبراني عن الأسفار القانونية الثانية؟

كان جيروم هو أول من جمع سبع إضافات يونانية لسفر استير وضمها إلى الترجمة اللاتينية وهذه الإضافات معروفة في LXX.

وتتمة سفر دانيال حسب LXX هي صلاة عزريا وتسبحة الفتية الثلاثة في أتون النار ولها أصل عبراني، ويضاف لها قصة سوسنة العفيفة واشتهرت هذه في شرح هيبوليتوس لقصة سوسنة، وكذلك في شرح نفس القصة عند العلامة أوريجينوس وجيروم وأوغسطينوس. أمَّا الصلوات فهي معروفة في كل صلوات الكنيسة الغربية والشرقية على حدٍ سواء، فهي تظهر في صلوات البصخة لا سيما الخاصة بالسبت الكبير في عصر مبكر، وعُرفت في الكنيسة الناطقة بالسريانية (الآرامية) وشرحها ذهبي الفم والمفسر السرياني ثيؤدوريت.

وقصة دانيال والتنين تظهر في شرح كل من أثناسيوس الرسولي – ذهبي الفم – بلاديوس – كيرلس الأورشليمي وفي أشعار مار أفرام السرياني. وصلاة الملك منسى هي أيضًا من صلوات تسبحة السبت الكبير، ولست أعرف شرحًا لأي من آباء الكنيسة في القرون الخمسة الأولى. أمَّا الأصل الأرامي وشذرات من الأصل العبراني لسفر طوبيا فقد عُثِر عليها ضمن مخطوطات قمران

في البحر الميت. ودراسة لغوية لسفر يهوديت تؤكد أن السفر كُتِب أصلًا بالعبرانية أو الآرامية ولم يكتب أصلًا باليونانية، ولكن لم يعثر العلماء بعد على الأصل العبراني.

سفر حكمة بن سيراخ وُجِدَ له أصل قديم في ترجمة سريانية والأصل الأرامي معروف في شرح علماء اليهود للسفر، ومما هو جدير بالذكر أن مخطوطات مجمع بن عزرا في مصر القديمة - جمهورية مصر عُثر فيها على شذرات عبرانية في المجموعة التي تعرف باسم *Genizah* وهي قصاصات من كتب الصلوات التي لم تعد صالحة للاستعمال وهي لا تحرق ولا تدمر، بل جمعت معًا في مكان واحد؛ لأن الورق الذي يحتوي على اسم الله لا يمكن تدميره، كما عثر على بعض الشذرات في قمران عام ١٩٥٢ وفي حصن مصعدة *Masada* وهو آخر حصون تحصن فيها اليهود ضد الرومان إبان حصار أورشليم وسقط الحصن لأن المدافعون انتحروا جميعًا وفضلوا الموت على الأسر[١].

حكمة سليمان له أصل سامي *Semetic* لا زال مفقودًا.

مزمور ١٥١ عرف في LXX والعنوان حسب LXX هو "مزمور لداود بعد ما هزم جليات" عُثر على النص العبراني في المغارة في قمران - البحر الميت ورقم المخطوط هو 11Q5.

لم يدخل في أي قطمارس أرثوذكسي، ولكنه عُرف بشكل خاص في كتاب "دلال سفر المزامير". النص العبراني نشر على شبكة المعلومات (الانترنت) ولا بأس من مراجعة:

James C. Vanderkan The Psalms Scolls from Judean desert, 2002, pp 189-193.

---

(١) الجدير بالذكر ان في هذا المكان بالذات الذي يشرف على البحر الميت يقسم كل الجنود وضباط الجيش الاسرائيلي قسم الولاء للدولة. وسار في كتب علم النفس المعاصر عقدة المسادا وهو الاسم اللاتيني للحصن ولكن الاسم العبراني هو "مصعدة".

بعد اكتشاف بعض النصوص العبرانية لا سيما لسفر طوبيا وباقي الأسفار ما يؤكد أن هذه الأسفار كانت تُقرأ حتى في فلسطين.

بالطبع سفر المكابيين هو سفر تاريخي نال اهتمامًا كبيرًا في عظات بعض الآباء مثل ذهبي الفم لأن المكابيين هم نموذج للشهداء.

أخيرًا: أقول لدعاة التحزُّب ونشر الفرقة بين المسيحيين، هل درسنا كل أسفار الكتاب المقدس، ولم يعد أمامنا إلَّا الأسفار التي حذفها قادة حركة الإصلاح لكي نتشاجر عليها. من العيب أن لا نتمسك بما هو مشترك بيننا، وهي أسفار العهدين وأن ندرسها بعناية.

تسبحة الثلاثة فتية

الذين عاشوا مع القمص مينا المتوحد وحضروا أو اشتركوا معه في التسبحة السنوية يعرفون أن الرجل كان يتجلى بشكل خاص عندما كان يُمسك بالدف لكي يسبِّح ويصلي تسبحة الثلاثة فتية. كان وجهه يشرق بنور وابتسامة خاصة تراها على وجهه، وحرارة الصلاة، وبعد .. هل كانت هذه الصلاة من وحي الروح القدس؟ والجواب غريبٌ على آذان الذين يعيشون تحت سلطان الحرف، فكل صلاة لأي مسيحي فيها أنفاس الروح القدس. وهناك عبارة لذهبي الفم تبدو غريبة على آذان البعض يقول فيها: "إن صلاة المسيحي هي أقوى من كل المزامير لأنها تنال زخم العهد الجديد الذي أُسِّسَ بدم الرب يسوع المسيح".

من الصعب علينا أن نُعلم جيلًا عاش تحت عبودية الحرف ما هي حرية المسيحي ... ولعل راهب الطاحونة الذي جاز أتون تجارب الحياة وجد في انتصار الرب يسوع ابن الآلهة الذي كان يسير مع الفتية في الأتون لأنه هكذا رآه الوثنيون "ابن الآلهة"، وجد الراهب مينا المتوحد أنغام وكلمات الصلاة نشيدًا خاصًا به يتألق قلبه بقوة انتصار يسوع الحي.

الفصل الثالث والعشرون

حتى لا نسقط تحت سلطان شريعة موسى[١]

حتى لا نسقط تحت سلطان شريعة موسى، ولكي لا نقع في هذه الأخطاء الشائعة شرقًا وغربًا. أرجو أن نلاحظ:

أولًا: الكتاب المقدس ليس كتابًا واحدًا يُقرأ من التكوين للرؤيا بالتتابع، بل هو كتابٌ ينقسم إلى قسمين: العهد القديم، وهو حسب التسليم الكنسي الأرثوذكسي مكوَّن من التوراة - الأنبياء - الكتب (التاريخية) المزامير - أسفار الحكمة (الأمثال - الجامعة - حكمة سليمان - يشوع بن سيراخ). ثم العهد الجديد، وهو حسب التسليم الكنسي الأرثوذكسي مكوَّن من الأناجيل (الأربعة)، الرسائل (رسائل بولس) الرسائل الجامعة أو الكاثوليكون - ولا يُقرأ سفر الرؤيا في القداسات.

في اليهودية كل سفر خاضع لما جاء في التوراة (أسفار موسى الخمسة).

في المسيحية الأرثوذكسية، التوراة تخضع للتعليم النبوي، والتعليم النبوي للأنبياء يُفهم في نور العمل الكوني لروح الرب أو الحكمة.

هذا الموضوع بالذات يحتاج لشرح موسع، ولكن اقرأ ثانيًا.

ثانيًا: الذي يشرح العهد القديم برمته هو شخص المسيح الإله المتجسد، وهو أقنوم الابن الكلمة، فهو ليس كتابًا يخضع لشرح نصوص أو تفسير عبارات أو كلمات. لذلك اقرأ ثالثًا.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠١٤.

ثالثًا: العهد الجديد ليس كتابًا، بل هو المسيح الرب نفسه المُستعلَن بالروح القدس، وهو أيضًا استعلان الثالوث. ومن لا يؤمن بالثالوث الواحد، ليس مسيحيًا؛ لأن الثالوث هو استعلان الألوهة الحقة في الابن بالروح القدس.

إذن، العهد الجديد له أساس أبدي، هو شخص الابن الوحيد وعطية الروح القدس.

العهد الجديد هو المسيح الوسيط الذي لا يمكن أن تحل كل نصوص العهدين مكانه، أو تقوم مقامه؛ لأنه -حتى في حياتنا الأرضية هنا- لا يوجد كتاب يمكن أن يحل محل أي شخص نعرفه، ولا يمكن لأي رسالة أو نصوص أن تخلق رابطة محبة بين البشر لأن المحبة كامنة في القلب. لذلك اقرأ رابعًا.

رابعًا: العهد القديم الذي شُيِّد على الكهنوت والذبائح والهيكل قد زال تمامًا، ولم يدخل في تكوين الاستعلان الجديد؛ لأنه مثل معاهدة بين يهوه وشعب اسرائيل. أما العهد الجديد، فالمسيح الرب هو الذي جاء بالعهد نفسه في شخصه، وهو ليس معاهدة بين طرفين الله والبشر، بل هو عطية تعطى بلا مقابل وبلا شروط. شرح رسول الرب بولس هذه الحقيقة في ٤ رسائل هي رومية – غلاطية – كولوسي – والعبرانيين التي لا تدرس بعناية كافية.

لذلك يا أحباء الله الآب ارجو أن تفحصوا عن أعماق قلوبكم حتى لا يضاف من العهد القديم شيءٌ إلى عمل الوسيط الرب يسوع المسيح، لا سيما الأفكار والمحتويات العقلية التي دخلت اللاهوت المسيحي في العصر الوسيط، ولذلك عليك عزيزي القارئ أن تلاحظ ما يأتي:

أولًا: لا تُخضع الرب يسوع لشريعة موسى؛ لأن مَن يدقق في خضوع الرب لشريعة موسى سوف يكتشف أنه لا يؤمن بأُلوهية الرب يسوع سوى إيمانًا لفظيًا. لذلك، اقرأ ثانيًا.

ثانيًا: والدليل على خضوع الرب يسوع لشريعة موسى عند المرتدين هو جمع نصوص الذبائح القديمة لشرح ذبيحة الرب يسوع، وهؤلاء سقطوا في نفس الأفكار السابقة. لذلك، اقرأ ثالثًا بكل دقة.

ثالثًا: يصرخ تلاميذ موسى بعبارة الرب نفسه التي دُوِّنَت في إنجيل متى: "لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس (الشريعة، أي يبطلها) أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمِّل .." (متى ٥: ١٧). و"أكمِّل"، أو "لكي يكون الكل"، تعني أن يتم ويكمُل الهدف، ولذلك بدأت بشارة الرب: "قد كَمُلَ الزمان واقترب ملكوت السموات" (مرقس ١: ١٥). إن ما يزعج حقًا هو أن كلمات الرب هذه وردت في العظة على الجبل، الأمر الذي يزيل تمامًا التفسير الموسَّع المعروف باسم Halakah للشريعة. والكلمة العبرية مثل العربية، وتعني "حلقة"، أي ما يُضاف للأصل؛ ولذلك كان الرب يقول: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء أو للسابقين"؛ فهو لم يأتِ بشريعة جديدة، تُضاف إلى القديم، بل جاء بالحياة الجديدة في ملكوت السموات. لذلك، اقرأ رابعًا.

رابعًا: يمكنك أن تتأكد من صحة الشرح السابق بدراسة ولو سطحية لكلمات رسول المسيح في (غلا ٤: ٤-٦): "في ملء الزمان أرسل الله ابنه"، أي عندما كَمُلَ زمان التدبير الأول، وفَقَدَ قدرته على تحريك أو تقديم الجديد، جاء الربُّ "مولودًا تحت الشريعة" لكي يفتدي الذين هم تحت الشريعة، ولذلك قال رسول الرب إن الشريعة كانت معلم الأطفال الصغار أو المؤدِّب إلى أن يأتي المسيح لكي نتبرر بالإيمان (غلا ٣: ٢٤)، ولاحظ أنه بعد ما جاء الإيمان (أي بشارة الإنجيل) لسنا بعد تحت معلِّم الأطفال، أو المؤدِّب. وهنا يضع الرسول بولس السبب في نوال هذه الحرية: "لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان .. ثم يذكر المعمودية المقدسة التي أزالت الفروق العرقية والاجتماعية: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعًا واحد في

المسيح يسوع. وهنا أدعوك -عزيزي القارئ- لتتذكر كيف كانت تُعامَل النساء حسب شريعة موسى.

حقًا أيها الأحباء، لقد فقدنا قوة العهد الجديد، أي يسوع نفسه، وسقطنا في فخ الشرح والتفسير؛ فصرنا يهودًا، بل ومسلمين دون أن ندري. أليست هذه مأساة: أن يصير الشخص، رب المجد، فكرةً ونظريات، وتصير الأفكار أعظم وأكبر من الأقنوم المتجسد، بل صارت هي المدخل إلى فهم الأقنوم؟ نحشد الفكر، ونظن أن الفكر يقوم مقام الروح القدس، بينما العبد وحده هو الذي يجعل أفكاره أعظم منه، ولكن مَن نال عطية التبني في يسوع يعرف أنه هو كإنسان، أعظم من كل الأفكار .. أفكارنا مثل الأطفال الذين نلدهم ونربيهم، ومع ذلك، نخاف منهم ونجعلهم مربِّين لنا.

لا شك أن من خلق هذه المأساة هو زوال الوعي فينا بأننا "صورة الله الجديدة في يسوع المسيح".

عزيزي القارئ، اعترِض كتابةً كما تشاء، ولكن لاحظ أن الكلمات ليست هي قوة يسوع، بل يسوع هو قوة يسوع. كن حرًا، ولا تسقط وترتد إلى الشريعة.

لتكن محبة الرب يسوع هي وحدها التي يجب أن تسود.

د. جورج حبيب بباوي

الفصل الرابع والعشرون

علاقة الشريعة بالتدبير

بحث خاص لقطع دابر لفظ "أُكمِّل - يُكمِّل"[(١)]

«ما جئت لأنقض، بل لأُكمِّل" (مت ٥: ١٧)

كلمة τέλος ما قبل الإنجيل

الكلمة اليونانية τέλος ومنها جاء الفعل τελέω وغيرها التي تُشتق من الأصل اليوناني، عُرِفَت في الفلسفة والآداب اليونانية السابقة على عصر المسيحية، وتعني حسب دراسة Delling في المجلد الثامن من القاموس الخاص بالكلمات اللاهوتية للعهد القديم (ص ٤٩ وما بعدها):

١- كمال مشروع - تمام عمل إرادي - تنفيذ فكرة.

٢- كمال بمعنى Perfection.

في السبعينية

ترجمة أكثر من كلمة عبرانية مثل "النهاية" كما في سفر الجامعة ٣: ١١ - ٧: ٢ - ١٢: ١٣ وأيضًا دانيال ٧: ٢٦. وكلمات أخرى "ق ص هـ" (٢أخبار ٢٤: ٤ - دانيال ١: ١٥). بل ترجمت الكلمة العبرانية "ل ب ص ت"، أي الدائم أو الأبد، كما في أيوب ١٤: ٢٠ - ٢٠: ٧)، ولا يجب أن نشغل القارئ بأكثر من ذلك.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠١٥.

في العهد الجديد حسب الأصل اليوناني

أولًا: القصد أو الغاية، وهو ما يسجِّله رسول المسيح: "وأما غاية الوصية فهي المحبة" (١تيمو ١: ٥). وواضح من السطور السابقة عن "التعليم الآخر والخرافات .. لا تبني البنيان الذي من الله في الايمان" (١تيمو ١: ٤) أن الغاية أو القصد من كل المباحثات والخرافات هي الابتعاد عن الوصية. (راجع ١بط ١: ٩ نفس المعنى).

ثانيًا: آخر أو نهاية الدهور، أو نهاية تعاقب الدهور، وذلك عندما يصف رسول الرب أحداث العهد القديم بأنها كُتبت مثالًا "لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور τελη τώv αίωvωv" (راجع أيضًا (عب ٦: ٨).

ثالثًا: تمام أو تحقيق النبوة كما كتب عن القبض على يسوع في البستان "هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء" (متى ٢٦: ٥٦).

رابعًا: كما تعني النهاية الحتمية لكل من عاش للأمور الأرضية "الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفكرون في الأرضيات" (فليبي ٣: ١٩)، وهو نفس المعنى، أي النهاية في (رو ٦: ٢١ - راجع أيضًا ١ بطرس ٤: ١٧).

ما هو المقصود بكلمة "نهاية"؟

عندما يذكر سفر الرؤيا (٢١: ٦) أن الرب يسوع هو الألف والياء البداية والنهاية τέλος فهو لا يقصد نهاية زمنية؛ لأنه الأبدي، ولكن لأنه هو الذي يعطي المعنى النهائي لتعاقُب الزمان وغايته، أي الوصول إلى الخلقة الجديدة، وهي النهاية التي شُرِحَت بشكل كامل في ١كو ١٥ أي الوصول إلى عدم الفساد والقيامة من الأموات (راجع من ٣٥ حتى ٥٠). وقد أشار الرب إلى نهاية الزمان: "اذا سمعتم بحروب وأخبار حروب .. لابد أن تكون ولكن ليس النهاية

بعد" (مرقس ١٣: ٧ راجع متى ٢٤: ١٤).

النهاية هي غاية تدبير الله في كل الأزمنة.

ولكن محبة الرب "إلى المنتهى" في (يوحنا ١٣: ١) لا تعني نهاية زمنية للمحبة، بل لغاية المحبة: "أحب خاصته إلى المنتهى"، أي حتى آخر تدبير المحبة، وهو الموت مصلوبًا، والمعنى واضح: "لينتقل من هذا العالم إلى الآب".

ما هو المعنى الدقيق لاستخدام الفعل "يُكمِّل»

يجب أن ننبه القارئ إلى أن الفعل "يكمِّل – τελέω" له علاقة وثيقة بالكمال أو التمام أو نهاية حقبة معينة من الأمور التي تخص الله والإنسان. ولكن يجب أيضًا أن نرى كمال الغاية حسب عبارة الرسول نفسه: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تصل إلى غايتها أو كمال عملها – تكمل τελειούται (٢كو ١٢: ٩).

ونفس الفعل عن "تكميل"، كقول الرسول "لا تكملوا شهوة الجسد" (غلا ٥: ١٦).

وكلمة الرب عن معموديته "لي صبغة (معمودية) فكيف انحصر حتى تكمل" (لوقا ١٢: ٤٩)، أي تصل إلى غايتها وهي الصلب. ولذلك لم يكن تعليم الرسول بولس في (رو ٦: ١-٨) عن المعمودية جديدًا، بل شرحًا لقول الرب نفسه، وهو ما أعلنه الرب على الصليب، عندما قال: "قد أُكمِل" (يوحنا ١٩: ٣٠). ولما تم الصلب يقول الإنجيلي: "بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كَمُل، فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان" (يوحنا ١٩: ٢٨). ونفس المعنى في قول رسول الرب: "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيرًا قد وضع لي أكليل البر" (٢تيمو ٤: ٧-٨) وبقية العبارة:

”وأخيرًا قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضًا“ (٢تي ٤: ٨).

وكمال أقوال الله خاصة بما يحدث في المستقبل كما في (رؤ ١٧: ١٧)؛ لأن الصراع بين الخير والشر، الرب والوحش، هو حتى ”تكمل أقوال الله“. والترجمة العربية لنص (لوقا ٢٢: ٣٧) تحتاج إلى مراجعة؛ لأن العبارة غامضة؛ لأن الرب يتكلم عن موته المحيي: ”وينبغي أن يتم المكتوب τελεσθήναι لأن ما هو من جهتي له انقضاء“ (حسب ترجمة فان ديك)، بينما حسب الأصل له τέλος غاية فيَّ، في حياتي أنا.

يكمِّل - συτελεώ

ولعل أوضح مثل هو في (عب ٨: ٨) ”يقول الرب هوذا أيام تأتي حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم“، والمعنى الظاهر بوضوح هو تحقيق ما وعد به الله. وعندما يذكر الانجيلي (لوقا ٤: ٢): ”ولما كملت الـ ٤٠ يومًا، أي تمَّت، جاع يسوع“.

الكل - τέλειος

يقول رسول المسيح: ”لأننا نعلم بعض العلم .. ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض“ (١كو ١٣: ٩-١٠) والكامل هو الاستعلان الأخير في يوم الدينونة.

«الإنسان الكامل“ هو الذي نال القيامة ومجد الرب نفسه (كولوسي ١: ٢٨). وكمال المعرفة هي التخلي التام عن الطفولة العقلية: ”لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشر. أما في الأذهان فكونوا كاملين“ (١كو ١٤: ٢٠)، وهو ما يؤكده الرسول بعد ذلك؛ لأن الإنسان الكامل هو ”قياس قامة ملء المسيح“ (أفسس ٤: ١٣)، وقياس قامة ملء المسيح هو

تعبير عن "ملء الألوهة التي للرب"، وهي ما يصل إليه الإيمان وحده، هو الانسان الناضج (ذهبي الفم عظة ٢ على أفسس ٤: ١٣ وشرح أفسس المنسوب لأمبروسيوس ٤: ١٣ وجيروم رسالة ١٠٨: ٢٥٠ – ٣ و٢٤ وجيروم يشرح الكلمات "ملء قامة المسيح"، على أنه إنسان القيامة الذي قام مع المسيح).

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفهم التمييز بين اللبن والطعام القوي؛ لأن الأطفال يتناولون اللبن، ولكن البالغين هم الذين "صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥: ١١-١٤).

ما معنى "يكمِّل" الشريعة؟

الفعل اليوناني τελειόω يترجم دائمًا إلى fulfill لكن "المحبة الكاملة" التي تطرح الخوف إلى الخارج هي المحبة التي ذاقت حرية "مجد أولاد الله"، والتي عرفت الغفران وهبة الحياة الأبدية، وهي ما يطلبه الرب نفسه في صلاته في (يوحنا ١٧: ٢٣) ليكون التلاميذ "مكمَّلين إلى واحد".

والفعل ومشتقاته يتقاطع مع فعل آخر هو فعل "يملأ" ومشتقاته πληρόω

الخطأ الأساسي في قراءة كلمات الرب في (متى ٥: ١٧): "ما جئت لكي أنقض الشريعة والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل πλησώσια".

وقد استُخدم الفعل في السبعينية عن الله الذي يملأ السماء والأرض (أرميا ٢٣: ١٤) فما هو معنى "يكمِّل الشريعة"؟

إذا نظرنا إلى العهد الجديد كله أمكننا أن نرى أن الفعل "يملأ"، ومشتقاته تعني:

١- "مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده" (فليبي ١: ١١). قبل ذلك يطلب الرسول ازدياد المحبة والمعرفة والفهم واقتناء

التمييز حتى لا يعثروا بل يبقوا ثابتين "بلا عثرة إلى يوم المسيح، مملوئين من ثمر البر" (١: ٩-١٠).

وهو أيضًا ما يطلبه الرسول أن يمتلأ الكل "الامتلاء من معرفة مشيئة الله" (كولوسي ١: ٩).

٢- نمو الصبي يسوع في القامة، وُصِفَ بأنه "ينمو ويتقوى بالروح ممتلئًا حكمة (لوقا ٢: ٤٠).

٣- الرب يسوع "مملوء نعمة"، ولأنه مملوء نعمة، وُصِفَت الكنيسة بأنها "ملء الذي يملأ الكل في الكل". وهكذا يشرح ذهبي الفم الكلمات الرسولية: "ملء الرأس هو الجسد؛ لأن الرأس هو رأس الجسد. ولاحظوا كيف بدقة يكتب بولس ولا يدخر كلمة واحدة لكي يعبر عن مجد الله "الملء"، أي ملء الرأس كما يقول (بولس) يتم كماله في الجسد. الجسد مكوَّن من أعضاء متنوعة، وهو (أي بولس) يوضح لنا كيف يستخدم المسيح كل عضو في جسده بشكل خاص، وكل عضو على حدة؛ لأنه يتعامل مع كل الأعضاء. ولو كان الجسد هو رأسٌ واحدٌ فقط، أو قدم واحد فقط، فإن الجسد لن يكمل لأن الجسد يكمل بواسطة كل أعضاء الجسد..". (عظة ٣ على أفسس ٨: ٣ – ٢٠: ٢٣).

وعبارات ذهبي الفم مع (أفسس ٤: ١٠) تذكرنا بعبارة القداس: "وعند صعودك إلى السماء إذ ملأت الكل بلاهوتك"، فهي كما وردت في أفسس ٤: ١٠ "الذي نزل هو الذي صعد أيضًا فوق السموات كلها لكي يملأ الكل"، وبعد ذلك يشرح رسول المسيح هبات الرب للجسد في أمانة الخدمات المتنوعة.

٤- "يكمِّل" الناموس أو الشريعة هو الفعل الآرامي العبراني (ب ت ل) أي ينتهي دور الشريعة لأننا يجب أن ننتبه إلى:

"نَقَضَ" يعني يلغي: "ومَن نَقَضَ إحدى هذه الوصايا الصغرى .. يُدعى

أصغر"، فهو لم يُرفَض في ملكوت السموات (متى ٥: ١٩). "أمَّا مَن عمل وعلَّم، فهذا يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات" (متى ٥: ١٩). إذن الصغير والعظيم كلاهما في ملكوت السموات، رغم أن الذي نَقَضَ الوصية الصغرى هو في الملكوت، ويقول الرب: "إن لم يزد بركم (أي صدق حياتكم) على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا وملكوت السموات" (متى ٥: ٢٠).

الوصيتين العظميين: حب الرب إلهك ..

حب قريبك كنفسك

الوصايا الباقية اعتبرها الرب يسوع، الوصايا الصغرى التي إذا نقضها أحد يُدعى صغيرًا. فمن هو الصغير في ملكوت السموات؟ ومَن هو العظيم الذي لم يحفظ فقط الوصايا، بل طبقًا لقول الرب نفسه: "عمل وعلَّم"، بماذا؟ بأن الشريعة لم تُنقَض، بل يجب أن تصل إلى الكل أو الغاية. وما هي الغاية؟ نراها في باقي الأعداد من ٢١ – آخر الإصحاح: القتل – الزنى – الزواج والطلاق – القسم والحنث رد الإساءة العين بالعين ..

ويختم الرب: حبوا أعدائكم، فلم تعد محبة القريب فقط. والتشبُّه بكمال الصلاح والجود الخاص بالآب السماوي في عبارة قاطعة: "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم في السموات هو كامل".

هذا هو العظيم.

طبعًا لا يوجد نقض للشريعة، فلم يُلغِ الرب "لا تقتل"، وإنما ذهب الرب إلى جذر القتل "البغضة"، وهكذا ظهر جذر وأساس الشر في قلب الإنسان، ولم يعد الإنسان مسجونًا في ظاهر النص، وهو على سبيل المثال "لا تقتل"، بل ذهب الرب يسوع إلى القلب. ولم يعد الزواج اتفاقًا تجاريًا قابلًا للانحلال بإرادة الرجل وحدها كما هو واضح من الأعداد (٣١ - ٣٢)، ولكن ردَّ الزواج إلى

شريعة الخلق الأول، الشريعة الأولى التي وُضِعَت عندما خلق الله الإنسان، وهي الشريعة السابقة على شريعة موسى، شريعة "صورة الله ومثاله".

الملء والامتلاء من الروح القدس

إذا عدنا إلى الأصل، وهو الفعل، ثم مشتقاته: الاسم، اسم الفاعل ... الخ يظهر لنا بوضوح أن الملء والكمال ليس كمًّا، بل غايةً وهدفًا، يمكن أن يُوصَف بأنه نوعي وارتقائي، لا سيما في الرؤيا الكونية الإلهية لكمال المحبة التي وُصِفَت بأنها كمال الشريعة، وهو الوصول إلى غاية الشريعة: محبة الله ومحبة كل ما خلقه الله، وهو ما جعل الرب نفسه يعلِّمنا بأنه لا يوجد لنا أعداء؛ لأن من نعتبره عدوًّا، هو واحد من مخلوقات الآب السماوي الذي ينال قسطًا من الصلاح الإلهي المستعلَن في إشراق الشمس ونزول المطر، وهي هبات الآب الطبيعية للإنسانية، وهي تعلن أن الله لا يميِّز بين الصالح والشرير، فإذا وصلنا إلى هذه الرؤيا وعشناها، نصبح كاملين في محبتنا.

هكذا يجب أن نقرأ بدقة ما علَّم به الرب نفسه؛ لأنه تعليم الحرية الكاملة الذي يقضي على جذر الشر الكامن في القلب، والذي يبدأ بتغيير الفكر والاعتقاد، وهو ما يرفع مستوى الحياة والسلوك إلى ما هو فوق النص القديم: سمعتم أنه قيل، أما أنا فأقول....

الامتلاء من الروح القدس هو الاتحاد بالرأس، ربنا يسوع المسيح؛ لكي ننال "من ملئه" -كما قال الرسول- "نعمة فوق نعمة"، وباقي النص يجب أن يُقرأ بعناية "لأن الشريعة بموسى أُعطيت" (هذا عن العهد الأول، أما العهد الجديد "أما النعمة والحق"، فهو لم يعطَ؛ لأنهما ليسا نصًا، بل بذات الدقة اللفظية والحقيقية كتب يوحنا الإنجيلي: "النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا".

النقلة الكونية في التعليم الرسولي في رسالة رومية (٣ - ٤ - ٥)

عندما قدَّم رسول الرب الإنجيل إلى الأمم وإلى جماعة مختلفة من يهود وأمم في روما، فقد خاطب اليهود أولًا مؤكِّدًا دور الشريعة في تحديد خطية الإنسان: "مَن أخطأ بدون الشريعة، فبدون الشريعة يهلك (شريعة الضمير تحاسب) وكل من أخطأ في الشريعة، فبالشريعة يدان" (٢: ١٢)، لأن ليس سماع الشريعة يجعل الإنسان مقبولًا عند الله بل الذي يعمل الشريعة (٢: ١٣)، وكذلك الأمم الذين ليس لديهم شريعة موسى لهم شريعة "مكتوبة في قلبهم"، وهنا يعيد الرسول المبدأ الإلهي، وهو أن الله "جعل الأبدية في قلب الإنسان" (جامعة ٣: ١١).

وحذف الرسول بولس الانتماء العرقي لليهودية في عبارة واحدة: "لأن اليهودي في الظاهر (حسب الممارسات الجسدية) ليس هو يهوديًا ولا الختان في الظاهر في اللحم ختانًا (لأنه ليس أبديًا) بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي (في القلب) وختان القلب بالروح لا بالحرف المكتوب هو الختان (الحقيقي) الذي مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو ٢: ٢٨).

وتعدي الشريعة الموسوية وشريعة الضمير يشغل القسم الأول من الإصحاح الثالث، ويختم رسول الرب ما عرضه من عدد ١ – عدد ١٩ "لكي يستد كل فم ويصير العالم كله تحت حكم الدينونة (القصاص كلمة قرآنية غير معروفة في اليونانية، وهي أحد المصطلحات القرآنية التي أدخلها فان ديك في الترجمة العربية) لأنه بأعمال الشريعة لا يتبرر أمام (الله) كل ذي جسد (كل إنسان) والسبب الواضح هو أن الشريعة أظهرت فقط فساد قلب الإنسان لأن بالشريعة معرفة الخطية". لكن الرسول لا يقف عند الضعف، بل لاحظ: "أمَّا الآن فقد ظهر صدق الله (بر الله) بدون الشريعة (بدون الناموس حسب فان ديك) مشهودًا له من الشريعة (الناموس) والأنبياء صدق الله (بر

الله) بالإيمان بيسوع المسيح (غير وارد في شريعة موسى) إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون مقبولين (متبررين) مجانًا (حرفيًا δωρεάν) أي "عطية"، وترجمة "مجانًا" ليست دقيقة، بل مقبولين بعطية منه، وهي نعمته[1] بالفداء في المسيح، أو -حسب فان ديك- مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه .." (٣: ٢١ – ٢٤).

إبراهيم قبل شريعة موسى (رو ص ٤)

إيمان إبراهيم لم يكن بوصية، بل باستعلان الله. ولم يكن حسب شريعة تفرض الإيمان بقوة العقوبة، بل برضى وحرية، ولذلك "آمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برًا" (٤: ٣). لا يوجد أمر (وهنا يصدم بولس كل الأجيال): "أما الذي لا يعمل أعمال الشريعة لكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر (الذي كسر أحكام الشريعة) إيمانه يُحسب له حقًا، أي منهج صحيح في معرفة الله (٤: ٥). ويقدم بولس نص المزمور مؤكدًا أنه يعني أن الله يحسب له برًا بدون أعمال (الشريعة) مؤكدًا أن هذا هو إبراهيم نفسه (٤: ٨-٩)، ويتقدم أكثر إلى برهان يصدم اليهود: هل تبرر إبراهيم وهو في الختان أم في الغرلة (٤: ١٠)؟ ويجيب: تبرر وهو في الغرلة (٤: ١٠)؛ لكي يكون أبًا لجميع الذين يؤمنون.

الاعتراض الذي يجب أن نقرأه بدقة

يقول رسول الرب: "ليس بالشريعة كان الوعد (بالبركة ووراثة الأرض) لإبراهيم ونسله، بل ببر (أي صدق أو حقيقة) الإيمان.

لأنه إن كان الوعد بوراثة الأرض والبركة، هي من الشريعة، أي حكم

---

(١) العطية والنعمة ضد كل ما يقوله ويكتبه الأنبا بيشوي عن الفداء والكفارة ودفع الثمن. حيث يدفع الابن ثمن الخطايا، لا توجد نعمة ولا يمكن الحديث عن عطية .. هذا العمى الوارد إلينا من العصر الوسيط والذي دخل لاهوت عصر الإصلاح يجب أن يتوقف.

الشريعة، فلم يعد للإيمان دور: "تعطَّل الإيمان وبَطُلَ الوعد" (٤: ١٤)، وهكذا صار إبراهيم مثالًا؛ لأن ما كُتب عنه "لم يُكتب من أجله وحده، بل من أجلنا" (راجع رو ٤: ٢٣).

الوعد بالبركة ليس من الشريعة، بل حسب غنى وصدق وأمانة الله، ولذلك جاء المسيح الهنا لكي يُظهر لنا أنه هو تحقيق المواعيد، وهو ما يشغل رومية ٥ كله حيث يعرِّف الرسول كونية الخطية - الموت، لكي يصل إلى غاية الإنجيل، وهو مُلك النعمة بالحق أو بالبر للحياة الأبدية، ليس بنصٍّ، بل بشخص يسوع المسيح ربنا.

جئت لكي أُكمِّل

عود على بدء. عندما أسمع سؤالًا من أكثر من قارئ: ماذا حدث للوصايا العشر في أعمال ص ١٥ عندما قرر الآباء الرسل بقوة وإلهام الروح القدس، أن يُصبح القرار النهائي هو الامتناع عن نجاسات الأصنام (العبادة الوثنية)، والزنا لأنه أحد طقوس المعابد اليونانية - الرومانية، لا سيما في أعياد الآلهة، والمخنوق (أكل الحيوانات الميتة لأن هذا جزء من طقوس السحر في العالم القديم)، والدم (سفك دم البشر حسب أكثر من قراءة قديمة) (أع ١٥: ٢٠)، فإن الجواب هو أنه لم يصدر حكم بنقض الوصايا القديمة، بل نُقلت الممارسات الخاصة بالحياة اليومية من أحكام التوراة إلى "الأشياء الواجبة" (١٥: ٢٨)، وإلَّا ظلت المسيحية سجينةً في مجامع اليهود[١].

كما أن عبارة القداس الغريغوري: "أكملت ناموسك أو شريعتك عني" تعني أن الإنسان لا يملك أن يزحزح الشريعة من مكانها أو يغيِّرها أو يكتب شريعة موازية، لكن جاء الرب وأكمل الشريعة، أي أعلن لنا غايتها، فصارت المحبة

---

(١) راجع مقالة: المجمع المقدس يبحث عن وصية. منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠١٤.

هي ”رباط الكمال“ الذي يجمع الله والإنسان معًا في وحدة واحدة. المسيح رب المجد هو إلهٌ وإنسان، أو إلهٌ متجسد متأنس، ولذلك فإن محبتنا لله أو للقريب هي في المسيح يسوع ربنا؛ لأنه الله والإنسان. هو وحده الوسيط الواحد، ولم يعُد للشريعة دور وساطة، وهو محور رسالة غلاطية العدو الغالب لكل حركات التهود حتى تلك التي دخلت أُم الشهداء.

† † †

يا يسوع، أنت لست شريعةً،

بل الابن الأزلي

السابق والباقي إلى الأبد

الشريعةُ أحكامٌ خاصةٌ بنا

عندما تجسَّدت، تجاوزت كل أحكام الشريعة

لم ترجم الزانية التي أُمسكت تزني،

بل قلت لها: ولا أنا أحكم عليكِ

لم تهب الميلاد الجديد بشريعة

ولا عطاء جسدك ودمك حسب شريعة

ولا الخلود هو حكم من أحكام الشريعة

ولا حتى قيامة أجسادنا التي ستقوم كما قام جسدك.

اصفح عن جهل الحاقدين، وأمحو ذنب الجهلاء،

وأنر القلوب التي غرقت في ظلمة العداوة.

د. جورج حبيب بباوي

الفصل الخامس والعشرون

يسوع هو العهد الجديد الأبدي[1]

التعليم الرسولي عن العهد الجديد، أي يسوع

يقول رسول المسيح بولس ما يلي:

* صار يسوع ضامنًا لعهد أفضل (عب ٧: ٢٢)

* وسيطًا لعهد أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل (عب ٨: ٦)

* وسيط عهد جديد (عب ٩: ١٥) وبعد، كيف يمكن إخضاع هذا الجديد للقديم، أي كيف نخضِع أقنوم الله الكلمة لشرائع العهد القديم؟

أما عن العهد القديم، فيقول نفس الرسول:

«إذ قال جديدًا عتَّق الأول، وأما ما عتق (صار قديمًا) وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣).

بل يقول: "لو كان (العهد الأول) بلا عيب، لما طُلب موضع لثان"، ثم يقتبس (أرميا ٣١: ٣١). ولاحظ هنا عبارة "موضعٌ لثانٍ»؛ لأن المسيح له المجد "له كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤)، ولعل الآباء الكهنة الذين أخذوا مكان الرب يخجلون من كلمات الرسول؛ لأنهم هم خدام هذا الكهنوت، ولذلك في نفس الشرح الرسولي يقول الرسول عن الرب: "قد حصل على خدمةٍ أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضًا لعهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل" (عب ٨: ٦).

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية coptology.com بتاريخ ٢٠ اكتوبر ٢٠١٤.

إن الوعد بالميراث الأبدي هو سر عظمة العهد الذي له وسيط واحد هو ربنا يسوع المسيح، لا وسطاء كثيرون؛ ولذلك بمقارنة موت الرب بكل ذبائح العهد القديم حسب كلمات اصحاح ١٠: ذبيحة – قربان – محرقة – ذبائح خطية – لم يسر بها الله حتى في العهد الأول يقول الرسول: "التي تقدم حسب الناموس. ثم قال ها أنذا أجئ لأفعل إرادتك يا الله فينزع الأول لكي يثبت الثاني" (عب ١٠: ٤-٩).

بالطبع يلزم لكل قارئ فطن أن يجمع مميزات العهد، ليجد أنها شخص:

- يسوع ضامن
- يسوع وسيط
- له كهنوت لا يزول
- قدَّم ذبيحةً أعظم من كل ذبائح العهد القديم.

يسوع رب الحياة، وشريعة موسى

يقول بولس العائد إلى المسيح، في رسالة غلاطية التي كتبت ضد المتهودين أن هؤلاء هم "الأخوة الكذبة" (غلا ٢: ٩)، أي الذين دخلوا لكي يبحثوا عن الذي أخذ الختان وعن الذي امتنع (غلا ٢: ٥)، ولكن هل سبق لنا أن تحدثنا عن هذا الاسم؟

«اؤتمنت على إنجيل الغرلة كما أن بطرس على إنجيل الختان" (غلا ٢: ٧). ماذا كانت مشكلة بطرس رسول المسيح مع رسول الأمم، وهو أيضًا رسول يسوع المسيح؟ جاء يهود من اورشليم من عند يعقوب. رفض بطرس أن يأكل معهم، وحسب الأصل اليوناني "أن يشاركهم عشاء الرب". لاحظ حتى التعبير العربي "يفرز نفسه" (٢: ١٢) "خائفًا من اليهود الذين هم من الختان" (٢: ١٣). لكن بولس لم يسكت ولم يقل عيب، هذا رسول أقدم مني، ورأى

الرب يسوع وعاش معه، بل "لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع (لا خلف ظهره كما يفعل الجبناء) إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (٢: ١٤)، أي فيما يخص الأكل - الختان - شرائع التطهير؟

البرهان القاسي على رياء بطرس

١- الإنسان لا يتبرر من خلال العلاقة الحقيقية الصادقة بأعمال الشريعة، بل بإيمان يسوع المسيح (غلا ٢: ١٦). ويضع الرسول سبب إيمانه بالمسيح وهو اليهودي سابقًا: "آمنا نحن بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الشريعة" (٢: ١٦) لاحظ أن إيمان يسوع = أمانة وصدق يسوع للآب، وليس للشريعة.

٢- اليهود يحسبون الأمم خطاة لأنهم لا يحفظون شريعة موسى (غلا ٢: ١٥).

٣- ما أعظم هذه القوة الصادمة لكل كبرياء ولكل تقوى الإنسان؛ لأنه بأعمال الشريعة لا يجد الإنسان طريق الحياة إلَّا لنفسه من نفسه لنفسه، ولذلك يقول لبطرس "بأعمال الشريعة لا يتبرر جسد (إنسانٌ) ما.

هنا محاكمة التقوى الكاذبة:

١- لا يمكن أن يضيف إنسانٌ بره حسب الشريعة إلى بر المسيح الذي لم يُمنح بواسطة الشريعة؛ لأن الشريعة تحكم بجرم وذنب الإنسان، بينما المسيح يعطي الحرية. لذلك يسأل رسول المسيح إننا إذا أضفنا بر الشريعة إلى بر المسيح نظل خطاة، وهنا ألا يصبح المسيح خادمًا (دياكون حرفيًا) للخطية؟

كيف يحدث هذا؟

يجيب رسول الرب على هذا السؤال الاعتراضي "إن كنت أبني أيضًا هذا الذي قد هدمته (الشريعة) فأنا أُظهر نفسي متعديًا الشريعة" (غلا ٢: ١٩)، لماذا؟ لقد أطلق المسيح سراح كل الخطاة بموته المحيي وقيامته، وهذا ما هدم الشريعة تمامًا، فإذا أعاد الرسول بولس بناء الشريعة التي هدمها، فهو يصبح متعديًا لأحكام الشريعة .. الشريعة أُبطلت؛ ولذلك يصل الرسول إلى خاتمة الحوار مع حركة التهود: "لأنني مت بالشريعة حسب الشريعة لكي أحيا لله" (غلا ٢: ١٩).

٢- ويختم بالحجة الأبدية: "مع المسيح صلبت"، المسيح الذي صُلب لأنه أبطل أحكام الشريعة، "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"، فهو قد قام ليس بقوة الشريعة، بل بقوته الإلهية.

٣- أخيرًا: "ما أحياه الآن كإنسان (في الجسد) فإنما أحياه في الإيمان"، أي في العطاء والجود الإلهي. عجيب هذا التركيب الذي احتار فيه علماء العهد الجديد في زماننا "إيمان ابن الله"، أي أمانة ابن الله لمحبته للإنسانية الضائعة التي مات لأجلها، وتفسير هذه العبارة هو قول رسول الرب: "إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (٢: ٢٠).

هل تسمع يا مَن تريد وضع شعب المسيح تحت حكم الشريعة: "لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالشريعة برٌّ، (أي علاقة صحيحة مع الله)، فالمسيح إذاً مات بلا سبب" (٢: ٢١). لقد بَطُلَ الإنجيل برمته لو كان لنا خلاص بحفظ أحكام الشريعة.

هيا شمِّر عن ساعديك يا داعية التهود، وضَع حتى يسوع، رب موسى نفسه تحت الشريعة، لعل الوجه القبيح يظهر تحت نقاب التقوى المزيفة.

د. جورج حبيب بباوي